دِيوانُ السليمانيات

(الجزءُ السادس)

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

بـــــدين الإلـــــهِ ســـــنغزو الأمـــــمْ ... وســـــوف تـــــزولُ جميـــــعُ الظلَـــــمْ

ويعلـــو زئيـــرُ الهُـــدى فـــي الـــورى ... ويـــدخلُ ســـمعاً بَـــراهُ الصَّـــمم

وترقـــى الحنيفـــة فـــوق الـــدُّنا ... وتحكـــمُ - بالعـــدل - كـــلَّ الأمـــم

ويســـعى الجميـــعُ إلـــى غايـــةٍ ... مُوَحَّـــدةٍ: عرَبـــاً ، والعَجَـــم

عِبـــادة رافـــع هـــذي الســـما ... وخـــالق كـــل الـــورى مِـــن عَـــدم!

الطبعة الأولى

نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

ديـــوان السّـليمـانيـّات

(الجزء السادس)

الأملُ الفوَّاح

شِعرُ

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجعه الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

الطبعة الأولى

مُجمّعة من المجلات والصحف والدَوريات والجرائد

ومُراجعة ومُصحّحة ومُحَققة ومُنقحة ومَزيدة

ديوانُ السّلَيْمانيّات

(الجزء السادس)

الأملُ الفوّاح

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

مقدمة

الحمدُ لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد. فإنّ ديواني (الأمل الفواح) هو باختصار مجموعة من القِيَم والخواطر صُغتها شعرًا ، فهو بهذا المعيار بعضُ عمري أضعه بين أيدي القراء المُكْرمين ، وسبق وأنْ نُشرَ معظمُ هذه الأشعار في الجرائد والمجلات والدوريات الأدبية والعلمية ، والعربية وغير العربية ، وقد حظيتْ جريدةُ (الوحدة العربية) بنصيب أوفرَ من بين الدوريات والجرائد والمجلات ، حيثُ كنتُ أعملُ محرراً للصفحة الأدبية والشعرية بها! وذلك في الفترة ما بين 1993م وحتى 1996م ، وحتى القصائدُ الطُولى تم نشرُ مقاطع منها كثيرة نظراً لطولها في عددٍ لا بأسَ به من المجلات والجرائد العربية ، وإنني لأشكر مِنْ قلبي كل مَنْ شاركَ في إعداد هذا الديوان وإخراجه ، كما وأحتسبُ سهري ودمي وقريحتي عند ربي ، وأحتسب وقتي ومالي وغربتي ، وأحتسب كل بلاءٍ لقيته من السفهاء وممن على شاكلتهم ، وكل عذاب لقيته على أيدي الناشرين الذين لعبوا بي كثيراً ، أحتسب كل ذلك عند المليك المقتدر ، وأسألُ اللهَ الذي لا إله غيرُه ولا رب سواه ، ولا يقع في ملكه إلا ما يشاء من أمر أنْ يجعل هذا الديوانَ سِلماً لأولي البصائر النيرة مِنَ المُوحدين ، وأنْ يجعلَهُ حربًا على أعداء التوحيد وأهله. هذا ، ولقد حرصتُ منذ بدأتُ طريق الشعر أن أكتب بالعربية محافظاً عليها وعلى أصولها نحواً وعروضاً ووزناً وقافية وبلاغة وفصاحة وبديعاً! منتهجاً نهج سلفنا الكرام من أرباب البيان وأساطين الضاد! استأذن رجل على إبراهيم النخعي فقال: "أبا" عمران في الدار ، فلم يجبه. فقال: أبي عمران في الدار ، فناداه: قل الثالثة وادخل. والمعنى الذي أراده النخعي أن يقول الرجل: (أبو) للرفع على الابتداء! وكان الحسن بن أبي الحسن يعثر لسانه بشئ من اللحن فيقول: استغفر الله. فقيل له فيه: فقال: من أخطأ فيها فقد كذب على العرب ، ومن كذب فقد عمل سوءاً ، وقال الله تعالى: "ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً". ومن هنا حرصتُ في شعري أن لا أكذب على العرب! وذكر أبو حيان في كتاب محاضرات العلماء: حدثنا القاضي أبو حامد أحمد بن بشر قال: كان الفراء يوماً عند محمد ابن الحسن ، فتذاكرا في الفقه والنحو ، ففضل الفراء النحو على الفقه ، وفضل محمد بن الحسن الفقه على النحو ، حتى قال الفراء: قل رجل أنعم النظر في العربية ، وأراد علماً غيره ، إلا سهل عليه ، فقال محمد بن الحسن: يا أبا زكريا ، قد أنعمت النظر في العربية ، وأسألك عن باب من الفقه. فقال: هات على بركة الله تعالى ، فقال له: ما تقول في رجل صلى فسها في صلاته ، وسجد سجدتي السهو، فسها فيهما ، فتفكر الفراء ساعة ، ثم قال: لا شيء عليه. فقال له محمد: لِمَ؟ قال: لأن التصغير عندنا ليس له تصغير ، وإنما سجدتا السهو تمام الصلاة ، وليس للتمام تمام. فقال محمد بن الحسن: ما ظننت أن آدمياً يلد مثلك. وحكي عن بعض الفقهاء أنه كان يقول: حب من الناس حب من الله ، وما صلح دين إلا بحياء ، ولا حياء إلا بعقل ، وما صلح حياء ، ولا دين ، ولا عقل ، إلا بأدب. وقال علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه -: كل شيء يعز إذا نزر ، ما خلا العلم ، فإنه يعز إذا غزر. ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يسيئون الرمي ، فقرّعهم ، فقالوا: إنا قوم "متعلمين" ، فأعرض مغضباً ، وقال: والله لخطؤكم في لسانكم ، أشد عليّ من خطئكم في رميكم. (عانياً بذلك أنهم كان ينبغي أن يقولوا: إنا قوم متعلمون.) ، سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "رحم الله امرأ أصلح من

لسانه". وروي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ: "ونادوْا يا مال ليقض علينا ربك أنكر عليه ابن عباس. فقال علي: هذا من الترخيم في النداء فقال. ابن عباس: ما أشغل أهل النار في النار عن الترخيم في النداء؟ فقال علي: صدقت. فهذا يدل على تحقق الصحابة من النحو ، وعلمهم به. قرع رجل على الحسن البصري الباب وقال: يا أبو سعيد ، فلم يجبه ، فقال: أبي سعيد ، فقال الحسن: قل الثالثة وادخل. (ولقد مر مثل ذلك مع إبراهيم النخعي)! وقد مر مثل هذا (وحدث النضر بن شميل ، قال: أخبرنا الخليل ابن أحمد ، قال: سمعت أيوب السجستاني يحدث بحديث فلحن فيه ، فقال: أستغفر الله: يعني أنه عد اللحن ذنباً. وكان ابن سيرين يسمع الحديث ملحوناً ، فيحدث به على لحنه ، وبلغ ذلك الأعمش ، فقال: إن كان ابن سيرين يلحن ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن ، فقوّمه. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب أولاده على اللحن ، ولا يضربهم على الخطأ. ووجد في كتاب عامل له لحناً ، فأحضره وضربه دِرّة واحدة. ودخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال: العجب ، يلحنون ويربحون؟ وكان معاوية بن بجير عامل البصرة لا يلحن ، فمات بجير بالبصرة ، ومعاوية بفارس خليفة أبيه ، فقال الفيج الذي جاء بنعيه: مات بجيراً ، فقال له: لحنت لا أم لك. وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا العربية ، فإنها تثبت العقل ، وتزيد في المروءة. وقال عبد الملك: ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم ، التي بها يتحاورون الكلام ، ويتهادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها ، ويجمعون ما تفرق منها ، إن الكلام قاض يجمع بين الخصوم ، وضياء يجلو الظلام ، وحاجة الناس إلى مواده ، كحاجتهم إلى مواد الأغذية. وقال الزهري: ما أحدث الناس مروءة أحب إلي من تعلم النحو. وقال ابن السكيت: خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب والأرواح وتشتهيه الآذان ، وخذ من النحو ما تقيم به الكلام ، ودع الغوامض ، وخذ من الشعر ما يشتمل على لطيف المعاني ، واستكثر من أخبار الناس ، وأقاويلهم وأحاديثهم ، ولا تولعن بالغث منها. وقال أبو عمرو بن العلاء: قيل لمنذر بن واصل: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: أسمع بالحرف منه لم أسمعه ، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم مثل ما تنعمت الأذان ، قيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها ، وليس لها غيره ، قيل: وكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال. قال الأصمعي: قال لي أعرابي: ما حرفتك؟ قلت: الأدب ، قال: نعم الشيء ، فعليك به ، فإنه ينزل المملوك في حد الملوك. وقال أرسطو طاليس: ليت شعري: أي شيء فات من أدرك الأدب وأي شيء أدرك من فاته الأدب؟ وقال بزرجمهر: من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعاً ، وبعد صوته وإن كان خاملاً ، وساد وإن كان غريباً ، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيراً. ويقال: عليكم بالأدب ، فإنه صاحب في السفر ، ومؤنس في الحضر ، وجليس في الوحدة ، وجمال في المحافل ، وسبب إلى طلب الحاجة. ويقال: مروءتان ظاهرتان: الفصاحة والرياش. وكلم شبيب بن شيبة رجلاً من قريش ، فلم يحمد أدبه ، فقال له يا ابن أخي: الأدب الصالح خير لك من الشرف المضاعف ، قالوا: والفرق بين الأديب والعالم ، أن الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه. والعالم من يقصد بفن من العلم فيتعلمه. ولذلك قال علي – رضي الله عنه -: العلم أكثر من أن يحصى ، فخذوا من كل شيء أحسنه.

إهداء

الحمدُ لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، والصلاة والسلام على رسوله العظيم المجتهد ، وبعد أهدي ديواني: (الأمل الفواح) لكل قائم لله بالقسط ، محتسب حياته وماله وأهله لله رب العالمين تبارك وتعالى. والديوانُ في عمومه زادُ كلِّ منافح عن العقيدة ، وإن أبى له الحاقدون أنْ يكونَ كذلك. كما أهديه لأبي الذي تعلمتُ منه الجدَّ والاجتهادَ والكفاحَ وعدمَ اليأس ، أبي سببُ الوجود في الحياة فداه نفسي ومالي: أنت ومالك لأبيك ، وأسألُ اللهَ أنْ يُصلحني وإياه ، وأنْ يرده وإياي للحق المبين ، كما وأهديه لأبي الأندلس الذي حرصت على إيصال الحق له فأبى إلا البعد والانزواء ، ولا تزال قضية تَميُزه قضيةً غامضة ، والله غالبُ على أمره ، وأهديه لكل متسرع في حُكمِه على الأشياء والناسِ بغير هُدىً من الله ولا كتاب منير. هذا ، وأسأل اللهَ أنْ يهدينا جميعاً سَواءَ السبيل. كما وأهديه لأم عبد الله والأشبال الثلاثه: عبدِ الله ، وعبدِ الرحمنَ وعمرَ الفاروق ، أصلَحهم الله واللهُ يقولُ الحقَ وهُو سبحانَهُ يَهدي السبيل. قال ابن القيم في الصدق والصادقين ووجوب تحري الصدق واتباع الصادقين: "إن صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده! بل ما أعطي عبدٌ عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما ؛ بل هما ساقا الإسلام ؛ وقيامه عليهما ، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم ، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم ، ويصير من المنعم عليهم الذين حسُنتْ أفهامهم وقصودهم ؛ وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة ؛ وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد ، يميز به بين الصحيح والفاسد ، والحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغى والرشاد ، ويمده حسن القصد ، وتحرى الحق ، وتقوى الرب في السر والعلانية ، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا ، وطلب محمدة الخلق ، وترك التقوى". وعلى المسلم قبول الحق ممن جاء به. "على المسلم أن يتبع هدى النبي صلى الله عليه وسلم في قبول الحق ممن جاء به من ولي وعدو ، وحبيب وبغيض ، وبر وفاجر ؛ ويرد الباطل على من قاله كائنا من كان". والحقيقة أن الصادق يرزقه الله مهابة وإجلالاً. "وأقوى الأسباب في رد الشهادة والفتيا والرواية الكذب ؛ لأنه فساد في نفس آلة الشهادة والفتيا والرواية ، فهو بمثابة شهادة الأعمى على رؤية الهلال ، وشهادة الأصم الذي لا يسمع على إقرار المقر ؛ فإن اللسان الكذوب بمنزلة العضو الذي قد تعطل نفعه ؛ بل هو شر منه ؛ فشر ما في المرء لسان كذوب ؛ ولهذا يجعل الله سبحانه شعار الكاذب عليه يوم القيامة وشعار الكاذب على رسوله سواد وجوههم ؛ والكذب له تأثير عظيم في سواد الوجه ؛ ويكسوه برقعاً من المقت والغضب يراه كل صادق ؛ فسيما الكاذب في وجهه ينادى عليه لمن له عينان ؛ والصادق يرزقه الله مهابة ووقاراً وجلالة ؛ فمن رآه هابه وأحبه ، والكاذب يرزقه إهانة ومقتاً ؛ فمن رآه مقته واحتقره").هـ. ومن هنا تحريتُ الصدق والصادقين من الشعراء والأدباء والنقاد! وركزتُ في جُل شعري على قضية التوحيد والعقيدة باعتبارها أصل الوجود وسببه. (وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون). (أي إلا ليوحّدوني وليفردوني بالألوهية والعبادة). وتحت عنوان: (حتى لا يضيع الدين) يقول الأستاذ سالم العجمي ما نصه: (فمن أراد بحبوحة العيش في الدارين ، فليوحد الله جل وعلا حق توحيده وليستقيم على طاعته. والتوحيد هو أن يصرف العبادة لله وحده ، ولا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ؛ فإنه إن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله جل

وعلا عُدّ مشركاً ؛ فلا يقبل الله من صرفاً ولا عدلاً ؛ ولا يُتقبّل منه عمل وإذ به في الآخرة من الخاسرين ؛ {إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} ، ومن تأمل ما أعده الله سبحانه وتعالى للموحّدين الذين يفردونه بالعبادة ؛ سارع إلى ذلك وعلم أن عقوبة الشرك لا عقوبة أشد منها. وانظروا إلى فضله سبحانه وتعالى حيث إنه يجازي صاحب المعصية بالمغفرة إذا كان موحداً فيدخله في رحمته ويعامله بعفوه وإحسانه ؛ وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفضل العظيم بقوله: "يُصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ؛ فينشر له تسعة وتسعون سجلا (يعني من الذنوب والمعاصي) ؛ كل سجل منها مد البصر ؛ ثم يقال: أتنكر من هذا شيئاً فيقول: لا يا رب. فيقال: ألك عذر ألك حسنة ؛ فيهاب الرجل فيقول: لا. فيقال: بلى إن لك عندنا حسنات ، وإنه لا ظلم عليك. {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين} ؛ فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ فيقول: أي ربِّ ؛ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفه والبطاقة في كفه فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء" ؛ ولكن هذا قال لا إله إلا الله وعلم أن معناها: لا معبود بحق في السماوات والأرض إلا الله ، فهو وإن كان مسرفاً على نفسه بالمعاصي ولكنه لم يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله. فلا يصلي مع المسلمين وهو يدعو علياً أو الحسين أو العباس أو غيرهم. ولا يصلي مع المسلمين وقلبه معلق في القبور ؛ فإذا أصابته مصيبة نادى يا علي يا حسين يا خضر يا عباس ؛ لا. لا يقول هذا. ولا يقول: يا بخت فلان (ولا نخاف من السيد فلان خوفنا من الله) ، لا يقول هذا ؛ ولا يعتقده. ولذلك قال أهل العلم في قول الله تعالى: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ، نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم مدخلاً كريماً}: إن من اجتنب كبائر الذنوب يكفّر الله عنه الصغائر ، وكذلك من ترك الشرك فإن الله سبحانه وتعالى يغفر له ما وقع منه الكبائر". لأنه إن كان موحداً دخل تحت رحمة الله ، وهو سبحانه الذي لا معقب لحكمه ، ولا يُسأل عما يفعل ؛ فإن شاء عذب وإن شاء غفر ؛ وإذا شاء سبحانه أن يغفر للعبد فمن يرده؟! ، ولكن لا بد أن يكون موحداً يا عباد الله. واعلموا أن فساد الدين لا يأتي إلا بالاعتقادات الباطلة ؛ والتكلم بها ؛ أو العمل بخلاف الحق والصواب. ومما أفسد عقائد الناس وحرفهم عن السبيل الصحيح ؛ تلك القبور المشيدة التي تعبد من دون الله وتُدعى من دون الله ، سواء في السعي إليها أو تعلق القلوب بها. ولذلك فقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من كل فعل يكون على هذه القبور ؛ فيكون بعد ذلك وسيلة لعبادتها من دون الله ؛ كالبناءِ عليها وتعظيمِها والغلوِّ في أصحابها ؛ فإن هذا كله يفضي إلى الشرك بالله سبحانه ؛ ولذلك لما ذكرت أم سلمة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها في أرض الحبشة ؛ وما فيها من الصور ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ـ أو العبد الصالح ـ فمات بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ؛ أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة" ؛ والمقصود بجعل القبور مسجداً ؛ جعلها موضعاً للعبادة).هـ. ومن هذا المنطلق حرصت في شعري على القضايا المتعلة بالتوحيد والعقيدة. ومن الله الصواب ، ومن نفسي الخطأ والزلل!

تنويه هام

ألا وإن جميع حقوق الطبع والنشر والتأليف محفوظة للمؤلف ، ولا يجوز إطلاقاً طبع أو اقتباس أو إعادة طبع كل جزء من قصائد هذا الديوان أو تخزينه في أي نظام لتخزين المعلومات واسترجاعها ، أو نقله على أية هيئة أو بأية وسيلة: سواء كانت إلكترونية أو كمبيوترية أو حتى شرائط ممغنطة أو ميكانيكية أو استنساخاً أو تسجيلاً أو الترجمة لأي لغة من لغات العالم أو تحويلة إلى أعمال إذاعية أو مرئية ، أو نشره في صورة فقرات في جريدة يومية أو مجلة من أي نوع ، أو ما شابه ذلك من طرق النشر والطبع إلا بإذن كتابي خطي من المؤلف ما دام حياً يرزق وكذلك من ورثته بعد موته. والله المستعان. ويطيب لي جداً أن أذكر بما قاله الحكيم ناصحاً لكل قارئ: لي مطلب من كل قارئ قرأ أن يستر العيب الذي فيه يرى من خطأ في السبك والتعبير فكلنا مظنة التقصير وليس يخلو أحد من عيب ثم الدعاء لي بظهرالغيب. وربما أخذ عليّ فيما أخذ فرط الالتزام بالإسلام كتابا وسنة في الشعر! وكأن الشعر عند هؤلاء لا يكون شعراً إلا إذا خرج من إسار الدين وانفلت من ربقة التوحيد! والأصل أن آباءنا الذين شهد لهم العالم بالتفوق والإبداع ما وصلوا إلى ذروة المجد إلا بالعلم والتدين معاً وما كان أحدهما منفصلاً عن الآخر. وقد رأينا إنصاف المسلمين ودينهم من بعض الباحثين الغربيين ، فاعترفوا بسبق المسلمين في مجالات العلوم الدنيوية المختلفة ، وها هي بعض أقوالهم لندرك موقع الإسلام من الحضارات الأخرى ، ولنعلم منهج الإسلام في حثه أتباعه على النظر والتأمل والعمل والإبداع ، يقول المفكر الفرنسي "جوستاف لوبون" في كتابه المعروف "حضارة العرب" ترجمة "عادل زعيتر": "لو أن العرب استولوا على فرنسا: إذن لصارت باريس مثل قرطبة في إسبانيا ، مركزاً للحضارة والعلم ؛ حيث كان رجل الشارع فيها يكتب ويقرأ ، بل ويقرض الشعر أحياناً ، في الوقت الذي كان فيه ملوك أوروبا لا يعرفون كتابة أسمائهم"! وقالت المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكة" في كتابها المعروف "شمس الله تشرق على الغرب" تقول عن انتشار المكتبات في العالم العربي: "نمت دور الكتب في كل مكان نمو العشب في الأرض الطيبة ، ففي عام 891 م يحصي مسافر عدد دور الكتب العامة في بغداد بأكثر من مئة ، وبدأت كل مدينة تبني لها داراً للكتب يستطيع عمرو وزيد من الناس استعارة ما يشاء منها ، وأن يجلس في قاعات المطالعة ليقرأ ما يريد ، كما يجتمع فيها المترجمون والمؤلفون في قاعات خصصت لهم ، يتجادلون ويتناقشون كما يحدث اليوم في أرقى الأندية العلمية". وكتاب "شمس الله تشرق على الغرب" في النص الألماني معناه: نور الإسلام يضيء الحضارة الغربية ، والكتاب مليء بأسماء مبدعين مسلمين عرب وغير عرب. واقرأ ذات الكلام لحكيم روسي وهو يبين أن هذا الدين فيه ما خدم الإنسانية ، وقاد إلى الرقي والمدنية. وقال تولستوي الحكيم الروسي: "ومما لا ريب فيه أن النبي محمداً كان من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسكينة والسلام وتؤثر عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة ، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام". وقال الدكتور النمساوي شبرك: "إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ إنّه رغم أُمّيته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع ،

سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمّته". وفي باب الطب والجراحة كان للمسلمين دورٌ لا يُنكر. يقول الكاتب البريطاني هـ.ج. ويلز في كتابه "معالم تاريخ الإنسانية": "وتقدموا في الطب أشواطاً بعيدة على الإغريق ، ودرسوا علم وظائف الأعضاء ، وعلم تدبير الصحة ، ولا يبرح كثير من طرق العلاج عندهم مستعملاً بين ظهرانينا إلى اليوم ، وكان لجراحيهم دراية باستعمال التخدير ، وكانوا يجرون طائفة من أصعب الجراحات المعروفة ، وفي ذات الوقت التي كانت الكنيسة تحرم فيه ممارسة الطب انتظاراً منها لتمام الشفاء بموجب المناسك الدينية التي يتولاها القساوسة: كان لدى العرب علم طبي حق". بل ويقول – أيضاً -: "كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط ، ولم أجد ديناً يسير مع المدنية أنَّى سارت سوى دين الإسلام".انتهى. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة). رواه البخاري ومسلم. وها أنذا أغرس بذور هذا الشعر ليثمر في المستقبل!

هذا الديوان

إن ديوان الأمل الفواح يحتوي على عدد من القصائد التي هي بعض عمري. فقصيدة (وربما حار الدليل) ، والتي أهديتها للشاعر الجهبذ – الذي لا أزكيه على الله – الدكتور / عبد الرحمن صالح العشماوي. تعد من القصائد الحبيبة إلى قلبي. عبرتُ فيها عن مدى حبي العميق للشاعر العشماوي. الذي تأثرت به تأثراً كبيراً منذ ما يزيد على السنوات العشر. إن مثل هذا الحب في الله احتاج إلى قصيدة طال ارتقابها. وكنت أول مرتقب لها. وقصيدة (لا تنبشي الماضي) والتي أهديتها لزوجي (أم عبد الله) ، والتي استغرقت وقتاً طويلاً حتى تم إنجازها ، وكنت قد تناولت شيئاً من الماضي الراحل في حوار شعري ، مع زوج فارقتها وملابس العرس لا تزال عليها. ودموع الفراق تكاد تسرق مهجتها ، وسياط الرحيل تُلهب كل جارحة في كياني الراحل دائماً والمغترب أبداً! وأما قصيدة (الجمال الرخيص) فقد كانت مناسبتها خاصة ، ولكن عبرتها بعموم لفظها لا بخصوص سببها ، فهي لكل امرأة أو فتاة استذلها الشطان ببعض ذنوبها ، فراحت ترى في العُري الذي أصبح دينا – اليوم – تدين به بعض بنات حواء ، ترى فيه حضارة ومدنية. وهو قبح وقذارة وعفن ودنس. والحشمة والستر فطرة الله وشرعه لبني آدم عامة والمسلمون خاصة. بينما التفسخ والإباحية والعُري فهو من وسوسة الشياطين شياطين الإنس وشياطين الجن (لعنة الله عليهم). وقصيدة (بين الأمس واليوم) فهي ذات مناسبة خاصة في جوانحي: فهي القصة المكرورة لكل شاب أو فتاة يريان في الالتزام بالإسلام الضالة المفقودة ، فيبليان في الإسلام بلاء حسناً في زمان يعادي أغلب أهله الإسلام ، وفي بيوت لم يعد الفرق بينها وبين بيوت اليهود والنصارى كبير فرق: فالتمثليات هي ذات التمثليات ، والتهتك ذات التهتك ، واللادينية هي نفس اللادينية ، والجرأة على الله ورسوله هي الجرأة على الله ورسوله ، والانسلاخ من التوحيد والشريعة الغراء هو نفس الانسلاخ من التوحيد والشريعة الغراء. عندئذ تشتعل رحى الحرب بين الشاب وأهله لا لشيء إلا لأن الأول يقول ربي الله (قولاً واعتقاداً وعملاً). بينما أهله يقولونها فقط باللسان وينقضونها بالاعتقاد والعمل. ويضيع الشاب أو الفتاة بين الدروب المضروبة خارج البيت وداخله. وبخاصة دروب أهل الحق الذين أصبح بأسهم بينهم شديد ، فصاروا بكيد رهيب من المنافقين والضالين والشياطين الإنسية والجنية أمماً شتى. كل منهم يزعم أنه على الحق: فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، وضاع من بين أيديهمَ الفرقان الذي يفرقون به بين الجاهلية والإسلام. بين الهدى والضلال ، بين الرشد والغي ، بين الطاغوت والتوحيد. فأخذت أعرض لتصرفات الأهل الجاهليين مع الشباب الموحد ، كما أعرض لتصورات الفرق المتناحرة المتقاتلة عن الفرقان المفتقد اليوم ، والذي يعوق المسيرة ، ويحول دون الوصول إلى أية غاية منشودة. وأما المعلقة الرائية: (وجه أبي ذر وقلب أبى لهب) ، فهو وجه البقعة من الأرض تبدي شعارات الإسلام وترفعها ، وتنطلق مآذنها معلنة (الله أكبر، أشهد لا إله إلا الله) ، وتتنكر للتوحيد وأهله ، وتحارب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بكل ما أوتيت من إمكانات وقوة وطاقة. فلها فعلاً وجه أبي ذر من التقوى الحقيقية عند أبي ذر – رضي الله عنه – والمصطنعة المزيفة عند البقعة المعاصرة وأغلب أهل الضلال بها. وأما قصيدة (بين الظل والحرور) فأهديتها لأمي وأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، والطاهرة بنت الطاهر والشريفة العفيفة بنت الشريف العفيف ، زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم – عائشة – رضي الله

عنها وعن أبيها – أعبر فيها عن مدى حبي الذي فاق الحدود لهذه الأم الفذة الطاهرة ، وأجعل من سيرتها الظل الحاني الوارف في حرور الجاهلية التي نعيش. وأحاول أن انتصر لها من أعداء التوحيد أهل الضلال الذين ينالون منها – ألا لعنه الله على الظالمين الفاسقين – وإن ديواناً للشعر اليوم يخلو من نفحة توحيدية خالصة عن السيدة عائشة لديوان فقير. ولما رأيت الدواوين المعاصرة تحوي القصائد عن الانتصار للإسلام ومدائح النبي عليه السلام ، على حين تحتوى وللأسف على قصائد في تأبين (راقصة) أو (مغنية) أو (ممثلة) أو (لاعبة) إلى غير هؤلاء من اللائي أفسدن الأجيال ، وكن عوناً وذراعاً ظهيراً لمكائد آل صهيون في صد الناس عن دين محمد الرسول النبى – صلى اله عليه وسلم –. من هنا رحت أناجي السيدة عائشة بنت الصديق – رضي الله عنها -. وأما قصيدة (نهج نهج البردة) فقد كتبتها أهديها للنبي صلى الله عليه وسلم – وأوجهها له لا على سبيل التوسل والدعاء معاذ الله. بل على سبيل الخطاب الذي يشبه قولنا في التشهد: (السلام عليك أيها النبي ، ورحمة الله وبركاته) ، واختلفتْ عن كثير من البردات الأخرى ، حيث لم يوجد في أبياتها قط معاني العشق والغرام والتوله برسول الله ، لا ، فإن رسول الله لا يُعشق إلا من زوجاته! بل يُحب أيها الجهلاء السفهاء ، من الذين نجحت فيكم حيل صهيون وأفلامه ، فرحتم تطلقون ألفاظ العشق والغرام ، توجهونها للرسول – وهو من هذا براء – نحن المسلمين نحب رسول الله حباً جماً ، لا نعشقه. ذلك أن العشق كلمة في لغتنا وديننا لا تطلق إلا على حب الزوجات فقط. وأما قصيدة (حنين القلب) فقد كتبتها في تأبين القارئ الحبيب الجليل / عبد الباسط محمد عبد الصمد. وحاولت فيها أن أكتب شعوري عندما نبئت برحيله إلى الرفيق الأعلى والجنة – إن شاء الله- وإنه لفخر كبير جداً وشرف عظيم أن أكتب عن قراء القرآن في زمان أغلب الشعراء قد عبدوا المغنين والمغنيات من دون الله تعالى. حتى إنك تراه يكتب عن (مغن) أو (راقص) وغيرهما القصائد المعلقات كما لو كانت عن أحد أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عن أصحابه الكرام- إنها الانتكاسة تصيب القلوب والضمائر ، والعمى وقهر القلوب والعواطف البلادة تقتل المشاعر والأحاسيس. وقصيدة (لو ولد النبي في أرواحكم) أهديها لشاعر على غير ملتنا عندما وجدته أكثر غيرة على ديننا من بعض من يدعون الإسلام اليوم من الشعراء المرتزقة المتمسلمين. وأما معارضة الدكتور عدنان النحوي (أبلغت يا عدنان) فإن هذه المعارضة كتبتها أعبر فيها عن مدى حبي للدكتور والوالد الحاني/ عدنان النحوي ، الرجل الذي من الله عليّ به فانتفعت بوصاياه ونصائحه وتوجيهاته. عاش شاعراً مُحِقاً من شعراء العقيدة والتوحيد (وقليل ما هم). وذلك باعتراف كثيرين من أهل الشعر وأرباب الأدب ، وحاولت في القصيدة أن انتصر للدكتور من (ابن جني الجزيرة) ، ذلك النكرة الذي يعيب على الدكتور عدنان ويعيب على الدكتور العشماوي ، (يعيب عليهما التزام القيم والأخلاق والعقيدة في الشعر) ، وأدلي بدلوي في معلقة من الطويل رائية من باب (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) من باب (وتعاونوا على البر والتقوى) ، وحتى يعلم الحداثيون البُله المغفلون الحمقى أننا صفٌ كالبنيان المرصوص في وجوه أهل الزيغ والضلال مهما كلفنا ذلك. ننصر الحق ولا نخاف في الله لومة لائم ، والله مولانا ولا مولى لهمَ ، والله أعلي وأجل من أصنامهم التي قد غرقوا في عبادتها من دون الله. والله يسمع ويرى ويشهد. وقصيدة (من كيد الشيطان) حاولت في مقدمتها – وهي أثمن من القصيدة ذاتها – أن أبين لكثير من الناس اليوم تصور شريعتنا للشيطان – ذلك أن كثيراً من الناس في الأرض اليوم يتصور فقط

أن الشيطان محصور ومقصور ومتصور في شيطان الجن الإبليسي فقط. كلا ومليون كلا. إن هذا التصور الهزيل لا نقبله ولا نقره ، لأنه منقوض بصريح الآيات الكريمة من القرآن: (شياطين الإنس والجن ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً). وإذن فالشياطين الإنسية كثيرة جداً اليوم وأمس وغداً وهم يزدادون حقيقة يوماً بعد يوم ، فالمغنون والمغنيات ، والمسرحيون والمسرحيات ، والسينمائيون والسينمائيات ، والممثلون والممثلات ، والمصورون والمصورات ، والراقصون والراقصات ، والروائيون العلمانيون والحداثيون ، وقصاصوهم وشعراؤهم ، وكذلك الروائيات والقصاصات والشاعرات العلمانيات الجاهليات ، المعاصرات والغابرات ، ومشرعو القانون والمشرعات أيضاً هم سدنة مروجو الفساد بأنواعه ، وتحت أي مسمى ، والطواغيت الذين هجروا شرع الله ويحكمون بغير ما أنزل الله في الأموال والدماء والفروج والأنفس والثمرات ، ومن تابعهم وأيدهم ومن كان على شاكلتهم ، كل هؤلاء من شياطين الإنس الذين هم وشياطين الجن سواء. واذن فالشيطان كل عاتٍ فى الضلال ، وكل من صد عن سبيل الله ، وكل من أفسد في الأرض بغير الحق ، أو أشاع الفاحشة في الدنيا ، وأغوى الناس – وبخاصة بعد أن طهر الله تعالى الأرض ببركة بعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم – . وأما قصيدة (برقية عاجلة لابنة العم سام) ، فقد أهديتها لأمريكا التي غرّها حلم الله الجبار المنتقم القهار عليها ، فراحت تغرق الناس في مستنقع الدعارة والفن والهزل ، وتحيطهم بشبكات الرعب والخوف والهلع ، وتتحكم في مصائر الناس كيفما شاءت: أقول إن الله يسمع ويرى ، وينتصر لأوليائه يوماً ما. وأسأل الله ـ لآل صهيون وللعم سام ولروزا العاهرة ولليهود وللنصارى ولأبنائهم في الداخل بيننا وفي الخارج من حولنا ومن شايعهم وأقرهم وتابعهم وعاونهم ـ يوماً أسوداً ، كيوم فرعون وقارون وهامان. كما أسأله نصراً مؤزراً مبيناً عليهم كنصر يوم بدر والأحزاب وحطين. آمين. تقول الأستاذة أمل المنقور في بحثها القصير: (تباشير الفجر) وهي ترسم صورة للتفاؤل ينبغي أن نكون عليها: (لا مكان للكُسالى! قد لاحتْ وربي تباشير الفجر ، تُنبئنا بأن المستقبل حقاً لدين الله. والنصر لأوليائه. لكنّ فينا ومنا وبيننا قومًا كُسالى عاجزين يائسين! قوم رأوا تفشي الشر والمنكر واستفحاله! رأوا العدو تبجَّح وتقوى! وفي ظل هذه الرؤية رأوا أنه مهما عَمِلنا فلن نُغير من الواقع شيئًا ، ولن نجني سوى التعب والمشقة ، فليس إذن في السعي فائدة! فإذا بهم يرفعون راية: (لو أسلم حمارُ آل الخطاب ما أسلم عُمر)! تكاسلاً وعجزًا ويأسًا! مُرددين حين يُطلب منهم خدمة دينهم ولو بكلمة: «أنتم تؤذنون في خرابة ، لا أحدّ حولكم ، وتنفخون في قربة مقطوعة»! وغيرها من عبارات وكلمات: هلك الناس في نظرهم وقد هلكوا! وصف النبي – صلى الله عليه وسلم ـ هذه النفسية وصفًا دقيقًا بقوله: «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم». (رواه مسلم). إن مما لا شك فيه أن حقائق اليوم هي أحلام الأمس ، وأحلام اليوم هي حقائق الغد. والضعيف لا يظل ضعيفاً أبد الآبدين. والقوي لايظل قويًّا أبد الآبدين. يقول ربنا تعالى: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ). أجل والله إننا نملك الإيمان بنصر الله لنا ، والثقة بتأييده لنا ، واليقين الراسخ بسنة الله في إحقاق الحق وإبطال الباطل ولو كره المجرمون. بل وربي نملك فوق ذلك كله اطمئنانًا إلى وعد الله الذي وعد به المؤمنين:(لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) إنه (وعد) يشحذ الهمم ويستثير العزائم

ويملأ الصدور ثقة وإيمانًا بأن الدور لنا لا علينا. والتاريخ معنا لا علينا. وإنا لنحن المنصورون. وإن جند الله لهُمُ الغالبون. سنة الله رب العالمين. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» (رواه مسلم). ويقول: «ليبلُغَن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزًّا يُعز الله به الإسلام ، وذلاً يُذل الله به الشرك». (أخرجه أحمد والحاكم). أرأيتم؟! إنه نصر الله القريب لهذه الأمة! إي والله إنه لقريب. وما يصيب أمة الإسلام اليوم من النكبات والمآسي إلا آلام ما قبل الولادة! ولادة النصر والتمكين لهذا الدين. إنه ركْب النصر القادم بإذن الله. ولا مكان فيه للكُسالى العاجزين ولا التنابلة البطالين. إن آية الآيات في هذا الدين أنه أشد ما يكون قوة. وأصلبُ ما يكون عودًا. وأعظم ما يكون رسوخًا وشموخًا. حين تنزل بساحته الأزمات. وتُحدق به الأخطار. ويشتد على أهله الكرب. وتضيق بهم المسالك. وتُوصد عليهم المنافذ. حينئذ يُحقق الإسلام معجزته! ينبعث الجثمان الهامد. يتدفق الدم في عروق أبنائه. ينطلق وينتفض ، وعندها يقول فيُسمع ، ويمشي فيُسرع ، ويضرب في ذات الإله فيُوجع. أجل والله. إن هذه الأمة (تمرض) لكنها (لا تموت)! و(تغفو) لكنها (لا تنام). و(تخبو) لكنها (لا تطفأ) أبدًا. فالوعود الجازمة بالنَّصر موجودة موثوقة من رب الأرباب سبحانه. ليس فيها مراءٌ أو جدال. ومن أصدق من الله قيلاً. وأقوال النبي – صلى الله عليه وسلم – وأفعاله ، وآيات كتاب الله جل وعلا قاطبة ، يضعان أمام أعيننا «خطَّة السَّير» الصحيحة ، و«الطريق الأمثل» للتنفيذ. ولم يبق إلا أمر مهم لا بدَّ من تحقيقه ليكتمل «ثالوث» النَّصر بإذن الله. هذا الأمر هو ما يطرحه هذا السؤال: «ماذا يُراد منَّا؟!» أجل. «ماذا يُراد منَّا؟» نحن كأبناء لهذا الدين ، وكحاملين له ، لنُحقق النَّصر الذي إليه نطمح ، والعز الذي إليه نرنو بإذن الله جل وعلا. إن الوعد بالنصر من الله جل وعلا حق واقع لا مجال لإنكاره أو حتى التشكيك فيه. لكن هذا الوعد بالنصر لن يتحقق حتى يُوجد من يستحقه ويعمل له. بالأمس دخل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - أرض الإسراء ، وخرج من الدنيا وقد حملها أمانة في عنق كل مسلم إلى قيام الساعة. أجل. سلمها عُمر أمانة لكل من يخلفُه! فأين الأمانة يا مسلمون؟! ما الخبر بعد عُمر؟! إنه الذل والهوان المكتوب على الأمة متى ما حادت عن دينها. قد ابتعد المسلمون عن مصادر عزهم فذلُّوا ، وحادوا عن كتاب الله وسنة نبيه فضلُّوا. وألغوا عقولهم فهانوا! عَصَوُا الله وهم يعرفونه ، فسلط عليهم من لا يعرفه فكان الهوان والضياع. وضاعت القدس! ضاعت يوم أميتت في القلوب «آل عمران» و«الأنفال» و«براءة». ضاعت يوم أُصِمَّت الآذان ، واستُغشيت الثياب عن أصوات الناصحين الصادقين. ضاعت يوم ذُل الأتقياء ، وعُز الأشقياء ، يومها فُجعنا بضياعها ، لأننا أمة لا تستحق أن تُنصَر! فما الذي يُراد منَّا؟! ماذا يُراد منا لنحقق النصر لنا ولأمتنا بإذن الله؟! أقول: يُراد منكم الكثير والكثير. أجل. نريد من الأُسر أن تحمل هم دينها. نريد أن نتحرر من تلك الآفة التي غدت ظاهرة عامة بين المسلمين. تعوق خُطانا عن السير! ألا وهي كثرة النواح ، وقلة العمل. والنواح لا يُحيي ما مات ولا يرد ما فات. آفتنا كثرة الشاكين المتوجعين ، وقلة المداوين! كثرة من يسبون الظلام ، وقلة من يوقدون الشموع! نعم. أحبتي في الله. كثرت الشكوى من الأدواء والمآسي والكل يرى ذلك ويلمسُه. لم يعد هناك أحدٌ إلا ويشكو فمنِ المشكو منه إذن؟ كلنا شاكٍ ومشكوٌّ منه! فالوعود الجازمة بالنَّصر موجودة موثوقة من رب الأرباب سبحانه ليس فيها مراءٌ أو جدال.).هـ. ولذا أنشد شعري يضيئ الطريق للحائرين!

موضوع الغلاف

الحمد لله رب العالمين لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا شريك له ، وأشهد أن لا إله إلا هو سبحانه وتعالى ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الهادي إلى الصراط المستقيم ، والدال على المحجة البيضاء ، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولا يسلكها إلا كل منيب سالك ، ولا يهلك على الله إلا هالك. فصلّ الله وسلم ، وزد وبارك عليه وعلى أهله وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه الغر الميامين والأبطال المحجلين والعظماء المكرمين مادامت السماوات والأرض ، وما ناحت على الأيك الحمائم ، وغرد في الخافقين طائر ، ومن سلك سبيلهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين. آمين. أما بعد ، فإن موضوع غلاف هذا الديوان (الأمل الفواح) ينبع من إعجابي بالطبيعة وشغفي بتناسقها البديع ، الذي إن دل على شئ فإنما يدل على عظمة الخالق القدير – عز وجل ، والذي خلقها على هذا النسق الفريد الجميل ، فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين وأحكم الحاكمين. وكم كان يحرق مشاعري ويخمش ضميري ويطعن خاطري ويمزق مُهجتي ويقض مضجعي عباراتُ لكثير من الكُتاب الذين لا خلاق لهم ، من الذين يرفعون من الطبيعة المخلوقة عن كونها مخلوقة مربوبة لله تعالى إلى القول بمشاركتها الخالق عز وجل ، بعبارات تشي بأن هذه الطبيعة كانت قد خلقت كما تشاء ، وأنها أعطت ومنعت ، وساعدت وخذلت ، وأنعمت وحرمت وزودت ، ووهبت ، وأن لها جلالا وهيبة ووقاراً ، وأن لها إعجازاً وجمالاً! الأمر الذي جعلني أميط اللثام واكشف النقاب عن إثبات إن هذه الطبيعة أيها الهارفون بما لا تعرفون وأيها الناعقون بما لا تعقلون ، مربوبة لله تعالى ، فهو الذي أوجدها من عدم وخلقها لحكمه غايةً في الدقه (كل قد علم صلاتة وتسبيحه) ، (وإن من شاء الله إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً)! ألا وإن الأمل الفواح الذي أعني هو الأمل المنبثق من الإيمان برب السماء والأرض تبارك وتعالى ، الأمل الذي يحيا به المرءُ المؤمن الموحد في معية ربه سبحانه ، الأمل الفواح عطراً وتفاؤلاً وبشراً وعبقاً ، الأمل الذي يشعر القلب المسبح القانت أن الحياة هذي إلى زوال وإن طالت. ومن هنا فإن اغتنامها واجب مقدس تفرضه العقيده والتوحيد ، الأمل المشرق الذي يحمل القلب على العمل والثبات في وجه التحديات والعراقيل والعقابيل والأحابيل والحيل والأحاجي ، الأمل الجامح الهائج المتطلع إلى تغيير الواقع الذي كبت المشاعر وحارب الأحاسيس وخمش القيم ، الأمل الحر الذي يهدف إلى بيان الحق في زمان اندرست فيه معالم ذلك الحق ، واخفيت كذلك فيه أمارات الحقيقة ، وانطمست بشاراتُ الحجة إلا من بعض النفوس ، الأمل الثابت ثبات الجبال الرواسي والمستقر استقرار الأوتاد في معمور الأرض ، الأمل المتدفق حناناً ودفئاً وحباً يستوعب الواقع ومَنْ فى الواقع وما فيه ، الأمل المنسوج في عطاء الموحدين ، لأن خيال الشعراء وتصورات البلغاء ، بل هو أمل قد نسجته الغربة على مغزل الألم والتجربة ، الأمل المنبعث من الإحساس من قول الله تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً) والمنبعث من قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (ائتمر بالمعروف وانته عن المنكر ، حتى إذا رأيت شُحاً مطاعاً وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ، فإن مِنْ ورائكم أياماً الصبر فيهمن مثل القابض على الجمر ، للعامل فيهن مثلُ أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله). رواه بن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن ، ورواه أبو داوود وزاد ؛ (قيل ؛

يا رسول الله أجر خمسين رجل منا؟ أو منهم؟ قال ؛ بل أجر خمسين منكم). الأمل الذي يقود ولا يقاد يعطى وينتظر من يعطي عند الله ، والحمد الله أولاً وآخراً ، والله يقول الحق وهو عز وجل يهدى السبيل ، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. تقول الأستاذة أمل بنت زيد المنقور في مقالتها: (تباشير الفجر) ما نصه: (امتنع صلاح الدين عن الضحك ، ولم يُقارف ما يُوجب الغُسْل ، وسارع في الإعداد للقاء الصليبيين. فعَلِم الصليبيون أنهم أمام جندي من جنود محمد – صلى الله عليه وسلم - فجاءوا بحدِّهم وحديدهم. واستدرجهم صلاح الدين إلى الموقع الذي يريده هو بنفسه. وتقابل الجيشان ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان. وقُتل منهم (ثلاثون ألفًا) حتى قيلَ لم يبق أحد! وأُسر منهم (ثلاثون ألفًا) حتى قيل لم يُقتل أحد ، وعادت (البيَع) (مساجدًا). والمكان الذي كان يُقال فيه بأن الله ثالث ثلاثة أصبح يُشهد فيه أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ودخل المسلمون بيت المقدس وطهروه من الصليب وطهروه من الخنزير ونادى المسلمون بالأذان وصعد الخطيب المنبر في أول جمعة بعد تعطل للجُمع والجماعات في المسجد الأقصى دام (91) عامًا. طال الزمن وانهزم الإسلام! ولكنه عاد ليُحقق النصر ويُخرج جيوش الكفر الحاقدة من أرض الإسراء. إن ما نحن فيه اليوم ليس هزيمة أو موتًا! وإنما (هدوءٌ قاتل)! إنه الهدوء الذي يسبق العاصفة بإذن الله! وعندها فقط يتحرك المارد. وتنطلق قذائف الحق مُعلنة قدوم (أمة الإسلام) من جديد. وعد الله. إن الأقصى لم تُعطل فيه الجمعة ، ولم تُعطل فيه الجماعة ، ومع ذلك يئست الأنفس ، ونامت العيون ، فجراحٌ تغدو وتأتي جراحُ. فهل تعلمون أحبتي في الله؟! سوف نقاتل يهود يوماً! أولئك الذين سوف يُقاتلهم معنا كل شيء حتى الحجر والشجر! عن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله. إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود». بل أكثر من ذلك وذلك: سوف نفتح مأرز النصرانية. ونسيطر على معقلها. سوف نملك (روما) ونحكمها بالإسلام ، نعم! النصارى الذين يرسمون الصلبان بالسكاكين على صدور المسلمين في بقاع كثيرة. سوف يؤدون لنا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون إلا أن يدخلوا في الإسلام! عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما - قال: بينما نحن عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نكتب ، إذ سُئل: أي المدينتين تفتح أولاً: أقسطنطينيَّة أم رومية؟! فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «مدينة هرقل تفتح أولاً» يعني القسطنطينيَّة». الله أكبر ، إنها الوعود الجازمة بالنصر والتمكين تأتينا على لسان الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – . بشرى مِن عند مَن بيده ملك السموات والأرض. بشرى ممن قلوب العباد ونواصيهم وأسلحتهم وتخطيطاتهم كلها بيده وحده لا شريك له. يقول الحق تبارك وتعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ). ويقول جل شأنه: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).هـ. ولذا كانت قصائد الديوان في عمومها تضرب على ذات الوتر ، وتر التفاؤل وإحسان الظن بالله لنكون عند ظنه سبحانه وتعالى بنا! فلا نظن به سبحانه إلا الخير! في محاولة منا لإدراك الخير وتحقيق النصر!

فاتحة الديوان

الحمد الله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، لا شريك له في ملكه ، اللهم بك نصول ، وبك نجول ، فاكفنا أعداءك بما شئت: إنك لما تشاء قدير ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، الهادي إلى صراطه المستقيم. وبعدُ فإن أصدق الحديث كلام الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، ربنا أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، ربنا لا تؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً ، كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقه لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك إنت الوهاب ، ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وقنا عذاب النار ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، اللهم رب السموات ورب الأرضين ، وخالق الجن والإنس ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ، ربنا إنك مْنَ تدخل النار فقد أخزيته ، وما للظالمين من أنصار ، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أنْ آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين ، ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإنْ لم تغفر لنا وترحمنا ، لنكونن من الخاسرين ، ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، وسع ربنا كل شىء علماً ، على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ، ربنا ربُّ السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد كنا إذنْ شططاً ، هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهه لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الراحمين ، ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءتْ مستقراً ومقاماً ، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ، ربنا وسعْتَ كل شئ رحمة وعِلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجهيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ، ومَن صلح مِن آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ، ومَنْ تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم ، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ، ربنا عليك توكنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ربنا لا تجعلنا فتنه للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، إنك على كل شىء قدير. اللهم اجعل عملنا هذا وغيره من الأعمال الصالحة خالصاً لوجهك الكريم ، سليماً من الرياء والفخر والخيلاء والزهو ، وانفع به كل يدٍ تمتد إليه تلتمس الفضيلة ، واجعله لكل حبيب ملاذاً ، ولكل عدو حسرة وفاجعة ، ربنا واجعله من الحق وإلى الحق وعلى الحق ومع الحق وبالحق ، اللهم هذا الجهد وعليك يا مولانا التكلان ، وهذا العمل وعليك المثوبة والتوفيق ، وهذا

الذي استطعت أن أقدمه للحنيفية السمحة ، فتقبله اللهم مني أنا العبد الفقير إليك وإلى جُودك وكرمك وعطائك ، والمفتقر إلى بركتك العظيمة ، ربنا لا تجعل للظالمين في أي أرض وتحت أي سماء عليّ مِنْ سبيل. وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل. تقول الأستاذة أمل بنت زيد المنقور ، وهي ترسم معنا صورة للأمل الفواح في مقالتها المطولة: (تباشير الفجر) ما نصه: (ولتستمعوا معي إلى هذه البشائر ، وتلك الوعود: عن أُبيّ بن كعب – رضي الله عنه - أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال: «بشر هذه الأمة بالنماء ، والنصر ، والتمكين ، ومن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة نصيب». وإذن فدين الإسلام الخالد هو الدين الذي يتوافق مع فطرة الإنسان ، ويكفل له سعادتي الدنيا والآخرة ، ولا يمكن أن يعيش الناس في أمن وسعادة في ظل دين آخر. إن «العزة» باهظة الثمن ، لا ينالها إلا من لها يسعى وإليها يرقى. وأجد بين يديّ أمورًا هامة جدًّا ، نستجلب بها النصر ، ونحقق بها الظفر بإذن الله. أولها: أن نصلح حالنا مع ربنا جل جلاله ، وأهم من ذلك أن نخلص التوحيد له وحده سبحانه ، ونتخلص من جميع صور الشرك ، كدعاء غير الله ، أو الاستغاثة بغير الله ، أو غير ذلك من صور الشرك. ثانيها: أن نقوي علاقتنا بالله عز وجل ، وأول ذلك أن نحرص على إقامة الصلوات الخمس ، مع ما استطعنا من النوافل ، مع الإكثار من تلاوة القرآن والذكر. ثالثها: أن نحاسب أنفسنا: لماذا وقعتْ علينا هذه العقوبات؟! إذ كيف ينصرنا الله ونحن نعصيه بأسماعنا وأبصارنا؟! وصدق الحق جل شأنه: (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ). رابعها: أن يبذل كل واحد منا ما يستطيع من جهود مالية وبدنية وفكرية لنشر الخير والمعروف ، ودعوة المسلمين جميعًا. مهما كلفنا ذلك ، ومهما بذلنا من جهد ووقت ومال ، فإن هذا قليل في سبيل انتصار الدين وظهوره. انظروا كم يبذل الأعداء من جهود وأموال في سبيل إضلال المسلمين وتغييبهم عن واقعهم ، من خلال مجلات ماجنة ، أو قنوات هابطة ، أو من خلال دعوات صريحة إلى التبرؤ من الإسلام ، واستبداله بالنصرانية أو العلمانية اللادينية! ووالله لو بذلنا فقط نصف ما يبذلون ، لتغيَّرت أحوال العالم كله! خامسها: أنه مهما طال أمد انتظار النصر ، فلا ينبغي أن نيأس من حصوله مستقبلاً. عن خباب – رضي الله عنه - قال: أتيتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة ، ولقد لقينا من المشركين شدة. فقلت: يا رسول الله! ألا تدعو الله لنا؟! فقعد وهو محمرٌ وجهه ، فقال: «لقد كان من قبلكم ليُمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيُشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه! وليُتمن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، ما يخاف إلا الله». سادسها: أن نزرع في نفوس الناس الثقة بهذا الدين وانتصاره وننشر بينهم النصوص الشرعية ، والدلائل الواقعية التي تؤكد ذلك. سابعها: لا ينبغي أن نستمع إلى المخذلين ، وضعفاء الإيمان ، الذين استسلموا لأعدائهم ، وأعطوهم قيادهم وأيسوا من رحمة الله ونصره. وأخيرًا أسأل الحق جل وعلا بمنه وكرمه أن ينصر دينه ، ويُعلي كلمته ، ويمن علينا برؤية انتصار دين الإسلام ورفعته ، إنه ولي ذلك ، والقادر عليه ، آمين).هـ. وأعتقد أننا بهذا قد رسمنا صورة نثرية للتفاؤل وإحسان الظن بالله تعالى. وتحت عنوان: (ابتسم للحياة) يقول الأستاذ أحمد أمين (الحياة فنٌّ ، وفنٌّ يُتَعَلَّم ، ولَخيرٌ للإنسان أن يَجِدَّ في وضع الأزهار ، والرياحين ، والحب في حياته من أن يَجِدَّ في تكديس المال في جيبه ، أو في مصرفه. ما الحياة إذا وجهت كل الجهود

فيها لجمع المال ، ولم يوجه أي جهد لترقية جانب القيم والجمال ، والرحمة ، والحب فيها؟ إن أكثر الناس لا يفتحون أعينهم لمباهج الحياة ، وإنما يفتحونها للدرهم والدينار ، يمرون على الحديقة الغناء ، والأزهار الجميلة ، والماء المتدفق ، والطيور المغردة ؛ فلا يأبهون لها ، وإنما يأبهون لدينار يأتي ، ودينار يخرج. (وأيضاً لا يفطنون إلى الغاية التي من أجلها خلقهم الله تعالى وهي عبادته والكفر بما يعبد من دونه ، وهذا هو الجانب القيمي في حياتهم – الغاية من الوجود ابتداءً). قد كان الدينار وسيلة للعيشة السعيدة ، فَقَلَبوا الوضع ، وباعوا العيشة السعيدة من أجل الدينار، وقد رُكِّبت فينا العيون ؛ لنظر الجمال ، فعودناها ألا تنظر إلا إلى الدينار. ليس يعبس النفس والوجه كاليأس ؛ فإن أردت الابتسام فحارب اليأس. إن الفرصة سانحة لك وللناس ، والنجاحَ مفتوحٌ بابُه لك وللناس ؛ فَعَوِّد عقلك تَفَتُّحَ الأمل ، وتوقُّعَ الخير في المستقبل. إذا اعتقدت أنك مخلوق للصغير من الأمور لم تبلغ في الحياة إلا الصغير ، وإذا اعتقدت أنك مخلوق لعظائم الأمور شعرت بهمة تكسر الحدود والحواجز ، وتنفذ منها إلى الساحة الفسيحة ، والغرض الأسمى. ومصداق ذلك حادث في الحياة المادية ، فمن دخل مسابقة مائة متر شعر بالتعب إذا هو قطعها ، ومن دخل مسابقة أربعمائة متر لم يشعر بالتعب من المائة والمائتين ؛ فالنفس تعطيك من الهمة بقدر ما تحدد من الغرض ، حدد غرضك ، وليكن سامياً صعب المنال ، ولكن لا عليك في ذلك ما دمت كل يوم تخطو إليه خطواً جديداً. إنما يصد النفس ، ويعبِّسُها ، ويجعلها في سجن مظلم هو اليأسُ ، وفقدان الأمل ، والعيشة السيئة برؤية الشرور ، والبحث عن معايب الناس ، والتشدق بالحديث عن سيئات العالم لا غير. وليس يُوفِّق الإنسان في كل شيء كما يوفق إلى مربٍّ حكيم ينمي ملكاتِه الطبيعيةَ ، ويعادل بينها ، ويوسع أفقه ، ويعوِّدُه السماحة وسعة الصدر ، ويعلمه أن خير غرض يسعى إليه أن يكون مَصْدَرَ خيرٍ للناس بقدر ما يستطيع ، وأن تكون نفسه شمساً مشعةً للضوء ، والحب ، والخير ، وأن يكون قلبه مملوءاً ، عطفاً ، وبراً ، وإنسانية ، وحباً لإيصال الخير لكل من اتصل به. النفس الباسمة ترى الصعاب العاتية فيلذها التغلب عليها ، تنظرها فتبسم ، وتعالجها فتبسم ، وتتغلب عليها فتبسم ، والنفس العابسة لا ترى صعاباً فتخلقها ، وإذا رأتها أكبرتها واستصغرت همتها بجانبها ، فهربت منها ، وقبعت في جحرها تسب الدهر والزمان والمكان ، وَتَعلَّلَتْ بلو ، وإذا ، وإن. وما الدهر الذي يلعنه إلا مزاجه وتربيته ، إنه يود النجاح في الحياة ولا يريد أن يدفع ثمنه ، إنه يرى في كل طريق أسداً رابضاً ، إنه ينتظر حتى تمطر السماء ذهباً ، أو تنشق الأرض عن كنز. إن الصعاب في الحياة أمور نسبية ؛ فكل شيء صعب جداً عند النفس الصغيرة جداً ، ولا صعوبة عظيمة عند النفس العظيمة ، وبينما النفس العظيمة تزداد عظمة بمغالبة الصعاب إذا بالنفوس الهزيلة تزداد سقماً بالفرار منها ، وإنما الصعاب كالكلب العقور إذا رآك خفت منه ، وجريت نبحك وعدا وراءك ، وإذا رآك تهزأ به ، ولا تُعِيرُه اهتماماً ، وتبرق له عينك أفسح الطريق لك ، وانكمش في جلده منك. ثم لا شيء أقتل للنفس من شعورها بضعتها ، وصغر شأنها ، وقلة قيمتها ، وأنها لا يمكن أن يصدر عنها عمل عظيم ، ولا ينتظر منها خير كبير. هذا الشعور بالضعة يفقد الإنسان الثقة بنفسه ، والإيمان بقوتها ؛ فإذا أقدم على عمل ارتاب في مقدرته ، وفي إمكان نجاحه ، وعالجه بفتور ؛ ففشل فيه. إن الثقة بالنفس فضيلة كبرى عليها عماد النجاح في الحياة ، وشتان بينها وبين الغرور الذي يعد رذيلة ، والفرق بينهما أن الغرورَ اعتماد النفس على الخيالِ ، وعلى الكبرِ الزائفِ ، والثقةَ بالنفس اعتمادُها على مقدرتها على تحمل المسؤولية ، وعلى تقوية ملكاتها

وتحسين استعدادها. وبَعْدُ: فالشرق في حاجة كبرى إلى كميات كبيرة من الابتسامات الصادقة الدالة على النفوس الراضية الآملة الطامحة. سِرْ أنى شئت في الشوارع ، واغشَ المنتدياتِ والمجتمعات وَتَفرّسْ في الوجوه ، فقلما ترى إلا وجوهاً مُقَطِّبة الجبين ، ورؤوساً أثقلها الهم ، فخفضها ، وعيوناً ساهمةً قد فقدت بريق السرور ، ولمعان الحيوية. استنن الضحكات العالية في مجالي اللهو وأماكن التنادر ، فهل ترى إلا العبوس وما يشبه العبوس ، واستبعد البسمات المزيفة المتصنعة في المقابلات ، والمجاملات ، وانفذ منها إلى أعماق النفوس ، فهل ترى إلا انقباضاً وانكماشاً؟ فما السر في هذا كله؟ سِرُّهُ في تعاقبِ الظُّلم على الشعوب من زمن قديم حتى سلبها حريَّتَها ، وهل تَبَسَّمُ النفسُ إلا للحرية ، وهل تَنقبضُ إلا من الاستبداد؟! وسرُّه في الفقر الشامل لأكثر أفراد الشعب فهم يحملون الهم المضني ، كيف يأكلون ويعيشون ، وكيف يسدون حاجات أسرتهم ومَنْ تعلَّق في رقبتهم ، والمنافذ ضيقة في وجوههم ، وأكثر الثروة قد ضاعت من أيديهم. وسرُّه في ضعف التربية التي لا تفتح النفس للحياة ، وتكتفي بالعلم الجاف. وسره في أننا إلى الآن لم نتعلم فن الحياة ، ولم نسمع به في برامج الدراسة ، ولم نره لا في بيوتنا ، ولا في مدارسنا ، ولا عند خطبائنا وكتابنا. وسره أننا لم نستشعر الثقة بالنفس ؛ فلا الفرد يثق بنفسه. فلنتغلب على هذه الصعوبات جميعاً ، ولنبسم للحياة ولو تَكَلُّفاً ينقلب التكلف بعد حين تَطَبُّعاً. ابسم للطفل في مهده ، وللصانع في عمله ، وابسم لأولادك وأنت تربيهم ، وابسم للتاجر وأنت تعامله ، وابسم للصعوبة تعترضك ، وابسم إذا نجحت ، وابسم إذا فشلت ، وانثر البسمات يميناً وشمالاً على طول الطريق ؛ فإنك لن تعود للسير فيه).هـ. ونحن نتفق مع الأستاذ أحمد أمين في كل ما قاله إلا في الاستدراك الذي استدركنا عليه به في مقدمة كلامه وهو: (وأيضاً الناس لا يفطنون إلى الغاية التي من أجلها خلقهم الله تعالى وهي عبادته والكفر بما يعبد من دونه ، وهذا هو الجانب القيمي في حياتهم – الغاية من الوجود ابتداءً)! ذلك أنهم لو فطنوا إليها وحققوها لما أغفلهم الله عن سنن التفاؤل والأمل وحب الحياة والإحساس بالجمال والقيمة فيها! فلو حدث هذا لجعلوها معبراً لحياة أفضل منها في جنات النعيم في الآخرة! وهذا هو المنشد الرئيسي من كتابتنا لديوان: (الأمل الفواح) ، أن نرسم صورة حقيقية للغاية التي من أجلها خلقنا الله! ومن تحقيق هذه الغاية والاستقامة تأتي الآمال العذبة وتتحقق ، ويأتي التفاؤل والاستبشار تباعاً!

أيتام في دياجير التيه

(أقلت حافلة 40 يتيماً للتسرية عنهم إذ إنهم يعيشون في ملجأ الأيتام. وفي طريق العودة اصطدمت حافلتهم بشاحنة ، فكان حادثاً مريعاً ، ونجا الأيتام جميعاً ولو بإصابات خفيفة للبعض!)

بُشرى النجاة لها في القلب تهليلُ ... وطيفُها – في حنايا النفس – معسولُ

والروحُ تطرَبُ إن نال اليتيمُ هَنا ... وكل بذلٍ لأهل اليُتم مقبول

والعينُ إن رأتِ الأيتامَ تغبطهم ... وإنّ كافلهم باليُسر مكفول

تباركَ الله مَن أنجى وديعتهُ ... والتربُ - مِن دم مَن قد مات - مبلول

عطاءُ ربك لا شيءٌ يُطاولهُ ... وَجودهُ لجميع الخلق مَبذول

ربي اللطيف لِمَا يشاء مِن قدرٍ ... لكنْ بصائرنا عن لُطفه حُول

جَلّ المليك بصفح منه يَشملها ... حتى الظلومُ بمحو الظلم مشمول

واسألْ عن اللطف في التقدير حافلة ... قد كان يَركبُها الصِّيدُ الرآبيل

سارت على لُجج المَقدور مُوقنة ... أن السبيل - بكل الأمن - مأهول

حتى أتتها من الأقدار موعدة ... وما لأمر إله الناس تبديل

تناثرتْ قطعاً تأوي إلى قطع ... والناس ؛ هذا نجا وذلك مقتول

والأربعون يتيماً والنجاة على ... جبين كلٍّ شذىً يُهديه إكليل

والناس تعجب من صُنع الرحيم بهم ... تبارك الله ، جل الفعلُ والقِيل!

والأهل إن نبذوا الأيتام ، وانصرفوا ... فعند ربك للأيتام تفضيل

والناس إن قطعوا حِبال نجدتهم ... فحبلُ ربك بالأرزاق موصول

مع هازل في ظلمات الجاهلية

(رزق بأربع بنات ، فسخط واعترض . فلما كان الحمل الخامس فإذا به توأم ، وبنتان فقرر الإجهاض ، فإذا هما ولدان في الشهر الخامس! فقتل بسفاهته وبلاهته ولديه!)

بُـــؤْ بهـــذا الـــذنب ، والعُقبـــى سَـــقرْ ... يـــــا أثيمـــــاً بالخطايـــــا يـــــأتزِرْ

واحقـــــر الـــــنفس مَليـــــاً ، إنهـــــا ... قتلـــتْ نفســـين – عمـــداً - بالســـمُر

أخطـــأتْ قصـــداً ، وخانـــتْ ربهـــا ... دون أخـــذ الـــدرس مِـــن شـــتى العِبَـــر

أيهـــا المجـــرمُ أبشـــرْ بالشـــقا ... وجـــزاءُ المُفتـــري أعتـــى الغِيَـــر

غـــرّك الطـــبُّ الـــذي مِحرابُـــه ... يـــدّعي التقـــوى ، ويلهـــو بالبَشـــر

هـــذه القســـوة مِـــن أيـــن أتـــتْ؟ ... وجمـــودُ القلـــب يُـــزري بالنّـــذُر

تعـــس الظلـــمُ ، وخابـــتْ سُـــبْلُه! ... وعـــن الظـــالم لا يعشـــو القَـــدر

إن بعـــض الظلـــم بلـــوى للـــورى ... ومِـــن الظلـــم جحـــيمٌ يَســـتعر

كَـــرهَ الأنثـــى لـــه بنتـــاً ، ولـــم ... يـــرحم الـــنفس ، وللجهـــل انتصـــر

لـــم يَـــرُدَّ الفـــظَ عُـــرفٌ أو تُقـــىً ... إن خـــوف الله نِعـــمَ المزدجـــر!

وأطاعـــت زوجُـــه فرعونَهـــا ... لـــم تُعارضْـــه ، ولمّـــا تعتـــذر

إنمـــا الطاعـــة فـــي المعـــروف ، يـــا ... مَـــن قتلـــتِ اثنـــين بالجهـــل الأشـــر

فـــالحقي بـــالزوج فيمـــا قـــد جنـــى ... وعســـى ذنبُـــك هـــذا يُغتفـــر

واحـــذري العَـــوْد لمَـــا فارقتـــه ... ومِـــن المقـــدور لا يغنـــي الحـــذر

واحملـــي الـــزوج علـــى التـــوب ، عســـى ... ربنـــا الـــرحمن يمحـــو مـــا سُـــطِر

دمعة على مغرورة

(ألقت بالمصحف من يد أمها لتستمع إلى الأغنية. فمسخها الله في التو إلى سِعلاة. وهي قصة حقيقية لفتاة عمانية ، تناولتها الصحف والمجلات ، وكانت حديث المجالس!)

في كل بيت جثا - في أمّه - صنمُ ... وفوقه (إريلٌ) ، كأنه العلمُ

كاللاتِ يشخص ، والعُزى بلا بصر ... وكل قوم أمام (اللات) قد جثموا

يستلهمون الخنا والدعر في شغفٍ ... حتى تداعتْ - على المدائن - الأمم

لم ينصروا الحق ، بل باعوا ضمائرهم ... حتى مضت بالعُرى البأساءُ والنقم

وهذه البنتُ نبتٌ مِن قبائلهم ... وبئستِ البنتُ والبيئاتُ والشِّيم!

لم ترم مصحفنا إلا وقد فسقتْ ... عن ربقة الدين ، والجبارُ منتقم

وكيف تُنصِتُ للقرآن فاسقة؟ ... يجري بغفلة حَمقا في العروق دم

وكيف تَحترمُ القرآن مَن رضعتْ ... عُهر الغناء ، وهانت عندها الحُرَم؟

حتى هوتْ بكتاب الله ، فانمسختْ ... وبئس مبتدأ البلوى ومُختتم!

وكل مَن فعلوا أفعالها رزقوا ... مثلَ الذي رزقتْ ، والأمرُ منحسم

قد حيل بين الذي ينأى بجانبه ... وبين قلب إلى التضليل يحتكم

حتى ترى القوم ما صاموا وما ركعوا ... لأنهم من هوى الأصنام ما سلموا

وأرسل الغرب نارَ العُهر موقدة ... وقومُنا استعروا فيها بما غنموا

فاز اليهودُ وأهلُ الصلب أجمعُهم ... وحبلُ طاعتنا لله منصرم

يا رب دمّر على مَن باع ملته ... عمداً ، ونجِّ الذي القرآنَ يَحترم

وربما حار الدليل

(إن تحايا الشعراء وهداياهم لا تكون إلا شعراً. وإنني أحيي كل شاعر مؤمن مسلم موحد. أحببنا من قلوبنا الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي. وسُئلنا ذات يوم لماذا تحبون العشماوي؟ وما هو دليل محبتكم له؟ فكانت قصيدة (وربما حار الدليل) ، ترجمة شعرية شعورية على حبنا المبكر للشاعر العشماوي. ألا وإن حبنا له ليس هو مجرد الإعجاب بأشعاره ، وإن كانت كلها فيما عدا ما يسمى بشعر التفعيلة ، جديرة بالحب والإعجاب من كل متذوق منصف مدقق ناقد محقق يستمع إليها ، أو حتى يطالعها بنفسه من خلال دواوين العشماوي! وهي والحمد لله متوفرة في كل مكان اليوم. إن حبنا للعشماوي الشاعر صاحب العقيدة والشريعة والقضية ، نابع من القلوب على هدىً من الله وكتاب منير. وإنني لأحبه في الله تعالى. عن أَنَسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثَلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: من كان اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله منه كما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ). وعن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله تَعَالَى في ظِلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في الْمَسَاجِدِ وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمَعَا عليه وَتَفَرَّقَا عليه وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فقال: إني أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ). وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ اللَّهَ يقول يوم الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يوم لا ظِلَّ إلا ظِلِّي). وعن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً له في قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ الله له على مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً فلما أتى عليه قال أَيْنَ تُرِيدُ قال أُرِيدُ أَخاً لي في هذه الْقَرْيَةِ قال: هل لك عليه من نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قال: لا غير أني أَحْبَبْتُهُ في اللَّهِ عز وجل! قال: فَإِنِّي رسول اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قد أَحَبَّكَ كما أَحْبَبْتَهُ فيه). وعن أبي أُمَامَةَ عن رسول اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قال: (من أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ)

لآلـــئُ الشـــعر فيهـــا الـــدُرُّ مُرتَصِـــفُ ... والحـــقُّ موردُهـــا ، والقُـــدوةُ السَّـــلَفُ

قلائـــدُ المـــاس فـــوق الـــنّجم باســـقةً ... وشـــاعرُ العصـــر ، والأعـــداءُ تَعْتَـــرِف

قَصَـــائدٌ مـــا لهـــا فـــي الجيـــل مِـــنْ مَثَـــلٍ ... طـــبُّ العليـــل ، وسَـــلْوَى مَـــنْ بِـــهِ كَلَـــف

سَـــبَائِكُ النّـــور تُجْلِـــي كـــل غاشِـــيَةٍ ... وسُـــنْدُس ألِـــقٌ يَسْـــمُو ويَرْتَصِـــف

سَـــمَاءُ شِـــعْرٍ بهـــا الأقمَـــارُ ضـــاحكةً ... وموكـــبٌ بضـــياء الأفْـــقُ يَلْتَحِـــف

فرائـــدُ العِطْـــرِ فـــي أعطـــاف غانيـــةٍ ... وشِـــرْعَة المَـــاءِ تَـــروي مَـــنْ بِـــهِ شَـــظَف

ضُـــحَى الأصِـــيلِ ، ودِفءُ ثـــمَّ مَسْـــرَجَةً ... الضـــوءُ والـــدفّء ، لا حـــرٌ ولا شَـــفَف

وقــوةٌ فِــي بَيَــانِ الحــق مــا عُهِــدُتْ ... فِــي غيــره ، نِعْــمَ تِبيــانٌ ومُرْتَشَــف!

وعَبْقَرِيَّــةَ عَــرْضٍ لــيس يُحْسِــنُهَا ... سِــواهُ ، لا مُثلــة فيهــا ولا صَــلَف

كــذاك ربــطَ بأشــعارٍ لواقعنــا ... مِــنَ الحيــاة ، وعــيْشُ القــوم يعتــرف

لا ينســجُ الــوهْمَ جلبابًــاً وأمنيــةً ... يقــول حقّــا ، ولــو فــي عَرْضــه ذُعُــفُ

هــو الأديــبُ ، لــه فــي الشــعر مدرســةً ... يُزْكِــي المشــاعرَ ، هــذا جِــدُّ مُحْتَــرِف

هــو البلاغــةُ فــي أســمى معالمهــا ... هــو الفصــاحةُ ، والتَّبْيــانُ والثَّقَــف

وفــوق ذلــك إخــلاصٌ وتَزْكيــةٌ ... وطَهْــرُ قلــبٍ ، وتوحيــدٌ بــهِ حَنَــف

هــو المشــاعِرُ جلّــتْ عَــنْ حقيقتهــا ... هــو العواطــفُ يُزْكِــي عَزْمَهــا الهَــدَف

هــو الأحاسِــيسُ نَشْــوَى فــي تأثَرهــا ... عمادُهــا الحلْــمَ ، لا شَــكْوَى ولا أَفَــف

هــو الغَضَــنْفَرُ مَزْهُــوٌ بمــا كتبَــتْ ... رأسُ اليَــرَاع ، وهــذا حَبَّــذا الّشَــرَف

يُجَنِّــدُ الشَّــعْرَ للتَّوحيــد مَلحَمَــةً ... فالأمســيَاتُ لــهُ ، والسُّــوحُ والصُّــحُف

هــو الحُسَــامُ بَــدا فــي كــل أمســيةٍ ... يَسْتَأصِــلُ الــزورَ جَهــرًا ، ثــم يَنْصَــرِف

تــراه فــارسَ صَــوْتِ الحــق مُمْتطيًــا ... جــواده الشــهمَ ، نِعْــم المَرْكَــبُ الأَلْــف!

يُعطِّــر الجــوَّ بالأشــعار مادحــةً ... كأنهــا الــدُّرُّ ، والترنيمــةُ الصَّــدَف

إلْقَــاوْهُ مثــل مــرّ الطيــف موْتلقًــا ... علــى المَعــاني ســنا الإحســاس يَنْعَطِــف

أَجَــاد كــلَّ فُنُــونِ الشَــعر يكتبُهــا ... حــازَ البيــانَ ، وأثــرى شِــعْرَهُ الشَّــفَف

إذا تفــاخَرَ لا سُــوآى ولا كــذبٌ ... كــذاك يَصْــدُقُ فِــي الأشــعار إذ يَصِــف

وإنْ تَعَــزَّلَ لا فَحْشَــا ، ولا شُــبَهًا ... ولا قَــوَامَ ولا مَعْشُــوقَ يَــأتَلِف

وإنْ رَثَــى فَــذَرى التصــبير ديدنــهُ ... لِيَــذْهَبِ الحُــزنُ والآلامُ والأَسَــف

ولــيْسَ يُسْــرِفُ فِــى مَــدْح بأخيلــةٍ ... مثــل الســرب علــى البيــداءِ تَنْحَسِــف

وإنْ هَجَـــا فَعُـــرَى الأخـــلاق مَرْكَبُـــه ... بـــالحق يَهْجـــو وبالحَسْـــنَى ، فـــلا جَنَـــف

وإنْ يُعَـــارِضْ فســـبكُ الـــنظْم منهجُـــهُ ... شِـــعْرٌ أصـــيلُ الـــروْى ، ولـــيس يَنْقِعِـــف

وإنْ يُـــدافِعْ عَـــنِ الاسَـــلام كـــاَن لـــهُ ... ســـهامُ صَـــدْعٍ بَـــدَتْ كأنهـــا نُجُـــفُ

يُعَظّـــمُ الحَـــقَّ يُبْـــدِى جُـــرْم غَاصِـــبِهِ ... ويَقـــذف النّـــورَ ، نِعْـــمَ العَـــونُ والنّصَـــف!

ونعـــم مســـتبِقٌ فـــي نَصْـــر مَـــن ظَلَمُـــوا! ... ونِعـــم مقتصِـــدٌ ، لـــم يُعْـــرِهِ الغَطَـــفُ!

يـــا ابـــن الجزيـــرة: أنْـــتَ اليـــوم فارسُـــنَا ... فـــي مَـــوردِ الشَّـــعر ، انَّ الشَّـــعرَ يَرْتَجِـــف

إنّ القَـــرِيضَ يَعِـــيشُ الآن مَهزلـــةً! ... وشـمسُ شـعر الهُـدَى فِـي التَّيـهِ تَنْكَسِـف

يَعـــيش غَمَّـــةَ جِيـــلٍ هَـــازلٍ أشِـــرٍ ... مَتَـــي تـــزولُ مِـــنَ الـــدنيا ، وتَنْكَشِـــف؟

يُتَـــاجِرُ اليَـــوْمَ بالأشـــعار مَـــنْ فســـقُوا ... واستاســـرتْ قومَنَـــا الأرجَـــاسُ والجِيَـــف

حتَّـــي أتيْـــتَ فَهَـــاجَ الشَّـــعرُ تَكْرِمَـــةً ... لفـــارس الشـــعر ، مَـــنْ بـــالجُود مُتَّصِـــف

سَـــخّرْتَ شِـــعْرَكَ للخيـــرات مُحْتَسِـــبًا ... فلَـــمْ تُـــداهِنْ ، ولـــم يَلْعَـــبْ بِـــكَ التَّـــرف

أتَتْـــكَ دنيـــا الـــورى تسْـــعي فقلـــتَ لهـــا: ... لـــن تَسْـــلُبي مُهجتـــي لُـــوذِي بمَـــن ضَـــعُفُوا

غَـــرَّي عَبيـــدَكِ مَـــنْ ضَـــلّوا ومَـــنْ رَتَعُـــوا ... ومَـــنْ سَـــبَاهُ الهَـــوَى والمَـــالُ والوُظَـــف

دَعِـــي يَرَاعِـــيَ فِـــي يُمْنَـــايَ يُمْتِعُنِـــي ... عِشـــتُ الكثيـــرَ ، وإنْ العُمْـــرَ يَنْتَصِـــف

لَـــنْ أنشِـــدَ الشَّـــعرَ فـــي أطيـــاف داعـــرةٍ ... يقـــول هـــذا الهُـــرا المَـــأْجُورُ والخَـــرِف

كَـــلاّ ، ولـــن تَمْـــدَحَ الأشـــعَارُ طَاغِيَـــةً ... عَـــارٌ عَلَـــيَّ ، وصِـــدْقاً لَسْـــتُ أقْتَـــرِف

مَـــوْتُ اليَـــرَاعِ ولا تَمْجيـــدُ مُغتصـــبٍ ... وفَقْـــرُ دهْـــرٍ ولا تعظـــيمُ مَـــنْ وَكَفَـــوا

وظُلْمَـــةَ الكُـــوخِ اَسْـــمَى للموحّـــد مِـــنْ ... إكبَـــار مَـــنْ فِـــي طريـــق الحَـــقَّ قَـــدْ وَقَفُـــوا

خَيْـــرٌ لَنَـــا المَـــوْتُ مِـــنْ تقـــدير مُنْحَـــرِفٍ ... والفقـــر أفضـــل ، والأجـــداث والشـــغف

نفْـــدِي العقيـــدةَ بـــالأرواحِ نرفعُهـــا ... إنـــا لأســـلافنا فـــى دِيـــنِهم خَلَـــف

زِينَـتْ (عَـرارُ) ، فـذرّ الشَّـعْرَ ، وارو بِـهِ قَلـوبَ صِـيدٍ مِـنَ الاخْـلاَقِ تَرْتَشِـف

لا فَـض فَـوكَ ، ولا الأقـلامُ تَكْسِـرُها أيـدي العمالـهِ مَـنْ للظّلْـمِ قَـدْ هَتَفـوا

وفَـكَّ أسـرك رَبٌّ لَـيْسَ يُعجـزُهُ مَـنْ جـاهروه بعِصـيانٍ ومَـنْ عَكَفُـوا

وردّ كـل هـوى ظلمـاً يُنـاوئكم وجَمّـد اللهُ ألبابًـا بِهَـا وَكَـفُ

ودمَّـرَ اللهُ مَـنْ عَـابُوا طـريقتَكم الحُـرُّ أنْـتَ ، وهُـم فـي قَيْـدِهم رَصَـفوا

وقَـيَّضَ الحَـقُّ للمَظْلـوم مُنْقِـذه تَهَـاوتِ اليـومَ - فَـوْقَ الظّـالِمِ - السُّـقُف

هـذا شُـعُوري إليْـكَ اليـوم أكتُبُـهُ ودمـعُ عَيْنِـيَ - فَـوقَ الخَـدَّ - مُنْـذَرِف

أشُـدُّ أزرك يـا نِبْـرَاسَ صَـخْوتِنَا وأبْـذُرُ الشـعرَ فَينانـاً لَـه لُطَـف

وأزرعُ الأَمَـلَ المَرْجُـوَّ فِـي غَـدِنَا أرجـو الثَمَـارَ ، وإنْ أصـحابُنَا قَطَفُـوا

لِـيَ الثّـوابُ ، ورزقُ الله ذو سَـعَةٍ دومـاً ، وإنْ جَهِـلَ الأقـوامُ أو عَرَفُـوا

فطَمْـئِنِ الـنّفْسَ أنَّ اللهَ نَاصِـرُها بـرغم مَـنْ فـي دُجَـي الطـاغوتِ مُنْجـرف

ووعْـدُ ربِّـكَ حَتْمـاً سَـوف يُنْجـزُهُ شـاءَ الطواغيـتُ أمْ عـن آيـهِ عَزَفُـوا

إنَّ المَلِيـكَ لَـه آيٌ مُفَصَّـلَةٌ لكـنّ مَـن فسـقوا عـن نورهـا صُـرِفُوا

أجْـرَى القَـدِيرُ علـي الإنسَـان سُـنّتَهُ وحَقّـقَ العَـدْلَ لا حَيْـفٌ ولا جنَـف

إنَّ العَزِيـزَ عَلَـي الضُّـلال مُقْتَـدرُ فحسْـبُنَا اللهُ فـيمن بالهُـدَى سَـخِفُوا

لـولا الأباعِـدُ مِـنْ أبْنَـاء جَلّـدتنا مـا ضـاع سُـؤدَدُنَا ، ولا اكتـوى طَـرَف

لـولا الرُّذالَـةَ مِـنْ أتْبَـاع ملتنـا مـا نالنـا الغَـدرُ بالسُّـوآي ولا القَـرف

لـولا العَمَالَـةَ فِـي صَـفَّ الأبـاة بَغَـتْ لـمْ يَشْـمَت اليَـوْمَ مَـنْ مـاتوا ومَـنْ خَلَفُـوا

مـن الأعـادي ، ومَـنْ رامُـوا مُصـيبتَنَا فسَـلّمِ اللهُ مِمَّـنْ بـاللّوا خَسَـفُوا

ونجّنـا ربنـا ممـا أعَـدَّ لنَـا أعْـداءُ دينِـكَ مَـن عـن هـديك انحرفـوا

طاحونة العواطف

(عواطف المسلم أمانة يسأله الله عنها يوم القيامة! ومن هنا فإنه يدخر عاطفته ومشاعره وأحاسيسه وجوارحه ، فلا يُسخرها جميعاً أو أي منها إلا في خدمة عقيدته وشرعه ، فيفرح بانتصار عقيدته وتمكنها في الأرض والعالمين ، ويحزن الحزن الشديد إن هو لمس هوان هذه الشريعة أو تلك العقيدة على أهلها. ومن هنا أكتب (طاحونة العواطف) مشخصاً ما يمكن أن يعانيه مسلم في زماننا للذي يحسه. ألا وإن كل عاطفة يتبعها سلوك ، فإذا لم يتبع عاطفة ما سلوكها المناسب لها ، كانت الفتنة والعذاب النفسي ، ويرى بعينيه المرأ أشياء يذوب قلبه لها كما يذوب الملح في الماء ، وهو لا يملك غير الاسترحاع فقط . وتثور عواطفه داخله كالمرجل إذ يغلي فيه الماء ، ولذا فهي طاحونة داخل قلبه تطحن - بكل قسوة - عواطفه وإلى الله المشتكى! وإذا كان المسلم يعمل لنيل الجنان فليتعز بقول اللَّه تعالى: {يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ، ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ، وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون}. وقوله تعالى: {إن المتقين في مقام أمين ، في جنات وعيون ، يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي ، ووقاهم عذاب الجحيم ، فضلاً من ربك ؛ ذلك هو الفوز العظيم}. وقوله تعالى: {إن الأبرار لفي نعيم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم ، عيناً يشرب بها المقربون}. وبما أثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم في وصف أهل الجنة! فعن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال ، قال رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ -: يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون ؛ ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس). رواه مُسْلِمٌ.)

الـــــدمعُ فـــــي الأحـــــداق ســـــالْ والقلـــــبُ فـــــي قـــــيْح الخبـــــالْ

والحـــــزنُ عـــــاتٍ والجـــــوى والـــــنفسُ عـــــذبها الســـــؤال

عـــــيشُ الفتـــــى طاحونـــــة صـــــماءُ ، تـــــزدرد الغِـــــلال

وغلالنـــــا أطيافنـــــا والشـــــوقُ قـــــد شـــــدّ الرحـــــال

يبكـــــي الفضـــــيلة خـــــاطري ويشـــــجّ إحساســـــي الضـــــلال

أنـــــى اتجهـــــتَ رذيلـــــة تـــــوذي المشـــــاعرَ والجَمـــــال

وتهـــــيج - فـــــي قلبـــــي – الأســـــى وتزيـــــد – فـــــي نفســـــي – الجـــــدال

وأرى بعينـــــــــــيَ فتنـــــــــــة ... والكـــــــونُ ينتظـــــــر الـــــــزوال

والموبقـــــــــــاتُ عميمـــــــــــة ... إنْ فـــــي الســـــهول ، أو فـــــي الجبـــــال

عمـــــــتْ فـــــــواحشُ جمّـــــــة ... يأســـــــى لرؤيتهـــــــا الخيـــــــال

وكـــــذا الرذائـــــلُ فـــــي الـــــدنا ... تعنـــــو إلـــــى الســـــحْب الثقـــــال

أرض تبـــــــــــاع ، ومِلـــــــــــة ... والغـــــش مِـــــن أردى الخصـــــال

ودم الحنيفـــــــة فـــــي الثـــــرى ... وذبابـــــــة فـــــوق (الظـــــلال)

وســـــلا الجَـــــزور علـــــى الهُـــــدى ... يُـــــردي يواقيـــــت الجَـــــلال

وتقـــــص أذيـــــالُ الريـــــا ... بمِقصـــــها شـــــفتيْ (بـــــلال)

وكتائـــــبُ الفـــــاروق فـــــي ... ثكناتهـــــا ترمـــــى النبـــــال

وأبـــــو ســـــعيدٍ خلـــــف هـــــ ... ـــــذا الجـــــيش عـــــانٍ ، لا يـــــزال

وأبـــــو عبيـــــدة ، والبـــــرا ... أسَـــــدان فـــــي هـــــذا النـــــزال

ومُعـــــاذ قـــــد حمـــــل اللـــــوا ... وانســـــل مـــــن بـــــين الرجـــــال

وهنـــــاك (ربْعِـــــيُ) الـــــذي ... أزكـــــى لكســـــرى الانفعـــــال

وأبـــــان ملـــــة (أحمـــــدٍ) ... فـــــي الحـــــق لـــــيس لـــــه مثـــــال

حتـــــى إذا رحـــــل الجميـــــع ... فـــــلا جهـــــاد ، ولا نصـــــال

وانهـــــد صـــــرحٌ شـــــامخ ... واســـــتنوق الكفـــــر المَجـــــال

أردى عواطفنـــــا الهـــــوى ... وقـــــد احتـــــوى القلـــــبَ الهُـــــزال

هـــــذا اللظـــــى طاحونـــــة ... والحـــــرّ تســـــحقه البغـــــال

نشرت في جريدة (الوحدة العربية) بتاريخ 27 من مارس سنة 1996م

أريج القرنفل

(السفر قطعة من العذاب. هكذا صرح النبي – صلى الله عليه وسلم –. وكان السفر قطعة من العذاب ، لما يعانيه المسافر من آلام السفر وعذاباته الجسام ومفاجآته الجمة ، ليس هذا فقط ، بل الذين فارقهم المسافر من الذين يحبونه ، حيث يحزنون عليه حزناً شديداً. فالسفر معاناة لكل من الطرفين: المسافر ومحبيه. والأصل أن تكون في السفر رفقة تعين على مثل هذه المواقف والمشاعر! فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم -: (لو أن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم ، ما سار راكب بليل وحده). رواه البُخَارِيُّ. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم – قال: قال رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم -: (الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركب). رواه أبُو دَاوُدَ التِّرمِذِيُّ والنسائي بأسانيد صحيحة. وقال الترمذي حديث حسن. وعن أبي سعيد وأبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما – قالا: قال رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم -: (إذا خرج ثلاثة في سفر ، فليؤمروا أحدهم). وهو حديث حسن رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ بإسناد حسن. وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم - قال: (خير الصحابة أربعة ، وخير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن يغلب اثنا عشر ألفاً عن قلة). رواه أبُو دَاوُدَ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. والقرنفل الذي أعني في عنوان هذه القصيدة ، رمز إلى ثمرة أي زواج (الأطفال). فلقد كان من قدر الله تعالى أن سافر الزوج أبو الطفلتين ، وطالت غربته إلى حين. ثم اشتاق إلى الزهرة الأم والقرنفلتين (طفلتيه). ثم زادت لوعة الشوق. فدعا الله عز وجل أن يجمعه بهن: عاجلاً غير آجلاً. فلما أن كان ما تمناه ها هو ذا يعود فيحملهن جميعاً على الرحيل ، ويضطرهن إلى الفراق. فانفعلت بالموقف وصغته شعراً ، رغم أني على عادة من عرفتهم مجعول عندهم على هامش الأحداث والأحوال! فكان أريج القرنفل عزائي في هذا الموقف! وأوصي كل مسافر أن يوالي أهله وأقرباءه ومن يمت لهم بصلة بالاتصال والمكاتبة على الأقل ، إذا تعذر اللقاء والسفر إليهم ، فهذا أضعف الإيمان!)

يـــا صـــاح قـــد طـــال العنـــاءْ ... والحـــــق غـــــاب ولا لقـــــاءْ

فارقـــــتَ أهلـــــك مُكرهـــــاً ... مـــــن بعـــــد أن كنـــــت العَـــــزاء

وكـــــذا اغترابـــــك عنـــــوة ... ويزيـــــد فـــــي اللقيـــــا العنـــــاء

عجبـــــاً لأمـــــرك كلـــــه ... أنـــــا حـــــائرٌ فـــــي الادعـــــاء

وتقـــــول مشـــــتاقٌ إليـــــ ... ـــــهم ، أنـــــت مِـــــن هـــــذا بَـــــراء

أتشـــــم مـــــن هـــــذا القرنـــــ ... ـــــفل عطـــــره؟ ذاك الهـــــراء

حتـــــى إذا جـــــاؤوك رحـــــ ... ـــــت تـــــردهم ، وبـــــلا حيـــــاء

وأراك تختـــــــــــرع اللجـــــــــــا ... ج ، ولا تـــــــرى لهـــــمُ البقـــــاء

النـــــــاسُ تمســـــــك بالصغيـــــــ ... ـــــر تضـــــمه ، فهـــــو البهـــــاء

وتـــــــــــدلل الأطفـــــــــال دو ... مـــــــاً - بارتيـــــــاح - والنســـــاء

وتـــــــــــداعب الأولاد تـــــــــأ ... خـــــذهم إلـــــى حيـــــث الصـــــفاء

أمـــــــا القســـــــاة قلـــــــوبهم ... فعيـــــــالهم رهـــــــنَ الفنـــــــاء

أيطيـــــب عيشـــــك فـــــي الخـــــلا؟ ... أتـــــرى الســـــعادة فـــــي الخـــــلاء؟

أتحـــــــب كـــــــل رقيعـــــــة؟ ... أتحـــــــب إقبـــــــال المســـــــاء؟

ولـــــــك المواعيـــــــد الكثيـــــــ ... ـــــرة ، بـــــات شـــــيمتك الوفـــــاء

وإذا نصـــــــحت فـــــــلا اســـــــتما ... ع ، ولا اســـــــــــــــتجابة أو ولاء

وأراك تســـــــــــعى للضـــــــــيا ... ع ، بـــــــلا تـــــــروٍّ ، فـــــــي خفـــــــاء

لكـــــــنْ علانيـــــــــة تسيـــــــــ ... ـــــر ، ولا تراعـــــي مِـــــن إخـــــاء

كـــــم ذا أعاتـــــب فيـــــك عقـــــ ... ـــــلاً غائبـــــاً ، وبـــــلا ريـــــاء!

لكنمـــــــا أحرقـــــــت كـــــــ ... ـــــل ورودنـــــا ، حتـــــى الحُـــــداء

ومشـــــــيت وحـــــــدك للظـــــــ ... بـــــالله: أنـــــت ومـــــا تشـــــاء

يـــــا صـــــاحبي: إن القرنـــــ ... ـــــفل فـــــي يمينـــــك كالضـــــياء

حـــــافظ عليـــــه ، وصُـــــنه مـــــن ... كيـــــدٍ يُـــــدبّره الغفـــــاء

وأنـــــا نصـــــحتُ ، وإنْ تكـــــنْ ... مِـــــن خلتـــــي فـــــدع الغبـــــاء

جريدة الوحدة العربية 6 أبريل 1996م

لا تنبشي الماضي

(الماضي وصلة بين ما سبقه والحاضر الذي نعيشه. كما أنه وصلة بين الحاضر والمستقبل الذي نرقبه. وأنا هنا أخاطب زوجي ومحبوبتي وأطلب إليها أن لا تذكرني بما مضى من الذكريات ، ريثما أتمالك نفسي في أول اغتراب عنها ، وأبين أنه لا حياة أسعد فيها بدونها. وأبتهل إلى الله كي يجمعها بي بعز عزيز أو بذل ذليل. وأضرب على وتر البعد. وأعزف على نغم التصبر! والحقيقة أن ساعة الرحيل لا يتمالك فيها كل محبوب دموعه. وأكتب هذه القصة لزوجي أم عبد الله ، وقبل رحيلي عنها ، كنت قد وعدتها أنها سوف تلحق بي عما قريب إن شاء الله ، وأخذت أعالج خلجات الرحيل ولواعج الفراق ، وأزايل الهموم جانباً ، إلا أنني لم أستطع صنع جو شعري أكتب عبره قصيدتي تلك. فكما غلبت الدموع زوجي ، كذلك غلبتني دموعي ، فبينما سالت دموعها عينيها على وجنتيها ، سالت دموع شعري على قرطاسي. وربما يورث السفر عن الأهل الجفاف العاطفي. وربما أورث الجفاف أيضا الجدال والنقاش الحاد ، أو المقارنات بين عيشة فلانة وعلانة ، ولكن أم عبد الله كانت إذ ذاك حديثة عهد بعرس! وإذن فلم يكن مكان لشيء من هذا. يقول الأستاذ سالم العجمي وتحت عنوان: (الجفاف بين الزوجين) ما نصه: (الزوج والزوجة شخصان غريبان عن بعضهما البعض ، ربط بينهما هذا الرباط الوثيق وظللهما سقف واحد ، وحوتهما بقعة واحدة ، بعد أن لم يكن بينهما تواصل ولا اتفاق. ولذا فمن المهم التنبيه إلى أنهما سيمران بمرحلة خطيرة ، إذ لم يتنبها إلى كيفية التعامل معها فإنه سيسقط الصرح الذي شرعا في تشييده ، وهذه المرحلة هي أول عام أو عامين من تاريخ الحياة الزوجية ، فإنها فترة دراسة كل من الزوجين لطبائع الآخر ، ويغشاها الاضطراب وتغير النفسيات ، ودراسة أحد الزوجين طبائع طرف آخر قد ارتبط به ولم يكن بينهما ثمة صلة قبل ذلك وقد يوفق أو يفشل. وكثير من الشباب يقع بينهما الطلاق في هذه الفترة إما لقلة الخبرة أو فقد الصبر وعدم معرفة التعامل مع الأحداث. فلا بد لكل من الزوجين التفهم ومعايشة طباع الشخص الذي اقترن به ، فيكيف نفسه وفق ذلك ، ولعل الزوجة هي التي تتحمل العبء الأكبر في ذلك ، لأن الرجل أكثر تعرضاً للاختلاط بالبشر والأخذ والرد نظراً لطبيعة البشرية. فربما انعكس ذلك على حياته في بيته ، فإن لم يوفق لزوجة تعينه وتفهمه وقع بينهما الشقاق والخصومة. وقد تسير الحياة الزوجية بهدوء تام دون التعرض للمشاكل المردية التي من شأنها هدم عش الزوجية ، لكن يكتشف بعض الأزواج بعد فترة طويلة عدم الميل لصاحبه ، وهذا لا يعني نهاية الحياة بل يجب عليه التفتيش في الأسباب ، ولعل من أعظمها تعود كل منهما على صاحبه والاختلاط به أعظم الوقت ، فإن كثرة الاختلاط ينتج عنها معرفة العيوب والاطلاع على الخبايا المستورة عن نظر الناس ، ولكن العاقل من استدرك وحاول تجنب الأمور التي توقع في الزلل. ومن أخطر ما يواجه الحياة الزوجية. الجفاف الذي يخيم عليها ، حيث يجد أحد الأزواج عند الطرف الآخر مشاعر متبلدة ، وعواطف متجمدة ، تؤدي إن استمرت إلى ضياع الأسرة وتشتت الشمل وإطفاء نور المودة. كانت عائشة رضي الله عنها تشرب من الإناء فيأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فيه على موضع فيها ويشرب ، وكان يضع رأسه في حجرها - وهي حائض- فيقرأ القرآن. تقول عائشة رضي الله عنها: كان الحبشة يلعبون بحِرابهم في المسجد فيحملني الرسول صلى الله عليه وسلم على ظهره لأنظر إليهم ، فيقول: انتهيت ، فأقول: لا ، حتى أعلم مكانتي عنده.

والزوجة الطيبة هي التي تفعل ما يحب زوجها ، وتتجنب ما يكره ، ويجب أن تحفظ هذا ولا تحتاج إلى أن يكرر عليها ذلك. فالصبر أيها الأزواج ، وعالجوا الجفاف بوابل من أمطار العاطفة ، تعيد إلى بيوتكم الحياة).هـ. وإنني لأجعل من هذه القصيدة نصيحة شعرية لكل حديثي عهد بعرس!)

مِـن أجـل مَـن هـذه الـدموع أخيتـي؟ ... ألأجـل أنـي راحـلٌ؟ فأنـا لهـا!

الـدمع ثـبّط همّتـي ، فتمهلـي ... وترفقـي ، خـل الـدموع لوقتهـا

أولـى بـدمعك أن يكفكـف عبرتـي ... فغـداً تـرين النـور فـي سُـبُحاتها

نـوراً يـذيب قساوة وغشـاوة ... وكـذا يـذيب دجـىً بـرى قنواتهـا

إنـي احتسـبتكِ عنـد ربـي فتنتـي ... فلتصـبري ، ولتقشـعي أحزانهـا

إن المنايـا تحتويـك ، فحـاذري ... أن تُغضـبي رب السـماء لأجلهـا

أنـا يـا أخيـة لسـت أبغـي عَبـرة ... فـي غيـر موضـعها ، ولا أوقاتهـا

دربُ الجهـاد طويلـة ومريـرة ... لا بـد نزْكِـي يـا أخيـة نارهـا

كيمـا تزكّـي روحَ قـومٍ نـوّمٍ ... زعمـوا الجنـان ينالهـا نوامهـا

إن الجنـان ينالهـا مَـن رامهـا ... مَـن يحمـل الهنـدي يقتـل أبرهـا

لا ليسـت الجنـات تـدرَكُ بـالهوى ... أو بالنعـاس أو الكـلام ننالهـا

والحُـور إذ يُخفـي الجمـالَ ضـياؤها ... فلقـد قصِـرن لنـا بـبطن خيامهـا

أنـا يـاعزيزة مـا ابتغيـت مكانـة ... أو عـز نفـس عنتـري فارهـا

إن كنـت أدفـع فـي المقابـل عـودتي ... وعقيـدتي ، فرجـولتي ودّعتهـا

وأنـا إذن قـد لا صـقت روحـي الثـرى ... ونـذالتي فـي النـاس قـد أعلنتهـا

قـومي اذكـري أمسـي وليلـى والضـحى ... كـم ركعـةٍ صـليتُ أبغـي أجرهـا!

أنـا لا أريـد المـنّ أو ذكـرى بحلـ ... ـو فضـائل ، بـل أعقـد الـذكرى بهـا

إن الـذي فـرض الصـلاة بشـرعه ... أوصـى بـأن قومـوا اشـكروا رحمانهـا

فـــإذا الصـــلاة تريحنـــا ، بـــل تنطـــوي ... أتراحنـــا فيهـــا ، وتـــذهب بأســـها

وإذا الصـــلاة ســـبيلنا ، وملاذنـــا ... ونقيمهـــا لنـــردّ وعيـــاً تائهـــا

كـــم ذا ســـهرتُ أســـجل النفحـــاتِ لـــلأ ... حبـــاب - عبـــر الليـــل - أرجـــو أجرهـــا!

وأراك تمتعضـــين ، والليـــل انقضـــى ... فـــيم امتعاضـــكِ؟ يـــا أخيـــة مَـــن لهـــا؟

أومـــا دريـــت أخيتـــي أن الأخـــو ... ة تقتضـــي محـــض ابـــتلاء أولـــى النهـــى

وأقـــول: يومـــاً تـــذكرين رطيـــب أيـــ ... ـــام مضـــت ، والكـــل زايـــل قربهـــا

وإذا التشـــاكي والتنـــائي مزقـــا ... نـــي ، ليـــت شـــعري ، أيـــن منـــي أنســـها؟

يـــا ليـــت شـــعري كيـــف تقضـــي وقتهـــا؟ ... أتضـــيع الأوقـــاتِ تهـــدم عمرهـــا؟

وتقـــول: مـــا أخـــذ الألـــى ســـبقوا شـــياً ... مـــاذا ســـنأخذ مـــن وشـــيك فنائهـــا؟

هـــذا كـــلام العـــابثين الجاهليـــ ... ـــن ، فلســـتِ مـــنهم ، أنـــت مـــن إنســـانها

ولكـــم ذكـــرتُ الليـــل ليلـــك فـــي تقـــىً ... أتنســـم الأنســـام عبـــر ســـكونها!

والبيـــت كيـــف البيـــت بعـــدي يـــا تـــرى ... ثمِـــلاً ، حزينـــاً ، نرجســـياً ، تائهـــا؟

فيـــه الســـتار ترهلـــتْ وتبعثـــرتْ ... والعنكبـــوتُ تكـــاثرتْ ، تعســـاً لهـــا!

فيـــه الأبـــالسُ خيمـــتْ ، لا ذكـــر يمـــ ... ـــنعها ، ولا قـــرآن فـــي أركانهـــا

فيهـــا انـــدحار فضـــيلة وعلـــو نـــا ... ئبـــة ، وفـــي أوكـــاره شـــيطانها

عتبـــي عليـــك أخيتـــي ، أيـــن الحجـــا؟ ... مـــا عـــاد يحكـــم دارنـــا منانهـــا!

مـــا كـــان ذلـــك عهـــدنا ، مـــا كـــان ذا ... ك تـــوقعي ، عجبـــاً لأمـــر كلامهـــا!

قالـــت: أصـــون البيـــت بعـــدك صـــاحبي ... كانـــت كمـــن نقضـــت بحمـــق غزلهـــا

قالـــت غـــداة الأربعـــاء أصـــونه ... وإذا بهـــا فـــي الليـــل تهجـــر دارهـــا

مـــا خِلـــتُ زوجـــي هكـــذا أخلاقهـــا ... تركـــتْ لـــديجور الهـــواجس بيتهـــا

مـــا خلـــت أنـــك تحنثـــين بعهـــدنا ... يومـــاً سيســـأل ذي الخلائـــق ربهـــا

إن كـــان قـــد وفـــتْ فخيـــر مـــا أتـــتْ ... أو كانـــت الأخـــرى فشـــر مآبهـــا

مـــا زلـــت أذكـــر مـــن رطوبـــة دارنـــا ... بعـــروق أخشـــاب تنـــاغي ســـقفها

بنوافـــذٍ طلعـــتْ كشـــمس أشـــرقتْ ... بأرانـــــب ، والله يعلـــــم حالهـــــا

بحـــــوائطٍ ، ووســـــائدٍ ، وســـــتائرٍ ... بـــدجاجها ، مَـــن لـــي بعـــذب ضـــجيجها

بشـــــرائطٍ ، بنقيـــــع أمطـــــار بهـــــا ... بكلابهـــا ، مـــن لـــي بصـــوت نباحهـــا؟

بصـــغارها ، حيـــث الـــدروسُ وبـــذلها ... وحصـــيرة حضـــرية ، سُـــقيا لهـــا؟

دراجتـــي ، كيـــف اعتلاهـــا الضـــيمُ بعـــ ... ـــدي ، كيـــف ســـاءت ، ثـــم نـــام إطارهـــا؟

مـــن يمتطـــي بعـــدي بغيـــر الإذن منـــ ... ـــي فـــي غيـــابي بالتطـــاول ظهرهـــا؟

داري ، وأهلـــي ، والطفولـــة والصـــبا ... يـــا ويـــح داري مِـــن غزيـــر شـــتائها!

خبـــز وملـــح ، ثـــم فـــرضٌ بعـــده ... والآي أي الـــــذكر تمـــــلأ جوهـــــا

لكـــــأن ســـــحر الأي ألمســـــه ... وتعرفنـــي – كمـــا الخـــلان – حقـــا آيُهـــا

وتكـــاثر الضـــيفان يُتحـــف دارنـــا ... أكـــرمْ بهـــم! زادوا الـــديار تنزهـــا

يـــا ليـــت شـــعري ، والكريمـــة زوجتـــي ... أخـــذت تعـــد الشـــاي ، يبسُـــم ثغرهـــا

مســـكينة زوجـــي بغيـــر عزيزهـــا ... مـــا عـــاد يـــدخل دارنـــا أضـــيافها

ولـــئن نســـيت فلســـت أنســـى زوجتـــي ... وحياتهـــا ، واهـــاً لفـــرط بكائهـــا

أو قـــد نســـيتُ فلســـتُ أنســـى حزمهـــا ... ببـــراءة الأطفـــال تعلـــو رأيهـــا

ســـبحان مـــن صـــاغ الـــوداد مـــع التقـــى! ... بـــاركْ إلـــه النـــاس فيهـــا دينهـــا

وأزح ســـتار الجهـــل عنهـــا ، واهـــدها ... واحفـــظ عليهـــا مـــن عبيـــدك عِرضـــها

وتولهـــا ، أنـــت القـــوي ، فقوّهـــا ... وإذا مرضـــتُ فأنـــت تشـــفي ، فاشـــفها

واغمـــر فـــؤاد حليلتـــي فـــي ظـــل طـــا ... عتـــك التـــي أرجـــو وفيـــر ظلالهـــا

مـــا كنـــت أحســـب يـــا أخيـــة أننـــي ... تهتـــاج نفســـي بعـــد طـــول عـــذابها

حتـــام ترحمنـــي طيوفـــك مـــن أســـى ... نفســـي ، ومـــن أتـــراح ذل شـــجارها

هـــل تـــذكرين بكـــل صـــدق عواطـــفٍ ... عهـــد التقـــى ، والأمســـيات ونورهـــا؟

وأقـــول فـــي نفســـي ســـتذكرني إذن ... ويمـــر طيفـــك ناســـياً أفكارهـــا

وأظـــن قلبـــك ذاكـــراً بعـــد المليـــ ... ـــك ســـرورنا ، بالتضـــحيات وحلوهـــا

ورأيتنـــي والقلـــب مـــن شـــوق يفـــ ... ـــتُ حُشاشـــتي ، ويحـــزّ فـــي أعطافهـــا

صـــبراً أخيـــة فـــي طريـــق كفاحنـــا ... فـــالنفسُ مفعمـــة بحـــب نضـــالها

الله مقصـــــدُها ، وأحمـــــد قائـــــدٌ ... والله قـــد أوصـــى بصـــفّ رجالهـــا

لكـــن رجـــال رُبّيـــتْ فـــي دار أر ... قـــمَ عُلمـــتْ وتفهمـــتْ إســـلامها

ليســـوا رجـــال شـــواطئ وشـــوارع ... والجاهليـــه أنشـــبت أظفارهـــا

هـــي صـــرخة للحـــق مـــوتٌ بعـــدها ... وقصـــورُ كســـرى والقياصـــر دونهـــا

هـــل تـــذكرين أخيتـــي مـــا قلـــت يـــو ... مَ زواجنـــا؟ مازلـــت أســـمع رجعهـــا

قلـــت: اعلمـــى أن المجاهـــد يرتـــوي ... بدمائـــه ، دومـــاً ليشـــهد نصـــرها

أنـــا لســـت عبـــدَك يـــا أخيـــة ، إنمـــا ... عبـــدُ الـــذي وهـــب النفـــوس حياتهـــا

ولـــئن نســـيت فلســـت أنســـى صـــحبة ... هـــي فـــي ضـــمير الغيـــب ســـام عطرهـــا

وأراك تشـــــتاقين للأخـــــوات فـــــي ... شـــوق ، وفـــي ذكـــرى شـــجىً ، أكـــرم بهـــا!

أكـــــرمْ بعهـــــد أخـــــوة ، الله بـــــا ... ركهـــا وبـــارك عهـــدها ، وإخاءهـــا!

كـــم كـــان يُســـعدني ذهـــابي عنـــدهم ... أبغـــي التئـــام الشـــمل فـــي جنباتهـــا!

والنـــدوة الشـــمطاء فـــي عصـــر الـــدجى ... مـــا كـــان يُطربنـــي هزيـــلُ كلامهـــا

وأظـــل أنتظـــر النهايـــة مُجهـــداً ... أتـــنفس الصـــعداء حـــين ســـماعها

ربـــاه فـــاغفر يـــا مهـــيمن حـــوبتي ... إن كـــان أغتـــاب الـــذي يـــأتي لهـــا

لكنـــه ربـــاه لا يبغـــي وضـــو ... ح الـــدرب ، أو حتـــى يريـــد بيانهـــا

وسَـــمعْته يغتـــال آيـــات الكتـــا ... ب ، ويـــزدري رغـــم الأنـــوف بناءهـــا

متنكبـــاً ســـبل الهدايـــه زاعمـــاً ... أن التنكـــب فيـــه كـــل صـــلاحها

متنطعـــاً يهـــذي بغيـــر هـــوادة ... لـــو كـــان قـــد تـــرك النيـــاق لربهـــا

مـــا كـــان يســـقط قـــط مـــن أنظارهـــا ... بـــل كـــان يعلـــو فـــوق هـــام ربابهـــا

ولكـــان فـــوق الـــرأس يســـمع يهتـــدي ... كيمـــا تُعلـــم أختـــه توحيـــدها

أمـــا المناســـكُ فالـــذين مضـــوا إذن ... أدوْا لـــرب الكـــون حقـــاً جُلهـــا

لـــو تطـــرق التوحيـــد كنـــت أخـــى هُـــدىً ... ولتابعتـــك حليلتـــي آتـــي بهـــا

ولقـــد أتـــاك نتـــاج وحـــل حضـــارةٍ ... الـــنص ديـــدنها وديـــنُ جميعهـــا

والعُـــري والعُهـــر اللـــذان أراهمـــا ... وكـــذا الخضـــوع بكـــل نبـــرة صـــوتها

مـــا هكـــذا خلـــق يريـــد فضـــيلة ... أبـــداً ، ولا شـــيم الحيـــا أدركتهـــا

مـــن كـــان ســـاقطةٍ تناســـت ثوبهـــا ... وتفننـــتْ فـــي الكشـــف عـــن عوراتهـــا

نســـت ارتـــداء ثيابهـــا وحيائهـــا ... وأرى حـــديثك فـــي قليـــل صـــلاتها

مـــا ذلـــك الخبـــلُ الـــذي أودى بنـــا؟ ... إن النصـــيحة بُـــددتْ مِـــن أصـــلها

إذ يحمـــلُ الجهـــالُ مفتـــاح الريـــا ... دة ، هـــل يُرَجّـــى للفضـــيلة بعثهـــا؟

مـــا دام لا تـــدري ولـــم تقـــدر فـــدعْ ... واللهُ يُخلـــفُ مَـــن يقـــود زمامهـــا!

وأعـــود أهمـــس فـــي فـــؤادكِ همســـة ... أتـــرين شـــيئاً فـــي شـــكاتي شـــابها؟

أم إنـــه الحـــق المبـــين درســـته؟ ... والنـــاسُ لا تصـــغي إلـــى داع لهـــا!

وعلـــى الخلـــيج أراكِ فـــي أحجـــارهِ ... وصـــخوره ورمالـــه ، أجمـــلْ بهـــا!

وأراكِ لؤلـــــؤة علـــــى شـــــطآنهِ ... مزدانـــــة ، والـــــدُرّ يعلـــو ســـاحها

كنضـــارة الأصـــداف كانـــت صـــورة ... وكمـــا النســـيم أشـــم عطـــر عبيرهـــا

هـــي فتنتـــي ، وأنـــا أؤمـــل أن أرى ... أيامهـــا ، والنـــورُ يغمـــر أنســـها

يـــا ليـــت شـــعري ، كيـــف أمـــري دونهـــا؟ ... يـــا ويـــح قلبـــي ، قـــد نـــأت أخبارُهـــا!

مَـــن ذا يُخبّرنـــي ، يُطمئننـــي إذن؟ ... كيـــف الطريـــق إلـــى نـــديِّ فعالهـــا؟

أضـــحتْ أمـــورُ حياتنـــا شـــعراً يُـــرى ... والأمنيـــاتُ تعثـــرتْ أقـــدامُها

فـــالإلفُ فـــي وادٍ ويحيـــا إلفـــه ... فـــي آخـــر ، عـــيشُ العبيـــد فمَـــن لهـــا؟

والشـــعر ويـــح الشـــعر شـــط بـــه النـــوى ... مـــا عـــاد يُثمـــر فـــي مهـــاوي بُعـــدها

ومِـــــداد أقلامـــــي أراه يمُجُنـــــي ... ويقـــول: دع هـــذي الكـــروب لأهلهـــا

وامـــرحْ ، ودعْ عنـــك التشـــاكي ، وابتســـمْ ... قـــمْ ، والـــتمسْ تقـــوى المليـــك وخيرَهـــا

وأعـــود أبكـــي فـــي مَـــرارٍ زوجتـــي ... وأقـــول فـــي الخلـــوات: كيـــف تركتهـــا؟

فـــي المُهلكـــات طرحتهـــا ورميتهـــا ... ويحـــي ، هنـــاك بأرضـــهم وطعنتهـــا

يبكـــي وصـــوت نحيبهـــا فـــي مســـمعي ... وأنـــا الـــذي بفراقهـــا دمرتهـــا

مـــا كـــان ضـــرك لـــو رضـــيتَ بمـــا أتـــى ... وظللـــتَ تـــدعو مَـــن أتـــاك مُتوّهـــا

يـــا عيـــب إلـــفٍ أنـــت مِـــن متمـــردٍ! ... ولـــــنعم زوجٌ هـــــذه لحليلهـــــا!

أختـــاه جـــدّي واســـتعدي ، واســـألي الـــر ... حمـــن غفـــران الـــذنوب ورجســـها

قـــومي اقرئـــي الآيـــات قبـــل الفجـــر ، بعـــ ... ـــد العصـــر ، عنـــد الليـــل فـــي خلواتهـــا

واللهِ مالـــكِ غيـــر ربـــي ناصـــراً ... فـــي زحمـــة الأوهـــام أو فـــي ليلهـــا

ودعـــي قـــلاع الشـــر للفســـاق تهـــ ... ـــوي فـــي الحضـــيض ، وفـــي دجـــى أضـــرانها

ودعـــى كـــذلك كـــل بيـــتٍ تعبـــد الأ ... صـــنامُ فيـــه ، ولـــم يكـــن متنزهـــا

قـــد صـــورت فِســـقاً ، وعُهـــراً يُـــزدرى ... وطيـــوف دعـــر أســـتحي مِـــن ذكرهـــا

مـــا بـــين بائعـــةٍ لِعِـــرض والحيـــا ... ويقـــول داعـــي القـــوم نبغـــي درســـها

ماتـــت ضـــمائرهم ، ومـــات حيـــاؤهم ... وتشـــــدقوا بالموبقـــــات وفســـــقها

واهتـــاج فـــي وضـــح النهـــار خلـــيعُهم: ... هـــذي فنـــوني ، والتـــدني زانهـــا

نطقـــتْ بـــذلك فـــي جـــلاءٍ أغنيـــا ... تُ القـــوم ، والأفـــلامُ هـــذا ســـمتها

دعـــرٌ هنـــا ، وهنـــاك ســـادت ردة ... بـــل وانتهـــاكٌ للحـــرام بأرضـــها

لا عـــذر يـــا أختـــاه عنـــد الله لـــلأ ... قـــوام ، بـــل هـــي فتنـــة وســـرابها

لـــو طبقـــوا هَـــدي المليـــك بـــدارهم ... لانزاحـــتِ البلـــوى ، ومُـــجّ بلاؤهـــا

ولمـــا وجـــدت اللافتـــات العاريـــا ... ت علـــى حـــوائط واجهـــات بيوتهـــا

لـــو آمنـــتْ هـــذي الـــديارُ لكـــان أنْ ... نمـــت الفضـــيلة واحتـــوتْ أفرادهـــا

ولمـــا وجـــدت المارقـــات علـــى الشـــوا ... طـــئ والكـــلاب الـــنهم تأكـــل صَـــيْدها

ولمـــا وجـــدت ذوي الوجاهـــةِ كرمـــوا ... فـــي كـــل عيـــدٍ ثلـــة مِـــن غِيـــدها

فـــدعي أخيـــة كـــل بيـــتٍ عابـــثٍ ... ودعـــي الـــديار وأهلهـــا فـــي غيّهـــا

مـــادام قـــد فرحـــوا بمـــا نســـجتْ لهـــم ... أيـــدي الأبـــالس مـــن عتـــيِّ دمارهـــا

إن كـــان يُمْـــتعهم رقيـــعُ منـــاظرٍ ... فـــأراك يُمتعـــكِ اشـــتهاءُ خرابهـــا

وأراكِ يســـعدك الجليـــلُ بحبـــه ... وبآيـــه ، لا يـــدركون صـــنيعها

إن كـــان أبكـــاهم ألـــيمُ مشـــاهدٍ ... وخليـــعُ أفـــلام تبـــدى عُريُهـــا

فـــأراكِ يبكيـــكِ الجحـــيمُ بأهلـــه ... وأراك تبكـــين النفـــوس وهزلهـــا

وأراكِ تبكيـــكِ القيامـــة حســـرة ... وأراكِ تعطيـــك القيامـــة درســـها

هـــذي أحاديـــث البشـــير قرأتهـــا؟ أم فـــي الكتـــاب علـــى الســـرير تركتهـــا؟

وكتـــاب (عائشـــة البريئـــة) دونـــه كتـــبٌ وأســـفار كـــذاك وضـــعتها

وخرجـــتِ تلتمســـين أنســـاً دونهـــا واللهِ مـــا لـــك مِـــن أنـــيس غيرهـــا!

عـــودي إليهـــا يـــا عزيـــزة إنهـــا بعـــد المليـــك رفيقـــة ونبيهـــا

صـــلى عليـــهِ الله والصـــحب الألـــى ضـــحَّوْا بمـــا اســـطاعوا ليعلـــوَ دينهـــا

مَـــن ذا يعـــين الـــنفس بعـــد الله فـــي هـــذي القِفـــار المُعـــدمات وأهلهـــا؟

وأعـــود أذكـــر للكِـــرام جمـــيلهم فـــي واحـــة الـــذكرى وفـــي تحنانهـــا

أكـــرمْ بخِـــل وشـــيجةٍ فـــي غربـــة وأبـــو سِـــنان مقصـــدي بصـــريحها

مِـــن غيـــر ميعـــادٍ تقـــدم خصَّـــني بـــأخوةٍ مُزجـــتْ بحـــب لوائهـــا

وهنـــا علـــى أرض الخلـــيج يضـــمنا نـــور الهدايـــة ، والتناصـــحُ ســـمتها

كـــلٌ يـــؤاخي خِلـــه فـــي رقـــةٍ مـــا أعـــذب الإخـــلاص فـــي ألوانهـــا!

وأراه يـــؤثرني ، ونـــؤثر غيرنـــا هـــي روح توحيـــد ، ويكفـــي ذكرهـــا

ويظـــل يرفـــق بـــي ، يرحـــب بـــي هنـــا مـــن ســـاعة اللقيـــا هنـــاك بســـاحها

فـــي الحـــق أســـمع صـــوته فـــي قـــوةٍ فتعـــود ذكـــرى فـــي فـــؤادي وهْجهـــا

يبنـــي النفـــوس ، يقودهـــا ، ويردّهـــا للحـــق فـــي ثقـــةٍ تـــدك غرورهـــا

حـــان الختـــامُ أخيّتـــي ، وكفـــاكِ ذا عـــن رحلتـــي ، وكـــذاك عـــن أحوالهـــا

إن كـــان يأتيـــكِ الـــذي يغتـــابني يغتـــال إخلاصـــي ، يقـــول: نســـيتها

قـــولي: خســـئتَ ، فـــذاك حـــبٌ صـــادقٌ لا جاهليـــة ، لا ضـــلالة ، لـــيس حبـــاً شـــائها

هـــذا حبيـــب القلـــب حكّـــم ربـــه يـــوم انتقـــاني زوجـــةً يســـمو بهـــا

والله بـــارك حبنـــا فـــي دارنـــا قـــمْ يـــا غـــراب البـــين ، فـــارقْ ســـاحها

وغـــداً ســـيجمعنا اللقـــاء علـــى الوفـــا ... وتـــــدوم عشـــــرتنا ، ويحيـــــا وصـــــفها

للهـــــم أســـــالك الهدايـــــة والتقـــــى ... وجنـــــان عـــــدن ، والأليـــف جوارهـــــا

بـــــارك إلـــــه الكـــــون زوجـــــاً رَدَّنـــــي ... للحـــــق ، للتقـــــوى ، لعـــــذب جنانهـــــا

واخـــتمْ إلـــه الخلـــق بالحســـنى لـــه ... وأقبـــل دعـــائي وانكســـاري النابهـــا

فلعلـــه يُمحـــى بـــه مـــا قـــد مضـــى ... مـــن جاهليـــة عمرنـــا ، سُـــحقاً لهـــا

هـــا قـــد ختمـــتُ رســـالتي ، فوصـــيتي ... تقـــوى المليـــك ، وأي شـــئ بعـــدها؟

ثـــم اعتصـــامٌ بالإلـــه ، وعـــزه ... وقـــراءة الآيـــات تتلـــو بعضـــها

وكـــذاك غـــض الطـــرف عـــن كـــل الأذى ... وصـــيامنا ، ثـــم الصـــلاة لوقتهـــا

ثـــم الـــدعاء لنـــا بقلـــب مخلـــص ... حتـــى يُعـــين الـــنفس هـــذي ربهـــا

ثـــم الصـــلاة علـــى النبـــي المصـــطفى ... هـــادي الخليقـــة لاســـتقامة دربهـــا

ثـــم الســـلام علـــى مـــن اتبـــع الهـــدى ... مـــن أهلنـــا ، ورفاقنـــا ، ونجوعهـــا

وجـــوابكم حتـــى تطيـــب نفوســـنا ... ويشـــدها نحـــو الكتابـــة شـــوقها

وإذا الـــردود كمـــا الحصـــى ، يـــا ســـوأتى ... وكمـــا الـــزلازل والمنايـــا وقعُهـــا

وأتـــى الخطـــاب وشـــاقني عنوانـــه ... دمـــرتُ نفســـي ، واقتلعـــتُ حصـــونها

ومضـــيتُ أهـــذي ، والهمـــومُ ترجُّنـــي ... والـــنفس غاصـــت فـــي فيـــافي طيشـــها

ونظـــرتُ حـــولي ، لـــم أجـــد إلا أنـــا ... ورفعـــتُ رأســـي للخبيـــر بحالهـــا

وعمـــدتُ فـــوراً للصـــلاة لعلنـــي ... أطفـــي جـــوى روحـــي ، وأمحـــق نارهـــا

وأخـــذت قرآنـــي بســـاحة مســـجدٍ ... وقـــرأت (طـــه) ، واهتـــديتُ بنورهـــا

ورجـــوتُ ربـــي أن يُعـــافيَ زوجتـــي ... ويشـــد أزر حليلـــةٍ فـــي كربهـــا

المعلم الضحية

(أعطى تلاميذه كل ما عنده على مدى عقدين ، ثم تأمل صورته فوجد الشيب قد بلغ منه مبلغاً عظيماً ، ووجد التجاعيد قد غزت وجهه! فأدرك أنه ضحية عمله الشاق وإخلاصه المتفاني. ولست أعلم عصراً أهين فيه المعلم ونيلت كرامته مثل هذا العصر! ولأني معلم فأنا أدرى بالأحداث!)

بـــذلتَ الكثيـــر ، وخضـــتَ الصـــعابْ ... وضـــاع مـــع البـــذل رَيْـــعُ الشـــبابْ

تســـــابق شَـــــيْبك مستبســـــلاً ... وبعـــدُ تعـــاني أســـى الاغتـــراب

ويجـــرح عزمَـــك فـــرط الجـــوى ... وتُزجـــي الكـــروبُ إليـــك العـــذاب

ويقتلـــك الغـــم ممـــا تـــرى ... وقـــد لفـــظ الجيـــلُ نـــورَ الكِتـــاب

ويطعنـــك الهـــمّ فـــي مَقتـــلٍ ... وآمالـــك اليـــومَ مثـــلُ الســـراب

تفانيـــتَ حتـــى طـــواك العنـــا ... وأضـــنى إبـــاءكَ غـــدرُ الصـــحاب

لمـــن عـــاملوك جلبـــتَ الهنـــا ... وهـــم قـــد رمَـــوْك بـــأعتى الحِـــراب

لكـــل امـــرئ مـــنهمُ غايـــة ... ســـعى نحوهـــا ، وتناســـى الحِســـاب

وضـــحّى بـــدينٍ وعـــرضٍ ، ولـــم ... يفكّـــر- ولـــو لحظـــة – فـــي العِقـــاب

وبـــاع الصـــداقة ، لـــم يقتـــرفْ ... وضـــل - علـــى الـــدرب - كـــل الصـــواب

وأنـــت بـــدينك مستمســـكٌ ... تُجابـــه بـــالحق مكـــرَ الـــذئاب

وتُهـــدي العلـــوم لمـــن رامهـــا ... وفـــي الحـــق تعلـــن فصـــل الخطـــاب

وإن كنـــت وحـــدك فـــي فتنـــةٍ ... تـــذيق الحلـــيم لظـــى الارتيـــاب

معلمنـــا: الصـــبرُ بُحبوحـــة ... فبالصـــبر قطعـــاً يهـــون المُصـــاب

وعنـــد المليـــك جميـــلُ الجـــزا ... وإن الجنـــان لـــنعمَ الثـــواب!

فـــإن ضـــاع جهـــدُك عنـــد الـــورى ... فعنـــد المهـــيمن حســـنُ المـــآب

دموع الصالحات

(ذهبتْ هذه الصالحة في صحبة مجموعة من الصالحات ، لتقديم مراسيم العزاء لإحدى أزواج الشهداء. فقال طفل وهو ابن الشهيد – في براءة الأطفال -: أين أبي؟ فكانت دموع الصالحات - في معرض الحديث - جواباً! وإنه لجميل أن تكون الدموع جواباً لسؤال تعجز الكلمات كل الكلمات عن إجابته أو الدندنة حوله! ونسأل الله تعالى أن يَخلُف كل شهيد - جاهد لتكون كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى – في أهله ، وأن يتقبل منه روحه التي جاد بها في سبيله! وأن يبدله داراً خيراً من داره وصحباً خيراً من صحبه ، وأهلاً خيراً من أهله ، ودماً خيراً من دمه! إنه ولي ذلك والقادر عليه!)

ضَجَّ الضميرُ ، وطفَّ الحزنُ والقلقُ ... وطال ليلُ الأسى ، وعمّه الغسقُ

والدمعُ فوق خدود الصالحات لظىً ... يشوى الوجوهَ ، وبالعيون ينتطق

وفي القلوب جوىً يكوي عزائمَها ... وفي النفوس إباءٌ بات يحترق

وفي المشاعر جُرحٌ نازفٌ دمُهُ ... وفي الصدور صدىً يكاد يختنق

وفي الأحاسيس آلام يُغربلها ... وقرحُ أزمتِها لا ليس يرتتق

وفي العواطف أشجانٌ تخمّشها ... ومِن ترائبها الدماءُ تندفق

وقد أهاج سؤالُ الطفل ساكنها ... وللبراءة في سؤاله عَبَق

يقول: أين أبي؟ فما الجوابُ إذن؟ ... ثوى الكلامُ ، فما في روحه رمق

ومَن تجبْه لقد تودي بخاطره ... وبعدُ في هوّة الأيتام ينزلق

أبوه حي ، ولكنْ مَن يُفهّمُهُ ... عند المليك إلى الجنات ينطلق

لذا الدموعُ غدتْ جبراً إجابته ... وليس هذا عن الإيلام يفترق

قهرُ اليتيم بأخبار مروّعةٍ ... أمرٌ تسوءُ به الطباعُ والخلق

ليرحم اللهُ مَن ماتوا لنصرتهِ ... ويدخل النارَ مَن في حربه نفقوا

يا رب صبّر كريماتٍ فجعن بمن ... كانوا الرعاة ، وبالتوحيد قد نطقوا

أنت المَلاذ لأيتام وأرملةٍ ... إن الطغاة على تدميرنا اتفقوا

(الأمل الفواح)

(كل إنسان له آمال وطموحات. وعظيمٌ من جد واجتهد وهو يسلك الطريق إلى تحقيق هذه الآمال وتلك الطموحات! وسفيهٌ مَن كان يفعل غير ذلك فعاش يهوى ويتمنى فقط! ولا شك أن المؤمنين لهم أكبر الآمال في أن يعز الله دينه على أيديهم المتوضئة الطاهرة. و لذا فهو أمل فواح عبق. ولقد عزمتُ على أن أسمي ديواني الجديد (الأمل الفوّاح) ، والأمر أنني قد مللتُ الكتابة عن الحزن والألم والكرب. ولعلها جولة جديدة في عالم البشارة والأمل. فما أجمل الأمل الذي يبعث على الإيجابية والتفاؤل. وهذة القصيدة هي البداية المنطقية والمشاعرية للديوان الجديد. والأمل الذي أعني هو أمل التمكين للدين في الدنيا وجنة الله تعالى في الاخرة. وليس الأمل الذي عناه النبي – صلى الله عليه وسلم بقوله: والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني. إن الأمل الذي أعني هو الأمل الذي تفوح منه رائحة التفاعل والاندماج والإيجابية. وأملنا كبير في الله. ولقد يعرقل تحقيق الآمال العريضة التي - (الأمل الفوّاح) واحد منها – الفساد والإفساد المتعمد الذي أصبح ديدن الكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم ومكاناتهم! وعن (فساد الناس) يقول الأستاذ أبو البراء ما نصه: (إنه من المعلوم بمقتضى النصوص ، وبالواقع المحسوس ، أن الناس يزدادون إسرافاً في الرذائل وفي ترك الفرائض ، والفضائل عاماً بعد عام ـ وأن للدين إقبالاً وإدباراً وقوة وضعفاً. فمن إقبال الدين: تفقه القبيلة بأسرها ، وتتمسك بعزائم دينها ، حتى لا يكون فيها إلا الفاسق أو الفاسقان ، فهما مقهوران ذليلان. إن تكلما قمعا. وإن من إدبار الدين: أن تجفوا القبيلة بأسرها ، وتنحل عن عزائم دينها ، وتفسق عن أمر ربها ، ويصيبها العتو والغفلة ، حتى لا يكون فيها إلا الفقيه أو الفقيهان ، فهما مقهوران ذليلان. وإن صفوة الأمة: هم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -. الذين هم أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه. وإقامة دينه ، ثم التابعون لهم بإحسان. الذين تلقوا العلم عنهم ، فهم من خير الناس بعدهم ، لما في الصحيحين: عن عمران بن حصين – رضي الله عنه -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، لا أدري أذكرهم مرتين أو ثلاثة ، ثم يجئ قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ، ينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن). وظهور السمن أي من أجل غرقهم في الترف وسائر الأكل المسمّن للجسم. وفي رواية: (تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته). وهذا مما يدل على فساد الناس في آخر الزمان ، كما يشهد به الواقع المحسوس. ويدل له ما روى البخاري في صحيحه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (يذهب الصالحون ، الأول فالأول. ثم تبقى حُفالاً وفي رواية حُثالاً كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله تعالى باله). ومن المعلوم أنه متى ذهب الصالحون المصلحون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، فإنه يخلو الجو للفاسدين الفاسقين ، ، فيبيضون ويصفرون. ومن أشراط الساعة: وهو: أن يذهب العلم ويفيض الجهل! كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء. حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا). ولهذا حث النبي - صلى الله عليه وسلم - على التمسك بسنته: أي بدينه عند فساد أمته. وقال في حديث العِرباض بن سارية: (إنه من يعش

منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي. تمسكوا بها. وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة. وكل بدعة ضلالة). رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان. وقال الترمذي حسن صحيح. ويدل له ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد). رواه البيقهي والطبراني. وقد سماه النبي - صلى الله عليه وسلم - بأيام الصبر. وقال: (إن من وراءكم أيام الصبر ، القابض فيهن على دينه كالقابض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين منكم ، قالوا: كيف يكون له أجر خمسين منا؟ قال: (إنكم تجدون على الحق أعواناً وهم لا يجدون). رواه الترمذي عن أبي ثعلبه الخشني. إن أكثر الناس في هذا الزمان يتسمون بالإسلام وهم منه بُعداء ، وينتحلون بأنهم من أهله وهم له أعداء ، يعادون بنيه ، ويقوضون مبانيه. لم يبق معهم منه سوى محض التسمي به ، والانتساب إليه بدون عمل به ، ولا انقياد لحكمه. وإنما اكتفى أغلبهم بالأماني والآمال دون سعي لتحقيق الأماني ، ودون عمل لجعل الآمال واقعاً محسوساً ملموساً! فترى أكثرهم لا يصلون الصلوات الخمس المفروضة ، لا يؤدون الزكاة الواجبة ، ولا يصومون رمضان ، ويستحلون الربا وشرب الخمر ، فهم في جانب ، والإسلام الصحيح في جانب آخر ، فهؤلاء أكثر الناس والله يقول: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين). وقد قيل (وهو قول لابن مسعود عندما نظر إلى أفواج الحجيج!): الركب كثير ، والحاج قليل. يقول بعض الناس: إن الدين إذا فسد العمل به صار آلة ضعف وانحطاط! ونحن نقول: أنه متى فسد العمل بالدين فلا دين ، كما أنها متى فسدت الصلاة فلا صلاة. ومتى فسد الصيام فلا صيام ، لكون الدين عند الإطلاق ينصرف إلى الدين الصحيح. عن العباس بن الوليد قال : حدثنا أبي قال سمعت الأوزاعي يقول: * عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول ، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم *. اللهم إحدى الحسنيين. فمتى أفسد الناس الدين بترك أوامره ، وارتكاب نواهيه ، فقد خرجوا عن حده ، واستبدلوا ضده ، وكانوا بهذا الانقلاب جديرين بالضعف والانحطاط ، لأن ذنوب الجيش جند عليه ، (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). فكل ضعفٍ نزل بالمسلمين فبسبب ما ضيعوا من تعاليم الدين ، حتى التنازع والاختلاف والقتال بين المسلمين وقع بذنوبهم. فكلها ذنوب تورث الضعف والذل وحلول الفشل. ولضعف الدين عوامل عديدة تساعد على ضعف الناس منها: قول عمر بن الخطاب (أنه يفسد الإسلام ثلاثة أشياء :- الأئمة المضلون ، وزلة العالم ، وجدال المنافق بالقرآن) . وروى مسلم عن ثوبان مولى النبي أن النبي - صلى الله عليه سلم - قال: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين). والخطر المخوف من زلة العالم ، هو الاغترار به فيها ، ومتابعة عليها. إذ لولا التقليد والاتباع ، لما خيف على الإسلام وأهله من زلته ، وكان ابن عباس يقول: (ويل للأتباع من عثرات العالم ، وقد شبهوا زلته بغرق السفينة ، يغرق بغرقها الخلق الكثير). كما أن الأئمة المضلين: هم رؤوس الناس (الطواغيت) الذين تنكبوا الطريق المستقيم ، واستبدلوا بها شريعة القوانين ، فتبعهم الناس على ضلالهم ، ووافقوهم على فسادهم ، واستبدادهم. والناس غالباً على طرائق ملوكهم في الخير والشر – ومتى فسد الراعي فسدت الرعية. ومنها دنيا تقطع أعناق الناس ، حتى تجعلهم كالميتين عن مصالحهم الدينية. وعما يوجب قوتهم واستقامتهم ، والاستعداد للعمل في سبيل الله ، لأن شغفهم بلذاتهم المادية قد شغلهم عن الأمور الدينية ، فلأجل حبها صارت هي الجيش الغازي بلاد

الإسلام في هذا العصر ، وكأنها الكافلة لأعداء الإسلام بالفتح والنصر بغير جموع ولا جنود ، وبغير دفاع ولا امتناع ، طبق ما روى الإمام أحمد في مسنده ، وأبو داود في سننه ، عن ثوبان : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تداعت الأكلة على قصعتها. قالوا أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل ينزع الله مهابة عدوكم منكم ، ويسكنكم مهابتهم ، ويلقي الله في قلوبكم الوهَن. قالوا: وما الوهَن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت).هـ. وكل ما كان أصلاً فإنه يكون سبباً لدخول الضعف منه على العباد. فهذا الضعف الحاصل بالمسلمين ليس من الدين ، وإنما حصل بسبب ما ضيعوه من تعالم الدين. ثم إن الضعف والغربة في الدين لا يلزم أن تدوم ، بل قد تقع ثم تزول ، إذ هي من وصف عارض ، كالأمراض الطبيعية ، وربما صحت الأبدانَ العلل. فقد يعود الإسلام إلى قوته ، ويفيء من غربته ، كما اشتد ضعفه وغربته زمن وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى ارتدت العرب منه ، ولم يبقى مسجد يصلى فيه إلا مسجد مكة ، ومسجد المدينة ، ومسجد عبد القيس بجواثي أي الإحساء. وعلى إثر هذا الضعف ، وهذه الغربة - جاهد الصحابة في الله حق جهاده ، حتى استعادوا قوة الدين ونشاطه. فقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء). رواه مسلم من حديث أبي هريرة ، ورواه الإمام أحمد ، وابن ماجة ، من حديث ابن مسعود. وفيه قالوا: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: (النزاع من القبائل). وفي رواية قال: (الذين يصلحون إذا فسد الناس). وفي رواية قال: (هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي). وقد اتخذ الناس هذا الحديث بمثابة التخدير للهمم ، والتخذيل للأمم ، بحيث يتخذونه بمثابة العُذر لهم عن القيام بما أوجب الله عليهم من الجهاد في سبيله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة لله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم ، حتى كأن الرسول – صلى الله عليه وسلم - بزعمهم قصد بهذا الحديث الاستسلام لهذا الضعف المفاجئ للمسلمين ، ولهذه الغربة في الدين وأن هذه الغربة تقع في مكان دون مكان. وفي زمان دون زمان. وفي قوم دون قوم. فمِثلُ الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الإخبار بها كمِثلِ خريت الأسفار ، يخبر قومه بمفاوز الأخطار ، ومواضع الأخطار ، ليتأهبوا بالحزم ، وفعل أولي العزم من وسائل التعويق ، ويحترسوا بالدفاع لقطاع الطريق ، كما في صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال: (كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر. فنزلنا منزلاً. فمنا من يصلح خِباءه ، ومنا من يصلح جشره ، ومنا من ينتضل. إذ نادى منادي رسول الله: الصلاة جامعة ، قال : فاجتمعنا ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إنه ما من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم عن شر ما يعلمه لهم ، وأن هذه الأمة جعل عافيتها في أولها. وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها. تجيء الفتن يرقق بعضها بعضاً (يعني الآخرة شر من الأولى). فالعاقل لا يستوحش طرق الهدى من قلة السالكين ، ولا يغتر بكثرة الهالكين التاركين للدين. فإن الله – سبحانه وتعالى - يقول: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين). وقد ثبت في الصحيح أنها لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة). وأن الله سبحانه لا يزال يغرس لهذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته. ينفون عن الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين. وأن الله يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها. ومنها ما روى الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله

خير أم آخره). فكل هذه الآثار تدل دلالة واضحة على تقلب الأحوال. وأن الدين محفوظ عن الزوال. لا يزال باقياً دائماً حتى تقوم الساعة ، فمن ظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة ، فقد ظن بالله السوء. ولكن المصارعة لا تزال قائمة بين الحق والباطل ، والعاقبة للمتقين. ولنقرأ: (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض). (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم). ونسأل الله أن يعجّل للإسلام والمسلمين بنصر مبين).هـ. ألا وإن الابتلاء سُنة من سُنن الله الماضية! والأملُ موجود ، ولكن لا بد من العمل! فليكن الأمل والعمل معاً صنوان لا يفترقان. في كتاب المنطلق للأستاذ محمد أحمد الراشد قال: "يقف الداعية يؤذن في الناس ، ولكن أكثر الناس نيام ، ويرى جلد أصحاب الباطل وأهل الريبة وتفانيهم لإمرار خطتهم ، فإذا التفت رأى الأمين المسلم سادراً غافلاً ، إلا الذين رحمهم ربهم ، وقليل ما هم. إن دعوة لا يعطيها أصحابها إلا فضول أوقاتهم دعوة ميتة لا ثمرة فيها ، كما قال الأستاذ الراشد حفظه الله: (والله لا نجاح في الدعوة إن أعطيناها فضول أوقاتنا ولم ننس أنفسنا وطعامنا). وذكر عن الإمام أحمد أنه كان "إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد سأل عنه ، وأحب أن يعرف عن أحواله. ولم يكن بالمنعزل الهارب من الناس ولا يكون داعية اليوم إلا من يفتش عن الناس ويبحث عنهم ويرحل للقائهم ويزورهم في مجالسهم. ومن انتظر مجيء الناس إليه في بيته فإن الأيام تبقيه وحيداً ويتعلم فن التثاؤب. الإسلام اليوم لا يحتاج مزيداً من البحوث في جزيئات الفقه ، بقدر ما يحتاج إلى دعاة يتكاتفون". ويؤكد ذلك ابن الجوزي رحمه الله فيقول: "ألست تبغي القرب منه؟ فاشتغل بدلالة عباده عليه ، فهي حالات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، أما علمتَ أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد ، لعلمهم أن ذلك آثر عند حبيبهم؟ ونظرة في حالنا وواقع الناس من حولنا ، ندرك مدى تقصيرنا في نصرة الحق وجهد غيرنا في نصرة الباطل. ذكر الشيخ عبد الحميد البلالي في كتابه "المصفى من صفات الدعاة: عن الدكتور عبد الودود شلبي قوله: (أذكر أنني ترددت كثيراً على مركز من مراكز إعداد المبشرين في مدريد ، وفي فناء المبنى وضعوا لوحة كبيرة كتبوا عليها: (أيها المبشر الشاب نحن لا نعدك بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش وثير. وإننا نذكرك بأنك لن تجد في عملك التبشيري إلا التعب والمرض. كل ما نقدمه لك هو العلم والخبز والفراش الخشن في كوخ صغير. أجرك كله ستجده عند الله. إذا أدركك الموت وأنت في طريق المسيح كنت من السعداء). قال الشيخ البلالي معلقاً على ما مضى: هذا يقال لمن هم على الباطل ، وليس لعملهم مهما كثر إلا النار. ومع هذا كله فإن هذا الكلام قد حرك المئات من المبشرين من أنحاء العالم من حملة شهادات الطب والصيدلة للذهاب إلى الصحاري القاحلة ، والتي لا توجد فيها إلا الخيام والمستنقعات المليئة بالنتن والميكروبات ، والمكوث هناك السنين الطوال دون راتب ودون منصب ، ولو أراد الواحد منهم العمل بمؤهله لربح مئات الآلاف من الدولارات ، ولكنه ضحّى بكل هذا من أجل الباطل الذي يعتقد صحته. أيجوز بعد هذا أن يتذرع بعض من لم تسر الدعوة في عروقه مسرى الدم وهو متكئ على أريكته بالحديث الضعيف [روحوا القلوب ساعة فساعة]؟ "ضعفه الألباني". (متخذاً من هذا الحديث عذراً له للتخلف عن الركب؟!). والشيخ الدكتور محمد بن إسماعيل المقدم قال في كتابه الرائع "علو الهمة": (حكى لي بعض الشباب المسلمين في (ألمانيا) ، أنه منذ الصباح الباكر ينتشر دعاة فرقة (شهود يهوه) في الشوارع ، وينطلقون إلى البيوت ، ويطرقون الأبواب للدعوة إلى عقيدتهم. وحدثني أحدهم أن فتاة ألمانية منهم ، طرقت بابه في السادسة صباحاً ، فلما علم أن

غرضها دعوته إلى عقيدتها ، بيّن لها أنه مسلم ، وأنه ليس في حاجة إلى أن يستمع منها. فظلت تجادله وتلح عليه ، أن يمنحها ولو دقائق (من أجل المسيح)! فلما رأى إصرارها أوصد الباب في وجهها ، ولكنها أصرت على تبليغ عقيدتها ، ووقفت تخطب أمام الباب المغلق قرابة نصف ساعة تشرح له عقيدتها ، وتغريه باعتناق دينها! ولا بد للأمل لكي يتحقق من إحن ومحن ، وعذابات وبلاءات ، وتمحيص واختبار! والحقيقة أن البلاء بهذا الاعتبار يكون نعمة لا نقمة. لأنه يتحقق الأمل به في نهاية المطاف. وعن نعمة الابتلاء يقول الأستاذ خالد سعود البليــهد ما نصه: (والواجب على العبد حين وقوع البلاء عدة أمور: (1) أن يتيقن أن هذا من عند الله فيسلم الأمر له. (2) أن يلتزم الشرع ولا يخالف أمر الله ، فلا يتسخط ولا يسب الدهر. (3) أن يتعاطى الأسباب النافعة لدفع البلاء. (4) أن يستغفر الله ويتوب إليه مما أحدث من الذنوب. ومما يؤسف له أن بعض المسلمين ممن ضعف إيمانه إذا نزل به البلاء تسخط وسب الدهر ، ولام خالقه في أفعاله ، وغابت عنه حكمة الله في قدره واغتر بحسن فعله ، فوقع في بلاء شر مما نزل به ، وارتكب جرماً عظيماً. وهناك معان ولطائف إذا تأمل فيها العبد هان عليه البلاء وصبر ، وآثر العاقبة الحسنة ، وأبصر الوعد والثواب الجزيل! أولاً: أن يعلم أن هذا البلاء مكتوب عليه ، لا محيد عن وقوعه ، واللائق به أن يتكيف مع هذا الظرف ويتعامل بما يتناسب معه. ثانياً: أن يعلم أن كثيراً من الخلق مبتلىً بنوع من البلاء ، كل بحسبه ولا يكاد يسلم أحد ، فالمصيبة عامة ، ومن نظر في مصيبة غيره هانت عليه مصيبته. ثالثاً: أن يذكر مصاب الأمة الإسلامية العظيم ، بموت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي انقطع به الوحي ، وعمت به الفتنه ، وتفرق بها الأصحاب "كل مصيبة بعدك جللٌ يا رسول الله". رابعاً: أن يعلم ما أعد الله لمن صبر في البلاء أول وهلة من الثواب العظيم ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إنما الصبر عند المصيبة الأولى). " خامساً: أنه ربما ابتلاه الله بهذه المصيبة دفعاً لشر وبلاء أعظم مما ابتلاه به ، فاختار الله له المصيبة الصغرى وهذا معنى لطيف. سادساً: أنه فتح له باب عظيم من أبواب العبادة من الصبر والرجاء ، وانتظار الفرج فكل ذلك عبادة. سابعاً: أنه ربما يكون مقصراً وليس له كبير عمل ، فأراد الله أن يرفع منزلته ويكون هذا العمل من أرجى أعماله في دخول الجنة. ثامناً: قد يكون غافلاً معرضاً عن ذكر الله ، مفرّطاً في جنب الله ، مغتراً بزخرف الدنيا ، فأراد الله قصْره عن ذلك ، وإيقاظه من غفلته ، ورجوعه إلى الرشد. فإذا استشعر العبد هذه المعاني واللطائف ، انقلب البلاء في حقه إلى نعمة ، وفتح له باب المناجاة ولذة العبادة ، وقوة الاتصال بربه والرجاء وحسن الظن بالله وغير ذلك من أعمال القلوب ومقامات العبادة ، ما تعجز العبارة عن وصفه. قال وهب بن منبه – رحمه الله -: لا يكون الرجل فقيهاً كامل الفقه والعلم ، حتى يعد البلاء نعمة ويعد الرخاء مصيبة ، وذلك أن صاحب البلاء ينتظرالرخاء ، وصاحب الرخاء ينتظر البلاء! قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرّضت في الدنيا بالمقارض). رواه الترمذي. هذا ، ومن الأمور التي تخفف البلاء على المبتلى ، وتسكن الحزن وترفع الهم وتربط على القلب: (1) الدعاء: قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: الدعاء سبب يدفع البلاء ، فإذا كان أقوى منه دفعه ، وإذا كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه ، لكن يخففه ويضعفه ، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة. (2) الصلاة: فقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة رواه أحمد. (3) الصدقة" ففي

الأثر: "داووا مرضاكم بالصدقة". (4) تلاوة القرآن: "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين". (5) الدعاء المأثور: "وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون". وما استرجع أحد في مصيبة إلا أخلفه الله خيراً منها).هـ. وَالحقيقة أنه لَمْ يَقْرَأِ التَّارِيخَ أَحَدٌ إِلاَّ عَلِمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ سُقُوطِ الدُّوَلِ عَلَى اخْتِلاَفِ عَقَائِدِهَا وَمِلَلِهَا: التَّفَرُّقَ وَالاخْتِلاَفَ وطول الأمل من دون عمل يفضي إلى تحقيق ذلك الأمل. فَهَا هِيَ الْخِلاَفَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ـ على سبيل المثال ـ سَقَطَتْ بَعْدَ أَنْ تَفَرَّقَتْ دُوَلاً إِسْلاَمِيَّةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَنَشَأَتِ الدَّوْلَةُ البُوَيْهِيَّةُ ، وَالْمَمَالِيكُ ، وَدُوَيْلاَتُ الشَّامِ ، فَلَمَّا زَحَفَ الْمَغُولُ إِلَى بَغْدَادَ ، لَمْ يَقِفْ فِي وَجْهِ زَحْفِهِمْ غَيْرُ أَهْلِ بَغْدَادَ فَقَطْ ، فَأَعْمَلُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ وَالنَّهْبَ وَالتَّشْرِيدَ. وَسَقَطَتِ الدَّوْلَةُ الإِسْلاَمِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتْ دُوَيْلاَتٍ مُتَفَرِّقَةً مُتَنَاحِرَةً ، لاَ هَمَّ لَهُمْ سِوَى التَّنَاحُرِ وَالْمُبَارَزَةِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِ الْخَصْمِ لاَ لِلْحُجَّةِ ؛ بَلْ لِمُجَرَّدِ الرَّفْعِ وَحَسْب ، إِنَّ مَا ظَفَرَ بِهِ أَعْدَاءُ الأُمَّةِ مِنْ سَطْوٍ وَاسْتِيلاَءٍ لاَ يَرْجِعُ إِلَى خَصَائِصِ الْقُوَّةِ فِي أَنْفُسِهِمْ بِقَدْرِ مَا يَعُودُ إِلَى آثَارِ الْوَهْنِ فِي صُفُوفِ أَصْحَابِ الْحَقِّ ، فَالْفُرْقَةُ تَجْعَلُ هَلاَكَ الأُمَّةِ بِيَدِ أَبْنَائِهَا ؛ فِي حَرْبٍ بِلاَ مَعْرَكَةٍ ، وَنَصْرٍ بِلاَ مُقَارَعَةِ عَدُوٍّ. وَلِذَا ؛ كَانَ الْوَاجِبُ مَعْرِفَةَ أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِن وُقُوعِ الْخِلاَفِ ، وَلاَ مَفَرَّ مِنْ تَبَايُنِ الآرَاءِ ، وَلَكِنَّ الَّذِي لاَ يَجُوزُ هُوَ اسْتِبَاحَةُ الأَعْرَاضِ! وَالنُّفْرَةُ الَّتِي تَقَعُ بَيْنَ الْمُتَخَالِفِينَ ، فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ وَلاَ مِنَ الأُخُوَّةِ الإِيْمَانِيَّةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الشَّعْبِ الْوَاحِدِ ، أَنْ يَكُونَ مُجَرَّدُ الْخِلاَفِ سَبَبًا لِلْقَذْفِ وَالتَّحْرِيضِ وَالْعُنْفِ ، بَلِ الْوَاجِبُ: إِسْدَاءُ النُّصْحِ لِكُلِّ أَحَدٍ ؛ مَهْمَا كَانَ انْتِمَاؤُهُ أَوْ فِكْرُهُ أَوْ مَنْهَجُهُ. فَإِذَا فَعَلَ الْعُلَمَاءُ وَالدُّعَاةُ وَحَمَلَةُ الأَقْلاَمِ ذَلِكَ فَقَدَ قَامُوا بِوَاجِبِ النَّصِيحَةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْهِمْ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم -: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]. ومن هذا المنطلق أنشدت من شعري قصيدة: (الأمل الفوّاح) لأقول للدنيا بأن الأمة المؤمنة قد تمرض ، ويصيبها من البلاء ما يصيبها ، ولكنها لا ولن تموت أبداً! ولذا جعلتُ العنوان ذاته: (الأمل الفواح) عنواناً للقصيدة وللديوان معاً! حتى إذا ما قرأه القارئون التمسوا الآمال مصحوبة بالبلاءات والمحن! فلا يحق لهم أن يعيشوا مع الآمال وحدها ، ولا مع البلاءات وحدها ، بل ليعيشوا مع الآمال والبلاءات! وذلك حتى يحملوا هم الأمة وأملها!)

بـــــدين الإلـــــهِ ســـــنغزو الأمـــــمْ ... وســـــوف تُبـــــادُ جميـــــع الظلَـــــمْ

ويعلـــو زئيـــرُ الهُـــدى فـــي الـــورى ... ويـــدخل ســـمعاً بـــراه الصـــمم

وترقـــــى الحنيفـــــه فـــــوق الـــــدنا ... وتحكـــــم بالعـــــدل كـــــل الأمـــــم

ويســـــعى الجميـــــع إلـــــى غايـــــةٍ ... موحـــــدةٍ: عرَبـــــاً والعَجَـــــم

عبـــــادة رافـــــع هـــــذي الســـــما ... وخـــــالق كـــــل الـــــورى مِـــــن عَـــــدم

وإنـــــا نصـــــول علـــــى المعتـــــدي ... ونهـــــزمُ مَـــــن يســـــتبيح القـــــيم

وفـــي كـــل صُـــقع لنـــا صـــولة ... وإنـــا نثـــور كمثـــل الحُمَـــم

صـــبرنا – كثيـــراً – علـــى مَـــن طغـــى ... وفاضـــت هنـــا فـــي الـــدروب الـــنقم

وطـــال العـــذاب علـــى المشـــتكي ... وقطـــعَ - فـــي الـــروح - وخـــزُ الألـــم

وماضـــي الحنيفـــة منـــا اشـــتكى ... وجُـــرحُ الصـــحابة لـــم يلتـــئم

لنـــا فـــي المعـــامع أنشـــودة ... ومنـــا جهابـــذة كـــالقِمم

ومنـــا (علـــيٌ) ومنـــا (البـــرا) ... وصـــرحُ الحنيفـــة لا ينهـــدم

ومـــا دام فينـــا كمثـــل (العَـــلا) ... ومنـــا الكـــريمُ رفيـــعُ الشـــيَم

نغـــار ، ولســـنا نخـــاف الأذى ... ونحـــن الأوابـــد بـــين الغـــنم

ونحـــن الأســـود ، لنـــا هيبـــة ... ولســـنا ذبابـــاً ، يُحـــب الـــرمم

لنـــا فـــي حيـــاة الـــورى غايـــة ... وإنـــا علـــى الخيـــر كـــلّ قـــدَم

إذا مـــا ذللنـــا فـــلا نرعـــوي ... لخطـــب يُعرقلنـــا مُـــذْلهِم

وإنـــا لهـــذي الـــدنا للمُنـــى ... وهيهـــاتَ للأسْـــد أن تنهـــزم

أســـودُ العقيـــدة نـــورٌ بـــدا ... وغـــرّد فـــي الكـــون فـــوحُ الـــنغم

وإنـــي أصـــوغ جراحاتنـــا ... قريضـــاً رقيقـــاً بهـــا يبتســـم

وإمـــا نظـــرتُ إلـــى حالنـــا ... يصـــوغ المعانـــاه منـــي القلـــم

وأبـــذر - فـــي الشـــعر - آهاتنـــا ... وعطـــر الشـــجى ، والوفـــا يَضـــطرم

وألقـــى مُقابـــلَ شِـــعري اللظـــى ... غزيـــراً ، ومِـــن بســـمتي ينـــتقم

نشرت هذه القصيدة فى جريدة الوحدة العربية
بتاريخ : 3 من أبريل لسنه 1996م

نهاية الظلم الضياع

(ظلم الناسَ هذا المجرمُ ، فاحتال وراوغ ، وزوّر وحرّف ، وأكل الحقوق ونهب ، واستمر على ذلك ردحاً من الزمان ، لا يرعوي لنصيحة ، ولا ينصاع لموعظة ، ولا يستجيب لمؤاخذة ، ولم يعتبر بشيب غزا مَفرقه ، ولم تدمع عيناه لجنازةٍ شيّعها إلى مثواها الأول بعد الموت: (قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: القبر أول منزل من منازل الآخرة) ، بل استمر في محاربته لدعوة الحق وأولياء الاستقامة في الأرض ، ظاناً أنه بمنأى عن انتقام الله ، فكانت نهاية ظلمه الضياع ، فضاع وخاب. وفي تعليقه على الآية: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) ، يقول صاحب الظلال ما نصه: (إن الواقع المقرر الذي تجري به السنة ، ويقتضيه الناموس هو غلبة الحق وزهوق الباطل ، والتعبير يرسم هذه السنة في صورة حسية حية متحركة ، فكأنما الحق قذيفة في يد القدرة ، تقذف به على الباطل ، فيشق دماغه ، فإذا هو زاهق هالك ذاهب ، هذه هي السنة المقررة. فالحق أصيل في طبيعة الكون ، عميق في تكوين الوجود ، والباطل منفي عن خلقة هذا الكون أصلاً ، طاريء لا أصالة فيه ، ولا سلطان له ، يطارده الله ويقذف عليه بالحق فيدمغه ، ولا بقاء لشيء يطارده الله ، ولا حياة لشيء تقذفه يد الله فتدمغه. ولقد يخيّل للناس أحياناً أن واقع الحياة يُخالف هذه الحقيقة ، التي يقررها العليم الخبير ، وذلك في الفترات التي يبدو فيها الباطل منتفشاً ، كأنه غالب ويبدو فيها الحق منزوياً كأنه مغلوب ، وإنْ هي إلا فترة من الزمان يمد الله فيها ما يشاء للفتنة والابتلاء ، ثم تجري السنة الأزلية الباقية التي قام عليها بناء السماء والأرض وقامت عليها العقائد والدعوات سواء بسواء ، والمؤمنون بالله لا يخالجهم الشك في صدق وعده ، وفي أصالة الحق في بناء الوجود ونظامه ، وفي نصرة الحق الذي يقذف به على الباطل فيدمغه ، فإذا ابتلاهم الله بغلبة الباطل حينا من الدهر ، عرفوا أنها الفتنة ، وأدركوا أنه الابتلاء ، وأحسوا أن ربهم يربيهم ، لأن فيهم ضعفاً أو نقصاً ، وهو يريد أن يعدهم لاستقبال الحق المنتصر ، وأن يجعلهم ستار القدرة ، فيدعهم يجتازون فترة البلاء ، يستكملون فيها النقص ، ويعالجون فيها الضعف ، وكلما سارعوا إلى العلاج قصر الله عليهم فترة الابتلاء ، وحقق على أيديهم ما يشاء. أما العاقبة فهي مقررة ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، والله يفعل ما يريد).هـ.
وفي تعليقه على الآية: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً) ، يقول صاحب الظلال ما نصه: (وقد علمتهم التجارب والابتلاءات ، كيف يسيرون بدعوتهم بين الأشواك والصخور ، وقد حفزت الشدائد والمخاوف كل طاقاتهم ومقدراتهم ، فنما رصيدهم من القوة وذخيرتهم من المعرفة ، فيكون هذا كله رصيداً للدعوة التي يحملون رايتها على السراء والضراء ، والذي يقع غالباً أن كثرة الناس تقف متفرجة على الصراع بين المجرمين وأصحاب الدعوات ، حتى إذا تضخم رصيد التضحيات والآلام في صف أصحاب الدعوات وهم ثابتون على دعوتهم ماضون في طريقهم قالت الكثرة المتفرجة أو شعرت أنه لا يمسك أصحاب الدعوة على دعوتهم على الرغم من التضحيات والآلام إلا أن في هذه الدعوة ما هو أغلى مما يضحون به وأثمن وعندئذ تتقدم الكثرة المتفرجة لترى ما هو هذا العنصر الغالي الثمين الذي يرجح كل أعراض الحياة ويرجح الحياة ذاتها عند أصحاب الدعوة ، وعندئذ يدخل المتفرجون أفواجاً في هذه العقيدة بعد طول التفرج بالصراع. من أجل هذا كله جعل الله لكل نبي عدواً من المجرمين ، وجعل

المجرمين يقفون في وجه دعوة الحق. وحملة الدعوة يكافحون المجرمين ، فيصيبهم ما يصيبهم وهم ماضون في الطريق ، والنهاية مقدرة من قبل ومعروفة ، لا يخطئها الواثقون بالله ، إنها الهداية إلى الحق والانتهاء إلى النصر ، وكفى بربك هادياً ونصيراً ، وبروز المجرمين في طريق الأنبياء أمر طبيعي ، فدعوة الحق إنما تجيء في أوانها لعلاج فساد واقع في الجماعة أو في البشرية ، فساد في القلوب ، وفساد في النظم ، وفساد في الأوضاع ، ووراء هذا الفساد يكمن المجرمون ، الذين ينشئون الفساد من ناحية ويستغلونه من ناحية ، والذين تتفق مشاربهم مع هذا الفساد ، وتتنفس شهواتهم في جوه الوبيء ، والذين يجدون فيه سندا للقيم الزائفة التي يستندون هم في وجودهم إليها. فطبيعي إذن أن يبرزوا للأنبياء وللدعوات دفاعاً عن وجودهم واستبقاء للجو الذي يملكون أن يتنفسوا فيه. وبعض الحشرات يختنق برائحة الأزهار العبقة ، ولا يستطيع الحياة إلا في المقاذر. وبعض الديدان يموت في الماء الطاهر الجاري ، ولا يستطيع الحياة إلا في المستنقع الآسن. وكذلك المجرمون ، فطبيعي إذن أن يكونوا أعداء لدعوة الحق ، يستميتون في كفاحها ، وطبيعي أن تنتصر دعوة الحق في النهاية ، لأنها تسير مع خط الحياة ، وتتجه إلى الأفق الكريم الوضيء ، الذي تتصل فيه بالله ، والذي تبلغ عنده الكمال المقدر لها كما أراد الله ، وكفى بربك هادياً ونصيراً. ثم يمضي في استعراض مقولات المجرمين الذين يقفون في وجه دعوة القرآن والرد عليها. وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً. ولقد جاء هذا القرآن ليُربي أمة ، وينشئ مجتمعاً ، ويقيم نظاماً ، والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثر وانفعال بالكلمة ، وإلى حركة تترجم التأثر والانفعال إلى واقع ، والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة ، بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج الجديد! إنما تتأثر يوماً بعد يوم بطرف من هذا المنهج ، وتتدرج في مراقيه رويداً رويداً ، وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً ، فلا تجفل منه كما تجفل لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً ، وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية ، فتصبح في اليوم التالي أكثر استعداداً للانتفاع بالوجبة التالية وأشد قابلية لها والتذاذاً بها! ولقد جاء القرآن بمنهاج كامل شامل للحياة كلها ، وجاء في الوقت ذاته بمنهاج للتربية يوافق الفطرة البشرية ، عن علم بها من خالقها ، فجاء لذلك منجماً وفق الحاجات الحية للجماعة المسلمة وهي في طريق نشأتها ونموها ، ووفق استعدادها الذي ينمو يوماً بعد يوم في ظل المنهج التربوي الإلهي الدقيق).هـ. قال العلامة القرطبي في تعليقه على آية العنكبوت: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟) ما نصه: (قال ابن عباس وغيره: يريد بالناس قوماً من المؤمنين كانوا بمكة ، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام ؛ كسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وياسر أبوه وسمية أمه وعدة من بني مخزوم وغيرهم ، فكانت صدورهم تضيق لذلك ، وربما استنكر أن يمكن الله الكفار من المؤمنين ؛ قال مجاهد وغيره: فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة أن هذه هي سيرة الله في عباده اختباراً للمؤمنين وفتنة قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب أو ما في معناه من الأقوال فهي باقية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم موجود حكمها بقية الدهر. وذلك أن الفتنة من الله تعالى باقية في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك. وإذا اعتبر أيضاً كل موضع ففيه ذلك بالأمراض وأنواع المحن ولكن التي تشبه نازلة المسلمين مع قريش هي ما ذكرناه من أمر العدو في كل ثغر ، قلت: ما أحسن ما قال ولقد صدق فيما قال رضي الله عنه وقال مقاتل: نزلت في مهجع مولى عمر

بن الخطاب كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر ؛ رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ: (سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة). فجزع عليه أبواه وامرأته فنزلت: "ألم أحسب الناس أن يتركوا". وقال الشعبي: نزل مفتتح هذه السورة في أناس كانوا بمكة من المسلمين ، فكتب إليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية أنه لا يقبل منكم إقرار الإسلام حتى تهاجروا فخرجوا فأتبعهم المشركون فآذوهم فنزلت فيهم هذه الآية: "ألم أحسب الناس أن يتركوا". فكتبوا إليهم نزلت فيكم آية كذا فقالوا: نخرج وإن اتبعنا أحد قاتلناه ؛ فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فنزل فيهم: "ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا" "وهم لا يفتنون" يمتحنون ؛ أي أظن الذين جزعوا من أذى المشركين أن يُقنع منهم أن يقولوا إنا مؤمنون ولا يمتحنون في إيمانهم وأنفسهم وأموالهم بما يتبين به حقيقة إيمانهم).هـ. والأصل أن يحذر الإنسان من ظلمه للآخرين! لأن الله نصيرهم مذ أصبحوا مظلومين لا نصير لهم إلا هو سبحانه. وإنما يغتر الظالم بحلم الله عليه ، وبالإمهال الذي يمنحه إياه ، وبالإملاء الذي يهبه إياه ، لعله يرجع عن الظلم ويتوب من قريب ، ويعدل فيرد المظالم إلى أصحابها! ولكن تأتيه لحظة حاسمة ، لا يفلت فيها من عقاب الله. نسأل الله أن يعجل لنا بالنقمة من المجرمين الذين ظلمونا! وأن يسلط على الظالمين في الأرض كلها بأسه!)

يـــــا ظـــــالم ذاتـــــكَ مُختلـــــة ... وســـــبيلك أمســـــتْ مُعتلـــــةْ

ونهايـــــة ظلمـــــك مَضـــــيَعَة ... وتكـــــون لمَـــــن ظلمـــــوا مُثلـــــة

هـــــل غصـــــبُك للحـــــق ذكـــــاءٌ؟ ... هـــــلا أبـــــديت لنـــــا العلـــــة؟

هـــــل عـــــدلٌ مـــــا تنهـــــب قســـــراً؟ ... أأقمـــــت علـــــى ذاك أدلـــــة؟

مـــــا زلـــــت علـــــى درب الصـــــرعى ... وأراك اســـــتخففت الثقلـــــة

فســـــفكتَ بظلمـــــك دم هـــــذا ... وهتكـــــت الشِـــــرعة والقِبلـــــة

وقـــــذفتَ بعمـــــدٍ مؤمنـــــة ... غافلـــــة تتّبـــــع المِلـــــة

وضـــــربتَ بريئـــــاً لـــــم يُـــــذنبْ ... وأســـــأتَ اللفظـــــة والفِعلـــــة

وشـــــتمتَ بـــــلا ســـــبب خلقـــــاً ... والشـــــتمة كانـــــت كالقِتلـــــة

وســـــببتَ ، ولـــــم تـــــكُ معتـــــدلاً ... ولـــــديك البـــــاقي والفضـــــلة

ولعنـــــتَ بـــــلا حـــــق أممـــــاً ... واللعنـــــة أقـــــبحُ مِـــــن رَكْلـــــة

وظلمـــــتَ ، وظلمُـــــك منتصـــــبٌ والنـــــاجي مِـــــن ظلمـــــكَ قِلـــــة

وبطشـــــتَ ، وللـــــبطش ضـــــحايا والـــــبطشُ مِـــــزاجٌ وجِبِلـــــة

وســـــلبتَ حقوقـــــاً مـــــا ســـــلمتْ منـــــك ، لـــــذا باتـــــت مُحتلـــــة

وظلمـــــتَ بـــــلاداً وزروعـــــاً فقطعـــــتَ الســـــدرة والنخلـــــة

وأتيـــــتَ المنكـــــر ، لـــــم تخجـــــلْ والمنكـــــرُ - فـــــي الجهـــــر - مَذلـــــة

وأويـــــتَ إليـــــكَ مَـــــن انحرفـــــوا ولأنـــــتم صِـــــنوان لعُملـــــة

وطغيـــــتم بالســـــوء علينـــــا وغـــــدوتم فـــــي القريـــــة شـــــلة

وحملـــــتم حَملـــــة مُنـــــتقم والـــــرب انـــــتقم مِـــــن الحَملـــــة

فأتـــــاكم مِـــــن قـــــدر المَـــــوْلى مـــــا لـــــم يجعلكُـــــم بمَحِلـــــة

شـــــرّدَكم فـــــي الأرض خزايـــــا مِـــــن بعـــــد الإمـــــلا والمُهلـــــة

ســـــيرتكم بـــــالجور التصـــــقتْ بـــــين الأخـــــلاط المُنحلـــــة

كـــــم بكـــــمُ الـــــدار قـــــد انحـــــدرتْ ونمـــــتْ فيهـــــا أشـــــقى نِحلـــــة!

فكفـــــاكم ظلمـــــاً وضـــــياعاً هيـــــا اصـــــطحبوا أتقـــــى ثلـــــة

ترشـــــدُكم للحـــــق الأســـــنى والعـــــودة – إن شـــــئتم – سَـــــهلة

لتفـــــوزوا بـــــالخير عميمـــــاً ولكـــــيلا تحيَـــــوْا فـــــي عُزلـــــة

ولتتبعـــــوا نهـــــجَ التقـــــوى ويكـــــون الحـــــق لكـــــم شـــــعلة

ولتنتقمـــــوا مِـــــن خيبـــــتكم أنعـــــم بالمَعشـــــر والنقلـــــة!

ولتنتبهـــــوا مِـــــن كبـــــوتكم وتفيقـــــوا مِـــــن تلـــــك الغفـــــوة

وتعيـــــدوا حقـــــاً مغتصـــــباً وفقـــــاً للشـــــرعة والنحلـــــة

وعســـــى ربـــــي أن يقـــــبلكم فـــــي أهـــــل التقـــــوى والقبلـــــة

تحية للشاعر أحمد محرم

(أحيي الشاعر / أحمد محرم على شعره القِيَمي ، وأخصّ الإلياذة الإسلامية ، التي تفوق إلياذة هوميروس وشاهانمة الفردوسي. وكم في ديوام (محرم) من دُرر ولئالئ لمن يطالع ويقرأ!)

قريضُـــك حـــاز مجـــداً يـــا مُحـــرّمْ ... بثغـــر بالـــذي حـــاز تبســـمْ

قصـــائدُ مِـــن شـــعاع الشـــمس أصـــفى ... وأنصـــعُ مِـــن ســـنا البـــدر وأعظـــم

يـــراعٌ لـــم تكـــن (ليلـــى) مُنـــاه ... وفـــي أهـــدابها لـــم يتهـــيم

ولـــم يشـــغله قشـــرٌ عـــن لبـــابٍ ... ولكـــنْ ذروةَ الفقـــه تســـنم

ولـــم يقصـــدْ بصـــوغ الشـــعر دنيـــا ... فمَـــن يعمـــلْ لـــدنياهُ ســـيندم

وكـــان لصـــخرة الشـــعر أداة ... لنصـــر الـــدين ، هـــذا خيـــر مَغـــنم

فكـــم مِـــن شـــاعرٍ حبَـــكَ القـــوافي ... ليُـــوهِن حُرمـــة الأمـــر المُحـــرم!

ويرفـــعَ شـــأن أربـــاب الخطايـــا ... ويَخفـــض شـــأن مَـــن لله أســـلم

و(أحمـــدُ) قـــد ترفـــع عـــن أراضٍ ... وديـــن الله عمـــا شـــان يَعصـــم

مَـــدحتك ، أنـــت أهـــلٌ لامتـــداحي ... وشِـــعرك سَـــيّدي أحلـــى وأكـــرم

ولســـتُ – علـــى ربـــي - أحـــداً أزكـــي ... وأحســـبكَ المُبجّـــل والمُعظـــم

وشـــعرك بـــين كـــل النـــاس حـــيٌّ ... وإن تـــكُ مُـــت فـــالأمرُ مُســـلم

قـــريضٌ فـــي الذوابـــة مِـــن تـــراثٍ ... بَنوهـــا مِـــن حُمـــاة الله أعلـــم

وإعجـــابي بـــه مـــذ كنـــتُ طفـــلاً ... وإن صـــرتُ الـــذي عليـــه يَحكـــم

ليرحمْـــكَ الـــرحيمُ بكـــل بيـــتٍ ... نصـــرتَ الحـــق ، لـــم تكتـــبْ لتغـــنم

الجمال الرخيص

(إن كثيراً من الناس لا يُمَثل العِرض عندهم أي شئ على الإطلاق. وذلك بعد أن طغى سلطان المال على سلطان الأعراض. وعند الكثيرين يُضحى بالعِرض في سبيل المال. ومن هنا أكتب (الجمال الرخيص) لهذا الصنف من الناس. والمرأة تريد الرجل ، والرجل يريد المرأة. ولذا وضعت الشريعه العواصم والقيود لضبط العلاقه بينهما. ومنذ طبق الناس الشرع في الأرض ضبطت هذه العلاقة ضبطاً عظيماً. وتفيأ المجتمع ظلال الإسلام الوارفة الجميلة. ومن يوم أن عبثت الأصابع الماسونية الملعونة وأعوانها وأذنابها الرطبة في ضبط هذه العلاقة ، عاشت البشرية الشقاء المرير الذي نرى ونحس ونلمس. إن كل جمال لا يُغلف ولا يُحجب ولا يُغطى ، فإنه لا محالة عرضة للحشرات والعيون المسعورة والقلوب المحترقة بنيران الشهوات ، والعقول التي عبثت بها أصابع شياطين الإنس وكذا شياطين الجن إلى أن أصبحت الكلأ المباح الزلال لها ، ومن هنا تبرز لنا أهمية الحشمة والحجاب والعفاف والوقار. ومن هذا المنطلق رحتُ أخاطب إحدى بنيات حواء من الضحايا والسبايا ، وأقرّع الآباء الذين رضُوا بأن يكونوا مع الخوالف فطبع على قلوبهم ، فهم في ريبهم يترددون. فارتضوا لأنفسهم أن يكونوا ديوثين على أعراض نسائهم! وذلك بعد أن تبرجت نساؤهم أشد وأنكى من تبرج الجاهلية الأولى! يقول العلامة ابن كثير في تفسيرة الآية: (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) ما نصه: (قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال ، فذلك تبرج الجاهلية. وقال قتادة: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}: إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج ، فنهى الله تعالى عن ذلك ، وقال مقاتل بن حيان: والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده ، فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدو ذلك كله منها ، وذلك التبرج ، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج. وقال ابن جرير: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} كانت فيما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحاً ، وفي النساء دمامة. وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة ، وإن إبليس لعنه الله أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام ، فآجر نفسه منه فكان يخدمه ، فاتخذ إبليس شيئاً من مثل الذي يرمز فيه الرعاء ، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حوله فانتابوهم يسمعون إليه ، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة ، فيتبرج النساء للرجال ، قال ويتزين الرجال لهن ، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك ، فرأى النساء وصباحتهن ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا إليهن فنزلوا معهن ، وظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قول الله تعالى: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}.)هـ. ويخاطب الأستاذ سالم العجمي الأخت المؤمنة ناصحاً إياها بالحجاب والحشمة فيقول ما نصه: (اعلمي أنك حين تلبسين الحجاب الشرعي فإنك تلبسينه طاعة لربك ، وحري بك وهذا حالك أن ترفعي به رأساً ، وتبتهجي به أُنساً. أليس غريباً أن تفخر المتبرجة بتبرجها ، ولا تفخري أنت بحجابك؟ واحذري أن تلفك الموجة كما دارت بغيرك ، فجعلت مشرقه مغرباً وجنوبه شمالاً. احذري (التبرج المعلب) الذي لم يأخذ من الستر إلا اسمه ، ولم يبق معه من الحجاب إلا رسمه. لقد دخل علينا أعداؤنا مدخل السوء ؛ وبدءوا يدخلون التبرج والإسفاف على ملابس نساء المسلمين ، دون تنبه منا ؛ ولو قالوا للمسلمة المحافظة: اخلعي حجابك الشرعي

لأبت وصرخت ؛ فدخلوا عليها بحيل دنيئة ، وصرنا نرى القطعة الدائرة حول الرأس المسماة بالحجاب وقد تزينت بأنواع الزينة والألوان الصارخة. واعلمي أنني أعني بالحجاب ؛ الحجاب الشرعي الساتر لجميع البدن. فازدادي تمسكاً به ، فهو الثروة المربحة في زمن الإفلاس).هـ. لقد حَرَمَ الجاهليُّون المرأة حقَّها في الحياة ، فقتلوها وذلك بوأدِ البنت ، وهي: أن تُدفَن حيَّة في التراب حتى تموت ، قال الزمخشريُّ ـ عفا الله عنه ـ: "كان الرجل إذا ولدتْ له بنت ، فأراد أن يستحييها ألبسَها جبَّة من صوف ، أو شَعر ، ترعى له الإبل والغَنم في البادية ، وإنْ أراد قتْلَها تركها ، حتى إذا كانتْ سداسية ، قال لأمِّها: طيِّبيها وزيِّنيها ، حتى أذهب بها إلى أحمائِها ، وقد حفَر لها بئرًا في الصحراء ، فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها ، ثم يدفعها مِن خلْفها ، ويهيل عليها التراب حتى تستويَ البِئر بالأرْض. وقيل: كانت الحاملُ إذا أقربت ، حفرتْ حفرة فتمخَّضت على رأس الحُفْرة ، فإذا ولدتْ بنتًا رمتْ بها في الحفرة ، وإنْ ولدت ابنًا حبستْه". إن نظرة لحال المرأة في الجاهلية الأولى لكافية أن تدرك المرأة المعاصرة مدى النقلة البعيدة التي انتقلتها المرأة بالإسلام! يقول الله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُون). وعن ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "كان الرجلُ إذا مات أبوه أو حَمُوه فهو أحقُّ بامرأته ، إنْ شاء أمسكها ، أو يحبسها حتى تفتدي بصَداقها ، أو تموت فيذهب بمالِها". وكانتِ المرأة في الجاهلية تُمسَك ضِرارًا للاعتداء ، وتُلاقِي من بعْلها نشوزًا أو إعراضًا ، وتُترك أحيانًا كالمعلَّقة. وكان أحدُهم إذا أراد نجابةَ الولد حمَل امرأته ـ بعد طُهْرها من الحيْض ـ إلى الرجل النجيب كالشاعِر والفارس ، وترَكها عندَه حتى يَسْتَبِينَ حملُها منه ، ثم عاد بها إلى بيتِه ، وقد حملتْ بنجيب! كانتِ المرأة في الجاهلية لم يكن لها حقُّ الإرْث ، وكانوا يقولون في ذلك: "لا يَرثُنا إلا من يحمل السيفَ ويَحْمي البيضة" ، فإذا مات الرجلُ ورِثَه ابنُه ، فإن لم يكن ، فأقرب مَن وُجِد مِن أوليائه أبًا كان أو أخًا أو عمًّا ، على حين يضمُّ بناتِه ونساءه إلى بناتِ الوارث ونِسائِه ، فيكون لهنَّ ما لهنَّ ، وعليهنَّ ما عليهنَّ. وكانوا إذا مات الرجل وله زوجةٌ وأوْلاد مِن غيرها ، كان الولد الأكبر أحقَّ بزوجة أبيه من غيرِه ، فهو يعتبرها إرثًا ، كبقيَّة أموالِ أبيه ، فإنْ أراد أن يعلن عن رغبتِه في الزواج منها طرَح عليها ثوبًا وإلاَّ تزوجت غيره. ومن هنا أنشدت لهذه المتبرجة!)

النـــــــارُ فوقـــــــك مُضـــــــرَمة ... والحـــــــربُ حولـــــــك مُجرمَـــــــة

أوَمـــــا شـــــعرتِ بمـــــا جـــــرى؟ ... مَـــــن ذا يـــــرد المَظلمـــــة؟

وجمالـــــك الغـــــض اكتـــــوى ... بلظـــــى العيـــــون المُغرمـــــة

ونثـــــرتِ حُســـــنكِ فـــــي الـــــورى ... وكأننـــــا فـــــي مَلحمـــــة

وخرجـــــتِ عـــــن كـــــل الحيـــــا ... وفجـــــرتِ بلـــــوي العَولمـــــة

لـــــو طبّـــــق الفرقـــــانُ مـــــا ... قامـــــــت لمثلـــــكِ حَمحَمـــــــة

لكنمـــــــا عُبـــــــدَ الهـــــــوى ... والـــــــــدعرُ أول سُـــــــــلمة

رخـــــصَ الجمـــــالُ ، فهـــــدئي ... مِـــــن روع حيـــــرى مُعدِمـــــة

والـــــنفسُ مَلّـــــت مـــــا تـــــرى ... مِـــــن موبقـــــاتٍ مُؤدمـــــة

مِـــــن كـــــل ســـــاقطة الـــــردا! ... والوجـــــهُ مثـــــل الحَوجَمـــــة

مِـــــن كـــــل فاقـــــدة الحيـــــا ... فـــــي الترّهـــــات المُظلمـــــة

يـــــا فتنـــــة تئـــــد الحِمـــــى ... كُفـــــي الـــــدعاوى المُبهمـــــة

حـــــواءُ منـــــكِ بريئـــــة ... وكـــــذاك طهـــــرُ المُســـــلمة

حـــــواءُ طهْـــــرٌ قلبهـــــا ... ونقـــــاءُ عِفتهـــــا سِـــــمة

ليســـــت تبيـــــعُ عفافهـــــا ... هـــــي حُـــــرّة ، ليســـــت أمـــــة

والعِـــــرض غـــــال ، والهُـــــدى ... والحـــــالُ هـــــذي مُؤلمـــــة

إبلـــــيسُ أوقـــــد نارهـــــا ... حتـــــى غـــــدتْ متفحمـــــة

وأمـــــام كـــــل وضـــــيعةٍ ... دنيـــــا تعربـــــد مُحجمـــــة

مُتيســـــرٌ كـــــل الهـــــوى ... ودروبُـــــه مُتنغمـــــة

مـــــا بـــــين مقـــــروءٍ ومســـــ ... ـــــموع تـــــدور الخندمـــــة

وهنـــــاك مرئـــــيٌ بأبـــــ ... ـــــشع صـــــورةٍ متلئمـــــة

رخـــــص الجمـــــالُ حقيقـــــة ... فـــــيم اصـــــطناع الهيمنـــــة؟

وغـــــدا التبـــــرج مهنـــــة ... ولـــــه فنـــــونٌ مُعتمـــــة

والشـــــهمُ مَـــــن لفـــــظ الخنـــــا ... وأبـــــاد نـــــاراً مُضـــــرمة

نشرت في جريدة الوحدة العربية. بتاريخ: 31 من مارس لسنة 1996م

بين الأمس واليوم

(ما أجمل أن يربط الانسان بين أمسه ويومه وغده! إنها رسالة شعرية كتبتها على لسان فتىً عانى كثيراً مع عائلته ، وأثر في نفسي جداً مواقف والده معه وطعناته المتلاحقه له ولمشاعره. وأوصيت ذلك الفتى أن يصبر ، فلربما انقلب الحال ، وراجع والده حساباته ، وأدرك أنه جار على ولده هذا. وطلبت من ذلك الفتى أن يُحيطني علماً بالجانب الأكبر من سجل حياته ، وأن يطلعني على القسط الذي يؤهلني لأن أكتب عنه وعن تجربته المريرة تلك. فلعلها تكون قصيدة ذات جانب وعظي أكثر منها ذات جانب نقدي. فكان يحكى حياته لي بكل حزن وأسىً. وما تأثرت بحكاية في حياتي مثلما تأثرتُ بهذة الحكاية المرة العاتية. وإنني إذ أسطر حكاية ذلك الفتى مع أبيه فأنا أنصح لنفسي كأب ، وأنصح لكل والد يُدرك من حقيقة الوالدية ما ينبغي أن يدركه الأب: أن يُعين ولده أو ابنته على برّه ، بدلاً من أن يعينه أو يعينها على عقوقه. وفي البحث المعنون له بـ (ملامح شخصية الأب في القرآن الكريم ، للدكتور رشاد أبو لاشين) جاء فيها: (لنتجول في أعظم كتاب ولننهل من أعظم منهج لنتعرف على أدوار الأب الناجح: التخطيط لمستقبل الأبناء: الأب الناجح يحرص على التخطيط لأبنائه بمستهدفات عالية طموحة تصل إلى تحقيق الريادة والقيادة ويحرص كذلك على نجاح التخطيط: فالأب الناجح يسعى دوماً لنجاح رسالة التربية وتحقق أهدافها في أبنائه فتقر عينه ويحرص على أن تصل التربية إلى مبتغاها وهو الطموح الراقي وهو الريادة والقيادة ؛ وهذا ما ذكره الله تعالى في صفات عباد الرحمن: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا). والإنسان يصبح قرير العين مسرور النفس هنيء البال ، حينما يرى ما خططه لأبنائه قد تحقق في أرض الواقع (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) ، والمستهدف هنا طموح وعالٍ ليس مجرد قيادة لأي مجموعة من الناس بل القيادة لأعلى فئات الناس: المتقين: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا). وإبراهيم عليه السلام بروح الأب الذي يحب الخير لذريته يطلب لهم الإمامة حينما أكرمه الله تعالى بها: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً. قَالَ: وَمِن ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ: لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). وهنا نتعلم درسًا تربويًّا مهمًّا ، عندما يخبر الله تعالى سيدنا إبراهيم ويعلمه أن الإمامة تحتاج إعدادًا تربويًّا عاليًّا وتربية الفرد على العدل وتحقيقه بين الناس ، ولا تمنح للظالم منهم وكم من أسرة ربت أبناءها على الظلم بسوء التربية وعدم العدل بين الأبناء فتكون النتيجة الحرمان من الإمامة ؛ لذا وجب حسن التخطيط وبذل الجهد وحسن الإعداد والمتابعة حتى تؤتي التربية أكلها وتحقق أهدافها بتربية جيل من الرواد والقادة الذين تقربهم عيون الآباء وتشمخ بهم خير أمة أخرجت للناس. والمربي الواعي يسعى لحماية ذريته من الشيطان الرجيم الذي يسعى لاحتناك الذرية والسيطرة عليها إلا القليل المحصن: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً). والله تعالى يعلمنا تحصين أبنائنا من سلوك الأم الرائعة التي تحصن أبناءها وذريتها من الشيطان الرجيم: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ). والأب الناجح منشغل بإصلاح الذرية على الدوام. ولأن الإنسان بطبيعته خطاء ويبتلى برغبات النفس الأمارة بالسوء ووسوسة الشيطان الرجيم وتأثير قرناء السوء فيعتريه الخلل والمعصية

والانحراف ؛ لذا وجب دوام إصلاحه من المربي الواعي ببذل الجهد التربوي وبالاستعانة بالله تعالى. يقول الله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ). والمربي الواعي يجب أن يكون واقعيًّا ولا يتوقع أنه يربي جيلاً من الملائكة الأطهار الأبرياء ، ولكن خلال مشوار التربية سيجد الخلل الذي يحتاج إلى تقويم وسيجد العيب الذي يحتاج إلى إصلاح ؛ لذا فالتربية تنقسم إلى عمليتين كبيرتين: عملية تحلية بغرس القيم الصالحة والسلوكيات الحسنة ، وعملية تخلية بترك وتنحية السلوكيات السيئة ؛ لذا فهي عملية إصلاح مستمر ينشغل الأب بها في سلوكه ووسائله التربوية ، وكذلك في دعائه واستعانته بربه (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي)هـ. وإن كنت أقول بهذا وأسوق النصيحة مُرة هكذا فليشفع لي سمو الغاية وعلو القصد وهو النصح! ومتى كانت النصيحة حانية وادعة؟ أننا مهما اخترنا الألفاظ اللطيفة والوقت المناسب والمكان المناسب للنصيحة ، فإن النصيحة في عمومها تأتي على غير مراد النفس ومن هنا تأتي النفرة! يقول الأستاذ محمد المنجد تحت عنوان: (النصح) ما نصه: (إن من محاسن دين الإسلام أنه جاء بالنصيحة بين المسلمين ، ونصح المسلم للمسلم ، وهذا الأدب العظيم والشعيرة الإسلامية طالما غابت عن كثير منا ، فلم يبذل كثير من الناس النصح ، ولم يستمع المنصوح ، فضاعت النصيحة بين التفريط فيها ، وبين الانقياد للحق الذي يأتي فيها ، وهكذا إذا رأيت يا عبد الله أسباب الانحراف والأخطاء في الواقع رأيت أنه يعود إلى التقصير في هذه الفريضة الإسلامية ، ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل من حق المسلم على المسلم أن ينصح له ، فقال: (حق المسلم على المسلم) ، وذكر منها (وإذا استنصحك فانصحه) أو (فانصح له). إن هذه النصيحة التي تعني الأمر الخالص ، فالعسل إذا نصح أي صار خالصاً ، وكذلك اللبن ، فالنصيحة أن تصفي وتخلص من الشوائب ما تريد أن تقوله للمنصوح ، إن النصح يلم شعث المسلم من قبل أخيه المسلم ، إنها إرادة الخير للمنصوح ، وقد قال هود عليه السلام: وَأَنَاْ لَكُمْ ناصح أمين ، وقال نوح: وَأَنصَحُ لَكُمْ ، وكان كثير الدعوة عليه الصلاة والسلام ، إنها وظيفة الرسل أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ، إنه الباب العظيم الذي يجعل الإنسان يثق بأخيه المسلم حتى أن إبليس لما أراد أن يغوي أبانا آدم وأمنا حواء جاء بطريقة النصيحة ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ، والله عز وجل قد جعل النصيحة حيلة العجزة وعذر القاعدين إذا اضطروا ورافعاً للحرج عنهم ، فقال: لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ ، ليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا ماداموا معذورين في القعود. كيف ضاع حديث النبي صلى الله عليه وسلم بيننا عندما قال: (الدين النصيحة) قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم). رواه مسلم. لقد عبر عن الدين بأنه النصيحة ؛ لعظم منزلة النصيحة في الدين ، كما قال: (الحج عرفة) لعظم عرفة في الحج ، والنصيحة لله هي الإيمان به وأسمائه وصفاته وطاعته سبحانه ، وطاعته واجتناب معصيته ، والنصيحة لكتاب الله الإيمان أنه كلام الله ، والعمل بما فيه ، والنصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر ، والنصيحة للأئمة المسلمين بمعاونتهم على الحق وعدم طاعتهم

في الباطل وإرشادهم إلى الصواب، وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).هـ. ومن وجهة نظري أن الوالد أحق بها! وفي النصح للوالدين أنشدت من شعري:)

وصـــى المليـــكُ بطاعـــه للوالِـــدِينْ ... مُشـــتقة مـــن طاعـــة الله المتـــينْ

وإذا الوصـــية خولفـــتْ وترهلـــتْ ... وتبعثـــرتْ فـــي منطـــق المتمســـلمين

مـــن كـــل والـــد فتيـــةٍ يعصـــي الإلـــ ... ـــه ، ويهتـــدي ببضـــلالة المتـــألهين

ويحـــث فتيتـــه علـــى أن يُـــذعنوا ... للجاهليـــه فـــي عِـــداد الصـــابئين

ويقـــول: يـــا أبنـــاءُ كونـــوا غايـــة ... فـــي اللـــين ، واعتبـــروا بمـــن يتصـــلبون

ودعُـــوا التمســـكَ والتمـــذهبَ فتيتـــي ... مـــاذا جنـــى المستمســـكون القابضـــون؟

أبتـــاه: هـــل تـــدري حقيقـــة مـــا تقـــو ... لُ؟ وهـــل تعـــي أمـــر الكـــلام وتســـتبين؟

أم أنـــه حقـــاً تغشـــاك الهـــوى ... وكـــذلك أعمـــاك اللجـــاج مـــع الأنـــين؟

أم أن حرصـــك زاده الحـــزمُ جـــوىً؟ ... أم يـــا تـــرى قـــد ضـــاق بالقلـــب الحنـــين؟

أبتـــاه قلـــتُ لـــك: اتبعنـــى واســـتقم ... فالإســـتقامة ضـــربُ قـــوم مُفلحـــين

وأطـــع نبـــي الله ، لا تعـــص الهُـــدى ... والـــزم كتـــاب الله ذاك المســـتبين

وحّـــد إلهـــكَ فـــي العبـــادة يـــا أبـــي ... ثـــم اتبـــع فـــي ذي الـــدنا هَـــدي الأمـــين

ودع الشـــياطين التـــي عُبّـــدتْ وقـــدْ ... غصـــبتْ عقـــول القـــوم فـــي دنيـــا العَمـــين

جهـــراً تعـــاظم أمرهـــا وضـــلالها ... واســـتعبدتْ مـــن خلـــق رب العـــالمين

وحّـــد إلـــه الكـــون فـــي عليائـــه ... تصـــبحْ بـــذلك فـــي عِـــداد العابـــدين

وظننـــتُ أنـــك ســـوف تســـمع مـــا أقـــو ... لُ ، وتهتـــدي وتحـــب كـــل المهتـــدين

لكـــنْ أراك نهرتنـــي وســـخرتَ مِـــن ... قـــولي إليـــك ، وقلـــت لـــي: متخبطـــون

ورددتنـــي ، وزجرتنـــي ، وطردتنـــي ... مـــن بيتـــك الفينـــان طـــرد المـــارقين

وهمزتنـــي ، ولمزتنـــي ، وأســـأت لـــي ورجمتنـــــي ، ولعنتنـــــي ، كالمُـــذنبين

ومضـــيتَ تطـــرد رفقتـــي مـــن بيتنـــا طـــردَ الـــذباب ، وقلـــتَ عـــنهم: خـــائبون

وصـــببتَ فـــوقي جـــام ضِـــيقك والـــردى وكـــــأنني عِربيـــــدُ قـــــومٍ طائشـــــين

ومضـــيتَ تمســـخ صـــورتي بفظاعـــةٍ وكـــأنني فـــي النـــاس إبلـــيسُ اللعـــين

وذهبـــتَ عنـــد الأهـــل تقتـــل سُـــمعتي وتقـــول: ضـــلّ طريقـــه فـــي البائـــدين

وقفلـــتَ بـــاب البيـــت تـــزعم أننـــي قـــد ضـــمني بهـــمُ الهـــوى كالعـــابثين

ومنعـــتَ عنـــي الـــزادَ ذلـــك أننـــي أعلنـــــتُ توحيـــــدي بقـــــوم جـــــاهلين

وجعلتنـــي فـــي البيـــت سُـــخرية الفنـــا وظللـــــتُ محبوســـــاً ببيتـــــك كـــــالرهين

وأثـــرتَ حـــولي مـــن زوابـــع فتنـــةٍ وبـــذرتَ فـــوقي نـــار إعصـــار ثخـــين

كسّـــرتَ كـــل وســـائلي ، يـــا ســـوأتى! وحرقـــتَ أســـفاراً بهـــا العلـــم الثمـــين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون كجلمـــــدٍ لا صـــوت ، لا إعـــراب يُســـمع أو أنـــين؟

فلســـوف أجـــأر للمليـــك لتهتـــدي وتكُـــفّ عنـــي فـــي الـــورى حتـــى أبـــين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون مُصـــــمماً يبنـــي يُشـــيّد فـــي متاهـــات الســـنين؟

أحـــرى بـــه إن كـــان ينصـــح نفســـه أن يســـتبين طريـــق قـــوم مُجـــرمين

ولـــــئن بنـــــى توحيـــــده بكفاحـــــه نعـــم الغـــلام ، وإن يُـــرى فـــي الأســـفلين!

وكـــــذاك يبنـــــي زوجـــــه متمـــــثلاً ومطبقـــــاً هَـــدي الصـــحابة أجمعـــين

وليســـــتعن بـــــالله عنـــــد بنائـــــه فـــالله يرفـــعُ فـــي الـــورى مَـــن يســـتعين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون معالجـــــاً وهـــــو المـــــريض بعلـــــةٍ لا تســـــتكين؟

مـــاذا يُعـــالج فـــي الـــورى يـــا والـــدي والجاهليـــــة دنســـــتْ منـــــه الجبـــــين؟

أتريـــــده بعيـــــادةٍ فيهـــــا الرقيـــــ ـق الأبـيض الممقـوت فـي الـوادي الحـزين؟

ويـــدسّ فـــي أحشـــائه أمـــوال قـــو ... مٍ بائســـين مشـــرّدين ممـــزّقين؟

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مهيبَـــزاً ... متخنثـــاً ، ويســـرك الشـــعر الرصـــين؟

وتســـرّك الحظاظـــة الســـوداءُ فـــي ... يـــده ، وفـــوق الجيـــد زهـــرُ الياســـمين؟

ويســـرّك الكـــاروهُ والجنـــز اللـــذا ... نِ أراهمـــا سَـــمتاً لجُـــل المـــاجنين؟

ويســـرك الأصـــحاب فـــي همجيـــةٍ ... يـــأتون دارك مـــائعين مُخنثـــين؟

يئـــدون إبنـــك والبنـــاتِ جهالـــة ... وأنـــا الضـــحية فـــي عمـــوم الهـــاكين!

وإذا الســـجائرُ يحتـــويني سُـــمها ... وغـــداً ضـــياعٌ؟ ذاك درب الغـــافلين

وتريـــد منـــي أن أبـــرّك وقتهـــا؟ ... هيهـــات أن يُجنـــى مـــن الصـــبار تِـــين!

أتريـــد لابنـــك أن يعـــيّن ظالمـــاً ... لتـــرجّ صـــولته قلـــوبَ الآمنـــين؟

ليزيـــل شـــيئاً إســـمه التوحيـــدُ مِـــن ... أرضٍ وعـــن قـــوم كـــذاك موحّـــدين!

ويُـــذيقهم كـــأس الحِمـــام تشـــفياً ... ويقـــول عـــنهم بعـــدها: (متهوســـون)

ويـــذبّح الأطفـــالَ ظلمـــاً هكـــذا ... ويُهتّـــكُ الأعـــراضَ قســـراً والجنـــين

ويُحـــرّق الأبـــدانَ يشـــوي عظمهـــا ... ويُثيرهـــا فـــي القـــوم فتنـــة قـــاهرين

ويُيَـــتّم الأفـــراخ ، يقتـــل نَســـرهم ... ويُعـــذب النســـوان قهـــراً والبنـــين

ويُـــدمّر البلـــدان باســـم الخيـــر ، بـــل ... ويُبيـــد ديـــن الله والنـــور المبـــين

ويمكّـــن الكفـــار والفجـــار والضـــ ... ـــلال جهـــراً مـــن رقـــاب المـــؤمنين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مفننـــاً ... لتـــراه فـــي الأصـــنام وضـــاح الجبـــين؟

لتـــراه يفحـــش باللســـان وبـــالغرا ... م وبـــالفؤاد ، ويختفـــي الســـر الـــدفين!

لتـــراه لـــثم كلبـــة مِلـــك الكـــلا ... ب جميعهـــا ، وتقـــول قبلـــة عاشـــقِين

وتـــراه داعـــب صـــدرها ، ويلفهـــا ... متنـــاغميْن بكـــل دُعـــر الـــداعرين

وينـــال مـــن شـــيطانه نيشـــانه ... ونعيمـــه والمـــالَ حينـــاً بعـــد حـــين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مُدرْوشـــاً ... يهـذي: يُضـل النـاس ردحـاً مـن سِـنين؟

شـــبَحاً تـــراه مُعممـــاً ومُكـــوكلاً ... وبـدا بوجـهٍ كالنسـا ، تعـس الخـدين!

ومضـــى يُـــوالي كـــل شـــيطان ونـــا ... دى فـي الـورى: هيـا اركعـوا للظـالمين!

لا فـــرق بـــين هرائـــه ووقاحـــة الشيـــ ... ـــيطان إلا فـــي التســـلط باســـم ديـــن

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مُرابيـــاً؟ ... ورِبَـــاه هـــل يكفـــي العيـــالَ البائســـين؟

ويكُـــف حاجـــة زوجـــةٍ أنانـــةٍ ... ليســـت تقـــول: رضِـــيتُ ربَّ العـــالمين

ويســـد مؤنـــة أســـرةٍ طماعـــةٍ ... لا تكتفـــي بـــالعيش عـــيش المُتـــرفين

وأبـــوهمُ والحبـــلُ يلفـــحُ جِيـــدهُ ... والأم تضـــرب سَـــوْطها كـــالمجرمين

قـــادت عِنـــان جوادهـــا بجهالـــةٍ ... نحـــو الضـــياع ، ونحـــو درب الهـــالكين

وإذا ارتشـــى تـــأتي تقـــول: (بـــراءة) ... وتقـــول: يـــدخل جنـــة ، وأنـــا الضـــمين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مؤلفـــاً ... ليحقـــق الأربـــاح يُرضـــي العـــاهرين؟

ليصـــور الإفـــلاس دون تعفـــفٍ ... وكـــذاك يُعْلـــي رايـــة المتبجحـــين!

ويعـيش يكتـب مـا بـه يُرضـي الهـوى ... وكـــذا ذئابـــاً فـــي الضـــلالة نـــاعقين

أدب الجهالـــة والضـــياع إذن أبـــي ... أدب الشـــواطئ والمزابـــل والســـفين!

أدب الحظايـــا والمطايـــا والخنـــا! ... ورقيـــعُ أحـــوال ، وهـــزلُ مـــراهقين

ويظـــل يســـبح فـــي بحـــور فســـوقهم ... ومُجـــونهم ، والأمـــرُ فـــي كـــدر وطـــين

باســـم الفنـــون تـــراه يمـــلأ ســـاحة ... ومكانـــة فـــي حانـــة المُتفـــرعنين

مـــلأوا الزوايـــا والحواضـــر بالـــدجى ... وتمحـــورت فـــي القـــوم ريـــحُ الفاســـقين

وإذا ســـعى بيراعـــه ولبابـــه ... ومِـــداده ليُنـــددنْ بالخـــارجين

ويقـــــول: لا ، للهـــــزل لا ، للظلـــــم لا ... للعُهـــــر لا ، للجاهليـــــة لـــــن ألـــــين

فـــــإذا ذيـــــولٌ خلفـــــه تغـــــري بـــــه ... وتقـــــول: هـــــذا رأسُ كـــــل المفســـــدين

وإذا الكـــــــلامُ تخطـــــــه ببراعـــــــةٍ ... ومهـــــارةٍ أيـــــدي البُغـــــاة الشـــــامتين

وإذا المَنـــــون تجهـــــزتْ ، وإذا الهُمـــــا ... مُ بهـــا يـــذوق صـــنوفَ كيـــد المـــاكرين

وإذا المَـــــرارُ بحرقـــــة ، وإذا الجـــــرا ... حُ تذيبـــه ، ونـــداوُه: هـــل مـــن مُعـــين؟

وأخ العقيـــدة صـــاحَ: صـــابرْ واصـــطبرْ ... لا تمـــتعضْ ، إن القـــدير هـــو المُعـــين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون مخنثـــــاً ... حتـــــى يُمتّـــــع جوقـــــة المتنعّمـــــين؟

لـــــيُعلم الفتيـــــاتِ كيـــــف تحـــــب ، أو ... تنســـاق ، أو كيـــف الطريـــق إلـــى الخـــدين؟

حتـــــى تفهـــــم كـــــل حـــــوا أن تحـــــ ... ـــــب ، وإن بـــــدتْ بـــــالله حقـــــاً تســـــتهين

وتـــــراه مـــــرذولاً ، ويـــــزعم أنـــــهُ ... يمحـــــو همـــــوم البائســـــين العاشـــــقين

ويظـــــل تأتيـــــه الرســـــائلُ مـــــن جميـــــ ... ـــــع بقـــــاع جوقـــــة جـــــائعين مـــــدمّرين

ويظـــــل تعرفـــــه الحواضـــــرُ والبـــــوا ... دي والمـــــدائنُ والمقـــــابرُ أجمعـــــين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون مـــــدرباً ... لـــــيُعلم الأقـــــوام نهـــــج الآثمـــــين؟

لـــــيُفهم الغِلمـــــان فـــــي الأمصـــــار كيـــــ ... ـــــف الهـــزل ، كيـــف هتـــافهم للاعبـــين؟!

ويعلـــــم الهـــــدّاف كيـــــف يصـــــوبنْ ... ضـــرباتِه والـــرمحَ فـــي الـــركنِ اليمـــين؟

ولتســـلم الأصـــقاع بالأهـــداف والهـــ ... ـــداف والألعـــاب ردحـــاً مـــن سِـــنين

وإذ تـــرى فـــوزاً ، فأبشـــر يـــا أبـــي ... بمكافـــآتٍ ، ســـوف يمنحهـــا القـــرين

لتقـــول: تربيتـــي وخـــالصُ دعـــوتي ... ولـــدي وشـــبلي وانظـــروا ذاك العَـــرين

ربّيتـــــه ، وشـــــملته برعـــــايتي ... هيـــا اجعلـــوا للشـــبل كـــأس الفـــائزين

وجـــزاكَ عنـــي الله خيـــراً يـــا فتـــى! ... فلأنـــت نعـــم الشـــبل والولـــدُ الأمـــين!

ولـئن قضـيتُ فسـوف تحمـل عـبء إخـ ـــوتك الصـــغار الكـــادحين الطيبـــين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مهوســـاً طلابُـــه فـــي كـــل وادٍ يلهثـــون؟

ويعـــب أمـــوالاً بـــدون هـــوادةٍ أمـــا العيـــالُ فمُجبـــرون ومُكرهـــون

ويعـــيش يلـــوي عابثـــاً أعنـــاقهم ويعـــيش كـــلّ صـــاغرين مُكبلـــين

وإذا تجاســر واحــدٌ مــنهم وقــال: ابنــي أعلمـــــه ، فويـــــلٌ للـــــرهين

وإذا المهـــوّس صـــار قصـــاباً يذبـــ ـــحُ خلســـة أفـــراخ قـــوم نـــائمين

ويُخـــــرّج الأشـــــبالَ قصّـــــابين أو متـــــآمرين وهـــــازلين وصـــــابئين

فالجاهليـــة سَـــمتُهم ، والمـــالُ حقـــ ـــا زادُهـــم ، ســـلكوا دروب الضـــائعين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مصـــوراً حتـــى يصـــور أمســـيات المُطـــربين؟

وكـــذا يُصـــور عابثـــاتٍ ماجنـــا تٍ فـــي أمـــاكن خصصـــتْ للعـــابثين

وكـــذا يُصـــور فـــي الســـواحل ســـاقطا تٍ مارقـــاتٍ: بـــالألوف وبـــالمِئين

إنْ فـــي رداء البحـــر تلهـــو هكـــذا تلـــك العـــذارى ، كيـــف يلهـــو الكـــافرون؟

وكـــذا تـــرى الشـــهم الهُمـــام يصـــور الســـ ـــقطات مـــن أجـــواء ســـاحة (عابـــدين)!

ويظـــل يرســـو فـــي حضـــيض ضـــلالهم باســـم المُجـــون ، وباســـم فـــن الصـــاعدين

أســـتغفر الله العظـــيم مِـــن الهـــوى بـــل يهـــبط المـــأفونُ فـــي قـــاع الفتـــون

أتريـــد لابنـــك أن يُعَـــيّن مقرئـــاً ليُطـــوِّع الفرقـــان للمُتجبـــرين؟

يتلـــو كـــلام الله فـــي دنيـــا أنـــا سٍ جـــاهلين مُعلمَنـــين ومُعرضـــين

يهتـــاج فـــوق التخـــت بالآيـــات ، والآ يـــاتُ تلعنـــه ، بلـــى ، واللاعنـــون

ويقـــول رأسُ القـــوم: كـــرّرْ بانســـجا مٍ وانشـــراح وافتعـــال المُـــدمِنين

ويهـــز فرعـــونُ الجماعـــة رأســـه ويظـــن خاصـــة نفســـه فـــي المُخلصـــين

وهـــو الـــذي مـــلأ البيـــاديَ بـــالكرا ... مِ الأبريـــــاء الأخبيـــــاء الصـــــالحين

ومضـــى يقـــول: أنـــا الـــذي بيـــديَّ أرْ ... فـــعُ زمـــرة ، وكـــذاك أخفِـــضُ آخـــرين

ويقـــول عـــن علـــم الأماجـــد أنـــهُ ... فـــي ســـجنه كالكلـــب يحيـــا كـــالرهين

والوصـــفُ وصـــفك يـــا طويغيـــت البغـــا ... ثِ ، فـــلا تغـــار علـــى حَريمِـــك والبنـــين

فـــي ظلمـــه ، فـــي جـــوره ، فـــي حيفـــهِ ... فـــي غشـــهِ قـــد فـــاق كـــل المُلحـــدين

تهديـــــده ووعيـــــده ونفيـــــر صـــــو ... تِ كلامـــــه يطـــــوي جُمـــــوع الخـــــائفين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون مـــــدافعاً ... يئِـــــدُ العدالـــــة ، يُنقـــــذ المتـــــأمرين؟

وإذا رأيـــــت دفاعـــــه ببســـــالةٍ ... يُغشـــــى عليـــــك ، تظنـــــه نعـــــم الأمـــــين!

وهـــو الـــذي طمـــس الحقيقـــة عامـــداً ... مُتعمـــــداً فـــــي شِـــــرعة المتهـــــالكين

ومضـــى يقـــول: نصوصُـــنا فـــي عـــدلها ... فاقـــت شـــريعة كـــل عصـــر ، كـــل ديـــن

أثنـــى علـــى قـــبح الفنـــا ، (قانونـــه) ... هـــو فـــي الحقيقـــة نهـــجُ كـــل الغاصـــبين

طرحـــوه فـــوق رقابنـــا ، وبقـــاعُهم ... هـــذي قِفـــارُ الخـــائبين الخاســـرين

لـــو نِيـــل مِـــن أقواتهـــا لتظـــاهرتْ ... وإذا قلاهـــا العـــدلُ فـــالنوم المتـــين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون كبيـــــرهم ... وتحوطـــــه أســـــراب قـــــوم تـــــافهين؟

فـــي النـــاس يقضـــي بـــالهوى وبرأيـــه ... ومِزاجـــــه وبشـــــرعة المتـــــأرجحين

وتحوطـــه فـــي النـــاس أقـــوامٌ يجيـــ ... ـــدون التزلـــف والتمسّـــح والـــرنين

ويـــدور مِـــن دار إلـــى دار ، ومِـــن ... صُـــقغ إلـــى صُـــقع ، ومـــن ديـــن لـــدين

وهـــو الكبيـــرُ علـــى قطيـــع معـــرضٍ ... يـــأوي إليـــه كجوقـــة المتـــزلفين

خلـــف الأثـــيم تزلفـــوا وتعبـــدوا ... وإن اشـــتكى فـــإذا بهـــم يتـــألمون

فـــي كـــل وقـــتٍ قـــدّموا نســـك العبـــا ... دة والضـــراعة ، شـــابهوا المُتعبـــدين

قـــالوا: نمـــوت فـــداك يـــا مألوهنـــا ... أنـــت المليـــكُ ، ونحـــن نحـــن العابـــدون

وتنوعـــوا: مـــا بـــين فـــوج حـــارس ... وهنـــاك فـــوجٌ يُشـــبه المتســـولين

هـــو يبـــذل الـــروح العزيـــزة والضـــنا! ... فـــي خدمـــة الطـــاغوت لا يتســـاهلون!

وإذا مضـــى الشـــيطان نحـــو عبيـــده ... فهـــو النجـــاة لجوقـــة المتحـــاربين

ومضـــى يـــوزّ بجنـــده ورجالـــه ... وتعينـــه مجموعـــة المتحـــذلقين

مـــا بـــين عـــالم جوقـــةٍ وحثالـــةٍ ... وبطانـــةٍ وعصـــابة المُتشـــدقين

مـــردوا علـــى صُـــنع الكـــلام ونســـجه ... هـــم فـــي الحقيقـــة حِفنـــة المتســـكعين

مـــا بـــين تـــاجر بدعـــةٍ وعمالـــةٍ ... وتحلـــل ، وشـــراذم المتقـــامرين

مـــا بـــين ســـاقطةٍ وهازلـــةٍ تصفـــ ... ـــقُ ، ثـــم تـــرقص وســـط جوقـــة عـــازفين

أخـــذتْ بكـــل سَـــخافة تئـــد الحيـــا ... وبكـــل عهـــرٍ فـــي تلافيـــف المُجـــون

وتقـــول للشـــيطان أنـــت مَلاذنـــا ... ومُجيرنـــا مـــن فرقـــة المتعصـــبين

ويـــردد الشـــيطانُ مـــا قالـــت ويفـــ ... ـــخرُ أنهـــا أســـمتهمُ المُتشـــددين

هـــي عـــادة الضـــلال دومـــاً يهرفـــو ... ن بكـــل شـــئ ، لـــيس فـــيهم عـــالمون

ويُشـــرّدون لأجـــل هـــذا مَـــن يُنـــا ... وئهـــم ، فليســـوا فـــي الحقيقـــة مُنصـــفين

مازالـــت الأعنـــاقُ تقطـــع عنـــوة ... وغـــدا الأشـــاوسُ بالـــدماء مضـــرّجين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مصـــففاً ... متمرســـاً ليصَـــفف الشـــعر الـــدجين؟

تأتيـــه كـــل مطيـــةٍ حتـــى يصفـــ ... ـــف شـــعرها بطريقـــة المُتحضـــرين

وهنـــاك تلقـــي ثوبهـــا ، وهنـــاك يظـــ ... ـــهرُ شـــعرها ببراعـــةٍ للنـــاظرين

ويـــدور فحـــل كالأتـــان يشـــمها ... ويضـــمها فـــي رقـــة المتظـــارفين

ويمُـــد فـــي دعـــةٍ يديـــه إلـــى معـــا ... طـــف جيـــدها وجيوبهـــا كـــاللاهثين

وتقـــول: كفكـــفْ ثـــورة فيقـــول: هـــ ـــــلا تـــــأذنين وتبـــدئين وتـــدفعين

وبعيرهـــا خلـــف الســـتار مجامـــلٌ ويقـــول: نعـــم ملـــونٌ ومصـــففون!

إن البعيـــر ليســـتحي مـــن فعلـــه وتقـــول: كيـــف يروقنـــا الهـــزل المُشـــين

عجبـــاً قتلـــتم هـــديكم وإبـــاءكم وحيـــاءكم عمـــداً بـــدعوى الناهضـــين

أيســـرك ابنـــك فـــي الحواضـــر شـــاعراً ليقـــول شـــعراً فـــي العُتـــاة الجـــائرين؟

ويُســـطر التفعيـــل فـــي أمجـــادهم ويَخـــص بالشـــعر البُغـــاة الخـــالفين

ويُثيرهـــا طينيـــة عصـــبية للعُـــرب ردحـــاً ، ثـــم للمُســـتعربين

ويجنـــد الأشـــعار تخـــدم بـــاطلاً متعاظمـــاً فـــي عـــالم المتصـــارعين

وإذا ارتقـــى فـــي شـــعره فهـــي الكتـــا بـــة للأغـــاني ، حِســـبة للمـــائعين

وإذا القصـــائد حَللـــتْ وتحللـــتْ فـــي حانـــة المتجاســـرين الشـــاربين

وتناولـــت عشـــقاً وهـــزلاً وانحـــلا لاً وانصـــياعاً فـــي مهـــاوي الســـاقطين

وإذا العـــذارى فـــي مخـــازي شـــعره وإذا التشـــبب فـــي دروب العاشـــقين

وتحـــب كـــل حبيبـــة معشـــوقها لقـــراءةٍ فـــي شـــعر مَخبـــول ضـــنين

ضـــنتْ يـــداه عـــن الفضـــيلة والهُـــدى ومُصـــيبة الأقـــوام شـــعرُ المغـــرمين

بخلـــتْ يـــداه عـــن المبـــادئ والعُـــلا لمّـــا ترســـخْ قيمـــة للقـــارئين

لكـــنْ أبـــت إلا الكتابـــة فـــي القبيـــ ـــح مـــن الكـــلام لترضـــيَ المتـــذوقين

وأبـــت كـــذلك أن تصـــور واقـــع الـــ ـــجيل الممـــزق تحـــت ســـوط القـــاهرين

وأبـــت كـــذلك أن تصـــور شـــرك قـــو مٍ يـــذهبون إلـــى قبـــور الصـــالحين

وأبـــت كـــذلك أن تصـــور ســـاحة حمـــراءَ مـــن فحـــوى دمـــاء مجاهـــدين

لكنهـــا ذهبـــتْ تصـــور حانـــة بلهـــاء تلهـــث فـــي لهـــاث الأســـفلين

ذهبتْ كذلك في السواحل جهرة ... لتصوّر الإفلاسَ في المتهتكين

ومضت كذلك في المسارح تنثني ... طرباً ، ويُفرحها تغني المفسدين

ومضت كذلك في الشوارع تزدهي ... وتقول: ما هذا الجمالُ المستبين؟!

غلت يدا مَن كان هذا شعره ... يا ويلتي: رباه عفوك يا متين!

أتريد لابنك أن يعيش ملوّثاً ... بالجاهلية في خِضَمّ الجاهلين؟

متعبداً شهواته ، ومؤلهاً ... نزواته في عالم المترهلين

متفيأ ظل المهانة والأسى ... ويغط في نوم عميق مستكين

ويبدد الأموال في أهوائه ... وتشده أعفانُ دنيا الحالمين

وإلى البوار مصيرُه ، يا سوأتى! ... أتريده كالجعدِ وسط الجاحدين!

قل لي بربك يا أبي: هل نحن حقـ ... ـاً لو أتانا موتنا متأهبون؟

ولئن سألتك عن حياة عبيد جمـ ... ـع بائسٍ يحيا مع المتخلفين

أنا لست أعني عن حضارة عصره ... إني لأقصد: هدي رب العالمين

ولئن سألتك عن عقيدة قومنا ... القومُ كانوا مُخلصين مُوحّدين

ولئن سألتك عن حقيقة دارنا ... الدارُ كانت دارَ قوم مؤمنين

ما بالها اليوم انزوتْ ، وتدهورتْ ... لا تستقيم على طريقة مسلمين

والقوم غاصوا في جهالة هزلهم ... وتتبعوا نهج العُتاة المُشركين

ولئن أردت صراحة في لفظتي ... عملاً وقولاً: قلتَ: صاروا مارقين

والقوم إذ جحدوا معالم هديهم ... فحقيقة: صنوانِ هم والفاسقون

والدارُ قد طمعت ذئاب الأرض في ... خيراتها ورجالها المتفرنجين

والهَديُ ولى في سراديب الخنا ... ومضت كذلك زمرة المتدينين

وتمـــرّق الفرقـــان ، لـــم يَعـــرفْ لـــه ... أحـــدٌ طريقـــاً فـــي بقـــاع الخـــائنين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرض الفرقـــان أحـــ ... ـــجبة وتعويـــذاتِ حفـــظٍ للبنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرض الفرقـــان أو ... راداً وتفعـــيلاتِ شـــعرٍ مُشـــعْوذين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرض الفرقـــان حـــ ... ـــلاً للمشـــاكل خلـــف مَـــن يتـــألهون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان وعـــ ... ـــظاً بالمحافـــل ، قـــلّ مَـــن يسترشـــدون!

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أن ... نـــدعوْ بـــأرض الله ، نســـعى ســـائحين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان مـــأ ... ثـــوراتِ ذكـــرٍ عبـــر أحـــداث الســـنين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان شيـــ ... ـــئاً مـــن قمـــاش قـــد يلـــف علـــى الجبـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أنـــ ... ـــقبة النســـاء ولحيـــة المستمســـكين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان نصـــ ... ـــحاً واحترامـــاً ، ثـــم وعـــظ الظـــالمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان هـــد ... مـــاً فـــي قبـــور الأوليـــاء الصـــالحين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرض الفرقـــان تـــو ... حيـــداً ، وغـــض الطـــرف عـــن قـــوم عمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرض الفرقـــان تمـــ ... ـــزيق العلائـــق بـــين شـــتى الأقـــربين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرض الفرقـــان تـــر ... بيـــة النفـــوس ، ولـــو بـــأرض اللاعبـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرض الفرقـــان تقـــ ... ـــطيعَ التصـــاوير التـــي قـــد تســـتبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ... ـــطيمَ التماثيـــل التـــي مـــاء وطـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان كحـــ ... ـــلاً للعيـــون يَزينهـــا ، نعـــم العيـــون!

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان فلـــ ... ـــسفة أراهـــا فـــي الحقيقـــة لا تعـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان نســـ ... ـــخ مصـــاحف ، هـــل مـــنكمُ مَـــن يقـــرأون؟

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرض الفرقـــان طبـــ ... ـــع شـــرائطٍ ، هـــل مـــنكمُ مَـــن يســـمعون؟

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان نشـــ ـــر صـــحائفٍ ، هـــل أنـــتمُ تتصـــفحون؟

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تعـــ ـــرية التشـــيّع والخـــوارج أجمعـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــد ميـــــراً لتمثـــــالٍ بقـــــوة قـــــادرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ـــزين العواطـــف بالقصـــائد والمَنـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان صـــو مـــاً ، ثـــم أضـــحِيَة بعيـــد العابـــدين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ذكـــ ـــر ســـوالف الآســـاد – دومـــاً – والعَـــرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان دحضـــاً لافتـــــراءاتِ النصـــــارى الصـــــابئين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أقـــ ـــصوصاتِ كُتـــاب بجهـــلٍ يكتبـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان فـــي ثقـــــةٍ ردوداً لا دعـــــا المُستشـــــرقين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تفـــ ـــسيراً لآي الـــذكر فـــي هـــذي العِـــزين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تكـــ ـــفير الخـــوارج: ســـابقاً واللاحقـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ضـــر بـــاً فـــي الصـــفوف ، ويـــا لهـــم مـــن مـــاكرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ـــريراً لأرض القـــدس والأقصـــى الســـجين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ثـــو رة مـــؤمنٍ فـــوق العُتـــاة المَـــارقين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان دعـــ ـــوة مخلـــصٍ فـــي غيـــر أرض المســـلمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ظعـــ ـــناً فـــي ســـبيل الله ، نعـــم الظـــاعنون!

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان جمـــ ـــع تبرعـــاتٍ ، قـــلّ مَـــن يتصـــدقون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان حمـــ ـــل الســـيف فـــي وجـــه الطغـــاة الغاصـــبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أســـ ـــئلة تهـــادى ، قـــلّ مَـــن يستبصـــرون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان خطـــ ـــبة واعـــظٍ فـــي عـــالم المُســـتكبرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تطـــ ـــويع النصـــوص لخدمـــة المتجبـــرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان فبـــ ـــركة النصـــوص لخدمـــة المتعظمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تســـ ـــفيه الجماعـــات التـــي لا تســـتكين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان رشـــ ـــاشاً وقنبلـــة كصـــناع المَنـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرض الفرقـــان سلـــ ـــعة تـــاجر ، يتجاهـــل الـــدر الثمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان زمـــ ـــجرة الأســـود يلفهـــا صـــحنُ العَـــرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تفـــ ـــسيق الأئمـــة والصـــحابة والأمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان: يقـــ ـــرأ ســورة ، أو مـــن (ريـــاض الصـــالحين)

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان مـــوّ الاً لعكـــا ، أو لحيفـــا ، أو جنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تنـــ ـــقيح الكثيـــر مِـــن المؤلـــف مِـــن سِـــنين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تنـــ ـــشئة الصـــغير مِـــن البنـــات مَـــع البنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان مِســـ ـــواكاً وجلبابـــاً وعـــود الياســـمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان مســـ ـــكاً للرجـــال وللنســـاء وللبنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أدْ عِيـــة ، وأحزابـــاً تـــردّدُ كـــل حـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان إشـــ ـــهار الرمـــاح لـــردع كـــل القـــاهرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان وعـــ ـــظاً حـــول أحـــوال المقـــابر والشـــجون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان زجـــ ـــراً فـــي وريقـــات علـــى التقـــوى تعـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان حبـــ ـــاً للبرايـــا ، ثـــم تـــذكيراً بـــدين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تبـــ ـــديع الجميـــع ، بـــلا دليـــل مســـتبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان حـــر بـــاً ، بـــل إزاحـــة كـــل فـــن المفلســـين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ـــــريماً وتحلـــيلاً وزجـــر الخـــالفين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان نـــو ـــمـــاً قـــد كفانـــا - ذي الليـــاليْ - ســـاهرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تســـ ـــــبيحاتِ مبتهـــلٍ مـــع المتضـــرعين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــر نيمـــــاتِ مرتعـــدٍ مـــع المتبتلـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تشـــ ـــــهيراً بحفنـــة ضـــائعين ممثلـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تنـــ ـــــديداً بهـــزل الظـــالمين الغـــادرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان فقـــ ـــهاً حـول ربـع الـرأس ، أو بعـض الجبـين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تبـــ ـــــريراً لحـــال الـــدار والمتمســـلمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــد ميـــر الربـــوع بتهمـــة المتخـــاذلين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان حـــر قـــاً فـــي دِنـــان الخمـــر ، ولـــيمض المُجـــون!

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أقـــ ـــصوصاتِ أصـــحاب الرســـول المُكْـــرمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أنّـــ ـــــاتٍ لمَكلـــوم بتعبيـــر رصـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ـــــريم التوســـل بـــالقبور وبالـــدفين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــأ ثـــيم الـــذين بغيـــر ربـــي يحلفـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان هيـــ ـــــعة ضـــارع بحماســـة المتبتلـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــو زيـــع الـــدعاة عـــن الشـــمائل واليمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ـــــريك القلـــوب بقِصـــة للســـامعين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان جعـــ ـــجعة الفـــرذدق فـــي ضـــمير الصـــامتين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان صيـــ ـــــحة عنتـــرٍ ، ولقـــد مضـــى المُتعنتـــرون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان هجـــ ـــــعة ضـــفدع ، يـــا خيبـــة المتخـــاوفين!

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تعـــ ـــطيل الحـــدود إلـــى زمـــان الآمنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تقـــ ـــنيط النفـــوس مِـــن الرجـــوع إلـــى المَتـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــر قيـــــع الضـــــلالة بالأدلـــــة والـــــرنين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تفـــ ـــعيل القصـــيد ليُـــبهج المُتعـــاطفين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان يغـــ ـــتال الـــدليل ليُرضـــيَ المتســـلطين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــر نيمـــاتِ ملتـــاع مـــع المتدرْوشـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أغـــ ـــرودواتِ مُبتـــدع مـــع المتنســـكين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان قـــر طاســـاً يُوزعـــهُ علـــى المتجـــاهلين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان نقـــ ـــداً دون أن يصـــف الطريـــق المســـتبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان يخـــ ـــلط نـــوره بظـــلام مَـــن يســـتكبرون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان رفـــ ـــع مصـــاحفٍ بمســـيرة المتضـــجرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تشـــ ـــييع الجنـــائز ، ثـــم دفـــن الميّتـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تبـــ ـــسيط العقائـــد بـــالهوى للمُتـــرفين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ذبـــ ـــح عقيقـــةٍ تكفـــي التهـــام الجـــائعين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــر طيـــب القلـــوب بآيـــةٍ حتـــى تلـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان شـــر حـــاً فـــي مناقـــب أمهـــات المـــؤمنين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تنـــ ـــوير العقـــول بـــذكر حـــال الأولـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تســـ ـــييد البشـــير المصـــطفى الهـــادي الأمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان زخـــ ـــرفة الصـــوامع بالبيـــاريق والفنـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تمـــ ـــييع القضـــايا فـــي دهـــاليز الظنـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تيـــ ـــسيراً علـــى الأقـــوام حينـــاً بعـــد حـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تخـــ ـــطئة الهُـــداة العـــالِمين الصـــادقين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تشـــ ـــويه التقـــاة ، يُبيـــد عِلـــم مجـــدّدين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان صيـــ ـــد مزالـــق العثـــرات مِـــن مُتحـــذلقين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــر تـــيلاً وتجويـــداً لقـــرآنٍ مبـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان زهـــ ـــداً وانغماســـاً فـــي دروب الزاهـــدين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان يثـــ ـــبتُ نفعـــه وعلاجـــه للعـــالمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان معـــ ـــلوماتِ حـــيضٍ أو نفـــاسٍ تســـتبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان طـــأ طـــأة الـــرؤوس تـــذللاً للجـــائرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تطـــ ـــويل البـــرامج والقـــراءة والـــرنين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تكـــ ـــثير الصـــوامع فـــي قـــرى المتحضـــرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان رد عـــاً ، أو ردوداً ضـــد مـــن يتهجمـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ســـ ـــداً للـــذرائع ضـــد مَـــن يتشـــدقون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تقـــ ـــديم الأيـــادي للـــذين يُنـــافحون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان صـــر ف الجـــن بالآيـــات فـــي دنيـــا العمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تطـــ ـــبيق الحنيفـــة عـــن طريـــق النـــاخبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تخـــ ـــريج الصـــحيح ، كـــأنهم مُتحـــدثون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أعـــ ـــذاراً ، رآهـــا للألـــى يُستضـــعفون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أشـــ ـــعاراً ، تعاورهـــا وغشـــاها الحنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان إر هاصـــاتِ حـــب للـــدعاة الثـــائرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تســـ ـــليم الريـــادة ، ثـــم قهـــر الخـــارجين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان صبـــ ـــــراً ، وانتظـــارا للقيامـــة أن تحـــين

وأراهـــمُ قـــد ضـــيّعوا ، قـــد بـــددوا بجهالـــةٍ وحماقـــةٍ هَـــدي الأمـــين

لا يفهـــم الفرقـــانَ إلا مَـــن درى توحيـــدَه ، وأصـــوله ركـــنٌ ركـــين

وحقيقـــة الفرقـــان جـــد عقيـــدة للحـــق أفـــذاذ مضـــوْا فـــي الخالـــدين

دفعـــوا مقابـــلَ صـــدقهم أرواحَهـــم لـــم يركنـــوا ، أو يركعـــوا للغاشـــمين

وكـــأن وحـــي الحـــق تملكـــه شـــرا ذمُ جوقـــة الجهـــال والمترخّصـــين

لا يملـــك الفرقـــان إلا ربـــهُ مهمـــا ادّعـــاه الأدعيـــاءُ الكـــاذبون

زعمـــوا التشـــدق بـــالترخص مجـــدياً وهـــو البليـــة فـــي مهـــاوى الآثمـــين

راحـــوا بجهـــل يربتـــون علـــى شـــيا طـــين تعـــاظم أمـــرُهم فـــي العـــالمين

هـــلا تعلـــم هـــؤلاء جمـــيعُهم فـــي دار أرقمنـــا بنـــور مســـتبين

وتفهمـــوا ، وتدارســـوا ، وتســـاءلوا كيـــف الطريـــق إلـــى خليلـــه مُخلصـــين؟

وتجـــاذبوا التوحيـــد مـــنهج ســـعيهم وتعلمـــوا الإخـــلاص منهـــاج الأمـــين

درســـوا العقيـــدة ـ بعـــد ذلـــك ـ حِســـبة إن العقيـــدة مِـــن منابعهـــا تبـــين

لـــو ينبـــري مـــنهم فريـــقٌ ثـــم يـــد عـــو قومنـــا بـــالحق للنـــور المبـــين

جعـــل العقيـــدة مطلبـــاً ، وكـــذا رأى التـــ ـــــوحيد يـــنقصُ هـــؤلاء المشـــركين

والهَـــدْيُ توحيـــدٌ ونـــورُ عقيـــدةٍ والهَـــدْيُ حُكـــمُ الســـلم دنيـــا العـــالمين

والهَـــديُ أخـــذ النـــاس عـــن معبـــودهم ثـــم اتبـــاع رســـوله الهـــادي الأمـــين

والهَـــدْيُ توحيـــد الشـــعائر والشـــرا ئـــع جُملـــة لله رب العـــالمين

والهَـــدْيُ تحكـــيم الكتـــاب وسُـــنة الـــ ـــعدنان فـــي أركـــان دار المـــؤمنين

والهَـــدْيُ قـــال الله ، قـــال نبيـــهُ وصِـحابهُ ، لا قـال (مـاركسُ) أو (لنـين)

والهَـــدْيُ وحـــي الله يســـري نـــوره ليصـــير واقـــع عُصـــبة المستمســـكين

والهَـــدْيُ يُحْيـــي أمـــة تحْييـــه فـــي أركـــان واقعهـــا ليَهـــديْ الحـــائرين

والهَـــدْيُ واقـــعُ مـــنهج وعبـــادةٍ يعلـــوه تجريـــدُ اتبـــاع للأمـــين

والهَـــدْيُ جـــذرٌ ، والحيـــاة بُـــريعمٌ ومناســـكُ الإســـلام بينهمـــا الغصـــون

مَـــن حـــاط هَـــدْيَ الله مِـــن كـــل الجـــوا نـــب حاطـــه ، وأراهُ فـــي عَليـــاء ديـــن

ركـــب الســـفينة يبتغـــي فيهـــا النجـــا ة ، ولـــيس ينجـــو مـــن قـــلا هـــذا الســـفين

نـــوحٌ عليهـــا راح يـــدعو قومنـــا لكـــنهم قـــالوا مقالـــة أولـــين

ســـبحان ربـــي ، إن شـــرك الأوليـــ ـــن أراه فـــي الأقـــوام شـــرك الآخـــرين!

أبتـــاه قـــد جـــرح الكـــلام عـــواطفي ومشـــاعري أضـــحتْ ينازعُهـــا الحنـــين

إن قلـــت ذلـــك ســـوف أصـــلى ظلمهـــم ولســـوف أبقـــى - فـــي عـــذابهمُ - الـــرهين

وأكـــون بعـــدُ فريســـة فـــي أســـرهم لأذوق مـــا كتـــب الإلـــه علـــى الجبـــين

ويـــذوق أهلـــي لوعـــة الحرمـــان فـــي شـــهم أبـــيٍّ مـــا انحنـــى للغاصـــبين

هيـــا اســـتمعْ لـــي فـــي ثبـــات يـــا أبـــي تلـــك الحقيقـــة ، لســـتُ فيهـــا بالضـــنين

ولـــئن بقيـــتُ أقـــول هـــذا بيـــنكم فلســـوف يَقهـــر صـــرختي نصـــبُ الكمـــين

ليســـت حـــروبُ المخلصـــين جديـــدة هـــي مِـــن عهـــود الســـابقين الأولـــين

مـــا لـــم نـــذد عـــن هَـــدْينا ، فخروجُنـــا مـــن بأســـنا واللهِ مـــن عـــين اليقـــين

ولـــئن رحلـــتُ فلســـتُ أول مـــن مضـــى وكـــذا أرانـــي لســـت آخـــر مُهـــدَرين

ولـــئن حُرمـــت حليلتـــي ، فلهـــا إلـــ ـــه الكـــون ، ثـــم الصـــحبة المتعاهـــدون

وكفـــى عيـــالي أننـــي لـــم أســـتكن للظـــالمين ولـــم أذل لمُعتـــدين

ولســـوف يـــذكرني الجميـــعُ مَـــن اتقـــوْا ... وكـــذا ســـيذكرني الرفـــاقُ المترفـــون

إنـــي تركـــتُ لزوجتـــي وعيالهـــا ... ربـــاً بصـــاعقةٍ يُـــذل المُلحـــدين

ولســـوف يـــذكرني عيـــالي بعـــدما ... يمضـــي الهـــوانُ ، وبعـــد تبديـــد الـــدجون

ولســـوف تـــذكر طفلتـــي هـــذي المـــوا ... قـــف ســـاعة ، وتقـــول: لســـنا آســـفين

إنـــا احتســـبنا فـــي الإلـــه شـــهيدنا ... وتقـــول: ربـــيْ تولـــهُ فـــي الفـــائزين

للهـــم نـــقّ نضـــاله مـــن همـــزةٍ ... مـــن لمـــزةٍ ، أو مـــن ريـــاء القـــائلين

للهـــم واجعلهـــا شـــهادة مخلـــصٍ ... يرجـــو بهـــا مرضـــاة رب العـــالمين

مـــازال نصـــحكِ فـــي فـــؤادي طفلتـــي ... متأججـــاً ، ولأنـــتِ خيـــر الناصـــحين!

ولقـــد رأيـــت عزيمتـــي يـــا والـــدي ... ليســـت بإرهـــاصٍ ولا ذلٍ تلـــين

هـــي منحـــة الـــرحمن للإنســـان فـــي ... قلـــبٌ - بغيـــر الحـــق - مـــذمومٌ دفـــين

ولقـــد رأيـــت عقيـــدتي وصـــرامتي ... للهـــم فاحفظهـــا مِـــن المتفـــاخرين

لـــيس التفـــاخر ديـــدني ، لكننـــي ... أرجـــو بـــذلك عِبـــرة للســـامعين

فـــادرس إذن مـــا قلتـــهُ وذكرتـــهُ ... ثـــم انتظـــر لـــيَ عـــودة حتـــى تحـــين

إن القضـــية لـــيس تعنـــي أننـــا ... نتبـــادل الآراء كالمتفلســـقين

هـــي فـــي حقيقتهـــا حصـــائد عمرنـــا ... هـــي زادنـــا ، والكـــل حتمـــاً زائلـــون

أنقابـــل الـــرحمن يســـعى نورنـــا ... ونقـــول: أتـــتمْ نورنـــا فـــي المتقـــين؟

أم ليتنـــا كنـــا ترابـــا يُـــزدرى ... كنـــا بكـــل صـــراحة متمســـلمين؟

وأظـــن إبلـــيس اللعـــين يقولهـــا: ... (هـــذا كـــلام الخـــائبين الســـاذجين)

صـــدقته ، كذبتـــه ، ســـتموت وحـــ ... ـــدكَ يـــا أبـــي ، ونصـــير يومـــاً ميّتـــين

ولـــئن أبيـــتَ طريـــق قـــوم أســـلموا ... فـــإلى اللقـــا فـــي يـــوم نبعـــث أجمعـــين

أحاجي العراف

(قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مررتُ أنا وبعض أصحابي في زمن التتار ، بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له: إنما حرّم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبى الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم.... والأمر في هذه القضية واضح جدا ومحسوم للغاية ، والعرافة والسكْر صنوان لعملة واحدة! فكلاهما يهدف إلى تغييب العقل وتعطيل دوره. ولئن كان ابن تيمية اجتهد فأجاز ترك نهي التتار عن منكرهم الذي هو شرب الخمر ، لأنهم إن أفاقوا سفكوا الدماء وقتلوا ونهبوا ، فليس الأمر هكذا أبدا مع العرافين والمشعوذين ، فهؤلاء ينبغي فضح باطلهم وكشف عقائدهم الفاسدة! والدليل ما روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (من أتى عرافاً فساله عن شئ فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً). وفي معرض إجابة سؤال عن حكم عرافة تقرأ الفنجان وتدعي علم الغيب قالت اللجنة الدائمة ما نصه: (لا شك أن الكهانة والسحر والتنجيم من أعظم المنكرات ، ومن الإفساد في الأرض وأذية المسلمين بغير حق. واختلف العلماء رحمهم الله تعالى: هل يكفر الكاهن ويخرج من الملة ، أم أنه كفر دون كفر ، واستدل من قالوا بأنه يكفر بما رواه الإمام أحمد في مسنده أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد). صححه الألباني. ولأن هذا ادعاء لعلم الغيب ، ومن ادعى أنه يعلم الغيب فقد كفر ، والله تعالى يقول: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ). ويقول: (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ). والنصيحة لهذه المرأة التي تقوم بهذا العمل أن تتركه وتبتعد عنه وتتوب إلى الله تعالى ، إذ هذا الفعل من الكبائر الموبقات ، وأن تتقي الله في أذية المسلمين بهذا العمل الشنيع ، والله تعالى يقول: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً). فعليها أن تتوب من هذا العمل ، وعليها أن لا يستجريها الشيطان في حبائله حتى يوقعها في الجحيم والعياذ بالله. قال النووي رحمه الله: "قال البغوي من أصحابنا والقاضي عياض: أجمع المسلمون على تحريم حلوان الكاهن ، لأنه عوض عن محرّم ولأنه أكل المال بالباطل").هـ. ومن هذا المنطلق أكتب قصيدتي. حيث إن أحد العرافين الدجاجلة استمر يلعب بتصورات الناس وعقائدهم. وذات يوم قرر ذلك العراف أن يترك هذة المهنه لأخرى شريفة. ذلك أن ضميره بات يؤنبه كثيراً بعد أن علم أن ما يفعله كبيرة تستوجب له النار إن لاقى ربه عليها. ثم راح يأتيه هاتف نفسي وجداني ضميري قلبي يقول: إن عِلم الناس وتصوراتهم وعقائدهم أمانة لن يجد جواباً يوم يُسال عنها أمام الله يوم القيامة ، فإذا به بعد قراره هذا الذي شرع في تنفيذه يكتشف أن رواده أصبحوا يفوقونه في درجة العرافة والدجل والشعوذة والنصب والتحايل. فحزن حزناً شديداً ، فرُحتُ أتحدث إليه أن يستمر قدماً ولا يعود ، وأن عليه أن يصحح اعتقاده حتى ينتفع بذلك ولا عليه من عرافه الناس!)

أيهـــــا العـــــرّافُ مـــــزقْ دفتـــــركْ فاقـــــكَ الـــــروادُ ، غيّـــــر عملـــــكْ

وادفـــن الأوراد فـــي قبـــر الفنـــا ... واتـــرك الـــنجم – بريئـــاً - والفلـــك

وانـــأ عـــن قـــومٍ تمـــادوْا فـــي الخطـــأ ... وتـــردوْا فـــي ســـراديب الهلـــك

واكســـر الطســـتَ ، وأهـــرقْ مـــاءه ... واحطِـــم التنـــور فـــي جـــوف الحَلـــك

واحـــرق الأوراق هـــذي كلهـــا ... كـــل مـــا فيهـــا ضـــلالٌ وضـــحِك

واســـكب الحبـــر علـــى وجـــه الثـــرى ... كـــان ذاك الحبـــرُ للحمقـــى الشـــرك

واســـجُر الأحبـــال والخيطـــان فـــي ... واحـــة الحـــق ، ودع عنـــك الـــدعك

واهجـــر الســـحر ، وفـــارقْ أهلـــه ... أنـــت مخلـــوقٌ لـــدينٍ ونسُـــك

فاعبـــد المـــولى ، ولا تشـــرك بـــه ... واســـمُ للعليـــا ، ودعْ عنـــك الـــدرك

لا تظـــن القـــوم حمقـــى ، إنمـــا الـــ ... ـــــروّاد فـــــاقوا دجلـــــك

قـــد أجـــادوا الفـــن هـــذا والشـــقا ... فاتـــك الـــزوار ، أدركْ مأملـــك

صـــاح إن الحـــق صـــعبٌ خرقـــه ... والحقيـــرُ الغِـــر مَـــن يهـــوى البـــرك

وكـــذا الـــرواد ضـــلوا فـــي الـــدنا ... عنـــدما ظنـــوك تـــروي عـــن ملـــك

فمُـــك الكـــذاب ، كـــم أردى الـــورى! ... فتنـــة كبـــرى يُغـــذيها الحَنـــك

أيهـــا العـــرّافُ ضـــيّعتَ الحِمـــى ... فـــاترك التضـــليل ، عجّـــلْ بالـــدرك!

إن ركْـــب الحـــق غـــالى فـــي المضـــا ... فـــاهجر الفسّـــاق ، واتـــركْ مَـــن هلـــك

دَجَـــلٌ هـــذي الأحـــاجي ، فامحُهـــا ... واكســـر القيـــدَ ، وحقـــقْ أملـــك

دمّـــر الشـــرك الـــذي أودى بكـــم ... واتـــرك الشـــيطان فـــي شـــتى الســـكك

إنمـــا الـــدنيا ضـــياعٌ ، فانتبـــه ... وابـــرح الأرض إلـــى ذات الحُبُـــك

دموع الأصيل

(قالوا: من التمس أربعاً بأربع التمس ما لا يكون: * من التمس الجزاء بالرياء التمس ما لا يكون أبداً في الأرض. ومن التمس مودة الناس بالغلظة التمس ما لا يكون قط. ومن التمس وفاء الأصحاب بغير وفاء منه التمس ملا يكون. ومن التمس العلم بالراحة الجسدية التمس ما لا يكون.
وأزيد أربعاً لتكتمل الصورة من وجهة نظري: من التمس الجنة بالحياة الخالية من الابتلاء والتمحيص والفتنة والامتحان والاختبار والبلوى التمس ما لا يكون قط. ومن التمس التمتع بالفراق دون معناه وألم التمس غير الذي جرت به السنة في العالمين أجمعين لمطالب الفراق. ومن التمس النجاح دون بذل المجهود التمس ما لا يكون. وأخيراً من التمس نظم القريض دون إعمال الفكر وعذاب النفس ونزهة القلم ونقد الآخرين التمس ما لا يكون. وذات يوم تحتم الرحيل ، ورحت أداعب ثوانيه الأخيرة ، بعد أن كنت أستعجل لها الأقدار. وكان جواب الأصيل: إن الراحل عليه أن يصر على الثمرة المرة ، ويغتنم الثمرة الحلوة العذبة والصبر عظيم والأيام دول وكل آت قريب وعز المرء ما كان فيه طائعاً ممتثلاً شرف العبودية الحقة لربه تبارك وتعالى. ألا ما أضيع الأيام والليالي التي استبد إبليس بها وضيّعها من عمر الإنسان الذي استسلم له ولغيه! وإذا كان الموت سيفرق بين الجميع فكفى به واعظاً! يقول سالم العجمي في هذا المقام: (إن الواجب على المسلم الفطن أن يتفكر في أحوال الأمم السابقة والقرون الماضية ؛ وقد بنوا المدائن ؛ وجمعوا الخزائن ؛ وحفروا الأنهار ؛ وشيدوا القصور ؛ وعمروا الديار ؛ ولربما ظنوا أنهم في هذه الدنيا مخلدون ؛ وما هم عنها براحلين. فبينما هم يعيشون مرفهين في هذا الحلم ؛ إذ هجم عليهم هادم اللذات ومفرق الجماعات (الموت) ؛ فأصبحوا عظاماً رميمة ، ورفاتاً هشيمة ؛ وإذ بمنازلهم خاوية ؛ وقصورهم خالية ، وأجسادهم بالية ، وأصواتهم خافتة. فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ؛ وقد خلفوا كل شيء وراءهم ؛ لم يأخذوا معهم مالاً ولا جاهاً ولا منصبا ؛ لم يأخذوا معهم إلا الصاحبَ الملازم وهو العمل. وهاهم قد سكنوا القبور الموحشة حيث لا أنيس ولا صاحب ؛ وقد تساوى في سكنها جميعُ الناس ؛ غنيهم وفقيرهم ؛ شريفهم وحقيرهم. إن الموت أعظم واعظ وأبلغُ زاجر ؛ قال صلى الله عليه وسلم: "كفى بالموت واعظاً" ؛ وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بالإكثار من ذكره لما فيه من دفع المرء لعمل الصالحات ؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "أكثروا من ذكر هادم اللذات" ؛ ولذا قال عمر بن عبد العزيز: "لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد". فبينما يعيش المرء في هذه الدنيا ؛ يظن أن أجله بعيد ؛ وقد ألهاه الأمل ؛ إذا بالموت يفْجَؤه ؛ وبدأ ينازع السكرات والشدائد ؛ وقد نزل ملك الموت لقبض روحه ؛ وإذا بالألم يسري في جميع أجزائه ؛ في كل عرق وعصبٍ ومفصل ؛ من أعلى الرأس إلى أسفل القدمين ؛ وقد قيل: إن الموت أشد من ضربٍ بالسيوف ؛ ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ؛ ولما احتضر النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل يديه في ماء يمسح بهما وجهه ويقول: " لا إله إلا الله ؛ إن للموت لسكرات").هـ. فقلت في الرحيل:)

تعجلـــــتُ يومـــــاً ثمـــــار الرحيـــــلْ فغازلتهـــــا بـــــالقريض البليـــــلْ

وودعـــــتُ داري ومـــــا حولهـــــا وتاهـــت علـــى الـــدرب شـــمسُ الـــدليل

وخلفـــــتُ أهلـــــى بـــــلا عائـــــل بـــــلا وطـــــن عشـــت كـــابن الســـبيل

وعاتبـــــتُ نفيـــــاً طـــــوى غربتـــــي ونجعـــــاً كـــــذاك طـــــواه الأفـــــول

ألا إننـــــي فـــــي جحـــــيم الجـــــوى فيـــــا أيهـــــا النفـــــي: لا تســـــتطيل

ترانـــــي هنـــــا فـــــي عـــــذاب النـــــوى ومـــــا مـــــن صـــــديق ، ومـــــا مـــــن خليـــــل

وطالـــــت ليـــــالي اغترابـــــي كـــــذا وخمشـــــني الانتحـــــاب الوبيـــــل

فحتـــــى متـــــى غربـــــة وانـــــزوا؟ أجبنـــــي بصـــــدق أيـــــا ذا الأصـــــيل!

ورد الأصـــــــــيل: تصـــــــــبرْ إذن وأجمـــــلْ ، وأحســـــن ، ورد الجميـــــل

كلامـــــك هـــــذا يزيـــــد الشـــــقا ودمعـــــك هـــــذا يســـــلي العـــــذول

وإن انفعالـــــــــك أودى بنـــــــــا وأزهـــــق روحـــــك هـــــذا العويـــــل

هـــــو الحـــــزنُ يعصـــــف بالمشـــــتكي ويمســـــى ســـــعيداً يـــــدق الطبـــــول

وإن الـــــــدموع لهـــــــا ثـــــــورة تبـــــث الجـــــوى بـــــالفؤاد الكحيـــــل

عـــــذاب الفـــــؤاد لـــــه منتهـــــى ونصـــــر المليـــــك قريـــــبٌ جميـــــل

فصـــــبّر فـــــؤادك ، كـــــن جلمـــــداً تـــــرى المعضـــــلاتِ كمثـــــل الطلـــــول

وتصـــــــبحُ بـــــــالعز ياقوتـــــــة تـــــــذل ، ولكـــــــن لـــــــرب جليـــــــل

وكـــــم فـــــي التغـــــرب مـــــن متعـــــةٍ! وكـــــم مـــــن جمـــــال ومجـــــدٍ أثيـــــل!

تصـــــبّر علـــــى المُـــــر تلـــــق العـــــزا وكـــــن رجـــــلاً فـــــي الســـــراب الكليـــــل

وإن الأصـــــيل مضـــــى وانقضـــــى وزهـــــرة عصـــــر الأســـــى فـــــي ذبـــــول

فضـــــمّخْ حياتـــــك مِـــــن عطرهـــــا وسَـــــلّ الفـــــؤاد ببـــــوْح الرحيـــــل

نشرت في جريدة الوحدة العربية وذلك بتاريخ : 8 من أبريل لسنة 1996م

وجه أبي ذر ، وقلب أبي لهب

(يحزن الأنسان عندما يعرف من ماضي دار من الدور أنها كانت في عز ومنعة وبأس وجبروت وشوكة وظهور ومجد ورخاء ، ثم يراها تتبدل عليها الأغيار فتتغير الحال وتصبح داراً ذليلة: لا شوكة ولا ظهور ولا بأس ولا جبروت ولا مجد ولا عزة. فيقرأ في سطور الماضي بكل دمع سالفات الأمجاد وبواكير السيم ، ويتساءل ما الذي حدث؟ وهل بات للأمة نصيب من قوله تعالى: {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون}. قال مجاهد: وذلك مثل الذي أوتي الكتاب ولم يعمل به. وقال ابن عباس: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها ؛ وإن تركته لم يهتد ؛ كالكلب إن كان رابضاً لهث وإن طرد لهث. وقال الحسن:هو المنافق لا يثبت على الحق ؛ دعي أو لم يدع ؛ وعظ أم لم يوعظ ؛ كالكلب يلهث طرد أو ترك. وقال عطاء: ينبح حملت عليه أو لم تحمل عليه. وقال أبومحمد ابن قتيبة: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب ، فإنما يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال الصحة وحال المرض والعطش ؛ فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته ، وقال: إن وعظته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث ، ونظيره قوله سبحانه: {وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون} ؛ وتأمل ما في هذا المثل من الحكم والمعنى: فمنها قوله {آتيناه آياتنا} فأخبر سبحانه أنه هو الذى آتاه آياته ؛ فإنها نعمة ؛ والله هو الذي أنعم بها عليه ؛ فأضافها إلي نفسه ، ثم قال: {فانسلخ منها} أى خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها ؛ وفارقها فراق الجلد ينسلخ عن اللحم ، ولم يقل فسلخناه منها لأنه هو الذى تسبب إلى انسلاخه منها باتباع هواه ، ومنها قوله سبحانه: {فأتبعه الشيطان} أي لحقه وأدركه كما قال في فرعون: {فأتبعوهم مشرقين} ؛ وكان محفوظاً محروساً بآيات الله ؛ محميّ الجانب بها من الشيطان لا ينال منه شيئاً إلا على غرة وخطفة ، فلما انسلخ من آيات الله ظفر به الشيطان ، فكان من الغاوين العاملين بخلاف علمهم ؛ الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه ؛ كعلماء السوء ، ومنها أنه سبحانه قال: {ولوشئنا لرفعناه بها}: فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم ؛ فإن هذا كان من العلماء ، وإنما هي باتباع الحق وإيثاره وقصد مرضاة الله ؛ قال ابن جريج: الكلب منقطع الفؤاد ؛ لا فؤاد له ؛ إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ؛ فهو مثل الذى يترك الهدى. قلت: مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث ؛ وهكذا الذي انسلخ من آيات الله ؛ لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا وترك اللهف عليها ؛ فهذا يلهف على الدنيا من قلة صبره عنها ؛ وهذا يلهث من قلة صبره على الماء ؛ فالكلب من أقل الحيوانات صبراً عن الماء ؛ وإذا عطش أكل الثرى من العطش ؛ وإن كان فيه صبر على الجوع ؛ وعلى كل حال فهو من أشد الحيوانات لهثاً يلهث قائماً وقاعداً وماشياً وواقفاً ؛ وذلك لشدة حرصه ؛ فحرارة الحرص في كبده توجب له دوام اللهث ؛ فهكذا تلهبه شدة الحرص وحرارة الشهوة في قلبه وتوجب له دوام اللهف ؛ فإن حملت عليه الموعظة والنصيحة فهو يلهف ؛ وإن تركته ولم تعظه فهو يلهف. فإن هذا كان من أعلم أعلم أهل زمانه ؛ ولم يرفعه الله بعلمه ولم ينفعه به ، فنعوذ بالله من علم لا ينفع.....ومن هنا تعود إليّ الكلمات خجلى

من الواقع ، وألمح في عيون هذي الدار الدموع الكئيبة والصمت الرهيب واللوم المكروب. فأطرح سؤالاً: كيف العودة بالدار وبأهلها إلى السيادة والعز والمنعة؟ ومن لذلك اليوم الذي يعيد فيه الحق إلى نصابه ، ويعيد القوس إلى باريها والمجد إلى أهله؟ فأين المؤمنون الموحدون لهذه العودة المأمولة؟ أين هم ليقشعوا باطل الفرق الغالية المنحرفة القديمة الجديدة كالجهمية والجبرية والمرجئة والقدرية والحرورية والروافض والمعتزلة! وعن هذه الفرق ، يقول الأستاذ حامد شاكر العاني في إحدى حواشي المقال (حاشية رقم 22) ، في التعريف بالفرق المنحرفة ما نصه: (فأما الجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان ، الذين غلوا وأفرطوا في التنزيه حتى نفوا أسماء الله وصفاته حذراً من التشبيه بزعمهم وبذلك سموا معطلة ، لأنهم عطلوا الله من أسمائه وصفاته. وأهل التمثيل المشبهة: سموا بذلك لأنهم غلوا وأفرطوا في إثبات الصفات حتى شبهوا الله بخلقه ومثلوا صفاته بصفاتهم. والجبرية: نسبة إلى الجبر ، لأنهم يقولون: إن العبد مجبور على فعله ، فهم غلوا في إثبات أفعال الله حتى نفوا أفعال العباد وزعموا أنهم لا يفعلون شيئاً وإنما الله هو الفاعل والعبد مجبور على فعله ، فحركاته وأفعاله كلها اضطرارية كحركات المرتعش. وإضافة الفعل إلى العبد مجاز. والقدرية: نسبة إلى القدر ، وهؤلاء غلوا في إثبات أفعال العباد ، فقالوا: إن العبد يخلق فعل نفسه بدون مشيئة الله وإرادته ، فأفعال العباد لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته ، فالله لم يقدرها ولم يردها ، وإنما فعلوها هم استقلالاً. والمرجئة: نسبة إلى الإرجاء وهو التأخير ، سموا بهذا الاسم لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق ، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، فعندهم أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان غير معرض للوعيد ، فهم تساهلوا في الحكم على العاصي وأفرطوا في التساهل حتى زعموا أن المعاصي لا تنقص الإيمان ولا يحكم على مرتكب الكبيرة بالفسق ، لأن الإيمان عندهم هو تصديق القلب فقط. والوعيدية: هؤلاء قالوا بإنفاذ الوعيد على العاصي وشددوا في ذلك حتى قالوا: إن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب فهو مخلد في النار ، وحكموا بخروجه من الإيمان في الدنيا. والحرورية: هم الخوارج سموا بذلك نسبة إلى حروري قرية بالعراق اجتمعوا فيها حين خرجوا على علي رضي الله عنه. والمعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الإمام الحسن البصري رحمه الله ، بسبب خلاف وقع بينهما في حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين ، فقال الحسن رحمه الله عن واصل هذا: إنه قد اعتزلنا. فمذهب الخوارج والمعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين أنه كافر ، ثم قال المعتزلة: إنه ليس بمسلم ولا كافر ، بل هو بالمنزلة بين المنزلتين ، وقال الخوارج: إنه كافر وأنه إذا مات فإنه خالد في النار ، على خلاف الخوارج والمعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين فقد حكموا عليه بالخروج من الإسلام. والرافضة: سموا بذلك ، لأنهم قالوا لزيد بن علي بن الحسين تبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر ، فأبى وقال معاذ الله فرفضوه فسموا بالرافضة. دينهم سب الصحابة!).هـ. إن هؤلاء وأشباههم هم أعظم السبب لتأخر النصر!)

يـــا نفـــسُ ويحـــكِ كفكفـــى الـــدمع الأغـــرْ! واخشوشـــنـي ، فالـــدمعُ يـــذهب بـــالحجرْ

حتـــى متـــى تبكـــين حاضـــر أزمـــةٍ؟ وإلـــى متـــى فـــي الكـــرب دمعُـــكِ ينحـــدر؟

حتـــى متـــى تتـــأوهين بحرقـــةٍ؟ وإلـــى متـــى يحـــدو بـــكِ الـــدمع الأغـــر؟

طـــارت جميـــعُ أزاهـــر الآمـــال مـــن فـــرط الجـــوى ، أمـــا كروبـــك لـــم تطـــر!

بـــالأمس كنـــتُ أراكِ فـــي أوج الـــذرى وبعطـــر حبـــكِ للتفـــاؤل أفتخـــر

وأراكِ نبراســـاً بطاعـــة ربنـــا يزهـــو ، ينيـــر الـــدرب حتـــى يزدهـــر

وأرى رياضـــاً مِـــن جمالـــك تزدهـــي وأرى ضـــياءً مِـــن أريجـــكِ ينتشـــر

فأبِيـــتُ أشـــكر للمليـــك عطـــاءه وأظـــل أمعـــن فـــي نعائمـــه النظـــر

وأمتّـــع الخلجـــاتِ بـــالتقوى لـــه وأقـــول: هـــذا فضـــل ربـــي المقتـــدر

هـــل بعـــد هـــذا تنـــزوي روحُ التقـــى ويغيـــب بلســـمُها ، وتركُلهـــا الغِيـــر؟

هـــمٌ علـــى هـــمٍ يُحَطـــم عزمتـــي وتنـــال مِـــن صـــبري ديـــاجيرُ الخطـــر

كـــربٌ علـــى كـــرب يُمـــزقُ مهجتـــي ويفـــتّ فـــي عضُـــدي خيـــالٌ منقعـــر

حـــزنٌ علـــى حـــزن يخمّـــش صـــيحتي حتـــى متـــى هـــذا العـــذابُ المســـتمر؟

وفـــراقُ خـــلان بـــأرض شـــقائنا وغيـــاب مثلـــي علـــى ســـياج (المـــؤتمر)!

فـــي ضـــيعتي كـــم إخـــوةٍ وأخـــوّةٍ! وعلـــى الرُبـــا كـــم ذا هنالـــك مـــن أســـر!

بـــين المـــزارع ذكريـــات الأمـــس تلهـــو لا تفـــارقني ، ففيهـــا المعتبـــر

و(الملجـــأ) الوســـنانُ حـــين وطئتـــهُ ألفتيـــه أرضـــاً يمـــوجُ بهـــا الزهـــر

قـــد كـــان يكفـــي كِســـرة وقـــراءة وننـــام نحلـــم بـــالنعيم المُـــدخر

ونبيـــت نقـــرأ فـــي (الكتـــاب) بمتعـــةٍ ثـــم الحـــديث ، وبعـــده نـــردُ الســـير

قرآننـــا لا صـــوت يعلـــو فوقـــه وكـــذا حـــديث رســـولنا ، فهمـــا الـــدُرر

وهمـــا الســـبيلُ إلـــى هدايـــة ربنـــا وهمـــا النجـــاة إذا تجمعـــتِ الغِيـــر

وهنـــاك فـــوق منـــابر الأقـــوام يُســـ ـــمعُ مـا تقـول ، ولا تـرى لـك مـن ضـرر

وهنـــــاك آدابُ اســـــتماع جمـــــة وهنـــاك تنـــزاح الوســـاوسُ ، تنـــدحر

وتـــزول ريـــحُ الشـــر بعـــد لقائنـــا وتمـــوتُ أعفـــانُ الريـــاء ، وتنـــدثر

يلقـــاك هـــذا بابتســـامة والـــدٍ وتحـــب ذلـــك فـــي الإلـــه ، وتنتظـــر

كـــل الكبيـــر مـــع الصـــغير يحبنـــا بعـــد المهـــيمن نعـــم عـــونٌ يُـــدخر!

فالكـــل يأمـــل خيرنـــا ونعيمنـــا ويريـــدنا فـــوق الســـحاب وفـــي القمـــر

خبـــزٌ وملـــحٌ زادُنـــا ، ومیـــاهُ نیـــ ـــل شـــرْبنا ، والشـــايُ مـــن بعـــد الجـــزر

أفراحُنـــا أفـــراحُهم ، عجبـــاً لهـــم! أحزاننـــا أحـــزانهم ، نعـــم الزمـــر!

وطعـــامهم فـــي بيتنـــا ، وكـــذا الصـــلا ة ببيتنـــا ، شـــيءٌ يُسَـــرّ بـــه العمُـــر

ومـــع الصـــباح أســـير حتـــى معهـــدي لألقـــن الأشـــبال مـــا يُجْلـــي البصـــر

وكـــذا أذكّـــر بالمليـــك ودينـــهِ وهنـــاك لا أعطـــي ســـوى بعـــض الشـــرر

أمـــا البقيـــة لـــيس يُجـــدي ذكرُهـــا لا خيـــر فـــي علـــم غزيـــر كـــالمطر

دوْر المعلـــم أن يبـــيّن مـــا اختفـــى ويُعِـــين أفراخـــاً تتـــوق إلـــى القمـــر

ومـــع الظهيـــرة عـــودة فينانـــة قـــد زانهـــا الســـعيُ المتـــوّجُ بـــالزهر

وقبيـــل عصـــر اليـــوم درسٌ ثـــم در سٌ للصـــغار وللكبـــار بـــلا ضـــجر

وقبيـــل مغربـــه تـــلاوة ســـورةٍ ثـــم انغمـــاسٌ فـــي الصـــلاة علـــى الأثـــر

وبُعيـــد مغـــرب يومنـــا خـــتمُ الصـــلا ة بذلـــةٍ ، وصـــلاة ركعـــاتٍ أخـــر

وبُعيـــد ذلـــك لقمـــة وبُعـــيضُ قطـــ ـــر المـــاء ، ثـــم الشـــاي يطـــوي مـــا ائتمـــر

وقـــراءة فـــي ســـاح فكـــر واعـــدٍ مستبصـــر ، لا فكـــر مـــأفون قـــذر

أمـــا امـــتلاء الـــبطن بـــالمطعوم والـــ ـــمشروب دومـــاً: هـــل إلـــى التقـــوى يجُـــر؟

أمـــا امـــتلاء العـــين بـــالنظر المحـــ ـــرم والمســـمم فهْـــو مســـلكُ مَـــن فجـــر

أمـــا امـــتلاءُ القلـــب بالحـــب الـــذي هـــو ديـــدنُ الأقـــوام فـــي دار الغجـــر

أمـــا امـــتلاءُ الـــروح بالـــدينار والـــد ولار فهْـــو خطيئـــة تئـــد البشـــر

أمـــا امـــتلاءُ الفـــمّ بـــالمطعوم والـــ ـــمشروب والملبـــوس: مـــاذا يُنتظـــر؟

أمـــا امـــتلاءُ الـــدار بالخـــدم الألـــي ملكـــوا ضـــحىً ، وكـــذا الحـــريم المحتكـــر

أمـــا امـــتلاءُ فنائهـــا بـــدوابهم ورحـــالهم ، مـــا عـــاد فيهـــا مســـتقر

أمـــا امـــتلاءُ مجـــالس الأقـــوام بـــالأ صـــنام والتصـــوير مـــن تحـــت الســـتر

وكـــذا امـــتلاءُ ملاعـــب الأقـــوام بـــالز ينـــات والأصـــباغ زيّنـــتِ الجُـــدُر

أمـــا انتفـــاخ بطـــونهم بلذيـــذ أطـــ ـــعمةٍ ، بفاكهـــةٍ ، بخرفـــان الجـــزر

وإذا دعـــا داعـــي الجهـــاد تـــراهمُ مـــا بـــين صـــاحب علـــةٍ أو معتـــذر

سُـــقيا لعهـــد كرامـــة ولـــتْ ومـــا عـــادت ، وقـــد دفنـــتْ ببوتقـــة العُمُـــر

ومدينـــة الأحـــزان داري صـــدّقوا فالـــذل فـــي أحشـــاء داري يســـتقر

مـــاذا بهـــا؟ أخبـــرْ وقـــلْ: مـــاذا بهـــا؟ مـــاذا بهـــا غيـــرُ الخـــراب المحتظـــر؟

غيـــر المَنـــاكح والـــذبائح لا تـــرى! أمـــا القـــرائح فهْـــي أحـــلامُ الغجـــر

غيـــر الرذالـــة والتطـــاول لا تـــرى! أمـــا الشـــهامة فهْـــي فـــي كبـــد الجـــدر

غيـــر العمالـــة والخيانـــة لا تـــرى! مـــاذا بهـــا غيـــر التكســـر والســـكر؟

مـــاذا بهـــا غيـــرُ الشـــخوص وظلهـــا؟ مـــاذا بهـــا غيـــرُ الرجيـــع المعتمـــر؟

غيـــر العـــذارى والســـكارى والخنـــا وكمـــا تـــرى خلـــف الفنـــا يعـــدو البشـــر

ويقـــول حـــال الجمـــع: مـــن هـــدي المليـــ ـــك وشـــرعه أفصـــحْ وقـــلْ: كيـــف المفـــر؟

وأرح ضـــمائرنا أيـــا هـــذا المُهـــوّ ل مـــن كلامـــك والوعيـــد المزدجـــر

وفـــرْ حـــديثك للـــذين تحـــبُهم ... إنـــا غرقنـــا فـــي الضـــلالة والقـــذر

واحمـــلْ صـــحائفك التـــي أودعتهـــا ... واحمـــل عصـــاتك والمعـــين المســـتتر

واحمـــلْ أدلتـــك التـــي تزهـــو بهـــا ... واحمـــل رســـائلك التـــي فيهـــا العِبـــر

وارحـــلْ فلـــيس بـــدارنا هـــذا الـــذي ... تصـــبو إليـــه ، ولـــيس منـــا مصـــطبر

واذهـــبْ إلـــى مهـــد الرجولـــة والوفـــا ... ودع العـــذاب لأهلـــه ، ودع الضـــرر

فهنـــاك يســـمعك الـــذين تحـــبهم ... وهنـــاك يعرفـــك الكثيـــرُ ، وتشـــتهر

وهنـــاك أهلـــك والصـــحابُ ودارُكـــم ... كـــم فـــي ثـــرى تلـــك الـــدنا لـــك مِـــن وَطـــر!

وهنـــاك ريـــفُ ديـــاركم وبقـــاعكم ... أمـــا هنـــا: فهنـــا المكاحـــل تزدهـــر

وهنـــاك ترتـــاحون يســـعدكم بـــدا ... ركَ فقـــرُكم ، أنـــتم بـــه منـــذ الصـــغر

وهنـــاك يُثمـــر نصـــحُكم وكلامكُـــم ... أمـــا هنـــا: فجميعنـــا نرجـــو ســـقر

إنـــا لنعـــرف هولهـــا وعـــذابها ... ســـقر لنـــا: لا تبقـــينّ ولا تـــذر

ومدينـــة الأحـــزان تقتلـــع الهُـــدى ... مـــاذا بهـــا؟ فيهـــا التقِـــيُّ علـــى حـــذر!

مـــاذا بهـــا يـــا صـــاح؟ قـــل مـــاذا بهـــا؟ ... بعـــضُ البغـــاث يســـودهم زيـــر الخفـــر

والمـــالُ أفصـــح أنـــه أســـر الحجـــا ... وكـــذا النســـا ، فســـألته مـــاذا الخبـــر؟

فأجـــابني بفظاعـــةٍ وشـــناعةٍ ... والـــدمعُ مـــن عـــين المخاطـــب ينهمـــر

لا شـــئ يُعجزنـــي بهـــا ، فأنـــا المؤمِّـــ ... ـــل والمرجّـــى فـــي الخـــراب المُكْفهـــر

وأنـــا المؤمـــل فـــي الســـلامة والنـــدا ... مـــةِ والقيامـــة والصـــراط ، وفـــي الغِيَـــر

والنـــاس يجرفهـــا بريـــق ترفعـــي ... وكمـــا الخنـــاجر فـــي الحشـــا وخـــز الإبـــر

أمـــا القلـــوبُ فدنســـتْ بصـــنيع إبـــ ... ـــليس بـــألفي حيلـــةٍ وكـــذا صـــور

وكـــذا الرجـــال فخـــدّرتْ فـــيهم كـــرا ... مـــة آدم ، ومضـــتْ بـــراكينُ الغِيـــر

وكـــذا الـــديار فهـــوّدتْ وتنصـــرتْ ... رغـــم الأنـــوف علـــى يـــد الـــرهط الأبـــر

رهـــط أبـــرّ بهـــودهم وصـــليبهم ... أمـــا علـــى التوحيـــد ســـيفٌ مشـــتهر

رهـــط يـــذكّر بالمليـــك وهديـــه ... لا يســـتجيب ، وإنمـــا ينســـى النـــذر

رهـــط تمكّـــن مـــن رقـــاب أماجـــدٍ ... بالنـــار يحكـــم والحديـــد المســـتعر

رهـــط يخيّـــل للحيـــارى والســـكا ... رى أنهـــم نعـــم الـــورى! نعـــم النفـــر!

رهـــط تـــولى فـــي غيـــاب حنيفـــةٍ ... وغيـــاب عُصـــبة (أحمـــدٍ) ، وكفـــى سُـــعُر!

رهـــط بـــدار الهُـــون يـــذبح نورهـــا ... (مُضـــرٌ) بغيـــر الحـــق حتمـــاً تنتحـــر

رهـــط بـــدار الـــذل منشـــأ عارهـــا ... فلبـــئس قـــوم هـــؤلاء ومـــن غـــدر!

رهـــط بـــدار اليـــأس يقتـــل فجرهـــا ... فالنـــاس قـــد غـــزوُا الفضـــاء إلـــى القمـــر

والقـــوم فـــي ذيـــل الحضـــارة والـــورى ... يـــا ليـــت شـــعري ، كيـــف يرتـــاح البشـــر؟

رهـــط بـــدار الـــوهم يمســـخ بأســـها ... ويُحيلهـــا فـــي الهـــالكين وفـــي الـــدبر

رهـــط ، وليـــت النـــاس تفهـــم مـــا أقـــو ... لُ ، وتســـتحي ، وتريحنـــا مـــن كـــل شـــر

يـــا صـــاح خبّـــر قومنـــا أن الحيـــا ... ة غـــدت زلازلَ فـــي الـــدياجي تنفجـــر

واســـتعبد الـــدولار أجناســـاً بهـــا ... وأحـــالهم: قطعـــان تلهـــث فـــي الحفـــر

إبليســـهم أمـــوالهم ، أمـــا الفضيـــ ... ـــلة لا مكـــان لهـــا ، ولا حتـــى خبـــر

لا خمـــر تجـــرع جهـــرة ، إلا ويعـــ ... ـــلمُ أمرهـــا إبليســـهم ، يـــا للكـــدر!

لا زور يُعلـــن فـــي المـــلا إلا ويعـــ ... ـــرف أهلـــه إبليســـهم ، يـــا للبطـــر!

لا فســـق يُشـــهر ســـيفه إلا ويعـــ ... ـــلم أمـــره إبليســـهم ذاك الأشـــر

لا خصـــر ســـاقطة يهـــز وينثنـــي ... إلا وإبلـــيسٌ بـــرقص قـــد أمـــر

قبلـــوا الدنيـــة والمهانـــة فـــي الحنيـــ ... ـــفة ، ليـــتهم قبلـــوا الدنيـــة فـــي الســـعر

واستأسد المجنوز وهْو ضحية ... في البيت يمرح لاهياً أو يختمر

مادام متروكاً له أمر الهوى ... لم لا يعيث؟ وتلك كارثة أمر!

عربيدُهم من كل صُقع قد أتى ... والمصلحون الحاذقون من المجر

لا ذوق ، لا أخلاق ، لا قيم هنا ... لك أو مبادئ ، بل موازينٌ أخر

تركوا المفاسد في قعور بيوتهم ... حيث البناتُ ، وحيث عِرضٌ منتشر

حتى يعود الظل من كبد العمى ... لترجّ صولته الأنام ، ويحتقر

ويكافئ الزيف المتوّج بالهوى ... هذي وربي نكسة تئد الفطر

يا ليت شعري ردة ، ويغيظني ... ألا أبو بكر لها أو قل: عمر

أبداً فداك الروحُ ياعُمر الهدى ... إن العدالة من حروفك تبتشر

لمّا رآه يسِر لامرأة علاهُ بدِرةٍ ... في السوق فسقٌ ينتشر!

قد قال: زوجي يا أمير المؤمنيـ ... ـن ، وسوف نسكن دار مَن يُغْلي السعر

فيقاطع الفاروق ما قد قاله ... ويقول حقاً ما يقول أيا عمر؟

يا سوأتي مما فعلتُ ، وكربتي! ... ماذا فعلتَ على الملا؟ ما تصطبر؟

إن كان حقاً ما يقول فسوف يأ ... خذ دِرة ، يهوي بها بعض الدِرر!

فأجابتِ الزوجُ المصونُ بأنه ... زوجي ، وصدقٌ ما تلفظ من خبر!

يا ليت شعري قدّم الفاروق دِرَّ ... تهُ ، وقال: اضرب بها ، ودع الحذر!

فيُجيب إني قد عفوت فلا عليـ ... ـك أميرنا ، هي عند رب مقتدر

فيقول: لا ، هي عند من هو للمهيـ ... ـمن عبدُهُ ، واذهب وذر ما قد صدر!

أما مدينة حزننا ماذا بها؟ ... إبليسهم ، يا للعذاب المستعر!

مَن يقتل الإبليس مَن؟ مَن يحرق الـ ... ـدولار مَن؟ مَن ذا يذود بلا حذر؟

مـــن ذا يُبيـــد الـــزور مَـــن؟ مَـــن ذا يُريـــق الخمـــر مَـــن؟ مـــن ذا يـــدافع لا يفـــر؟

مـــن ذا يُزيـــل الشـــر مـــن؟ مـــن ذا يبيـــد الـــدعر مـــن؟ مـــن ذا يقـــود وينتصـــر؟

مـــن ذا يلـــم الشـــمل مـــن؟ مـــن ذا لحســـم الكـــرب مـــن؟ مـــن للظـــلام المســـتتر؟

مـــن ذا لمحـــق الـــذل مـــن؟ مـــن ذا لجبـــ ـــر الكســـر مـــن؟ مـــن للمصـــير المنشـــطر؟

مـــن ذا لجمـــع الصـــف مـــن؟ مـــن ذا يقـــو لُ الحـــق مـــن؟ مـــن للنعـــيم المنتظـــر؟

الهَـــديُ فـــي تلـــك الـــديار رذيلـــة بـــل فـــي المناســـك والصـــوامع يقتصـــر

هـــل بعـــد ذلـــك ذلـــة لتصـــورٍ؟ أن يســـكن الفرقـــان أوراقـــاً تقـــر؟!

أن يجعـــل الفرقـــان أوراداً وأعـــ ـــياداً وأقنعـــة ، وأيامـــاً تمـــر؟

أن يســـكن الفرقـــانُ مكتبـــة يبـــا عُ الفكـــر فيهـــا ، أو يـــداوَل ، أو يُســـر؟

أن يجعـــل الفرقـــان دروشـــة وحَـــذ لقـــة وفلســـفة بهـــا الحمقـــى تغـــر؟

أن يجعـــل الفرقـــان معركـــة تـــد ورُ ، ولا يكُـــف أوارهـــا حـــول الـــدثر؟

حـــول اللحـــى ، حـــول العمـــائم والســـتا ئـــر والجنـــائز والتمـــائم والنشـــر؟

حـــول الرقـــى ، حـــول الزنـــى ، حـــول الخنـــا؟ حـــول الغنـــاء وأهلـــه ، حـــول الصـــور؟

حـــول المعـــازف والقيـــان وآلـــه؟ حـــول الربـــا ، أو حـــول إطـــراق البصـــر؟

حـــول القـــراءة بعـــد فاتحـــة الكتـــا ب وحكمهـــا ، أو حـــول أحكـــام الســـفر؟

أو حـــول بســـملة الأئمـــة جهـــرة! حـــول الـــدما ، أو حـــول قصـــر فـــي حضـــر؟

حـــول الـــدعا مـــع رفـــع أيـــدٍ فـــي الصـــلا ة ، وحـــول مـــاء البحـــر أو مـــاء النهـــر؟

أو حـــول فتـــوى فـــي التبـــرج والهـــوى؟ أو حـــول فتـــوى طهـــرة المـــاء العكـــر؟

حـــول فتـــوى لســـت أعـــرف قصـــدها! مضـــمونها: عـــدم الركـــوع مـــع الكِبَـــر؟

أو حـــول فتـــوى هـــازل موضـــوعُها مـــا حكـــم ديـــن الله فـــي ظـــل الشـــجر؟

أو حـــول فتـــوى نـــائم موضـــوعها ... مـــا قـــولكم فـــي نومنـــا وقـــت الســـحر؟

أو حـــول فتـــوى فـــي نفـــاس أو عـــرا ... كٍ طـــارئ ، أو حـــول أصـــباغ (اللكـــر)؟

أو حـــول فتـــوى تـــاجر موضـــوعها ... مـــا حكـــم ديـــن الله فـــي بيـــع الغـــرر؟

لا شـــيء يُســـمع عـــن طواغيـــت الـــورى ... مـــا دام هَـــديُ الله فـــي الفتـــوى اقتصـــر!

حكمـــوا الـــديار بغيـــر هـــدى نبينـــا ... والقـــوم نـــاموا فـــي دجـــى نـــوم الفجـــر

قـــانون مَـــن عبـــدوا المســـيح بـــدارهم ... ونصـــوصُ عُبّـــاد الخنـــا ، يـــا مـــوت زر!

يـــا مـــوت زر ، فحياتنـــا صـــمت الفنـــا ... دبّـــر إلـــهَ الخلـــق أمـــراً قـــد قـــدر

مـــــاذا أقـــــول لجوقـــــة تفكيـــــرهم ... فـــي أكلهـــم ، فـــي شـــربهم؟ بـــئس الفِكَـــر!

فـــي نـــومهم ، فـــي هـــزلهم ، فـــي مـــالهم ... أو فـــي وقـــاع نســـائهم بعـــد الســـمر!

أو فـــي بنـــاء بيـــوتهم ورياضـــهم ... فـــي لبســـهم ، فـــي عطـــرهم ، بـــل والغتـــر!

أو فـــي التســـابق نحـــو ملهـــى قينـــةٍ ... أو لعبـــة ، أو ســـهرة ، يـــا للخـــوَر!

أو فـــي شـــراء أثـــاثهم ورياشـــهم ... وأخـــصّ - بعـــد الكـــل - زينـــاتِ الســـرر

أو قـــي شـــراء ذبـــائح وفواكـــهٍ ... أو فـــي التجـــارة فـــي أحاســـيس البشـــر

مـــاذا أقـــول أيـــا مدينـــة حزننـــا ... والأمـــرُ أمســـى فـــي ســـراديب الضـــجر؟

مـــاذا أقـــول لهـــا وذلـــك حالهـــا؟ ... والحـــالُ يُغنـــي عـــن مقـــال قـــد صـــدر

إفلاســـها أودى بهـــا ، برجالهـــا ... بنســـائها ، بشـــبابها منـــذ الصـــغر

تضـــييعُها للهَـــدي هـــل يســـمو بهـــا؟ ... والهـــدى كـــان لـــدارنا ضـــوءُ القمـــر

تغييـــبُ وحـــي الله هـــل يعلـــو بهـــا؟ ... أم يـــا تـــرى يُـــودي بهـــا قعـــر الحُفـــر؟

حفـــر الضـــلالة والحقـــارة والهـــوى! ... وضـــياعُ ديـــن الله شـــرٌ أي شـــر!

وتعـــددتْ نـــذرُ المهـــيمن حولهـــا ... لكنمـــا المصـــروفُ لـــيس يـــرى النـــذر

سُـــنن المليـــك علـــى الرقـــاب ، وآيـــه ... شـــرقاً وغربـــاً ، بـــل علـــى مـــد البصـــر

والحـــــق أن الـــــدار تنتظـــــر الفنـــــا ... وكـــذا ضـــياعُ البـــأس هـــا هـــي تنتظـــر

إن كـــان بـــأس الحـــق ضـــاع بـــدارنا ... وعلـــى مآذنهـــا ، وفيهـــا يحتضـــر

فلســـوف ينتصـــر المليـــكُ لهديـــهِ ... ويعُـــم ذاك الهـــديُ بِيـــداً والحَضـــر

غـــرتكمُ الـــدنيا أيـــا أعرابنـــا ... كيـــف انـــزلقتم للحضـــيض المحتقـــر؟

مـــاذا ســـيفعل جمعكـــم يـــوم النشـــو ... رِ بهولـــه وقيامـــة أدهـــى أمـــر؟

أيقـــول: غرتنـــا الدنيـــة ربنـــا؟ ... واللهِ ســـاعتها تولـــون الـــدبر

أيقـــول: أخرجنـــا فـــإن عـــدنا فإنـــ ... ـــا ظـــالمون ، وأنـــت أرحـــم مَـــن قـــدر؟

أيقـــول: أيقنـــا بأنـــك عـــادلٌ ... وعلـــى عـــذاب القـــوم أنـــت المقتـــدر؟

أتـــروْن ذلـــك شـــافعاً؟ فلســـوف يـــأ ... تـــي الـــردُ مـــن عنـــد المليـــك المقتـــدر

ردٌ عجيـــب الوقـــع فـــي آذهاننـــا ... ويـــــذرّ للوجـــــدان ذراً أي ذر!

ســـيقول: كـــلا إنهـــا كلمـــات مخـــ ... ـــدوع ومعتـــوهٍ وكـــذابٍ أشـــر!

هـــذا ، ويـــومُ البعـــث يـــومٌ فاصـــلٌ ... وهنـــاك لا تجـــدي دمـــوعٌ تنحـــدر

وهنـــاك لا تجـــدي العلائـــقُ والـــروا ... بـــط والـــدراهم والجنـــود ولا القُـــدَر

وهنـــاك لا تجـــدي جيـــوشٌ أو قـــوىً ... مَـــن لـــي بطـــاغوتٍ بـــذلك يعتبـــر؟

وهنـــــاك لا أمٌ تفيـــــد ولا أبٌ ... فالكـــل يصـــرخ: كيـــف مِـــن ذاك المفـــر؟

يـــا ليـــت شـــعري مـــا جـــرى؟ فالكـــل مـــن ... هـــول المصـــاب كمـــا الجـــراد المنتشـــر!

إن الـــذكي العبقـــري مـــن اســـتبا ... ن الـــدرب والأعـــوان حتـــى يصـــطبر

لـــيس الرجـــال بـــدرهم أو ملـــبس ... هيهـــات يُطـــربهم كـــذا ضـــربُ الحُجُـــر

وكـــذا النســـاء بـــدينهنّ محـــط كـــ ... ـــل فضـــيلةٍ ، لـــيس النســـاء بـــذي الطـــرر

والآدميـــــة بانتهـــــاج الشـــــرع لا ... أن تســـتبدّ بـــك المـــذاهبُ والمِـــرر

والعُجْـــبُ لـــيس بميـــزةٍ لمـــن اتقـــى ... أبـــداً ، ولـــيس مزيـــة هـــذا الســـعر

يُعلـــي كـــرامَ النـــاس عنـــدي دينـــهم ... ويبـــوء بالآثـــام أصـــحاب الـــزور

لا يـــذهب المعـــروف يومـــاً بيـــنهم ... لـــئن اتقـــوْا لـــن تـــذهب التقـــوى هـــدر!

كيـــف المســـير بغابـــةٍ نحيـــا بهـــا؟ ... كيـــف التجـــوّل فـــي القفـــار بـــلا وتـــر؟

قـــومٌ تمـــرّق هـــديُهم وحيـــاؤهم ... يـــا للأســـى ، أواه مـــن أهـــل المـــدر!

ولقـــد نســـوْا أغنـــامهم وخيـــامهم ... وســـيوفهم ، أواه مـــن أهـــل الـــوبر!

مـــا كنـــتُ أحسِـــب أنكـــم للحـــد هـــ ... ـــذا تكرهـــون الحـــق والنـــور الأغـــر!

تســـتكبرون عـــن الحنيفـــة هكـــذا! ... وتطوّقـــون رجالهـــا ، بـــئس الحُمُـــر!

تبقـــون كـــل معربـــدٍ ومخـــرّفٍ ... وكـــذاك كـــل ممـــولٍ لبيـــوت سِـــر!

وليرحـــل الأفـــذاذ مَـــن قـــد عَلمـــوا! ... مـــادام صـــهيونٌ بهـــذا قـــد أمـــر!

وليرحـــل الأبطـــال عـــنكم والألـــى ... أنقـى وأنصـع – فـي الـورى - مـن كـل دُر!

مـــا هـــل عســـاكم تصـــنعون بـــداركم ... وفســـادها بحـــراً وجـــواً ، بـــل وبـــر؟

فليرحـــل الفرقـــان منهـــا والهُـــدى! ... وليهنـــأ الفســـاق فيهـــا والنفـــر!

هيـــا اذهبـــوا يـــا مخلصـــون لـــداركم ... فالنبـــتُ مشـــتاقٌ لموفـــور المطـــر!

مطـــر الهدايـــة والتصـــور والعطـــا ... مطـــرٌ يرجّـــى بعـــده حلـــوُ الثمـــر

والـــداءُ داءٌ واحـــدٌ ، وكـــذا دوا ... ءُ القـــوم أيضـــاً واحـــدٌ ، وبـــلا تحـــر

الـــداءُ تنحيـــة الكتـــاب عـــن الحيـــا ... ة ، عـــن الأنـــام ، وثـــمّ تنصـــيبُ الخفـــر

أمـــا الـــدواءُ فعـــودة للهَـــدي مُســـ ... ـــرعة ، وتحكـــيمُ الكتـــاب بـــلا خـــور

إن كـــان ذاك فقـــد ربحـــتم قومَنـــا! ... أو كـــان غيـــرُ فلـــيس بعـــدُ سِـــوى سَـــقر

يومـــاً تقـــول: زيـــادة يـــا ربنـــا ... فيقـــول: زدنـــاكِ الخزايـــا والحَجَـــر

أســـمعتمُ مُـــر الحقيقـــة قومَنـــا ... فـــالحق مُـــرٌ ، إي وربّ النـــاس مُـــر

مـــاذا علـــيكم لـــو أطعـــتم ربكـــم ... وســـمعتمُ للحـــق فـــي وقـــت اليُسُـــر؟

أحـــوالكم هـــذي تسُـــر عـــدوكم ... وإذا بكـــم - بـــين الـــورى - فـــرٌ وكـــر

أمـــا أمـــورُ حـــريمِكم فـــالهزل أفـــ ... ـــسدهن ، والـــدينارُ يهتـــكُ فـــي الســـتر

عبثـــتْ بهـــن المطربـــاتُ وكـــل عبـــ ... ـــاد الهـــوى ، ومَشـــيْن فـــي درب الـــوزر

عبثـــتْ بهـــن ، بعِرضـــهن ، بحسنهـــ ... ـــن ، بهـــديهن تشـــفياً (ســـيليا كيلـــر)

فـــالهزلُ أودى بالحيـــاة وبـــالعُرى! ... والحـــق فـــي المِحـــراب آيٌ مِـــن سُـــور

لكنمـــا لا يـــأسَ ، لا تنفيـــرَ ، لا ... تقنـــيط ، فالإســـلام ديـــنٌ مُبتشـــر

أمـــا الطريـــق أمـــامهن فواضـــحٌ ... وعلـــى جوانبـــه عديـــدٌ مِـــن بُشُـــر

فـــالله يغضـــب إن تمـــادى عبـــدُهُ ... فـــي غيـــه ، ويقـــولُ: أقصـــرْ يـــا أشـــر!

والله يفـــرحُ عنـــد عـــودة عبـــدِهِ ... مِـــن أجـــل ذلـــك قومنـــا فلنبتـــدر

ولقـــد بـــدأتُ قصـــيدتي بالـــدمع فـــو ... ق ســـريرتي ، يمحـــو الصـــخور مـــع المـــدر

يمحـــو كـــذلك كـــل عـــذب يـــانع ... لا يُبقـــينّ بســـاح قلبـــي مِـــن خضـــر

ركـــزْتُ جُـــل قصـــيدتي فـــى غربـــة الإ ... ســـلام والتوحيـــد فـــي جُـــل الفِقـــر

وأفـــاض رب النـــاس مِـــن بركاتـــهِ ... فجـــرى المِـــدادُ علـــى الكتـــاب كمـــا الـــدرر!

وأظـــن قـــارئ فكرتـــي بقصـــيدتي ... فهـــمَ المـــرادَ ، وإن قـــلاه أقـــول: غِـــرْ

ولســـوف أختـــم بالـــدموع قصـــيدتي ... متوشـــحاتٍ ســـيفها وقـــت البُكـــر

دمـــعٌ علـــى توحيـــدنا ، دمـــعٌ علـــى ... أخلاقنـــا ، يُشـــجي ويُمتـــع لا يضـــر

لكنـــه دمـــعٌ يُبشّـــر بالهنـــا ... ولكَـــم إلـــى نصـــر الحنيفـــة نفتقـــر!

لكل نبأ مستقر

(هناك حقيقة لا بد أن نسلم بها ونعتقد ، ألا وهي أن الحقيقة لا تموت ، وأن لكل نبأ من الأنباء مستقراً. وأن التوبة أقرب إلى أحدنا من شِراك نعله. وشروط التوبة أربعة: (1) الندم بالقلب على الفعل. (2) الاستغفار باللسان. (3) الإصرار والعزم على عدم العودة إلى الذنب. (4) رد المظالم إلى أهلها. وعلامة قبول التوبة أربع: (1) العزلة عن قرناء السوء ومخالطة الصالحين. (2) الإعراض عن الدنيا بالقلب ثم الإقبال على الآخرة. (3) الانقطاع عن الذنوب ما أمكن والإقبال على الآخرة. (4) الاشتغال بأوامر الله واجتناب نواهيه. ويكون حقيقة للتائب الصادق على الناس أربعة أشياء: (1) الحب في الله . (2) الدعاء بالثبات على الهداية. (3) المجالسة للتذكرة والإعانة. (4) عدم التعيير بما سلف من الذنب. ومن هنا فلنعلم أن لكل نبأ نستقراً. وأن القيامه آتية لا ريب في إتيانها. ومهما أسرف الموحّد في الذنوب وغلبه شيطانه على المعاصي ، فليتب إلى الله. فلا بد من إحسان العمل وإتقانه ، وكما يقول الأستاذ عبد المحسن البدر: (فمن أحسن عمله أحسن الله جزاءه ، وقد أوضح الله سبحانه في كتابه العزيز جزاء المحسنين ، وأنه أعظم جزاء وأكمله ، فقال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} ، وهذه الآية فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه بأن الحسنى: الجنة ، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل ، ولا يخفى ما بين هذا الجزاء وذلك العمل الذي هو الإحسان من المناسبة ؛ فالمحسنون الذين عبدوا الله كأنهم يرون جزاءهم على ذلك العمل النظر إليه عيانا في الآخرة ، وعلى العكس من ذلك الكفار الذين طبع على قلوبهم فلم تكن محلاً لخشيته ومراقبته في الدنيا ، فعاقبهم الله على ذلك بأن حجبهم عن رؤيته في الآخرة كما قال تعالى: {كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} ، وكما أنّ جزاء الذين أحسنوا الحسنى ؛ فإن عاقبة الذين أساؤوا السوأى كما قال تعالى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ}. ومما ذكره الله في جزاء المحسنين قوله: {وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} ، وقوله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} الآية ، وقوله: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} ، وقوله: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} الآية ، وقوله: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} ، وقوله: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} ، إلى غير ذلك من الآيات).هـ. ولقد يبكي الموحد كثيراً. ويذوب قلبه كما يذوب الملح في الماء ، حيث يرى الرزايا والبلايا والموبقات من حوله جمّة ويحزن في نفسه أنه لا يملك في دنياه تلك وحالته هذي أي حول أو طول أو قوة ، فلا يستطيع تغييراً لما يرى من المنكر ، ولا يهتدي سبيلاً. فيرد عليه خاطره من عالم الضمير: لكل نبأ مستقر!)

أيقنـــــــــــــتُ أن القارعـــــــــــــة فيهـــــــــا العقوبـــــــــــة رادعـــــــــــة

فـــــــــــيم البكـــــــــــاءُ بمقلـــــــــــةٍ تنعـــــــــــي الرزايـــــــــا الشـــــــــائعة؟

ذبُـــــــلَ الفـــــــؤادُ كزهـــــــرةٍ ... بـــــــالأمس كانـــــــت يانعـــــــة

واليـــــــوم أذبلهـــــــا الجـــــــوى ... فغـــــــدتْ تولـــــــولُ خاشـــــــعة

يـــــا قلـــــبُ كفكـــــفْ عَبـــــرة ... هـــــي فـــــي البلايـــــا راتعـــــة

واحقـــــنْ دمـــــاءك ، إنهـــــا ... لـــــك فـــــي الصـــــبابة شـــــافعة

صُـــــنها ، ولا تـــــكُ عابثـــــاً ... خـــــلِّ الـــــدموع الخانعـــــة

هـــــلا اعتبـــــرتَ بمـــــا جـــــرى ... لـــــك فـــــي الخطـــــوب الفاجعـــــة؟

ولكـــــل حـــــي منتهـــــىً ... واقـــــرأ لـــــذاك (القارعـــــة)!

يـــــا نفـــــس مَـــــن لـــــكِ صـــــابري؟ ... كـــــوني برزقـــــكِ قانعـــــة

فَضـــــلتِ بـــــالحق ، اعلمـــــي ... إذ فيـــــه رمحُـــــكُ قاطعـــــة

كُرمـــــتِ عـــــن خلـــــق يُـــــرى ... فنهضـــــتِ ، كنـــــتِ الطائعـــــة

وقضـــــيتِ دهـــــراً فـــــي الهُـــــدى ... فلـــــم الطيـــــوفُ الخادعـــــة؟

ولـــــم التقهقـــــرُ صـــــارحي؟ ... ولـــــم القـــــوافي الدامعـــــة؟

ولـــــم القـــــريضُ مُضـــــرّجٌ ... يشـــــكو عـــــذاب الفاجعـــــة؟

أرَزَ الثبـــــاتُ كمـــــا الثـــــرى ... فـــــي الواحـــــة المتصـــــارعة

لـــــكِ فـــــي الصـــــحابة أســـــوة ... يـــــا نفـــــسُ كـــــوني ســـــامعة

كـــــانوا شموســـــاً فـــــي الـــــدنا ... كـــــانوا نجومـــــاً ســـــاطعة

هـــــم قـــــدوة لمـــــن اهتـــــدى ... ولمـــــن يريـــــد متابعـــــة

ولكـــــل نفـــــس حتفهـــــا ... ولســـــوف تـــــأتي الواقعـــــة

نشرت في جريدة الوحدة العربية وذلك بتاريخ: 11 من أبريل لسنة 1996م

ولدي عبد الله

(إن الأولاد نعمة لا يدرك قيمتها إلا من حُرمها (فلم يؤت أولاداً) ، أو فقدها. وكم طال اشتياقي للولد ، وصبرتُ ولم يصبر غيري ، وكذا حلمتُ ولم يحلم غيري ، واستيقنتُ ولم يستيقن غيري. وعندما رزقني الله الولد وأسميته عبد الله ، حاولت إهداء قصيدة له لكني لم أستطع في حينها. ثم ألقى الله في رُوعي خيط الفكرة ، وكتبتُ مسترجعاً مع ولدي شريط الذكريات التي عشتها على مدى سبع وعشرين سنه مرتْ مرّ السحاب ، والتي احتوت من الأحداث ما الله به عليم ومن الكوارث والبلايا ما ينوء بحمله عشرة جمال ومائة ظهر من الإبل الخراسانية. إلا أن الله سلم ، وذهب كل شئ ، ويبقى الإيمان والتوحيد لأنهما هبة الله تبارك وتعالى. يشير صاحب (الحقوق الإسلامية – حق الأولاد) إلى أن دور البيت أن يبين ويربي وينشئ ، فإذا انحرف الأبناء بعد ذلك ، فلا مسؤولية ولا مؤاخذة على أهل البيت! فيقول ما نصه: (ففي بيت من البيوت القائم فيه على التربية نبي ، ومع ذلك خرج من هذا البيت ابن كافر ، حتى لا ييأس والد من الأباء الفضلاء ، أنت بذلت واستعنت بالله وقدمت لولدك ما استطعت ثم خرج الولد منحرفاً ، أنت أعذرت إلى الله عز وجل! وأمر الهدى والتقى ليس بيدك: {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء}. نبي الله نوح عجز عن أن يهدى ولده: {يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ}. ولما تضرَّع نوح لربه: {وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}. وفى قراءة: إنه عملَ غيرَ صالح ، انقطعت الآصرة بالكفر. وبيت آخر يتولى فيه التوجيه والتربية أخبث رجل على وجه الأرض إنه فرعون الذي قال لقومه: أنا ربكم الأعلى ، والذى قال لقومه: ما علمت لكم من إله غيري ، ومع ذلك يتربى في هذا البيت نبي الله موسى ، ففي بيت نبي يكفر ابن لنبي ، وفي بيت شقي يخرج نبي بأمر الرب العلي. فقر عيناً ما عليك إلا أن تبذل قدر استطاعتك ، ودع النتائج إلى الله فكل شئ بقضاء وكل شئ بقدر).هـ. وإذن فهل يعيد لنا أبناؤنا ذكريات الأبناء الذين تربوا على العقيدة والتوحيد؟ نسأل الله ذلك! في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما أنا واقف في الصف يوم بدر إذ التفت ، فإذا عن يميني وشمالي فتيان حديثا السن. يقول عبد الرحمن بن عوف: فرجوت أن أكون بين رجلين غيرهما خشية أن يكون بين هذين الغلامين في الصف ما سرني أن أكون بينهما. يقول عبد الرحمن بن عوف: وبينما أنا كذلك إذ بأحدهما يغمزني سراً من صاحبه لا يريد أن يسمع الآخر فيقول له: يا عم يا عم هل تعرف أبا جهل؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: نعم وماذا تصنع بأبي جهل يا ابن أخي؟ قال: لقد سمعت أنه يسب رسول الله ، ولقد عاهدت الله ـ عز وجل ـ إن رأيت أبا جهل أن أقتله أو أن أموت دونه وفي لفظ: (أن لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا)! يقول عبد الرحمن بن عوف: وإذا بالغلام الآخر يغمزني سراً من صاحبه: يا عم يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال الأول: لقد سمعتُ أنه يسب رسول الله ولقد عاهدت إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه وأن لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا! يقول عبد الرحمن بن عوف: فوالله ما سرني أن أكون بين رجلين مكانهما ، فرأيت أبا جهل يذود في الناس أي يأتي ويروح فقلت لهما: انظرا

هل تريان هذا؟ قالا: نعم. قال: هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فانقضا عليه كالصقرين فقتلاه! فابتدراه بسيفيهما فقتلاه وانطلق الغلامان إلى النبي! كلّ منهما يقول: قتلتُ أبا جهل يا رسول الله! والآخر يقول: لا أنا الذي قتلته. فقال لهما النبي: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا فأخذ النبى السيفين ونظر إلى الدماء عليهما وقال لهما: "كلاكما قتله! ولقد مر عمر بن الخطاب يوماً على مجموعة من الأولاد الصغار وهم يلعبون فى إحدى طرقات المدينة فلما رأى الأولاد عمر بن الخطاب - وكان عمر صاحب هيبة وجلال – جروا وهربوا إلا واحداً ، إنه عبد الله بن الزبير- رضوان الله عليهما - فسعد عمر بهذا الغلام وأقبل إليه وقال له: لمَ لم تهرب مع الأولاد؟ قال: ما كنت مذنباً لأهرب منك يا أمير المؤمنين ، وليس الطريق ضيقاً لأوسع لك! وهذا عبد الله بن عمر- رضوان الله عليهما- يمر يوماً على راع صغير يرعى الأغنام فأراد عبد الله بن عمر أن يختبره وأن يذكره فقال له: يا غلام بع لي واحدة من هذه الأغنام فقال: إنها ليست لي يا سيدي إنما أنا راع فقط ، وإنما هي ملك لسيدي. فقال له ابن عمر- رضوان الله عليهما: قل لصاحب الغنم لقد أخذ الذئب واحدة وهو لا يراك! فالتفت إليه الغلام وهو يقول: فإذا كان صاحب الغنم لا يراني فأين الله؟! فبكى ابن عمر وانطلق وهو يردد قولة الغلام: فأين الله فأين الله ، فأين الله؟! هل يعيد أبناؤنا موقف ألب أرسلان مع رومانوس الروماني حيث أقبل رومانوس إمبراطور الدولة البيزنطية ، بجيش يضم مائتي ألف مقاتل ، وقيل ستمائة ألف مقاتل ، يقوده بنفسه ، ومعه البطارقة ، يريد أن يقضي على المسلمين – بزعمه - ويزيل ملكهم وينفي جمعهم ويدوس رايتهم ، وسرعان ما علم «ألب أرسلان» قائد المسلمين بالخطر الزاحف ، وأدرك أنه لا مفر من الجهاد ، فجمع أهل مشورته وقال لهم: تعلمون من أنباء زحف رومانوس وجيشه اللجب ، وسأخرج لتوي بكفني وحنوطي ، فمن رغب عن الجهاد فدونه المسالك فليسلك أيها أقرب إلى نجاته ، ومن رغب في لقاء الله عز وجل ، فليتحنط وليلبس كفنه وليلحق بي لملاقاة رومانوس. وما هي إلا ساعة حتى كان ألب أرسلان يمتطي جواده ووراءه خمسة عشر ألف جندي ، قد تكفنوا جميعاً بقماش أبيض ، وقد فاحت منهم رائحة الحنوط ، ينتظرون وصول جيش رومانوس أرض المعركة ، وتمر سويعات ثقيلة متباطئة لم يلبث أن يتطاير عن بعد غبار ينبئ بوصول رومانوس ، فتتعالى أصوات المسلمين: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، صدق وعده ونصره عبده وهزم الأحزاب وحده ، ويفاجأ رومانوس وقادة جيشه بالذي رأوه وسمعوه ، ويلقي الله الرعب في قلوبهم ؛ إذ لا يرون أمامهم إلا كتلة واحدة بيضاء ، يتعالى تكبيرها إلى عنان السماء. وتحتدم المعركة بين الجيش المكفن المؤمن ، وبين الجيش البيزنطي اللجب الجرار. ويتدافع المسلمون بأكفانهم يطرقون أبواب الجنة بجماجم الكافرين من جنود بيزنطة وسالت الدماء أنهاراً ، وتطايرت الرؤوس بلا حساب ، وشرعت أبواب الجنة تستقبل المؤمنين ، وشرعت أبواب جهنم تستقبل الكافرين ، وتطلب المزيد. وما كاد النهار أن يستكمل دورته حتى هدأ ضجيج المعركة ، وارتفع في الأجواء صوت المنادي ينادي: أبشروا يا جند الإسلام لقد أسر رومانوس. فتعالت إذ ذاك أصوات المسلمين: الله أكبر الله أكبر ، وإذ فرغ ألب أرسلان وجنده من أداء ركعات شكر لله عز وجل ، على نصره وتأييده ، التفت إلى بعض جنده ، وقال لهم: إليّ برومانوس ، وجيء برومانوس مشدود الوثاق مكبلاً بالأصفاد ، فقال له ألب أرسلان: يا رومانوس ألم أعرض عليك المال والأرض والممتلكات والدور لتكف عن أذى الإسلام وحرمات المسلمين؟ قال رومانوس: بلى. قال القائد المؤمن: فلم لم تقبل؟ قال رومانوس: ظننت أني سأقضي على جيشك ،

وأسحق دولتك. قال القائد المؤمن: أما وقد أخزاك الله يا رومانوس ، ما تظن أني فاعلٌ بك؟ قال رومانوس: إن شئت فاقتلني ، وإن شئت جرني بالسلاسل ، وإن شئت تقبل فديتي وتعفو عني. وأطرق القائد المسلم قليلاً ثم قال: يا رومانوس ، أتعاهدني إن عفوت عنك ألا تقاتل بعد اليوم مسلماً أبداً؟ قال رومانوس وقد دمعت عيناه بعد أن أدرك أنه نجا من موت محقق: لك عهدي يا قائد المسلمين. وقام ألب أرسلان ففك قيود أسيره بيديه ، وقال له: ستوصلك جنودي إلى مأمنك يا رومانوس ، ولقد أمرت لك بخمسة عشر ألف دينار تستعين بها على وصولك ، وحقق الله عز شأنه للمجاهدين المخلصين. هذا ، وتعتبر لاميتي هذه قصة شعرية مع كونها تطرقتْ لأحوال وأحداث ربما لا علاقة لها بالوليد. ولكنها طبيعة الشاعر الصادق – أسأل الله أن أكون صادقاً – يخاطب من أحب في الذي يحب وبالطريقة التي يحب وفي الوقت الذي يحب.)

ابنـــي الحبيـــب فـــدتك نفســـي مـــن رجـــلْ ... أهـــدي إليـــك تحيـــة يـــا ذا البطـــلْ

أخـــذتكَ للتطعـــيم أمّـــك يـــا فتـــى ... وجلســـتُ يكـــويني هجيـــرُ المنفعـــل

ورأيـــتُ كـــل مطيـــةٍ مزدانـــة ... وعلـــى اليمـــين يســـير ديـــوث أشـــل

(ديـــوث) لســـت مُغاليـــاً إن قلتهـــا ... ديـــوث ، بـــل وعلـــى الدياثـــة قـــد جُبـــل

(ديـــوث) لا يغنيـــه عُـــرْيُ حريمـــه ... مطعـــون فـــي أفكـــاره ، يـــا للخبـــل!

أنثـــاه يُزريهـــا تلـــونُ وجههـــا ... والخصـــرُ شُـــدّ بقيـــده ، وعـــلاه غـــل

أمـــا الرقيـــعُ فبـــات يضـــحك مُعجبـــاً ... بصـــنيعها ، ويـــراه إغـــراءً أقـــل

والنـــذلُ إذ ينـــزو علـــى أنثـــاه نـــذ ... لٌ فـــي المـــلا فـــإذا بـــه فـــرحٌ ثمِـــل

والتـــيسُ يـــنطح كـــل شـــئ حولـــه ... لـــو أن أنثـــاه اســـتكانت للوعِـــل

وســـرى خيـــالي فـــي دجـــى أيامنـــا ... فـــذكرتُ أمـــك يـــوم كانـــت تبتهـــل

تـــدعو تقـــول: ارزق إلـــه الكـــون مـــو ... ولـــداً تقـــرُّ بـــه الحيـــاة ، وتكتمـــل

وتســـائل المـــولى بكـــل ضـــراعةٍ ... لســـنا علـــى غيـــر المهـــيمن نتكـــل

وذكـــرتُ مُـــرّ الـــذكريات وعـــذبها ... وذكـــرتُ أوضـــاعاً تُحَيّـــر مَـــن عقـــل

وذكـــرتُ مـــا كســـبتْ يـــداي بحُرقـــة ... وأنـــا أفـــر بـــدين ربـــي مـــن هُبـــل

متنقـــلٌ بـــين الوهـــاد مزمجـــراً ... لا تبتـــئس ، فـــأبوك أعيتـــه الحِيَـــل

وذكـــرتُ جـــدك كيـــف حـــارب فرحتـــي ... وأزاد فـــي قلبـــي همومـــاً تشـــتعل

وهتفـــتُ فـــي نفســـي: ألا لا تنـــتكسْ ... فـــالله - فـــي عليائـــه - ضـــمن الأجـــل

مـــا شـــاء ربـــك أن يكـــون فكـــائنٌ ... فعـــلام تـــذبل شـــعلة الإخـــلاص ، قـــل؟

وتعـــود تســـألني: لمـــاذا يـــا أبـــي ... تمضـــي رجولتنـــا ، وينفجـــر الأمـــل؟

مـــادام نـــركض يـــا فتـــى الفتيـــان خلـــ ... ـــف دراهـــم حتّـــام يطوينـــا الفشـــل

مـــادام نرتـــع فـــي رغيـــد أطايـــب ... مـــا بـــين لحـــم أو دجـــاج أو عســـل

ابنـــي الحبيـــب أتيتنـــا والشـــوقُ مـــ ... ـــلء عيوننـــا ، والنـــورُ يجتـــاح المُقـــل

وبفضـــل ربـــي ســـرنا أن قـــد حللـــ ... ـــت ببيتنـــا ، وأزلـــت كـــابوس الغِيَـــل

والكـــل سُـــر بطلعـــةٍ لـــك يـــا فتـــى ... بـــاركْ إلـــه الكـــون شـــبلاً قـــد أهـــل

وأبـــوك سُـــر ، وأم عبـــد الله ســـر ... تْ ، والصـــحاب يبـــاركون علـــى عجـــل

فـــ (عزيجـــة) تهفـــو إليـــك بلوعـــةٍ ... فكأنمـــا أنـــت الحيـــاة لهـــا أجـــل!

(نـــورا) تؤمّـــل أن تحـــوزك فـــي مقـــا ... بـــل (ســـلوةٍ) ، هـــذا كـــلام مَـــن اختبـــل!

(عـــزان) يـــدخل بيتنـــا متجـــاهلاً ... هـــذا الـــذي بالبـــاب ينتظـــر القبـــل

فنهرتـــه ، وزجرتـــه ، وشـــرطتُ أنْ ... لا يـــدخلنْ حتـــى يســـلم فـــي غـــزل

وتقـــول صـــاحبة لأمّـــك أنهـــا ... تفـــديك يـــا غـــال عليهـــا فـــي جـــزل

وأعـــود أنظـــر فـــي صـــباحة مـــن أتـــى ... فـــأراك مقـــروراً بنظـــرة محتفـــل

وأعـــود أنظـــر فـــي حقيقـــة واقـــع ... أبكـــي عليـــك ، ولـــيس يُجـــدي ذا الوهـــل

آســـى ، وأغضـــي ثـــم أبكـــي آســـفاً ... ودمـــوع قلبـــي فـــوق صـــدري تنهطـــل

أن ســـوف تحيـــا فـــي غيـــاب حنيفـــةٍ ... ويطـــولُ وَجـــدُك يـــا فتـــى ، خطـــبٌ جلـــل

كـــم كنـــت أرجـــو أن تعـــيش ظلالهـــا ... وربيعهـــــا ، لكنـــــه حقـــــاً أمـــــل!

ســـــتذاكر التوحيـــــد أوراقـــــاً محقـــــ ... ـــــقة منقحـــــة ، وبعـــــدُ فـــــلا تســـــل

إلا تســـلْ ســـتعيش ترتـــع فـــي المـــرا ... عـــي والروابـــي كالبهيمـــة والجمـــل

ولـــئن ســـألت فســـوف تـــدفع مـــن حيـــا ... تـــك حـــق ســـؤلك ، فـــاتبعني وارتحـــل

مـــا عـــاد يُرجـــى فـــي دنـــا الطـــاغوت مـــن ... خيـــر ، فبـــادرْ قبـــل أن يغشـــى الأجـــل

قـــد ســـمم الشـــيطانُ هَـــدي القـــوم عيـــ ... ـــش القـــوم ، دنيـــا القـــوم ، فـــي كـــل الـــدول

زعـــم العبـــادة أن يصـــلوا ، أن يصـــو ... مـــوا ، أن يزكّـــوا ، أن يحجّـــوا فـــي وجـــل

دون التحـــــاكم للمليـــــك وشـــــرعه ... أو دون أســـــلمة الحيـــــاة بمـــــا أحـــــل

عاشـــوا كمـــا الجُعـــلان تمـــرح فـــي الثـــرى ... أمـــا ضـــياء الهَـــدي ولـــى ، قـــد أفـــل

غابـــت هدايـــة ربنـــا غـــاب الجهـــا ... ذُ بنـــوره ، مـــا عـــاد عـــيشٌ يُحتمـــل

فـــأطع أبـــاك ، تعـــال نرحـــلْ عـــاجلاً ... إذ لـــيس يأســـى مَـــن علـــى الله اتكـــل

فرعـــون دنـــس فـــي الـــديار حياتهـــا ... مـــاذا يُرَجّـــى مِـــن قطيـــع يُســـتذل

إيـــاك تـــزعم أن فرعـــون انتهـــى ... (فرعـــون موســـى) مـــات إي منـــذ الأزل

أحفـــاده أحيـــاء يلعـــن ربنـــا ... ذا الجـــدّ والأحفـــادَ والأجنـــادَ قـــل

قـــل: يلعـــن الجبـــار ســـالف جنـــده ... والحاضـــرين ، ويلعـــن المـــلأ الأول

فرعـــون فينـــا لـــم تمـــتْ أذنابـــه ... هـــم فـــوق أرض العِيـــر تلعـــب بالســـفل

فرعـــون حـــيٌ بيننـــا بفعالـــه ... قـــل: كـــم مـــن الإنســـان ذبّـــح؟ كـــم قتـــل؟

فرعـــون موســـى ســـنها ، ومشـــى العُتـــا ... ة علـــى دروب ســـبيلها مشـــيَ الجُعـــل

لا يـــرحم الفرعـــونُ يومـــاً قومـــه ... لا يرعـــوي ، يحتـــالُ يختـــرعُ الســـبل

فهنـــاك ألـــف وســـيلةٍ و وســـيلة ... الســـحق والتشـــريد للـــرهط الأذل

القطـــعُ والتصـــليب والمـــوتُ الـــزؤا ... مُ ، وثـــم تمزيـــق بجـــوف المعتقـــل

والنـــار أهـــون مـــن صـــنيع جنـــوده ... فالنـــار تحـــرق لـــيس تبقـــي مِـــن طلـــل

والنـــاس فـــي منظـــاره حُمُـــرٌ تقعـــ ... ـــقعُ ، ثـم ترتـعُ ، ثـم تهجـع فـي المحـل

ابنـــى الحبيـــبَ ، وربنـــا لمّـــا أذقْ ... طعـــم الحيـــاة وهـــدي ربـــي منفصـــل

فصـــلوه عنـــا ، ثـــم راحـــوا يضـــحكو ... ن علـــى حُثالـــة قومنـــا بالمبتـــذل

مِـــن هـــزلهم ، مِـــن أكلهـــم مِـــن شـــربهم ... مـــن لبســـهم ورياشـــهم ، يـــا للخبـــل!

والقـــوم مـــا قـــالوا لهـــم: هـــذا يخـــا ... لـــف شـــرعنا ، أواه مـــن أهـــل الإبـــل!

أمـــا نســـاءُ القـــوم فانصـــاعت لمفـــ ... ـــتون ودجـــال وملعـــون ثمِـــل

وجـــرين خلـــف الســـاقطات الهـــازلا ... تِ البائعـــاتِ الـــدين فـــي ســـوق الســـفل

وتـــركن هـــدي محمـــد خلـــف الظهـــو ... ر وقلـــن: هـــذا الشـــرعُ مِعـــراجُ الخلـــل

أمـــا التيـــوس فســـلموا للـــزور أفـــ ... ـــئدة وضـــاعوا فـــي الضـــلالة والخطـــل

وتعجلـــوا أمـــر المليـــك ، فليـــتهم ... بعـــد الـــذي فعلـــوا اســـتبانوا مـــا حصـــل

حســـبي كـــذا أنـــي أبـــيّن حجـــة الـــ ... ـــفرقان للأغنـــام ، والتبيـــانُ مَـــل

مـــولاي خـــانتني التجـــاربُ فـــي متـــا ... هـــات الـــدروب ، وتهـــتُ ، والمجهـــود كـــل

قـــم يـــا صـــغيري نحمـــل الفرقـــان ثـــ ... ـــم نفـــرُّ مـــن تلـــك الـــديار ، ولا نكـــل

إنـــي أؤمـــل فيـــك عونـــاً لـــو عرفـــ ... ـــت حـــدوده لحقـــرت بَـــذلك يـــا رجـــل

لـــو تعـــرف المطلـــوب يـــا ابنـــي لاستقمـــ ... ـــت علـــى الطريـــق ، وقـــد تنكبـــت الســـبل

ولمَـــا أضـــعت الوقـــت فـــي قيـــلٍ وقـــا ... لٍ أو يقولـــوا أو فعلنـــا أو فعـــل

ولمَـــا ابتســـمت إلـــى الحيـــاة لحيظـــة ... والـــوحي وحـــي الحـــق فـــي جـــوف الســـجل

والله إنـــي مشـــفقٌ أن لا أكـــو ... ن قصـــدتُ رشـــدي ، مـــا اســـتقمت بـــلا زلـــل

إنـــي حـــريصٌ أن أبثـــك دُربتـــي ... فلكَـــم أضـــعتُ الـــدرب منـــي بالجهَـــل!

وأخـــاف أن لا نلتقـــي فـــي جنـــة ... والســـر تضـــييعي لمنهـــاج الرســـل

مـــن أجـــل هـــذا يـــا بنـــي يـــئن قلـــ ... ـــبي عـــابراً ، يـــدعو المليـــك علـــى عجـــل

ويقـــول: ربـــي فانصـــر العبـــد الضعيـــ ... ـــف ، وأنـــت تعلـــم يـــا إلهـــي مـــا بـــذل

جهـــد المُقـــل ، ولـــيس عنـــدي غيـــره ... فتـــولني ، فلأنـــت أكـــرم مَـــن سُـــئل!

ولأنـــت تعلـــم مـــا كســـبتُ بشـــقوتي ... عظمـــتْ ذنـــوبي ، واحتـــوى قلبـــي الخجـــل

وأخـــاف أن لا تقبلنـــي فـــي عبـــا ... دك يـــا إلهـــي ، واعتـــرى نفســـي الوجـــل

ابنـــي الحبيـــب أيـــا عبيـــدة إننـــي ... أعطيـــك كـــل تجـــاربي ، وبـــلا خجـــل

عينـــاك تســـألني لمـــاذا ســـوف نـــر ... حـــل مـــن هنـــا؟ وإلـــى متـــى الـــدمع الهطـــل؟

وأقـــول: أخشـــى أن سيســـألنا المـــلا ... ئـــكُ عـــن ديـــار وُسّـــعت فلـــم الكســـل؟

لـــمَ لـــمْ نهـــاجر فـــي الإلـــه ونتـــرك الشـــ ... ـــيطان فـــي أوحالـــه؟ مـــاذا العلـــل؟

مـــاذا أقـــول لهـــم أيـــا ولـــدي إذن؟ ... أواه مـــن مُـــر الإجابـــة والثقـــل!

والله يـــا ولـــدي الحبيـــب لهجـــرة ... فـــي الله أحلـــى مـــن كثيـــر مـــن شـــغل

ولكســـرة ولتمـــرة فـــي خلـــوةٍ ... فـــي هجعـــة وبعـــيض قطـــرات الوشـــل

خيـــرٌ لنـــا مـــن عيشـــة الطـــاغوت فـــي النـــ ... ـــعم الـــوفيرة حيـــث تخـــدمنا النـــدل

وافقتنـــي ، نـــافقتني ، جربـــتُ عصـــ ... ـــراً فـــي شـــبابي ، بـــل كـــذا والمســـتهل

مـــا طـــاب لـــي العـــيش الـــذي قـــد ألـــبس الشـــ ... ـــيطان فيـــه أبـــاك ذا الثـــوب الســـمل

ولســـوف تخـــرج للحيـــاة فمـــا تـــرى ... للهَـــدي فـــي دار المهانـــة مـــن طلـــل

لا تبـــكِ ســـاعتها! فهـــذي الحـــال ســـا ... دتْ منـــذ غـــاب الهَـــدي عـــنهم ، وانفصـــل

أســـطورة هـــذا الكـــلام بـــزعمهم! ... هـــذي الخِـــرافُ تقـــول: ديـــنُ الله غـــل

أواهُ مِـــن هـــذي الخِـــراف اســـتبدلتْ ... بـــالمنّ والســـلوى رؤوســـاً مـــن بصـــل!

أنـــا لســـتُ أقتـــل فـــي الطفولـــة فتنتـــي ... لكنهـــا مأســـاة جيـــل مســـتغل

بـــل جُـــل مـــا أصـــبو إليـــه حقيقـــة ... هـــو أن تـــرى أصـــل المصـــاب المنـــدمل

هـــو فـــي الحقيقـــة مكتـــو متقـــيٌ ... متقـــرحٌ خلـــف الســـتار المنســـدل

قـــد قرّحتـــه يـــدُ الفســـاد مـــع الهـــوى ... والجاهليـــة إنهـــا شـــبحٌ مَثَـــل

أمـــا الضـــحية فـــالجميع ضـــحية ... حيـث انتهـوْا ، والـدهر - فـي رأيـي - دول

شـــلل أصـــاب القـــوم مـــا أســـبابه ... لغيـــاب وحـــي الحـــق ذا ســـببُ الشـــلل

ويموّهـــون علـــى القطيـــع ، وينشـــئو ... ون مـــن الدعايـــة تلـــة مـــن بعـــد تـــل

إنـــي لأعـــرفهم ، وتلـــك فعـــالهم ... هـــم يزرعـــون المـــوت مـــن خلـــف الجبـــل

مـــن رأســـهم لـــذيولهم همـــجُ الـــورى ... فرعـــونهم كـــم قـــد أذل! وكـــم ســـحل!

أمـــا الهـــوام تغـــوص فـــي بحـــر الخنـــا ... شـــيطانهم كـــم قـــد أبـــاد! وكـــم قتـــل!

مـــن أجـــل ذلـــك يـــا بنـــي اســـمع وقـــم ... هيـــا بنـــا نرحـــلْ فمـــا أحلـــى النقـــل!

أوصـــيك تســـمع يـــا بنـــي لمـــا أقـــو ... ل ، وتســـتجيب بـــلا هـــوىً ، وبـــلا جـــدل

فلـــئن ســـمعت فأنـــت أنـــت المستفيـــ ... ـــدُ ، وإن رددت خـــذلتني فـــيمن خـــذل

واللهَ أســـألُ أن تصـــيخ لمـــا أقـــو ... لُ ، وتســـتفيد بمـــا ذكـــرتُ بـــذي الجُمـــل

أوصـــيك أن تبقـــى علـــى ديـــن المليـــ ... ـــك تفـــز بـــه فـــي يـــوم تنـــدلق الوســـل

صـــاحبْ لـــذاك الهَـــدي مَـــن يغنيـــك فيـــ ... ـــما زلّ ســـيرك ، جـــاد لـــو أمـــر عضـــل

واقـــرأ لـــذاك الهَـــدي فـــي كتـــب العـــدو ... لِ ، فـــإنهم دُرٌ يغلفـــه السَـــبل

واجعـــل لـــذاك الهَـــدي عمـــرك ، أنـــت ضيـــ ... ـــفٌ فـــي الحيـــاة ، فكـــن غريبـــاً واســـتدل

وأحـــبَ مَـــن قبـــل التحـــاكم للحنيـــ ... ـــفة ، لـــيس يتركهـــا لـــدعوى مـــن يقـــل

واعلـــم بأنـــك ســـوف تفـــتن شـــأن كـــ ـــــل موحـــدٍ ، فامهـــد لنفســـك لا تمِـــل

واصـــبر إذا نـــزل القضـــاء عليـــك فـــي هـــذي الـــدنا ، إنـــا هنـــا فيهـــا نـــزل

واحمـــد إلهـــك فـــي المناشـــط والمكـــا رهِ ، ســـوف يـــأتي أمـــر ربـــك بالأمـــل

واصـــمد لكـــل مصـــيبةٍ تجـــد الســـعا دة فـــي الصـــمود ولـــيس فـــي الـــدمع الهمـــل

وتـــرقّ فـــي طلـــب العلـــوم ، وكـــن لهـــا كالنســـر فـــي طلـــب الفريســـة والحجـــل

واجعـــل فـــؤادك عـــامراً بالـــدين لا متفيهقـــاً ، فـــإذا تفيهـــق قـــد جفـــل

وانـــذر لـــذاك الهـــدي نفســـك ثـــم زو جـــكَ ، والبنـــين مـــع البنـــات ولا تســـل

وعـــن الجهالـــة فابتعـــدْ ، لا تقتـــربْ واعتـــز بالإســـلام ، واهجـــرْ مَـــن هـــزل

ومـــن الفضـــيلة فـــاقترب ، وتمـــن مـــو تـــاً فـــي رحـــاب فضـــيلةٍ تنـــل الظلـــل

واســـعد بمـــا يرضـــي المليـــك تنـــل رضـــا هُ ، بـــأي شـــئ بعـــد ذلـــك تســـتظل؟

والله مـــا لـــك فـــي زمانـــك غيـــر هـــد ي الله ، فـــاعلم يـــا فتـــى فهـــو الأمـــل

وتـــزوّج العصـــماء ذات الـــدين كـــي ترقـــى بهـــا ، لا تبـــغ عـــن هـــذي حِـــوَل

وتحـــرّ فـــي قـــول الحـــديث عـــن النبـــ ـــي المصـــطفى ، واهـــتم لا تـــرو العِلـــل

واجعـــل بـــراءك معلنـــاً ممـــن طغـــى قـــم لا تســـوفْ ، لا يغـــرك مَـــن مطـــل

واحـــذر مداهنـــه الطـــواغي ، إنهـــا قـــيحٌ ذمـــيمٌ مســـتكينٌ مفتعـــل

وكتـــاب ربـــك يـــا صـــغيري فارعـــه واعمـــل بـــه ، فهْـــو النجـــاة مِـــن الزلـــل

وكفـــاه مـــا يلقـــاه مـــن أبنـــاء (دا رمَ) فـــي زمـــان ضـــيّعوا فيـــه المُثـــل

إنـــي نـــذرتك للجليـــل ، فكـــن بـــه مستعصـــماً ، مسترشـــداً ، ودع الوجـــل

دع عنـــك أيـــام الطفولـــة ، يـــا فتـــى فالعُصـــبة العرجـــاء تحيـــا فـــي خبـــل

دع عنـــك أفلامـــاً وتـــدجيلاً وتضـــ ـــليلاً وتهـــويلاً ، وفـــارق مَـــن هـــزل

دع عنك ثدي الأم ، واشرب من حديـ ـثِ نبينا ، واطلبْ مِن المولى تنل

اطلبْ من المولى الهداية والتقى فهما السبيلُ إذا تعددتِ المِلل

وهما الطريقُ إلى حدائق ربنا في يوم أن تطوى السما طي السجل

وتأنّ في طلب العلوم ، ولا ترُم عِلماً مِن السفهاء أرباب الزجل

وتأس بالأموات ، والزم نهجهم فالحي لا ندري أيثبتُ أم يَزل؟

والعلمُ في سَلفِ الحنيفة وافرٌ للهم فارض عن الألى كانوا المَثل

هيهات أن يرقى إلى سلف الرسو لِ جميعُ أهل الأرض مِن هذي النِحَل

سلفُ الرسول ، وأي ناس بعدهم؟ كلٌّ بَهَدي رسول ربي يَستظِل

هم آمنوا ، هم أخلصوا ، هم جاهدوا ، هم صابروا ، هم خيرُ قرنٍ مُعتدل

هم قاتلوا أعداء (أحمدَ) جهرة هم خير مَن عبدَ المليكَ بلا دَغَل

هم خير مَن عملوا لمرضاة الجليـ ـل بكل إخلاص ، فيا نعم العَمَل!

حملوا إلينا العلمَ والإيمانَ والتـ ـوحيد ، باركْ يا إلهي مَن حَمل!

والتابعين فليس يَخفى دورُهم نورُ الدياجي ، والياقيت الأوَل

فارحمهمْ يا ربنا ، واجعل لهم نورا ً، وأسكنْهم بفضلك في الظَلَل

باركْ إله الكون في هذا الزما ن مَن استضاء بنورهم ومَنِ استدل

فلنعم نورٌ هؤلاء لمن يريـ ـدُ دلالة! ولنعم ذاك المُستدل!

واحرص على طَهر السريرة دائماً فبه تبدّد كل ضيق أو كَلَل

واحذر مخالفةَ الذي رفع السما مَن يُحرَمِ الطاعاتِ حقاً قد بَخِل

واحذر مُشاهدةَ الخُلاعة والخنا واجعل رصيدهما الهشيمَ المنتعل

واحذر مصاحبة اللئام ، فإنهم لن ينفعوك ، فكيف تصحُب مَن غَفل؟

وتجنـــبِ الكـــذب الـــذي يهـــدى إلـــى ... دَرْكِ الفجـــور ، ويهـــديان إلـــى النّـــزُل

وانطـــقْ بضـــاد العُـــرب ، يكفـــي أنهـــا ... لغـــة الكتـــاب ، ومَـــن يجاوزهـــا ثَكِـــل

وادرسْ لهـــا نحـــواً وصـــرفاً ، ثـــم شعـــ ... ـــراً ، إنهـــا أدواتُ مَـــن ذا يَرتَجِـــل

واحفـــظ لهـــا بـــين اللغـــات حقوقهـــا ... إن تعـــدلنْ بالضـــاد مـــن لغـــة تَضِـــل

وارعَ الأمانـــة والعُهـــودَ ، ولا تخُـــنْ ... إنَّ الخيانـــة لـــيس يقربُهـــا فَضُـــل

وكـــنِ الأنـــيسَ لمَـــن يحبـــك فـــي الإلـــ ... ـــهِ محبـــة الرجـــل الكـــريم وذي النّبُـــل

وكـــنِ الجلـــيسَ لآي ربـــك ، إنهـــا ... خيـــرُ الجلـــيسِ إذا تعـــددتِ المِلَـــلْ

وكـــنِ العفيـــفَ عـــن الـــدنايا ، إنهـــا ... تئـــد الرجولـــة فـــي طَوِيَّـــة مَـــن نَبُـــل

وكـــن الكـــريمَ إذا قَصـــدتَ لغايـــةٍ ... جُـــد لا تـــراوغ ، إن مَـــن يَمطِـــل خَتَـــل

وكـــنِ الـــرحيمَ إذا مَلكـــتَ وديعـــة ... اِعـــدل أخـــي ، فـــالله يـــرحم مَـــن عَـــدل

وكـــنِ المُسِـــرَّ إذا ائتُمنـــت علـــى مســـ ... ـــرّة مـــؤمن ، مَـــن يكشـــفِ الأســـرارَ ضَـــل

وكـــنِ العطـــوفَ إذا خلـــوتَ بـــدين ربـــ ... ـــك ســـاعة ، لا خيـــر فـــي زهـــر ذَبُـــل

وكـــنِ العزيـــزَ إذا دهتـــكَ بليَّـــة ... ومِـــنَ البليـــة فـــالتهمْ حلـــو الأكـــل

لا تُـــدخِلِ الأصـــنامَ بيتـــك يـــا فتـــى ... كـــيلا يكـــون البيـــتُ مِرحـــاضَ الجُعَـــل!

إنـــي بـــراءٌ مِـــن أبـــوة مَـــن جَفَـــا ... أمـــر المليـــكِ ، وغـــاصَ فـــي قَعِـــر الوَحَـــل

بَيَّنـــت حُكـــمَ الشـــرع فـــي الأصـــنام ، لـــم ... أضـــللك ، أتحفنـــي بـــردّكَ ، يـــا رجـــل!

وأقـــرأ كثيـــراً ، لـــيس يعقـــل مَـــن قَلَـــى ... كُتُـــبَ الثقـــات ، وللجهالـــة فـــاعتزل

لا لا تقـــل لـــي: ضـــقتُ ذرعـــاً بالـــذي ... أوصـــيتنيه ، وإننـــي صِـــدقاً وَجِـــل

أبُنَـــيّ تلـــك وصـــيتي ، ســـطرتُها ... ونظمتُهـــا شـــعراً فصـــنْها ، واســـتَدِل

إنـــي ادخرتُـــك كـــي تكـــون شـــهيد هـــ ... ـــذا الـــدين يومـــاً ، نعـــم هـــذا مِـــن عمـــل!

ســـتموتُ ، فاعمـــل للقيامـــة يـــا فتـــى ... وعليـــك ســـوف يُسَـــحُّ دمْـــعٌ مِـــن مُقَـــل

ســـتموتُ ، فانصـــب للشـــهادة ، إنهـــا ... حَبـــلُ النجـــاة ، لكـــل إنســـانٍ أَجَـــل

فـــاقرأ عـــن الشُـــهَداء دومـــاً ، إنهـــم ... حملـــوا المشـــاعل دائمـــاً منـــذ الأزَل

اقـــرأ لـــتعلم أنهـــم أحيـــاءُ عنـــ ... ـــد ملـــيكهم ، مستبشـــرين بمَـــن حَلَـــل

واقـــرأ لأســـتاذ الظـــلال ، فـــإنه ... نَجـــمٌ - بـــأنوار الهدايـــة - قـــد أطـــل

إيـــاكَ يومـــاً أن تقـــول: تعبـــتُ مْـــن ... طـــول القـــراءة والدراســـة ، مـــا العمـــل؟

ابنـــي الحبيـــبَ كمـــا تـــرى لغـــةَ القريـــ ... ـــض علـــى قراطيســـي مبعثـــرةُ النَّحَـــل

ولقـــد كتبـــتُ قصـــائدي مِـــن قبـــل فانـــ ... ـــصاعتْ لأقلامـــي كُليمـــاتُ التَّجَـــل

أمـــا قصـــيدتُكَ التـــي فـــي التـــو أســـ ... ـــطرها ، فعـــذراً حيـــث أفكـــاري تُكَـــل

ولكـــم تمنيـــتُ النهـــوض برسمهـــا! ... لكننـــي المِســـكينُ خـــانتني (لعـــل)

فأقبـــل كُليمـــاتي بنـــيّ ، ولا تقـــلْ ... أبتـــاه لـــم أفقـــه كثيـــراً مِـــن جُمـــل

وأعـــذرْ أبـــاكَ أيـــا عُبيـــدةُ ، إنـــه ... لـــو كـــان يـــدري الحـــق حقـــاً لـــم يَضِـــل

واذكـــر أبـــاكَ بكـــل خيـــر ، إنـــه ... كـــم جـــدّ فـــي طلـــب العلـــوم ، ومـــا كَسَـــل!

واطلـــب مِـــنَ الـــرحمن مغفـــرة لـــه ... وادعُ الكـــريم بكـــل ذل وابتَهِـــل

واذهـــب إليـــه بقبـــره ، آنســـهُ دو ... مـــاً ، وافتكـــر عـــذبَ الوصـــايا والمُثَـــل

واســـتمطِر الرَّحَمَـــاتِ دومـــاً ، ولـــتكنْ ... نعـــمَ الغـــلام ، عـــن الـــدعا لا يَشـــتَغِل!

هـــذا أبـــوكَ لكـــل آهٍ منـــكَ كـــا ... ن يـــذوب حزنـــاً فـــي ديـــاجير العِلَـــل

والآن محتـــاجُ إلـــى دَعَواتـــك الـــ ... ـــغراء فـــي جـــوف الليـــالي والظَّلَـــل

واخفـــض لأمـــكَ مِـــن جَنـــاح الـــذل أكـــ ... ـــبر رحمـــةٍ ، كـــم فيـــك ذاقـــتْ مِـــن عِلَـــل!

ورأيتهـــا ، ورأيـــت منهـــا مـــا يَشـــ ... ـــقّ علـــى يراعـــي وصـــفُه ، وكـــذا الحَبَـــل

حيّرتَهـــا ، وأضـــعتَ مِـــن أجفانهـــا نـــوم الليـــالي ، حيـــث صـــارت كالطَلَـــل

لـــم تســـتقر لُقيمـــة فـــي بطنهـــا أو شـــربةُ ، شـــيءُ يُبَكِّـــي مَـــنْ عَقَـــل

إلا وفـــي غمـــض العيـــون تمجُّهـــا يـــا أم عبـــد الله أضـــناكِ البَطَـــل

عانـــت لكـــي ترتـــاح فـــي أحشـــائها كـــم حُمّلـــتْ أعتـــى الفظـــائع فـــي وَجَـــل!

فـــالأم فـــاعلم يـــا بُنَـــيّ جميلَهـــا كـــم دللتـــك بكـــل ألـــوانِ الغَـــزَل!

هـــذا القصـــيدُ هديـــة مِـــن والـــدٍ لـــكَ فـــي جنـــاح الغيـــب يرتقـــب الأجـــل

ولَكَـــم لنـــور الشـــرع تـــاق بـــذي الـــدنا! ولكَـــم لنصـــر الحـــق أعيـــاهُ الزَّعَـــل!

مـــا قيمـــة الإنســـان فـــي هـــذي الـــدنا إنْ لـــم يجاهـــد فـــي المليـــك بـــلا خَـــذَل؟

لـــو كـــان يـــدري مـــا النجـــاة لمـــا انـــزوى دهـــراً ، وهـــذا القلـــب فـــي وهـــمٍ زَعِـــل

هـــذا أبـــوكَ تـــراه فـــى صـــمت يسيـــ ـــرُ ، وكـــل جارحـــةٍ تـــئنُّ بـــلا دَخَـــل

كـــم كـــان يرجـــو أن يعـــيش العمـــر فـــي ديـــن المليـــك ، ولـــو يعـــيش علـــى الـــدَّقَل!

والله يـــا ولـــدي تعقبَنِـــي الأسَـــى وكـــذا الهنـــا ، مـــا راقنـــي العـــيش الرَّفِـــل

وأبـــوكَ أعطـــى قَلبَـــهُ مَـــن شَـــجَّهُ يـــا ســـوأتى ، لـــو كنـــتُ كالرجـــل المَحِـــل!

فانســـقتُ طوعـــاً فـــي مَهـــبّ الـــريح كالـــ ـــعُرجون يســـعى فـــي أســـى الجيـــل الـــذّحل

وتجمعـــتْ أســـواءُ ماضـــي خيبتـــي وكســـا فـــؤاديَ بعـــدها اللـــونُ الطَحِـــل

وعلمـــت أن لا نـــور يـــأتي مِـــن هُنـــا وهمســـتُ فـــي قلبـــي: ألاَ للحـــقَّ صُـــل

وتعلـــمِ التوحيـــد والإيمـــان لا تـــركنْ إلـــى هـــذي المناســـك ، فامتَثِـــل

قـــم وادرس الإســـلام تُفلـــحْ ، تنتصـــرْ وتلقـــن الأركـــانَ ، وانشـــط قـــم وَجُـــل

أواهُ مِـــن طـــول المقالـــة يـــا فتـــى! لـــو شـــاء ربـــك حَصـــرَها لمّـــا تَطَـــل

لكنـــه قـــدرُ المليـــك ، وقـــد قضـــى ألا أبثـــكَ قـــولَ فَحـــشٍ مُختَبَـــل

خَلَجَـــاتُ صـــدري ، والأنـــينُ رفيقهـــا ... ســـطرتُها شـــعراً إليـــكَ بـــه طَلَـــل

طلـــلُ المحبـــة فـــي الكـــريم ، وليتنـــي ... أحيـــا إلـــى يـــومٍ أراكَ بـــه الرَّجُـــل

ذي غايـــة الغايـــات ، داعَبَهـــا الرجـــا ... لـــيلاً نهـــاراً فـــي خيـــالي تَرتَحِـــلْ

وأنـــا المعـــذبُ فـــي تـــأرجح غـــايتي ... أحيـــا فصـــاماً بـــين دينـــي والهَمَـــل

هَمَـــلُ يعـــيش بغيـــر هَـــدي الله فـــي ... مســـتنقع ، ويظـــن أنَّ الخيـــرَ حَـــل

للمـــرة العشـــرين جـــدُّ أقولهـــا: ... هيـــا بنـــا نحيـــا ، ونقلـــو ذي المِلَـــل

أتخـــافُ مِـــن مُـــرِّ المَعيشـــة فـــي الفيـــا ... فـــي والبيـــادي والغياهـــب والجَبـــل؟

داوودُ لمّـــا فـــارقَ الكفـــارَ سبَّـــ ... ـــحتِ الجبـــالُ وراءه ، لا تَنـــذَهِل

فـــالله آمرُهـــا بـــذلك ، أوّبـــي ... والطيـــرُ أوَّبَ فـــي جـــلالٍ ، وامتَثَـــل

وأبـــوكَ إبـــراهيم لمّـــا فاصـــلَ الـــ ... ـكـــفار أعطـــاه الجليـــل بمـــا بـــذل

إســـحقُ فـــي القـــرآن خلـــد ذكـــرُه ... يعقـــوبُ نافلـــةً ، فيـــا نعـــم النَّفَـــل!

وختـــامُ قـــولي أن تأسّـــى بالذيـــ ... ـــن ذكـــرتُهم ، للجاهليـــة فـــاعتزل

وقصـــيدتي بعـــد الكتـــاب وقـــول مبـــ ... ـــعوث الهدايـــة فارعهـــا ، وكُـــنِ المَثَـــل

أنـــا يـــا حبيبـــي لـــم أطرّزْهـــا سُـــدىً ... فلكـــم ســـهرتُ الليـــل أصـــبغُ فـــي الجُمَـــل!

مـــن أجـــل مـــاذا كـــان ذلـــك كلـــه؟ ... مـــن أجـــل أن تُتلـــىَ وتُلقَـــى فـــي السِّـــجِل؟

ســـطرتُها لتكـــون واقعَـــكَ الـــذي ... أصـــبو إليـــه بكـــل شـــوق ، أبتَهِـــل

يـــا رب هـــذا فارعـــه ، جنبـــهُ مـــا ... قـــد خضـــتُ فيـــه مِـــنَ الضـــلالة والخَبَـــل

وتـــولني ، واغفـــر إلهـــي مـــا مضـــى ... مِـــن هزلنـــا ، فلأنـــتَ أكـــرمُ مَـــن سُـــئِل

ثـــم الصـــلاةُ علـــى الحبيـــب نبينـــا ... والتـــابعين لـــه وللزَّمَـــرِ الأوَل

الأعمال بالخواتيم

(التوبة من الذنوب هي باب الله الواسع الذي يلج منه التائبون. وجنته الوارفة الظلال التي يتنعم فيها من قبلَ الله توبتهمُ النصوح. وهي بحر ممتد دون سواحل أو شطآن. وهي رحمة مهداة ، يلوذ بها كل من ظلم نفسه وعصى ربه. وهي عالم الندم على ما فات. يلج من خلالها المذنبون ، يبكون ذنوبهم ، ويتضرعون بخشية جمة ودعاء حار صادق ، كيما يغفر الحوب ويقبل التوب. وما كان الله ليرد تائباً صادقاً. وحاشاه عز وجل أن يقنط عاصياً ، وهو الذي يقبل توبة العبد ، وإن بلغت سيئاته عدد رمال الصحراء وقطرت الماء وزبد البحر. والأعمال بالخواتيم ، وإنا لنسأل الله تعالى أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأن يرزقنا حسن الخاتمة. ولقد ضلتِ النفسُ كثيراً ، ثم شاء الخالق العظيم أن تتوب! فعرفتِ الهُدى بعد أن رزحت تحت نير الجاهلية ردحاً طويلاً من الزمان. فعلمت النفسُ أنَّ العبرة بالخواتيم وأنَّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله. وأن الله لا يؤاخذ مسلماً على قول أو فعل أو اعتقاد قاله أو فعله في جاهليته ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وندمتِ النفسُ كثيرا وعزمت على العمل الجاد. روى البخاري ومسلم والترمذي: عن علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عليه وسَلَّم: "ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النّارِ ومقعده من الجَنَّةِ. "قالوا: يا رسول اللَّه! أفلا نتكل على كتابِنا وندع العمل؟! قال: "اعملوا فكلٌّ ميسّر لما خلِق له ؛ أمّا من كان من أهل السّعادةِ فسيُيَسّر لِعمل أهل السّعادة ، وأمّا من كان من أهل الشَّقاوةِ ، فسييسّر لِعمل أهل الشّقاوة ثمّ قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى). قال البغوي: قال الخطابي: قال الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) وهذه الأمور في حكم الظاهر ، ومن وراء ذلك علم اللَّه عزّ وجل فيهم وهو الحكيم الخبير لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. واطلب نظيره في أمرين من الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب ومن الأجل المضروب في العمر مع المعالجة بالطب ، فإنك تجد المغيّب فيهما علة موجبة والظاهر البادي سبباً مخيلاً ، وقد اصطلح الناس خواصهم وعوامهم على أن الظاهر فيهما لا يترك بالباطن. أخذ الله الميثاق علينا ونحن في ظهر آدم عليه السلام روى الترمذي وأبو داود وأحمد ومالك عن مسلم بن يسارٍ الجهني قال: سئِل عمر بن الخطّاب ـ رضي اللَّه عنه ـ عن هذه الآية: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ فقال عمر: سمعت رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عليه وسَلَّم سئل عنها ، فقال: "إنّ اللَّه خلق آدم ثمّ مسح ظهره بِيمينِهِ ، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقْت هؤلاء للجنّةِ وبعمل أهل الجَنَّةِ يعملون ، ثمّ مسح ظهره فاستخْرج منه ذرِّية فقال: خلقت هؤلاء للنّار وبعمل أهلِ النّار يعملون" فقال رجلٌ: يا رسول اللَّه ففيم العمل؟ فقال: "إنّ اللَّه إذا خلق العبد للجنّةِ استعمله بعمل أهل الجَنَّةِ حتّى يموت على عمل من أعمال أهل الجَنَّةِ فيدخله به الجَنَّة ، وإذا خلق العبد للنّارِ استعمله بعمل أهل النّار حتّى يموت على عمل من أعمال أهل النّار فيدخله النّار". رواه البخاري ومسلم.)

دَمـــــعُ الفـــــؤاد قـــــد احتـــــرقْ والقلـــــبُ ألجمـــــه العـــــرقْ

كـــــم ذا أعاتـــــبُ خـــــاطري! يـــــا نفـــــسُ: مـــــا لـــــكِ والأرق؟

والمَـــــوجُ عـــــالٍ ، صـــــدّقي ... يهتـــــاج فـــــي بحـــــر المَلَـــــق

عـــــــذَبتِني ، وطرحتنِـــــــي ... خلـــــف الأمـــــاني أحتـــــرق

يـــــا نفـــــسُ منـــــكِ تـــــوجُّعي ... والشـــــوقُ فـــــي البَلـــــوى غَـــــرِق

كـــــم ذا ســـــألتُكِ باكيـــــاً ... عـــــن ثوبـــــكِ البـــــالي الخَلِـــــق!

عـــــن كربنـــــا ، وشَـــــكاتنا ... والحـــــزنُ يجتـــــاحُ الشَـــــفَق

عـــــن أمنيـــــاتِ حياتنـــــا ... وحنـــــان ليـــــلٍ يَنـــــدَفِقْ

عـــــن كـــــل فـــــرْح عِشـــــتُهُ ... ثـــــم انقضـــــى خلـــــف الرَّمَـــــق

عـــــن أصـــــدقاء دروبنـــــا ... وتقلُّـــــبِ بَـــــين الفِـــــرَق

وثقافـــــــــةٍ هزليَّـــــــــةٍ ... وتشـــــتُّتٍ عبـــــر الطَـــــرق

وفـــــراق سُـــــنّة (أحمـــــدٍ) ... والبُعـــــد عـــــن رب الفَلَـــــق

وســـــماع حفلـــــة مطـــــربٍ ... عـــــن ظلّـــــه لا يَفتَـــــرِق

وضـــــياعِ فـــــذٍ جهبـــــذٍ ... فـــــي التيـــــة شـــــردَّه الغَـــــرق

عجبـــــاً لـــــه ، ولفعلِـــــهِ! ... بثَـــــرى الأديـــــم قـــــد التَصَـــــق

فـــــي عقلـــــه زُرع الهـــــوى ... والـــــزور فـــــي القلـــــب انبَثَـــــق

ثـــــمَّ الهدايـــــة أدركـــــتْ ... روحـــــاً أســـــيراً يَختَنِـــــق

فجـــــرى بـــــدرب ضـــــيائها ... ورمـــــى الهشـــــيمَ المُحتَـــــرِق

وأحـــــبِّ كـــــل مُجـــــدّدٍ ... يهـــــدي الـــــورى ، يـــــا ذا العَبِـــــق

واحمـــــدْ إلهـــــكَ مَـــــن هَـــــدى ... بعـــــضَ الأنـــــام كمـــــا رزق

أغلال العاصفة

(يقول أحمد شوقي في التعبير عن الموت وهو يرثي جدته تمزار خانوم – رحمها الله -:

خُلقنـــــا للحيـــــاة وللممـــــاتِ ومِـــن هـــذين كـــل الحادثـــاتِ

ومَـــن يولـــد ويمـــت كـــأن لـــم يمـــر خيالـــه بالكائنـــات

ومهـــدُ المـــرء فـــي أيـــدي الرواقـــي كـــنعش المـــرء بـــين النائحـــات

ومـــا ســـلم الوليـــدُ مِـــن اشـــتكاءٍ فهـــل يخلـــو المعمَّـــر مـــن أذاة؟

ولـــو أن الجهـــات خلقـــن ســـبعاً لكـــان المـــوت ســـابعة الجهـــات

والمرء في هذه الحياة يعيش مدركاً أنه راحل عنها لا شك. وليعتبر بغيره إن كان عاقلاً ، من الذين رحلوا وتركوا كل شيئ. إنها عواصف الحياة تتجاذب النفس الإنسانية وتسعى بها بعيداً عن دروب الهداية. وأنا هنا ألوم نفسي وأحذرها أغلال العاصفة التي لا يكاد يسلم من هاويتها إلا النذْرُ اليسيرُ من الناس. فهل تسلم النفس منها يوماً؟ إن النفسَ التي تقبلُ الهَوان وتستسيغه نفسُ غير كريمة ، وتلك النفس سرعان ما يفقدها صاحبها. وذلك عندما تنحدر إلى درك الشقا واللاإنسانية، وخاصة عندما تستسلم لأغلال الجاهلية وتعصف بها عواصفَ شتى تضللها. وعلى النفس أن تدرك أن هناك قيامة وحساباً ووزناً للأعمال. نعم إن يوم القيامة آت لا محالة ، وإن الحساب يومها لتقرير الأعمال التي عملها كل عبد أو أمة ، وإن الوزن ساعتئذ لإظهار مقدار هذه الأعمال ليكون الجزاء بحسبها. قال الله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين). (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ). فإذا وزنت الأعمال ، وتقرر الجزاء ، ما بقى إلا أن يلقى كل واحد مصيره ، إما إلى جنة ، وإما إلى نار! فيأمر الملك الحق جل وعلا أن ينصب الصراط على متن جهنم ليمر عليه المسلمون المؤمنون الموحدون الصادقون إلى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وليمر عليه المشركون الملعونون والمجرمون الكافرون والجاحدون الملاحدة إلى نار تلظى لا يصلاها إلا الأشقى.)

اِهـــبِطْ إلـــى قَعـــر الطـــنَسْ واهـــزلْ ، وأنـــت المُنـــتَكِسْ

مـــا دُمـــتَ ترضـــى بالخنـــا فـــي التيـــه – يومـــاً – تَـــرتَكِس

اســـمع كلامـــي ، وادّكِـــر هـــل عاقـــل يـــأبى القُـــدُس؟

حتـــى متـــى تحيـــا علـــى أنـــاتٍ عُمـــر مبتـــئس؟

كيـــف اســـتكانت همَّـــةٌ بـــالأمس كانـــت كـــالقَبَس؟

تُعطِـــى الـــورى مِـــن نُورهـــا ... واليـــوم باتـــت فـــي الـــدَّلَس

زلّـــتْ بهـــا أحوالهـــا ... فـــي عـــالم يهـــوَى الـــدَّلَس

يـــا نفـــسُ قـــد طـــمَّ الجَـــوَى ... والفجـــرُ لمَّـــا ينـــبجِس

والنـــورُ ولّـــى ، والمُنـــى ... والحـــق – جبـــرًا – يَـــنطَلِسْ

والقـــومُ لمَّـــا يُـــدْركوا ... مســـتقبلاً لـــم يَنـــدَرِس

والجِيـــلُ جـــاثٍ فـــي الشَّـــقَا ... طالـــت لياليـــه العُمُـــس

والشَّـــهمُ أضـــناه العَنَـــا ... بالنـــاس لمَّـــا يَـــأتَنِس

والخيـــرُ يبقـــى للـــورى ... والشـــرُ مـــدحورُ تَعِـــس

لا تنحـــدرْ نحـــو الأذى ... وامـــشِ الهُـــوينى ، واحتـــرس

فـــالأرضُ غشَّـــاها اللظـــى ... والجـــو أراده الخَـــرَس

والفَـــذّ أعيـــاه الكَـــرى ... والقـــومُ فـــي ظـــل الـــدَنس

والحُـــر مطعـــونُ الخُطـــا ... والســـهمُ – فـــي القلـــب - انغـــرس

والـــريحُ هبَّـــتْ تجتنـــي ... روحَ الكئيـــب المُنـــتَحِس

ســـادت بـــداري غابـــة ... والخيـــرُ فـــي الأســـر احتَـــبَس

والمـــرءُ فيهـــا مُكـــرهٌ ... لمَّـــا يَعُـــدْ بالنـــاس حِـــس

والشـــرُّ فيهـــا ظـــاهرٌ ... والخـــوفُ فـــي الألبـــاب دُس

وتخبَّطَـــتْ دنيـــا الـــورى ... مِـــن كـــل قاصـــمةٍ ومَـــس

سَـــلمْ إلهـــي حالنـــا ... أودى بنـــا هـــذا الطَّـــنَس!

رسالة شعرية إلى صاحبة الدموع

(إن صاحبة الدموع التي أعني هي أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة – رضى الله عنها وعن أبيها. وأما مناسبة الدموع فهي حادث الإفك الذي تولى كبرَه عبدُ الله بن أبي بن سلول شيخ الفاسقين. أُرسل القصيدة لأم المؤمنين تعبيراً عن خالص حبي وتقديري للبرئية الطاهرة بنص القرآن والسنة ، وبرغم أنف الكائدين فى الزمن الأول من المنافقين وأذنابهم ، وفى الزمن الحاضر من الروافض الخبثاء الذين ما صح لهم عقل ولا نقل ومَن تابعهم من الجهلاء أو المغالطين المعاندين. ولا يدرك قط مدى ألم الأبرياء المفترى عليهم إلا من عاش وافتُرى عليه وطعن عليه وتخرص عنه الخراصون وخاضوا ولفقوا. والحقيقة أنني لا أعلم كاتباً في عصرنا الحديث مدح أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – مثل الأستاذ سالم بن علي العجمي ، حيث يقول منصفاً لها ومحذراً ممن نال منها بغير حق ما نصه: (الطاهرة المطهرة ؛ والصديقة بنت الصديق ؛ المبرأة من فوق سبع سماوات ؛ أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ؛ فراش رسول الله وعفته ؛ وريحانته وحبيبته. فكم لها من الفضائل! فبأيها نبدأ؟! وكم لها من المنازل العظيمة! فكيف نصفها؟ أليست هي التي يقول عنها صلى الله عليه وسلم: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"؟ كانت أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فحين سئل: "من أحب الناس إليك؟ قال: "عائشة" ، قالوا: من الرجال؟ قال: "أبوها" ؛ وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليحب إلا طيبًا. وكان خبر حبه صلى الله عليه وسلم لها أمراً مستفيضاً ؛ حيث إن الناس كانوا يتحرون بهداياهم للنبي صلى الله عليه وسلم يوم عائشة من بين نسائه تقرباً إلى مرضاته ؛ فقد جاء في الحديث الصحيح: "كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، فاجتمع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أم سلمة ، فقلن لها: إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ؛ فقولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الناس أن يهدوا له أينما كان. فذكرت أم سلمة له ذلك ؛ فسكت فلم يردّ عليها ؛ فعادت الثانية ؛ فلم يرد عليها ؛ فلما كانت الثالثة قال: يا أم سلمة ، لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها". لقد تبوأت أمّنا عائشة بنت الصديق رضي الله عنها مكانة عالية في قلب نبيِّنا صلى الله عليه وسلم ، فكانت أحب نسائه إليه. وكان بها لطيفاً رحيماً على عادته صلوات ربي وسلامه عليه ؛ "استأذن أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا عائشة ترفع صوتها عليه ، فقال: يا بنت فلانة ، ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فحال النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينها ، ثم خرج أبو بكر ، فجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم يترضاها ، ويقول: "ألم تريني حُلتُ بين الرجل وبينك؟". ثم استأذن أبو بكر مرة أخرى ، فسمع تضاحكهما ، فقال: "أشركاني في سِلمكما كما أشركتماني في حربكما". وقال أبو قيس مولى عمرو: بعثني عبد الله إلى أم سلمة: وقال: سَلْها أكان الرسول صلى الله عليه وسلم يُقبّل وهو صائم؟ فإن قالت: لا ، فقل: إن عائشة تخبر الناس أنه كان يقبلها وهو صائم ، فقالت: لعله لم يكن يتمالك عنها حبًّا". وقالت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العظم فأتعرقه ، ثم كان يأخذه ، فيديره حتى يضع فاه على موضع فمي". وكان صلى الله عليه وسلم يستأنس إليها في الحديث ويسرُّ بقربها ويعرف رضاها من سخطها ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم لها: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت عليَّ غضبى". قالت: وكيف

يا رسول الله؟ قال: "إذا كنت عني راضية قلت: لا ورب محمد ؛ وإذا كنت عليَّ غضبى قلت: لا ورب إبراهيم ؛ قالت: أجلْ والله ما أهجر إلا اسمك". وكان يحملها على ظهره لترى لعب أهل الحبشة بالحراب في المسجد ويطيل حملها ويسألها ؛ أسئمت؟ فتقول: لا. وليس بها حب النظر إلى اللعب ؛ ولكن لتعرف مكانتها عنده صلوات ربي وسلامه عليه. كانت عائشة رضي الله عنها امرأة مباركة ؛ ما وقعت في ضيقة إلا جعل الله تعالى بسبب ذلك فرجاً وتخفيفاً للمسلمين ؛ تقول رضي الله عنها: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، حتى إذا كنا بالبيداء ، انقطع عقدي ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ؛ فأتى الناسُ أبا بكر رضي الله عنه ، فقالوا: ما تدري ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس ؛ وليسوا على ماء ؛ وليس معهم ماء! قالت: فعاتبني أبو بكر ، فقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعن بيده في خاصرتي ، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان النبي صلى الله عليه وسلم على فخذي ؛ فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم ؛ فتيمموا. فقال أسيد بن حضير: ما هذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر! قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه ، فوجدنا العقد تحته ؛ فقال لها أبو بكر حين جاء من الله رخصة للمسلمين: والله الذي علمت يا بنيَّة أنك مباركة ، ماذا جعل الله للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر". وكانت رضي الله عنها من أعلم الصحابة. قال أبو موسى رضي الله عنه: "ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديثٌ قط ، فسألنا عائشة ، إلا وجدنا عندها منه علما". وكانت مُوقرةً من الصحابة. يعرفون لها قدرها وعلمها ومنـزلتها بين الناس: نال رجل من عائشة عند عمار بن ياسر فقال له عمار: اغرب مقبوحاً ؛ أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وقال عمار: "إنها لزوجة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة" ؛ نشهد بالله إنها لزوجته. وكان مسروق رحمه الله إذا حدث عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة رسول الله ، المبرأة من فوق سبع سماوات. وقال معاوية رضي الله عنه: والله ما سمعت قط أبلغ من عائشة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت رضي الله عنها وعن أبيها ؛ من أحسن الناس رأياً في العامة ؛ قال الزهري رحمه الله: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. وقال مصعب بن سعد: فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة آلاف ، وزاد عائشة ألفين ، وقال: إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فما بال أقوام عميت أعينهم ، وطمست قلوبهم أن يعرفوا لها قدرها ؛ فهل مثلها تخفى شمائله وطيب خصاله؟ وهل من شهد له هؤلاء النفر الأخيار بالعلم والتقى ؛ تبقى في قلوبنا ريبة نحوه ؛ ولا نستشعر حبه؟! أما إنه لا ينكر فضلها ؛ وزنة عقلها ؛ وطهارة قلبها ؛ وأنها حطت في الجنة رحلها ؛ لا ينكر ذلك إلا منافق مطموس القلب. يمشي كالبهيمة العجماء. {أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون؟ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً}. وحين نتكلم عن ورع أم المؤمنين – عائشة رضي الله عنها – وزهدها وخوفها من خالقها تتلاشى عند ذلك الكلمات وتهرب حينئذٍ المعاني خجلاً أن تدرك بلوغ الثناء الذي يليق بها. لقد كانت رضي الله عنها رمزاً في الكرم ، وغايةً في العظمة وسخاء النفس ، كيف لا وقد تعلمتها ممن كان أصل الكرم والوفاء ؛ ومعلم البشرية كلها أخلاق الخير؟ بعث معاوية رضي الله عنه وعن أبيه إليها مرة بمائة ألف درهم ؛ فما أمست حتى فرقتها ، فقالت لها خادمتها: لو اشتريت لنا منها بدرهم لحماً؟ فقالت: ألا قلتِ لي. وقال عطاء: إن معاوية بعث لها بقلادة بمائة ألف ، فقسمتها بين أمهات المؤمنين. وقال عروة – ابن

أختها-: إن عائشة تصدقت بسبعين ألفاً ، وإنها لترقع جانب درعها. رضي الله عنها. "وبعث إليها ابن الزبير رضي الله عنه بمال بلغ مائة ألف ، فدعت بطبق ؛ فجعلت تقسم في الناس ، فلما أمست قالت: هاتي يا جارية فطوري ، فقالت: يا أم المؤمنين أَما استطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهم؟ قالت: لا تعنفيني ، لو ذكرتني لفعلت". وكانت قمة التواضع فلا ترى نفسها شيئاً - وهيَ من هيَ؟ وكانت تخاف ثناء الناس عليها فلا تودّ سماعه مخافة الفتنة. "جاء ابن عباس رضي الله عنهما يستأذن على عائشة ، وهي في الموت ، وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن ؛ فقيل لها: هذا ابن عباس يستأذن ، قالت: دعني من ابن عباس لا حاجة لي به ولا بتزكيته ، فقال عبد الله: يا أمّه إن ابن عباس من صالحي بنيك ، يودِّعك ويسلم عليك. قالت: فأْذن له إن شئت ؛ قال: فجاء ابن عباس ، فلما قعد قال: أبشري فوالله ما بينك وبين أن تفارقي كل نصب ، وتلقي محمداً صلى الله عليه وسلم والأحبة ؛ إلا أن تفارق روحُك جسدك. كنت أحبَّ نساءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، ولم يكن يحب إلا طيباً ، سقطت قلادتك ليلة الأبواء ، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلقطها ؛ فأصبح الناس ليس معهم ماء ، فأنزل الله: {فتيمموا صعيداً طيباً} ؛ فكان ذلك من سببك ، وما أنزل الله بهذه الأمة من الرخصة ؛ ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سماوات فأصبح ليس مسجدٌ يذكرُ فيه اسم الله إلا براءتك تتلى فيه آناء الليل والنهار ؛ قالت: دعني يا ابن عباس ؛ فوالله وددت أني كنت نسياً منسياً". وقال ابن أبي مُليكة: "إن ابن عباس استأذن على عائشة وهي مغلوبة فقالت: أخشى أن يُثني عليَّ ، فقيل: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن وجوه المسلمين ، قالت: ائذنوا له ؛ فقال: كيف تجدينك؟ فقالت: بخير إن اتَّقيتُ ، قال: فأنت بخير إن شاء الله ، زوجةُ رسول الله ولم يتزوج بكراً غيرك ، ونزل عذرك من السماء ؛ فلما جاء ابن الزبير ، قالت: جاء ابن عباس وأثنى عليَّ وودت أني كنت نسياً منسياً". رضي الله عنها قمة التواضع ؛ ومنتهى الذلة لله ؛ وهي تعلم أنها من أهل الجنة ؛ المحبوبة لخالقها سبحانه. فعائشة بنت أبي بكر الصديق ليست كغيرها من النساء ؛ هي زوج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فرض علينا حبها ؛ واختارها زوجة لنبيه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة وسماها أم المؤمنين ؛ قال تعالى: {وأزواجه أمهاتهم}. وبرّأها من فوق سبع سماوات مما رماها به المنافقون وورثتهم إلى عصرنا الحالي ؛ الذين يرمونها بالفاحشة {كبرتْ كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً} ؛ قطع الله ألسنتهم ؛ وجازاهم بسوء صنيعهم. وهل يختار الله سبحانه لنبيه إلا طاهرة مطهرة نقية؟ فهل من متفكر؟! وحتى تعلموا شناعة القول: فليتخيل كل واحد منا أنه طعن في شرفه ؛ واتهمت زوجته بالفاحشة ؛ فعلى أي حال سيكون؟ فكيف إذا كان المطعون بها زوجة خير الورى صلى الله عليه وسلم؟ فهل أعراضنا أغلى من عرضه؟ واعلموا أن مما يجب على كل مسلم اعتقاده أن عائشة مطهرة ؛ ومن قول أهل الكذب والبهتان مبرأة ؛ ولا نشك بأن الله جل وعلا لا يمكن أن يجعل تحت نبيِّه إلا مطهرة عفيفة مصونة. هذا من صميم عقيدتنا. ومن زعم في عائشة غير هذا مما رماها به أهل البهتان ؛ كرأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول ووارثيه إلى هذا الزمان ؛ كرميهم لها بالفاحشة ؛ فهذا كافر بإجماع المسلمين ؛ "وغداً عند ربهم يجتمعون ؛ فيقتص المظلوم ممن ظلمه ؛ فيا ويح من كان خصمه محمداً صلى الله عليه وسلم!". فعليك يا عبد الله أن تعتقد هذه العقيدة الصحيحة في أمك الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات ؛ وأن تبرأ من كل قول يقدح فيها وفي عدالتها ؛ واعلم أن الطعن فيها طعن في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ؛

وقدحٌ في حكمة الله سبحانه الذي اختارها زوجة لنبيه. كما أنه يجب عليك أن تبغض كل ملة تدين وتعتقد الطعن في عائشة واتهامها بالرذيلة وإن تسمى أصحابها باسم الإسلام وتلفظوا بالشهادتين. فإن من اعتقد ذلك كافر ؛ لا تجوز محبته ولا موالاته ولا أكل ذبيحته ولا الزواج منه ولا تزويجه. ويكفي أن الله سبحانه وتعالى من عظيم حكمته ابتلى هؤلاء باقترافهم لفاحشة الزنا يسمونها بغير اسمها {جزاءً وفاقاً} لطعنهم بعائشة المطهرة العفيفة المبرأة. فالواجب عليك أيها المسلم محبة عائشة وموالاتها ومعرفة تمام قدرها ومنزلتها ؛ واعتقاد هذه العقيدة دون النظر لأقاويل المرجفين الدخلاء على ديننا وشرعنا. ويكفي أن الله سماها أم المؤمنين ، هي وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن لم تكن عائشة أمه فليس بمؤمن ، ومن تبرأ منها فحريٌّ به أن يحال بينه وبين جنان الخلد. فإذا اعتقدت موالاتها ومحبتها فعدَّ ذلك أرجأ أعمالك عند الله ؛ واعلم أنك عملت عملاً عظيماً تستحق عليه الأجر من الكريم الذي لا يضيع أجر من المحسنين. هذا واعلموا أنه لا يحزن على عائشة إلا من كانت هي أمه؛ وأما أولئك السقط المتهافتون وراء الإفك ، الصادون عن الحق ؛ الطاعنون في خير الخلق ؛ فإياك وإياهم ؛ واحذر طريقهم ؛ فإنهم يقودون إلى الهاوية ؛ والتبرؤ من خير البشر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وموالاة كل كافر وفاجر).هـ. واختُلِف في تفضيل خديجة عليها على ثلاثة أقوال ، ثالثها الوقف ، وسأل ابن القيم شيخه ابن تيمية – رحمه الله ـ فقال: اختصت كل واحدة منهما بخاصةٍ ، فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام ، وكانت تسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتثبته وتسكنه ، وتبذل دونه مالها ، فأدركت عزة الإسلام ، واحتملت الأذى في الله وفي رسوله ، وكانت نصرتها للرسول صلى الله عليه وسلم في أعظم أوقات الحاجة ، فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها ، وعائشة ـ رضي الله عنها ـ تأثيرها في آخر الإسلام ، فلها من التفقه في الدين وتبليغه للأمة ، وانتفاع نبيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها. تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنتين ، وهي بنت ست سنين ، وبنى بها بالمدينة ، في شوال من السنة الأولى من الهجرة وهي بنت تسع ، ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها. وزواجه صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها كان بوحي من الله عز وجل ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أريتك في المنام ثلاث ليالٍ: جاءني بك الملك في سرقة من حرير ، فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي ، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه. أهدي هذه القصيدة لأمي وأم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق ، رضي الله عنها. والمناسبة أنني تأثرتُ إذ كنتُ أستمع إلى قصيدة أنشدها شاعر فحل من الشعراء المعاصرين ، فجزاه الله عني وعن أم المؤمنين عائشة وعن الإسلام والمسلمين ، وعن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيراً كثيراً. ورُحت أنشد قصيدتي هذي.)

حِليـــــةَ النِّسْـــــوَانِ ، أمَّ المـــــؤمينْ مَعْقِـــدَ التَّقْـــوى ، ونبـــراسَ اليقِـــينْ

الهُـــدَى والنّـــور والـــذكرى معـــا ومنـــارُ العـــز والعقـــلِ الرِّصـــين

وريـــاضَ العِلـــم وهَّـــاجَ الســـنا ومِهـــادَ الـــذكر والفكـــرِ المُبـــين

مَعقِـــلَ الطّهـــر وبســـتانَ النّقَـــا ... طَهُـرَت فـي النـاس ممـا قـد يَشِـين

واحـــةَ العَـــدلِ وعُنـــوانَ التُّقـــى ... ربَّـــةَ العطـف ومَـــن تُهـدِي الحَنـين

مَـــورِد العِفّـــةِ ، يَكفـــي أنّهـــا ... زوجُ خيـــر الخلـــقِ تَـــاجِ المُرســـلين

غـــادةَ التِّبيـــان وضَّـــاحَ الصَّـــدى ... مَنبـــعَ الجُـــود وبِنـــتَ الأكـــرمِين

مَصـــدرَ الأخـــلاقِ فـــي غاياتهـــا ... ومَعـــينَ الصـــدق بـــين الصـــادقين

مُنتهـــى الخيـــرِ وآمـــادِ الصَّـــفَا ... خيـــرَ مَـــن خُصَّـــت بتكـــريم الأمـــين

فالوفـــا والقســـط مِـــن آياتهـــا ... إنهـــا مِـــن بَعـــدُ أمُّ المـــؤمنينْ

يـــا ابنـــةَ الصـــديق ، يـــا خيـــرَ النســـا ... أبشـــري بالنصـــر يَجتـــاحُ المَنـــون

زخـــرفَ الإفـــكَ الشَّـــقِيُّ ، مـــا لنـــا ... فـــي العَـــوادي غيـــرُ ربِّ العـــالمين

يَنصـــرُ الحـــقَّ ويُـــردي مَـــن طغـــى ... ويُثيـــبُ المَـــرءَ مِـــن بعـــد الفُتُـــون

صـــابري يـــا أمَّ ، هـــذي فتنـــةٌ ... بـــات فيهـــا الغـــدرُ كالمـــاء المَعِـــين

سَـــكَبَ النـــار عليهـــا جَوقـــةٌ ... نســـجوا الزيـــفَ رداءً والـــدُّجُون

هكـــذا يـــا ابـــنَ ســـلول حِكْتهـــا ... وأبنـــتَ الـــزور والحِقـــدَ الـــدَّفِين

ورجمـــتَ العِـــرض جهـــراً بالحِصـــى ... وســـفكتَ الـــدمَ بالسَّـــيفِ الغَبِـــين

واســـتبحتَ الـــدِّينَ عمـــداً والعُـــرى ... ورميـــتَ الطّهـــرَ بـــالقول اللعـــين

بُـــؤْ بِهَـــا يـــا بـــن البريـــا لعنـــةً ... ليَـــراكَ القـــومُ مُســـوَدَّ الجَبِـــين

وإذا يثـــربُ تَهـــذِي كلهـــا ... تخلـــعُ الطهُّـــر عـــنِ العِـــرض الحَصِـــين

وإذا (حســـانُ) يَـــروِى إفكَهـــم ... وجـــزاءُ القـــذف جَلـــدُ فـــي (المُبِـــين)

وإذا (المختـــارُ) أضـــناه الجَـــوَى ... فـــوق شـــوكِ الطعـــن قـــد كـــان الـــرَّهِين

يســـأل الـــزوجَ عـــن الأمـــر ضُـــحىً ... فغلـــتْ فـــي قلبهـــا نـــارُ الأنِـــين

وإذا (الصِـــــدِّيقُ) يَنعـــــي غـــــادةً ... ويمُـــــجُّ الآه فـــــي صَـــــدرِ الظَنـــــون

وتعـــــاني (أمُّ رومـــــانٍ) كـــــذا ... عـــادتِ الـــذكرى بهـــا عَبـــر السِّـــنين

وتلظـــــتْ مُقلتاهـــــا بالبُكـــــا ... وإذا بالقلـــــب غشَّـــــتْه الطَعُـــــون

وإذا (الهـــادي) علـــى شـــوق أتـــى ... وابنـــةَ الصـــديق فـــي الكـــرب الـــدَّجِين

(كيـــف تِـــيكُم) ، قالهـــا مســـتعبراً ... صـــوتُه بالـــدمع هَتَّـــانٌ حـــزين

وابنـــةَ الصـــديق فـــي آلامهـــا ... وتـــلالُ الـــدمع تشـــكوها الجفُـــون

تشـــربُ الحـــزنَ نقيعـــاً وحـــدها ... مِـــن بُكاهـــا قَرِّحَـــت منهـــا العُيـــونْ

تشـــتكي الفتنـــةَ لله الـــذي ... هـــو مَـــولِى الصـــالحين الصـــابرين

ومـــع الأحـــزان عاشـــتْ شـــهرَها ... وإذا بالنصـــر أوحـــاه (الأمـــين)

بَـــرَّأ اللهُ بـــه ســـاحاتَها ... وأدان اللهُ رأسَ الفاسِـــقِين

وعـــدَ اللهُ الخزايـــا نـــارَهُ ... ثـــم باتـــت عِبـــرة للمســـلمين

فاســـعدي يـــا أمُّ ، وارتـــاحي إذن ... واحمـــدي اللهَ نصـــيرَ المُتقـــين

غـــرَّد الحـــقُّ ، وأنـــتِ أهلُـــه ... (عـــائشَ الخيـــر) ، وأمَّ المـــؤمنين

واثـــأرِ اللهـــم ممَّـــن نالهـــا ... باتهـــام فـــاحشٍ مُـــرٍ مَهِـــين

وانـــتقمْ ممـــن يُـــدنِّي شـــأنَها ... فـــي زمـــانى - ربِّـــي - أو خـــالِي القُـــرون

وارض ربَّ النـــاس عنهـــا ، إنهـــا ... تبعـــتْ بـــالحق خيـــرَ المُرســـلين

وتســـامت فـــي سَـــمَا إســـلامنا ... ولهـــا فـــي الفقـــه كـــم رأي رزيـــن!

وروت ألـــفَ حـــديثٍ وحـــدَها ... ولهـــا فـــي هجعـــة الليـــل شُـــجُون

خُلِّـــدتْ فـــي سُـــورة (النـــور) ، فـــزِد ... مجـــدَها - يـــا ربَّنـــا - فـــي الخالـــدين

يـــا إلـــهَ الكَـــون أكـــرمْ شـــأنَها ... مَـــن لهـــذا غيـــرُ مولانـــا المَتِـــين؟

همسة

(العاقل الحقيقي والرشيد الصادق من وُعظ بغيره. ولا ينتظر وقوع الكوارث به ، ولكنه يجالد ويتصبر. وقف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - على المقابر ذات يوم ، ثم قال: اعتبروا يا أهل الديار ، نطق بالخراب فناؤها ، وشيد في التراب بناؤها ، فمحلُها مقترب ، وساكنُها مغترب! لا يتزاورون تزاور الإخوان ، ولا يتواصلون تواصل الجيران ، قد طحنهم بكلكله البلى ، وأكلتهم الجنادل والثرى. ثم قال: يا أهل العز والثروة ، إن الأزواج بعدكم قد نُكحت ، والأموال قد قُسّمت ، والدور قد سُكنت. فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ والتفت إلى صاحبه فقال: أما والله لو أذن لهم لقالوا: إن خير الزاد التقوى. وبالطبع بعد كلام الإمام تحدث في النفس العبرة ، ويستلهم القلب الدرس. وأهمس للقلب أن يشحذ الهمة ، وينتبه ويستدرك أمره قبل فوات الأون. إنها همسة للأمل الدافئ المُشرق الحاني المتفتح في القلب: تدفعه نحو التفاؤل ، وتحمله على نبذة النبرة الحزينة اللاجمة التي تُقَطع نِياطَ الفؤاد. ألا وإن الأمل المنضبطَ بالشرع المطهر الحنيف ، إنما هو طريق إلى المعالي والفضائل. ألا وإني أهدي هذه الهمسة الحانية لكل موحد استغل الشيطانُ ضعفَ نفسه في وقتٍ من الأوقات ، وراح يوسوس له ويزين له ، وأذكره بالآية: (إن الذين اتقوْا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون). وذلك حتى يعود إلى ضبط النفس والسيطرة على أعصابه ، وكبح جماح الانفعال والحيلولة دون اليأس وانقطاع الأمل. يعلق صاحب الظلال على آية سورة غافر: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يرسل فلا ممسك له من بعده) فيقول: (ويبقى أن أتوجه أنا بالحمد لله على رحمة منه خاصة عرفتها منه في هذه الآية لقد واجهتني هذه الآية في هذه اللحظة وأنا في عسر وجهد وضيق ومشقة واجهتني في لحظة جفاف روحي وشقاء نفسي وضيق بضائقة وعسر من مشقة واجهتني في ذات اللحظة ويسر الله لي أن أطلع منها على حقيقتها وأن تسكب حقيقتها في روحي ، كأنما هي رحيق أرشفه وأحس سريانه ودبيبه في كياني حقيقة أذوقها لا معنى أدركه فكانت رحمة بذاتها تقدم نفسها لي تفسيراً واقعياً لحقيقة الآية التي تفتحت لي تفتحها هذا وقد قرأتها من قبل كثيراً ومررت بها من قبل كثيراً ولكنها اللحظة تسكب رحيقها وتحقق معناها وتنزل بحقيقتها المجردة وتقول ها أنذا نموذج من رحمة الله حين يفتحها فانظر كيف تكون إنه لم يتغير شيء مما حولي ولكن لقد تغير كل شيء في حسي إنها نعمة ضخمة أن يتفتح القلب لحقيقة كبرى من حقائق هذا الوجود كالحقيقة الكبرى التي تتضمنها هذه الآية نعمة يتذوقها الإنسان ويعيشها ، ولكنه قلما يقدر على تصويرها أو نقلها للآخرين عن طريق الكتابة وقد عشتها وتذوقتها وعرفتها وتم هذا كله في أشد لحظات الضيق والجفاف التي مرت بي في حياتي وها أنذا أجد الفرج والفرح والري والاسترواح والانطلاق من كل قيد ومن كل كرب ومن كل ضيق وأنا في مكاني إنها رحمة الله يفتح الله بابها ويسكب فيضها في آية من آياته آية من القرآن تفتح كوة من النور وتفجر ينبوعاً من الرحمة وتشق طريقاً ممهوداً إلى الرضا والثقة والطمأنينة والراحة في ومضة عين وفي نبضة قلب وفي خفقة).هـ. وهكذا يجب أن نتفاعل دائماً!)

اِشـــــحَذِ الهمَّـــــةَ ، طيّـــــبْ خـــــاطرِي ذهـــــبَ الماضـــــي ، فجَمِّـــــلْ حاضـــــرِي

إنمـــا المســـتقبلُ الزاهـــي أتـــى ... يبعـــث الـــذكرى بقلـــب الشـــاعر

وطيـــوفُ الحلـــم أضـــحت ترتـــدى ... مـــن صـــدى الصـــوت الشـــجى الســـاحر

فـــازرعِ البســـمةَ - فيهـــا - والمُنـــى ... يـــا أريـــجَ الشـــعر ، واشـــرحْ خـــاطري

واحمـــلِ الهَمسَـــةَ فـــي طيـــفِ المَـــدى ... ثـــم غـــرِّد كالرَّبـــاب الفـــائر

عِـــشْ نقـــيَّ القلـــب ، هـــذا أمـــلٌ ... واعـــلُ فـــي دنيـــا القَطيـــعِ الســـادر

وارفـــعِ القـــرآنَ ، واعمـــلْ صـــالحاً ... تَـــنجُ مِـــن ذل المصـــير السَّـــاعِر

واصـــحبِ الجِـــدَّ ، وكُـــنْ مسترشـــداً! ... ألـــزِمِ الـــنفسَ بشـــرعِ طـــاهر

واضـــبطِ القلـــبَ علـــى حُـــب الهُـــدى ... وابـــكِ بالـــدمع الغزيـــر الهَـــامِرِ

عَظَـــمَ الـــذنبُ ، فهـــل مـــن توبـــةٍ؟ ... وتُعـــاني مـــن ضـــمير حـــائر

فاعقـــدِ العـــزم علـــى أن لاّ هـــوىً! ... وتخلـــقْ بـــالفؤاد الشـــاكر

واجعـــلِ التوحيـــدَ منهـــاجَ المَضـــا ... واســـمُ للعليـــا بعـــزم صـــابر

(همســـة) نحـــو المعـــالي ، فارعَهَـــا ... واســـعَ فـــي الـــدنيا بـــروح الثـــائر

ثـــائرٌ يـــرفضُ دنيـــا مَـــن طغـــوْا ... لـــيس يحيـــا للضـــباب الخـــائر

وإذا نِيـــلَ الهُـــدى ، كـــان الـــردى ... صُـــبَّ فـــوق المســـتخف الجُعظـــري

(همســـة) فـــي الـــروح فحـــوى ظلهـــا ... خطـــرتْ لـــي مثـــل طيـــفِ الزائـــر

تحمـــلُ الهمّـــةَ فـــوق المبتغـــى ... وتُعيـــد الحـــق رغـــم الغـــادر

صـــاغها شـــعراً يـــراعٌ نـــابضٌ ... وزكاهـــا بالعِـــداد الناضـــر

(همســـة) أهمســـها رغـــم العنـــا ... ســـوف تعطـــي ، لـــم تكـــن بالعـــاقر

فتفـــاءلْ يـــا صـــديقي ، واصـــطبرْ ... أنـــتَ مربـــوبُ لـــرب قـــادر

ســـيُعيد الله بأســـاً قـــد مضـــى ... فارتقـــبْ خيـــرَ المليـــكِ النّاصِـــر

أفراح

(الأفراحُ وما أدراك ما الأفراح. تنوعت فيها الهمم ، فَهمّةُ تُقيم الشرع الحنيف وتحرص عليه ، وهمّة تقيم الشرع الجاهلي وتحرص عليه. وكل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها. وكلٌ يعمل على شاكلته. وقد أقيمت الحجة والحمد لله. وصار هناك البديل الإسلامى متمثلاً فى الأناشيد العذبة التي نعتقد أنها لا تخالف الشرع كلمة ولا لحنا ولا طريقة آداء. وأشكر من فؤادي أبا عابد ومحمدا المساعد وأبا راتب وأبا عاصم وأبا مازن وأبا مالك وأبا الجود ومحمد العزاوي ، ومن حذا حذوهم وسار على دربهم من أصحاب العقائد الصحيحة والغيرة على الدين وأهله ، فأوجدوا البديل الإسلامي الشرعي ، وأقاموا بذلك الحجة ، وأوقفوا الناس على الحق البديل في الأفراح. هذا ، وكنت قد عزمت على الإدلاء بدلوي وتوفير أناشيد للأفراح قدر الوسع والطاقة. فكتبت هذه القصيدة. وإنني لأحيي كل مَن سعى لإقامة البديل الشرعي الطاهر الوضئ من أناشيد الأفراح الملائكية التوحيدية الحنيفية ، بعيدا عن أذى الجاهلية وحضيضها وعفنها ودنسها وخيلها ورجلها وركابها. وإن هو إلا الاستسلام المطلق للإله الخالق القدير في شريعته. والأصل أن يفرح المسلم وفق الشريعة الربانية ، وليس وفق الهوى والمجتمع! هذا ، ويعلق صاحب الظلال على أية (يونس): (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فيقول: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون. إنه ذم الجاهلين في تشريعاتهم الباطلة وفي ظل هذا الحديث عن فضل الله ورحمته المتمثلين فيما جاء للناس من موعظة وهدى وشفاء لما في الصدور يتعرض السياق للجاهلية وهي تزاول حياتها العملية لا وفق ما جاء من عند الله ، ولكن وفق أهواء البشر واعتدائهم على خصائص الله سبحانه ومزاولتهم أمر التحليل والتحريم فيما رزقهم الله (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون). قل ماذا ترون في رزق الله الذي أنزله إليكم وكل ما جاء من عند الله في عليائه إلى البشر فهو منزل من ذلك المقام الأعلى).هـ. أي دليل على أن عرس المسلم لا بد وأن يحتوي على الموسيقى والغناء والاختلاط المستهتر والرقص والمجون؟! إنه يجب أن يكون هناك كبير فرق بين العرس المسلم والعرس الجاهلي. ذلك أنه يحلو لكثيرين من أهل الجاهلية أن يتهموا الشرع المطهر بالقصور عن الاستجابه لضغوط واقعهم الجاهلى! نقول بل النقص والقصور فيكم أنتم حيث لم ترتفعوا بعدُ إلى مستوى الوحي ، وأشارك بهذا الطرح الشعري ، والذي يحمل عنوان (أفراح) ، عسى أنْ يكون خُطوة على طريق البديل الشرعي لأشعار الجاهلية التي تملأ الآفاق والأرحاب.)

أشـــــرقتْ شـــــمسُ الأمـــــاني ... فانتشَـــــى العُـــــرسُ الجَميـــــلْ

وإذا الجـــــــو بهـــــــاءٌ ... وإذا الشـــــــوقُ رسُـــــــول

واكتســـــى بـــــالنور حفـــــلٌ ... مـــــا لـــــه ـ كـــــلا ـ مَثِيـــــل

وإذا الفرحـــــــــــةَ نشـــــــــــوى ... دون عَـــــــــــزفٍ ، أو طَبـــــــــــول

وإذا البهجـــــــــــةَ خجلـــــــــــى ... ولهـــــــــــا طـــــــــــرفٌ كَحِيـــــــــــل

وأتـــــــــــى الضِّـــــــــــيفانُ فـــــــــــوراً ... مـــــــــــا أحـــــــــــيلاهُ حُلـــــــــــول!

وعـــــــــــروسُ اليـــــــــــوم نَجـــــــــــمٌ ... لـــــــــــيس يَطويـــــــــــه الأفـــــــــــول

زانهـــــــــــا التوحيـــــــــــدُ صـــــــــــدقاً ... بـــــــــــاركَ اللهُ الجَلِيـــــــــــل

وإذا الهَـــــــــــديُ لبـــــــــــاسٌ ... يســـــــــــترُ الحُســـــــــــنَ الفَضِـــــــــــيل

وإذا التقـــــــــــوى ريـــــــــــاشٌ ... زيَّنَـــــــــــتْ وجـــــــــــهَ الحَلِيـــــــــــل

إنّـــــــــــهُ الزهـــــــــــرةُ فاحـــــــــــت ... لا تُبـــــــــــالي بالـــــــــــذُبُول

مَوكِـــــــــــبُ الخيـــــــــــر مَهيـــــــــــبٌ ... وشـــــــــــريفٌ ، وبَلِيـــــــــــل

يَمـــــــــــلأُ الـــــــــــروحَ عبيـــــــــــراً ... وبِـــــــــــه الطِيـــــــــــبُ سَـــــــــــبِيل

آثـــــــــــرَ التَّوحِيـــــــــــدَ عُـــــــــــرسٌ ... مـــــــــــا بـــــــــــه شـــــــــــئُ رذيـــــــــــل

إنمـــــــــــا وحـــــــــــيُ وذكـــــــــــرٌ ... وأناشـــــــــــيدٌ تَصُـــــــــــول

تبـــــــــــعَ الإشـــــــــــراقَ نـــــــــــوراً ... فـــــــــــي ليالينـــــــــــا يَسِـــــــــــيل

طاعـــــــــــةَ اللهِ سِـــــــــــيَاجٌ ... يحـــــــــــرسُ العُـــــــــــرسَ النّبِيـــــــــــل

يطـــــــــــرحُ التضـــــــــــليلَ أرضـــــــــــاً ... يَكبِـــــــــــتُ الشَّـــــــــــرَ الوَبِيـــــــــــل

ويُســـــــــــلِّي مَـــــــــــن أتانـــــــــــا ... بيواقيـــــــــــتِ الأصِـــــــــــيل

ينشـــــــــــر النـــــــــــور ، ويســـــــــــمو ... ولـــــــــــه الحُســـــــــــنى دَلِيـــــــــــل

بـــــــــــارِكِ اللهـــــــــــمَّ عُرســـــــــــاً ... بـــــــــــاتَ مِـــــــــــن أرقـــــــــــى البَـــــــــــدِيل

ثـــــــــــم جَنِّبنَـــــــــــا التـــــــــــردي ... فـــــــــــي مَتَاهـــــــــــاتِ الـــــــــــذيول

ميلاد ذكرى

(تُعتبر هذه القصيدة من أوائل القصائد التي كنت قد كتبتها للأصدقاء. ولذا فإن وجد القارىء عليها بعض آثار الضعف الفني فليعذرني. إذ يرجع تاريخها لسنة 1986م. وآثرت أن أضعها بين الأيدي كما هي. ذلك أنني أحب أن يبقى شعري كما هو بضعفه في فترات الضعف ، وبقوته في فترات القوة. إنه شريط من الذكريات طويل يمتد معي على مدى سنوات العمر ، أودعته كل تجربتي وثقافاتي. وأكتب هذي القصيدة لصديق فارقني لضرورة ، وبقيت معذبا بعده بالبعد ، لأنه من النفر القليل الذي صدق في رسالته معي كصديق ، فكان نعم الأخ والصديق والخليل. وقد عادت أطيافُ حبه تتهادى أمامي تُذكرني به وبمغامراته وعباراته الظريفة التي كنت أرى فيها بعض حياتي ونور عمري وضياء وجودي.)

هـــــذا قصـــــيدي المســـــتبينْ ... قـــــد صـــــغتُه للســـــامعينْ

مـــــن وحـــــي إحساســـــي بـــــه ... دُررٌ تُـــــــرى للنّـــــابهين

روحـــــاً تَهـــــادى عطرُهـــــا ... داوتْ جِـــــراح البائســـــين

نجمـــــاً تـــــألّق فـــــي المَـــــدى ... يُزجـــــي الهُـــــدى للحـــــائرين

مـــــنهم صـــــديقٌ مخلـــــصٌ ... مُترفّـــــعٌ ، خِـــــلٌ مَكِـــــين

يَشـــــقى لأحيـــــا باســـــماً ... وأنـــــا لـــــه ـ صـــــدقاً ـ مَـــــدِين

كـــــم ذا تســـــامى حبُّنـــــا ... وزهـــــا كمثـــــل اليَاسَـــــمِين!

وكأنمـــــا هـــــو بُلبُـــــلٌ ... يُقـــــري المشـــــاعر والـــــرنين

وكأنمـــــا هـــــو عندليـــــ ... ـــــبٌ فـــــوق غصـــــن الجَـــــزورين

والظـــــل محبـــــور العطـــــا ... مـــــا كـــــان يومـــــاً بالضـــــنين!

والشـــــمسُ جـــــادت بالضـــــيا ... وبـــــدا ســـــناها المســـــتبين

كنـــــا معـــــاً ، نحيـــــا معـــــاً ... قلبـــــيْن مأملُنـــــا شَـــــجِينْ

هـــــذا صـــــديق مخلـــــصٌ ... روحٌ تعـــــي ، عقـــــلٌ رصـــــين

واليـــــــوم فرّقنـــــــا النـــــــوي ... وبقيـــــــتُ وحـــــــدي كـــــــالطعين

مـــــا لـــــي إلـــــى رؤيـــــاه مـــــن ... أدنـــــــى ســـــــبيل أو قـــــــرين

كـــم عشـــتُ عمـــراً فـــي الـــذرى! ... واليـــوم فـــي حزنـــي دفـــين

فالـــــــدمعُ أدمـــــــى مقلتـــــــي ... حتـــــــى تعقبنـــــــي الأنـــــــين

آهٍ لمَـــــــا قـــــــد نـــــــالني! ... والقلـــــبُ فـــــي البلـــــوى ســـــجين

كـــــــم ذا تعالـــــــت صـــــــرختي ... وطـــــوى أحاسيســـــــي الحنـــــين!

وغلـــــــتْ بقلبـــــــي ثـــــورتي ... واهتـــــــاج تَحنـــــــاني السَّـــــــخِين

وعلـــــــتْ بجَـــــــوفي آهتـــــــي ... وغـــــدوتُ ـ فـــــي التـــــو ـ المَهـــــين

كيـــــــف افتقـــــــدتُ صـــــــرامتي ... ولفظـــــــتُ عزمـــــــاً لا يلـــــــين؟

ويبيـــــــتُ صِـــــلٌ فـــــي الـــــذرى ... والأسْـــــدُ فـــــي الرمضـــــا عِـــــزين

كيـــــــف الليـــــــوثُ تقهقـــــــرتْ ... والتـــــيس شـــــاطرها العَـــــرِين؟

أهـــــوى ، ولكـــــنْ كيـــــف لـــــي ... هـــــذا الـــــذي أهـــــوى ســـــنين؟!

مـــــا لـــــي غضـــــبتُ فكبلـــــتْ ... منـــــي العزيمـــــة ، والجبـــــين

ألأننـــــــــي متعفـــــــــفٌ؟ ... ألأننـــــي الرجـــــلُ الأمـــــين؟

أبصـــــرتُ لكـــــنْ مَـــــن طغـــــى ... أضـــــحى مِـــــنَ القـــــوم العمـــــين

نشيد أفلا يأتي

(المنشدون المسلمون على ثغر من ثغور الإسلام. ولقد استمعت ذات يوم إلى أناشيد (البحرين) ولم يكن لي كبير الولع والتأثر بالأناشيد الإيمانية. وهذا يعود لسنة 1985م. أو قبل ذلك والله أعلم. وتأثرت جداً بهذا النشيد الذي يحمل عنوان (أفلا يأتي) فأخذت أنسج على منواله قصيدتي هذي. وإنني لأنظر إلى الحياة التي نعيش من عل ، بكل عزة بهذا الدين الذي أعزنا الله عز وجل بالانتساب إليه. وقد ابتعد الناس عن الشريعة وأصبحت الهوة بعيدة بين الأمة وبين دينها. وتساءلتُ: (أفلا يأتي يوم نحيا فيه حياة إسلامية؟). وهل ستظل الأمة تتخبط بين التيه والظلام ، وبين غي المعاصي وضنك الموبقات. في كتابه القيم: (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) ، قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى – ما نصه: (ولَمَّا علم الموفَّقون ما خُلقوا له ، وما أريد بإيجادهم ، رفعوا رؤوسهم ، فإذا علم الجنة قد رُفِعَ لهم ، فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، في أبد لا يزول ولا ينفد ، بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار في المنام ، مشوب بالنقص ، ممزوج بالغصص ، وإن أضحك قليلاً أبكى كثيراً ، وإن سرّ يوماً أحزن شهوراً ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف أضعاف مسرّاته ، أوله مخاوف وآخره متالف ، فيا عجباً من سفيه في صورة حليم ، ومعتوه في مسلاخ عاقل ، آثر الحظ الفاني الخسيس على الحظ الباقي النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والأرض بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات ، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ، وأبكاراً عرباً أترابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق ، مسافحات أو متخذات أخدان ، وحوراً مقصورات في الخيام ، بخبيثات مسيبات بين الأنام ، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم ، وسماع الخطاب من الرحمن بسماع المعازف والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ؛ بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ، ونداء المنادي: يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا ؛ وتحيوا فلا تموتوا ، وتقيموا فلا تظعنوا ، وتشبوا فلا تهرموا ، بغناء المغنين. وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً ، وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً ، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد: ليعلمَنّ أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد. فلو توهَّم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام ، وادَّخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفى لهم من قرة أعين ، لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أي بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال ، فهم في روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون ، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون ، بأنواع الثمار يتفكهون. تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد ، فوا عجباً لها كيف نام طالبها ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب العيش في هذه الدار ، بعد سماع أخبارها ، وكيف قرّ للمشتاق القرار دونها

أعين المشتاقين ، وكيف صبرت عنها أعين الموقنين ، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ، وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين).هـ. وصدق النبي الكريم – صلي الله عليه وسلم - إذ يقول: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي). والله نسأل أن تعود أمتنا لدينها فتعمل به وتدعو إليه وتجاهد في سبيله وتفتح البلاد وقلوب العباد له. لأن شوقنا طال لأن نعيش حياة نظيفة وفق هُدى المهيمن العزيز الجبار المتكبر – سبحانه وتعالى – وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – بعيداً عن الهوى والنفاق والرياء والجاهلية قِوامُها العدل و الحق. ألا وإن الطريق إليها شاق عسير وليس مفروشاً – كما يريده كثير من المتسرعين – بالورود والرياحين ، بل مفروش بالجماجم والأشلاء والدم. وعودٌ لقراءة قصيدتي هذي التي سطرتها عام 1986م!)

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

وكفانـــــا هجـــــراً للتقـــــوى خـــــدعتنا اللإنســـــانيةْ

ونتـــــوق اليـــــوم إلـــــى العَليـــــا لا ، للأوضـــــاع الشـــــكلية

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

يســـــمو فـــــي دنيـــــاه المَحيَـــــا تســـــمو الـــــذاتُ الإيمانيـــــةْ

لســـــنا نبغـــــي مـــــنكم هـــــزلاً نبغـــــي نظَمـــــاً قرآنيـــــةْ

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

معيـــــار الـــــدين هنـــــا التقـــــوى والأخـــــلاق الربانيـــــةْ

توحيـــــــد الله بهـــــا يســـــمو تفديـــــــه مشـــــاعرنا الحيـــــة

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

لـــــن تخـــــدعنا تـــــرنيمتُكم والأبـــــــواقُ الشـــــيطانية

إنـــــا نشـــــتاق إلـــــى يـــــوم نُنهـــــي فيـــــه الَعِلْمَانيـــــة

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

قـــــالوا: كُفـــــوا عـــــن تشـــــديدٍ واللهجـــــــات الإرهابيـــــــة

نحـــــن نريـــــد الإســـــلامية لا شـــــــرقيةَ ، لا غربيـــــــةَ

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

فرعـــــون الجَوْقَـــــةِ نـــــاداهم خمـــــدًا للـــــروح الثوريـــــةَ

أحيُـــــوا فـــــيهم كـــــل ضـــــلال كيمـــــا تحيـــــا الفرعونيـــــة

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

حواء والبيت

(مكان المرأة اللائق بها – وإنْ أبت لها الجاهلية هذي – هو بيتها. (وقرن في بُيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله). ذلك أنها عِرض يُصان وجوهرة تقتنى ولؤلؤة تُحفظ! أقر بذلك من أقر ، وتنكر له من تنكر! علم ذلك من علمه وجهله من جهله!

فكتبتُ في هذا المعنى هذه القصيدة في يوم 1982/3/23م. في كتاب بلوغ الأرب للآلوسي ما نصه: (لما مات ليث بن مالك ؛ أخذ بنو عبس فرسه وسَلَبَه ، ثم مالوا إلى خبائه فأخذوا أهله ، وسلبوا امرأته خماعة بنت عوف بن محلّم ، وكان الذي أصابها عمرو بن قارب وذؤاب بن أسماء ؛ فسألها مروان القرظ بن زنباع: من أنت؟ فقالت: أنا خماعة بنت عوف بن محلّم ؛ فانتزعها من عمرو وذؤاب لأنه كان رئيس القوم ، وقال لها: غطي وجهك ، والله لا ينظر إليه عربي حتى أردك إلى أبيك ، وضمها إلى أهله ، حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كسوتها وأخدمها وأكرمها ، وحملها إلى عكاظ ، فلما انتهى بها إلى منازل بني شيبان ؛ قال لها: هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك؟ فقالت: هذه منازل قومي ، وهذه قبة أبي ؛ قال: فانطلقي إلى أبيك ؛ فانطلقت ؛ فخّبرت بصنيع مروان. ثم إن مروان غزا بكر بن وائل ، فقصوا أثر جيشه ، فأسره رجل منهم ، وهو لا يعرفه ، فأتى به أمه ، فلما دخل عليها ؛ قالت له أمه: إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ ، فقال لها: وما ترغبين من مروان؟ قالت: عظيم فدائه؟ قال: وكم ترغبين من فدائه؟ قالت: مائة بعير ، فقال مروان: ذلك لك على أن تؤديني إلى خماعة بنت عوف. فمضت به إلى عوف بن محلّم ؛ فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيه به ، وكان عمرو وَجَدَ على مروان من أمر ؛ فآلى أن لا يعفو عنه حتى يضع يده في يده ؛ فقال عوف حين جاءه الرسول: قد أجارته ابنتي وليس إليه سبيل. فقال عمرو بن هند: قد آليت أن لا أعفو عنه أو يضع يده في يدي. قال عوف: يضع يده في يدك على أن تكون يدي بينهما ، فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك. فجاء عوف بمروان فأدخله عليه ؛ فوضع يده في يده ووضع يده بينهما ، فعفى ؛ وقال عمرو بن هند: لا حُر بوادي عوف – أي: لا سيد به يناوئه).هـ.

ومما يدل على عفة نساء العرب في الجاهلية ، وتَرَفُّعِهِنَّ عن أخلاق الرذيلة ، وخوفهن من أن يلحق بهن العار ؛ تلك القصة التي حدثت لهند بنت عتبة ـ قبل إسلامها ـ: "فإن هنداً كانت متزوجة بالفاكه بن المغيرة ـ أحد فتيان قريش ـ ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن ؛ فنام يوماً في ذلك البيت وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض من كان يغشى البيت ، فلما وجد المرأة نائمة وَلَّى عنها ، فرآه الفاكه ابن المغيرة ؛ فدخل على هند وأنبهها ، وقال: من هذا الخارج من عندك؟ قالت: والله ما انتبهت حتى أنبهتني ، وما رأيت أحداً قط. قال: الحقي بأبيك! وخاض الناس في أمرها ؛ فقال لها أبوها: يا بنية! العار وإن كان كذباً ، أبثيني شأنك ، فإن كان الرجل صادقاً دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار! وإن كان كذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن! قالت: والله يا أبت إنه لكاذب ؛ فخرج عتبة فقال: إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تبين ما قلت ، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن ؛ قال: ذلك لك. فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ونسوة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف. فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند وكسف بالها ، فقال لها أبوها: أي بنّية! ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا؟ قالت: يا أبت! والله ما ذلك لمكروه قبلي ، ولكنكم تأتون بشراً يخطئ

ويصيب ، ولعله أن يسِمني بسِمة تبقى على ألسنة العرب ؛ فقال لها أبوها: صدقت ، ولكن سأختبره لك ؛ فصفّر بفرسه ، فلما أدلى عمد إلى حبة بر فأدخلها إحليله ثم أوكى عليها وسار ؛ فلما نزلوا إلى الساحر أكرمهم ونحر لهم ؛ فقال له عتبة: إنا أتيناك في أمر وقد خبئنا لك خبيئة فما هي؟ قال: حبة بر في إحليل مهر ، قال: صدقت ، فانظر في أمر هؤلاء النسوة ؛ فجعل يمسح على رأس كل واحدة منهن ، ويقول: قومي لشأنك! حتى إذا بلغ إلى هند ، مسح يده على رأسها ، فقال: قومي غير رقحاء ولا زانية)! وبالطبع هذا حدث مع هند قبل إسلامها حيث كانت مشركة ؛ وإلا فإنه لا يجوز الذهاب إلى الكهنة والعرافين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم". رواه أصحاب السنن ، وهو صحيح"إرواء الغليل" للألباني. وليس عجباً أن يخبر الكاهن عن أمر قد مضى ، لأنه يخاطب القرين الذي مع المريض أو المشتكي ، فيخبره أن اسمه فلان ، وأمه فلانة ، وأنه حدث له يوم كذا كذا وكذا ، وما شابه ، وليس هذا دليلاً على صلاحه ، بل هذا بمعاونة الشياطين له ؛ فإذا عرف المسلم صفات الكهان تلك ازداد يقيناً بما هم عليه من الباطل ، وجر الناس إلى الشرك بالله ، وحاربهم وحذر منهم حتى لا يقع الناس في الشرك ، فيكون مصيرهم جهنم خالدين فيها أبداً- نسأل الله العافية - قال تعالى: {إِنَّ اَللَّهَ لاَ يَغفِرُ أَن يُشرَك بِهِ وَيَغفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يشاء}. ولقد صدق أستاذنا سالم العجمي إذ يقول: (حقيقة ما كنا لنتصور أننا سنكون بحاجة إلى أن نستدل بأخلاق أهل الجاهلية ، وقد كرمنا الله بخير دين وأفضل نبي - عليه الصلاة والسلام - ، ولكن كان هذا من أجل أن يرى المسلم ما كان عليه العرب من الغيرة ، والحمية ، والعفة ، على الرغم من جاهليتهم وشركهم. وبصراحة إن المرء إذا قرأ مثل هذه النوادر ليتمنى وجودها بين صفوف كثير من المسلمين ، الذين افتقدوها تفريطاً منهم ، وفقدوا معها أهم ركائز الرجولة ، فصاروا أشباه رجال ولا رجال. ولعل البعض يتسائل قائلاً: ولمَ لمْ تستدل من عصر الصحابة؟ فأقول: إن زمن الصحابة لا يستغرب أن يوجد فيه خير من هذه الصور ، وقد وجد ، لأنهم تربّوا على يد خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم ، فالتزموا أوامره ، وسارعوا إلى تطبيقها ، فنالوا بذلك أعلى المنازل وأرفع الدرجات ، ولكن الذي يُستغرب أن توجد هذه الأخلاق في أهل الجاهلية الذين لا دين لهم).هـ.)

عِـــــــزَّ الفتـــــــاة بقاؤهـــــــا فـــــي البيـــــت ، بـــــل هـــــو فخرُهـــــا

وحليلُهـــــــا فـــــــي حقلـــــــه يســـــــعى ليُـــــــرزَقَ زادَهَـــــــا

ويُحبهـــــــا ، وتحبـــــــه والخيـــــــر جـــــــاثٍ عنـــــــدها

وعطاؤهـــــــا فـــــــي بيتهـــــــا أنـــــــدى لتُســـــــعد دارهـــــــا

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

وصـــــلاتها فـــــي البيـــــت أفـــــ ـــــضلُ مِـــــن صـــــلاة المســـــجدِ

جلبابُهـــــــا حصـــــــنٌ يقيـــــــ ـــــــها كـــــل نـــــذلٍ مفســـــد

والـــــــزوجُ فـــــــي أعمالـــــــه راضٍ بعـــــــــزم الســـــــــيد

وعروسُـــــــه فـــــــي بيتهـــــــا فـــــي الشُّـــــغْل حتـــــى المَوعـــــد

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

فـــــي الحقـــــل يَكـــــدحُ كـــــل شهـــــ ـــــــم مـــــــــؤمن متوكـــــــــلِ

لمّـــــــا يخـــــــاف اللـــــــوم أو حتـــــــــــى مقالـــــــــــة أرذل

أمـــــا الصـــــغار ففـــــي ربـــــو ع البيـــــت نـــــورُ المشـــــعل

هـــــل كـــــان هـــــذا فـــــي خـــــرو ج عروســـــه مـــــن منـــــزل؟

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

قـــــد مُزِّقَـــــتْ حـــــواءُ فـــــي تلفـــــــــــازهم ومســـــــــارح

وتحطمـــــــــتْ أخلاقهـــــــــا بـــــــاءتْ بـــــــذل كـــــــالح

هـــــم أســـــقطوها فـــــي بـــــرا كـــــين الـــــدمار الطـــــالح

قـــــد أخرجـــــتْ لشـــــقائها فـــــي كـــــل درْكٍ لافـــــح

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

قـــــالوا : التخلـــــفُ ســـــمتُكم إن قلـــــتُمُ هـــــذا الكـــــلامْ

حـــــــواء فـــــــي أعرافنـــــــا فـــــي الفـــــن كالنّســـــر الهُمـــــام

فنانـــــــة تعطـــــــى الكثيـــــــر ، تَزيـــــد فـــــي القـــــوم الغَـــــرام

وبضـــــــــــاعةَ لمزاجنـــــــــا تختـــــــال فـــــى دنيـــــــا الهُيَـــــام

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

حـــــــواءُ يـــــــا أقـــــــوام مخلـــــــ ـــــــلوقٌ كـــــــريم ، لا رقيـــــــقْ

فتمهلـــــــوا فـــــــي حكمكـــــــم يـــــــا ليـــــــت جمعكـــــــمُ يُفِيـــــــق

حـــــــواء مخلـــــــوق بتقـــــــ ـــــــوى الله فـــــــي الـــــــدنيا حقيـــــــق

حـــــــواء بالتوحيـــــــد قنـــــــ ـــــــديل لـــــــه البُشـــــــري بَريـــــــق

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

حـــــــواء بـــــــالأخلاق مصـــــــ ـــــــباحُ الـــــــدجى وســـــــنا الحِجَـــــــا

حـــــــواء بـــــــالقيم النبيـــــــ ـــــــلة شـــــــمسُ عـــــــز تُرتَجَـــــــي

حـــــــواء بـــــــالأدب الرفيـــــــ ـــــــع أصـــــــيلة ، فيهـــــــا الرجـــــــا

حـــــــواء بالإســـــــلام مصـــــــ ـــــــدرُ عـــــــزةٍ يمحـــــــو الـــــــدجي

تُعَيِّرني بضيق العيش

(ذات مساء أخذتني قُشعريرة الشعر وانفعالة الغضب ، ورحتُ أطالع بعض الكتب ، فوقعت على درر من السيرة والأدب أسطرها هنا كما عثرت عليها ، وكان الباعث عليها اختلافي وأهلي ككل خلاف بين زوجين متحابين في الله ، والخلاف سُنة! فعدت إلى الوراء ، حيث الوحي ينزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويروي لنا البخاري موقف أمنا أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – وهي تطمئن زوجها النبي الرسول – صلى الله عليه وسلم - بأن قالت: (أبشرْ يا محمد ، والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لعلى خلق عظيم: إنك لتكرم الضيف ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل عن الضعيف ، وتعطف على المسكين ، وتعين على نوائب الحق! فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة). ولقد عاشت ابنتها الزهراء فاطمة بنتُ محمد – رضي الله عنها – وصلى الله وسلم و بارك على أبيها – عاشت لزوجها علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - كما كانت أمها لرسول الله – صلى الله عليه وسلم -. روي أبو داود في سننه: (أن علياً ابن أبى طالب صهر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حدث عن نفسه وعن زوجه فاطمة بنت محمد في آخر حياته فقال: يا ابن أم معبد ، ألا أخبرك عني وعن فاطمة؟ كانت بنت رسول الله وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي ، فجرّتْ بالرحى ، حتى أثرتِ الرَّحى في يدها ، واستقت بالقِربة ، حتى أثرت القربة في نحرها ، وقمَّت بالبيت ، حتى اغبرت ثيابها وأصابها من ذلك ضر). فتعجبتُ ، وقلتُ في نفسي: إنه الجيل القرآني الفريد. وماذا عن الفتن في آخر الزمان؟ أخرج الحافظ الدمياطي في مصنفه (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح) حديثاً للنبي – صلى الله عليه وسلم -: (يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه ، إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر ، فإذا كان ذلك لم تنل المعيشة إلا بسخط الله ، فإذا كان ذلك كذلك ، كان هلاك الرجل على يد زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يد قرابته أو الجيران قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يعيرونه بضيق المعيشة ، فعند ذلك يورد نفسه الموارد التى يُهلك بها نفسه). وإني لأدعو الله تعالى أن لا يجعل أزواجنا ولا أولادنا ولا آباءنا ولا قرابتنا كذلك ، وأن يغنينا بحلاله عن حرامه ، ويكفينا بحلاله عن حرامه! وسبحان من إذا بسط لعبد في الرزق فلحكمة ، وإذا ضيق على آخر في الرزق فلحكمة ، ولذا أمرنا الله أن لا نتمنى ما فضل الله به بعضنا على بعض فقال: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) ، وأقول لكل حليلة تَعيّر حليلها بضيق العيش: اصبري صبر فاطمة بنت محمد ، فلست بأفضل منها ، وليصبر زوجك صبر عليٍّ زوجها ، فليس بأفضل منه.)

تُعَيّرني بضيق العيش ، ما ذنبي؟ وتكوي بالتجني - في الدجي - قلبي

وتُشهِر سيفَها في وجه ملتاع وتُمعن في دروب النّيل والحرب

وتجرحُ بالعتاب المُر تصبيري وتنسى ودنا في سالف الحب

وتنـــبش فـــي رُفـــات الفقـــر لـــم تـــرحم وتجـــري خلـــف ظـــل الـــوزر والـــذنب

وتتركنـــــي - وحيـــداً - فـــي براكينـــي أعـــاني مـــن أســـي إحساســـيَ العَطَـــب

وتنســـجُ مِـــن لهيـــب اللـــوم آفاقـــاً وتصـــنع مـــن معـــاول هـــدمها كربـــي

تُعيرنـــي بـــأني قـــد رضـــختُ هنـــا وأنـــي قـــد محـــا عزمـــي لظـــي الرَّهْـــب

وأنـــي خِفـــت مـــن قـــومي ومـــن ظلـــي وأنـــي تهـــتُ عـــن خلـــي ، وعـــن دربـــي

ألا رفقـــاً بقلـــبٍ فـــي الأســـى يرســـو ولـــيس بخـــاطري المَكلـــوم مِـــن عَيـــب

فضِـــيقُ العـــيش ، يـــا محبـــوبتي رزقـــي فـــلا تسَـــلِي علـــي مـــا كـــان فـــي الغَيْـــب

ولا تســـــتكثري البلـــــوى ، لنـــــا ربٌ! ولا تســـــتمطري ، يـــــا فتنتـــــي نَـــــدبِي

يَمِـــينَ الله رغـــم الأنـــف مـــا يجـــري رضـــيتُ بمـــا قضـــي مـــن فتنـــةٍ رَبِّـــي

جـــلاوذة تلـــوكُ العِـــرض ، مـــا اســـتحيَتْ ونفـــسٌ تشـــتكي مطعونـــة الصـــحب

وســـمَّاع لمـــا حـــاكوا ، ولا يـــدِري ويســـقط فـــي أتـــون الموقـــف الصـــعب

وبـــين يديـــه أشـــعاري وأشـــواقي بخلـــتُ بهـــا علـــي هَتَّافـــة الرَّكْـــب

وجَوقـــةَ الارتـــزاقِ اليـــوم فـــي فـــرح بمـــا فعـــل الهُمـــام اليـــوم مـــن لِعْـــب

يُكشّـــر كـــلُّ رعديـــد عـــن الفَتيـــا ويصـــطنع التبـــاكيَ فـــي جَـــوَي النّحْـــب

ويَحطـــم كـــلُّ خـــوان رحَـــي عِـــزي ويطعـــن رُمحـــه بالعَمْـــدِ فـــي جنبـــي

أنـــا المســـكين لا حـــول ، ولا طـــول ... ولا أدري بمـــا يجـــري ، ومـــا حَـــوْبي

طَعِنـــتُ اليـــوم فـــي خلـــي وفـــي صـــحبي ... ومقتـــولٌ بأيـــديهم بـــلا ريـــب

وطـــابورُ الخزايـــا لـــم يقـــل حرفـــاً ... ولـــم يُبصـــر كبيـــرُ القـــوم مـــن أوب

وصـــفق للجنـــاة الآن عمـــداً مَـــن ... أجـــادوا السَّـــبكَ والتضـــليل فـــي الخَطـــب

تُعَيّرنُـــي بمـــا ربـــي بـــه يقضـــي ... وقـــد نصَـــبَتْ هُنـــا مـــن عيْشـــنا الجَـــدْب

ألا يـــا معقـــدَ الآمـــال ، يـــا زوجـــي ... كفـــاني اليـــوم مـــا ألقـــاهُ مِـــنْ صَـــحْبي!

سيمضـــي المـــال والـــدنيا ، فـــلا تبكـــي ... يُقـــاسُ المـــرءُ بالإيمـــان لا الجَيـــب

لـــذا فاستمســـكي بـــالحق ، يـــا زادي ... فأنـــتِ الصـــاحب المحبـــوبُ ذو اللـــب

وأنـــتِ اليـــومَ أصـــحابي وأحبـــابي ... فرّقـــي وانظـــري الأحـــوالَ عَـــن قَـــرب

ورزقُ الله لا يُرجـــــي بـــــأوزار ... ألا فاســـتكثري (يـــا عَـــزَّ) مـــن (حَسْـــبي)

ألا واستنشـــقي التوحيـــدَ ، واحتـــاطي ... وخلِّـــي عنـــكِ ســـيفَ اللـــومِ والسَّـــب

وربُّ النـــاس لا ينســـاكِ ، حاشـــاهُ ... تعـــالَي الله يـــا محبوبـــة القَلـــب

أنت يا حياة

(روي الشيخان أن النبي – صلي الله عليه وسلم – قال: (إنما مَثَلي ومَثَل الناس كمَثَل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يزعُّهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحُجَزكم عن النار ، وأنتم تقتحمون فيها). إنه ببعثة النبي الرسول محمد - صلي الله عليه وسلم – طهُرت الأرض والناس ، وأشرق فجر وليد جديد من النور بمنزلة ، ومن القيم بمكانة ، وعاشت الأمة على هذه النبوة والخلافة من بعد النبوة ما شاء الله عز وجل لها أن تعيش ، ثم ما لبثت أن عادت إلي حياة الذل. إنها حياة الجاهلية البعيدة عن نور الوحي وإشراقات التوحيد ويواقيت العقيدة ونفحات الإيمان وعطاءات الإحسان ، حيث الحيرة والاضطراب والقلق والحسرة والمرارة ، ولا منجي من كل هذا إلا بالعودة إلى الله تبارك وتعالي: (ففروا إلي الله إني لكم منه نذير مبين) ، (وإن يمَسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يُردك بخير فلا رادّ لفضله) ، (إن الله لا يُغَير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم) ، (ذلك بأن الله لم يك مغيّراً نعمة أنعمها علي قوم حتي يغيروا ما بأنفسهم). ومما بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم: نشر الدين الحق والأخلاق الحسنة ، والمعاملات الطيبة بين الناس أجمعين ، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق". فكان ما قال حقاً وصدقاً. فتممّ مكارم الأخلاق ، وسار الناس في عهده ومن بعده على النهج السديد والصراط المستقيم ، وتحلّوا بهذه الأخلاق ، فتغيّرت أحوالهم ، وعَلَت هاماتهم ، وسمَت آمالهم ، فأصبح الذليل عزيزاً ، وأصبح المنفِّر مبشراً ؛ وأصبح الفظ الغليظ ليّناً. وصار رعاة الغنم قادة للأمم ، وحقق أصحابه المجد التليد ، وربّى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه التربية التي أصبحت مضرب الأمثال ، حتى أصبحوا مثلاً يُقتدى بهم. وعاش التابعون وتابعوهم على ما كان عليه الصحابة – رضي الله عنهم -. ثم تبدلت الأحوال وعشنا حياة من الجاهلية بمكان. ألا إنها حياة الحيرة والانحراف بعيداً عن ذكر الله وما نزل من الحق ، وأظن أنه قد آن الأوان لكل ذي بصر وبصيرة أن يستبين طريق المجرمين: (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين.)

يـــا حيـــاةً فَرَّخَـــت فيهـــا الـــدياجي ... مـــا لهـــا بـــين البرايـــا مِـــن ســـياجِ

فارقـــتْ وحـــي المليـــكِ الحـــقِّ دهـــراً ... فـــإذا بـــالعيش فيهـــا كالسِـــناج

ثَقلَـــةَ الطـــين مَـــرارٌ واضـــطرابٌ ... ويعـــيش النـــاس فيهـــا كالـــدَّجاج

هَمُّهُـــم بَطـــنٌ وفَـــرجٌ ، دون وعـــي ... ثـــم طعـــم الحـــال كـــالمِلْحِ الأجَـــاج

غَـــنَم تحيـــا علـــي الهـــزل ، وتلهـــو ... وحميـــرُ رفسَـــتْ نُـــورَ السِّـــراج

هجـــروا الهَـــديَ ، فعاشـــوا فـــي ضـــلال ثـــم ســـاروا فـــي الـــوري سَـــيرَ النَّعَـــاج

يـــا حيـــاةً عَشْـــعش الشـــيطانُ فيهـــا خففـــي اللهجـــةَ هـــذي فـــي اللجَـــاجِ

أفســـد الفـــنُ الرقيـــعُ الجيـــلَ حقـــاً فتمـــادي فـــي متاهـــاتِ الهَيَـــاج

وقلـــوب النـــاس بالتضـــليل ماتـــت ورؤوسُ الخلـــق عانـــت مـــن شِـــجاج

عجبـــاً: إذ كيـــف سُـــوقُ الخيـــر فَضَّـــت؟ ثـــم ســـوقُ الشـــر دومـــاً فـــي رَواج

يـــا حيـــاةً فـــي حَضِـــيض الأرض غاصـــتْ ثـــم ضـــاعتْ فـــي ديـــاجير العَجَـــاج

إنمـــــا الله قـــــديرٌ ، فاســـــتفيقي ربمـــــا الأزمـــــةَ هـــــذي لانفـــــراج

واهجُـــري الزيـــفَ ، وكـــوني فـــي يقـــين ربمـــا الفجـــر يُنـــاغِي فـــي انـــبِلاج

إنّ للتوبـــــة بابـــــاً ، فاســـــتعيني وعُـــرَى الهَـــدي ســـتجتَثّ الـــدياجي

لـــم يكـــن للهـــزل أن يحيـــا طـــويلاً سُـــنة الله ، فجـــدِّي فـــي العِـــلاج

لـــيس يَرضـــى بالمخـــازي غيـــرُ وغـــدٍ إنمـــا أهـــلُ المعاصـــي فـــي ابْتِهَـــاج

لكـــن المـــؤمنُ بالطاعـــات يرضـــي لا يعـــيشُ العمـــرَ فـــي أدنـــي ازدواج

إنمـــا يعبـــدُ ربـــاً وفـــق شـــرع لـــيس يقضـــي عمـــرَهُ وفـــق المَـــزاج

إنّ بـــالأخلاق عـــيشُ المـــرء حـــيٌ لكـــنِ العـــيشُ بغيـــر الـــدِّينِ داجِ

لا يُســـاوي العـــيشُ ، كـــلا ، مـــا نُعـــاني وكـــذا لـــيس يُســـاوي أن نُـــداجِي

يا رحمة الله

(لقد مُسخ لفظ الشهادة مسخاً ذريعاً عند كثير من أهل زماننا. فأصبح يطلق علي الفنانين والراقصين والملاحدة والعلمانيين والضالين والمفسدين في الأرض بغير الحق. ومن هنا رحت أنسج قصيدة (يا رحمة الله) أستنهض بها الهمم وأستشير العزائم حتى تصحح مفهوم الشهادة ليعود إلي أهله وأصحابه. وإن عصرنا ليعتبر من أكثر العصور التي مرت علي الإسلام وأهله بلاءً وشدة! وفي ظني أنه أشد وأشق من عصر التتار والمغول وغيرهم من الكفرة الذين أغاروا على ديار الإسلام ، فاغتصبوها ليس هذا فقط ، بل أذلوا من عاش من أهلها. إن الفرق بسيط جداً: أيام التتر كان الاعتداء وكان الرد. فمن للكفر الآن؟ ما أحيلي الشهادة عندما تكون في سبيل الله – عز وجل ، وما أرذلها عندما تكون في سبيل غاية أرضية أو طين أو وحل – وساعتها لا تسمي شهادة – ألا وإنني أهدي هذه الأبيات لروح كل شهيد مؤمن مسلم موحد ، جاد بنفسه في سبيل الله تبارك و تعالي (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، (ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) ، (ومن يقاتل في سبيل الله ، فيقتل أو يغلب ، فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) ، (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً). ونسأل الله تبارك وتعالى الشهادة في سبيله! آمين.)

يـــا شـــهيداً أرخـــصَ الـــروحَ قريـــرا ... بـــات – بـــالموت – ســـعيداً وعَطِيـــرا

قـــدَّم الـــنّفسَ ، ولـــم يبخـــل بتاتـــاً ... وأطـــــاع الله مولانـــــا القـــــديرا

فـــي ســـبيل الله مـــات الشـــهمُ صـــدقاً ... مخلصـــــاً لله ، قلبـــــاً والضَـــــمِيرا

ســـاحةَ الحـــرب لـــه خيـــرُ دليـــل ... حيـــث كـــان الكيـــد تـــدميراً صَـــهِيرا

كانـــت الأرض دمـــاءً فـــي دمـــاءٍ ... ســـلط البـــاغي بهـــا ســـيفاً مُبيـــرا

فـــإذا الأشـــلاء فيهـــا تتلـــوي ... وغـــروبُ الشـــمس قـــد أمســـي كســـيرا

وعَـــذارى الحـــق للصـــلبان صَـــيدٌ! ... يُهتَـــكُ العِـــرضُ ، فقـــد أضـــحي أســـيرا

وإذا العوســـــجُ للصِّـــــيد طعـــــامٌ ... وإذا الأكبـــــاد تجتـــــر الحـــــرورا

هـــل ســـمعتُم بصـــغير صـــار ذِبحـــاً ... فـــي يـــد الكُفـــار يســـتجدي الظَهِيـــرا؟

وإذا النيـــرانُ تغـــزو كـــل بيـــتٍ ... شـــمل التـــدميرُ بُلـــداناً ودُورا

وإذا الأعـــزل شَـــعبي وصـــحابي ... دُورهـــم أمســـتْ رمـــاداً وصـــخورا

دُفِنـــوا أحيـــاءَ فـــي الأرض جميعـــاً ... عـــدِموا - فـــي زحمـــة القَتـــل - القُبـــورا

ودمُ التوحيـــد – فـــي الأرض – رخـــيصٌ ... وإذا الفَجِـــار قـــد دكُـــوا القصـــورا

أحرقـــوا الأطيـــارَ فـــي الأجـــواء شَـــياً ... وتـــراهم هـــدَّموا بعـــدُ الجُســـورا

ومصـــافي الـــنفط هـــا هـــم أحرقوهـــا ... وتـــري الـــذُؤبان لـــم تـــرحم صـــغيرا

وإذا الفتنـــةَ – فـــي الأرحـــاب – عمّـــتْ ... وإذا المـــوتُ بهـــا أمســـي المصـــيرا

وشـــهيدُ الحـــق آتٍ مـــن بعيـــدٍ ... يغســـل العـــارَ ، ويجتـــثّ الكفـــورا

ويُعيـــدُ النـــورَ منصـــوراً فتيـــاً ... ويُعيـــد الـــوحي مرفوعـــاً منيـــرا

يـــذبح الكفـــارَ باســـم الله ذَبحـــاً ... ويُـــروِّي الأرضَ بـــالقَتلي قَرِيـــرا

فـــارحمِ اللهـــمَّ مَـــن للـــدين ضـــحّي ... واقبـــلِ اللهـــم مِقـــداماً غَيـــورا

رحمَـــةَ الله علـــي مـــوتي جهـــادٍ ... فـــي ســـبيل الله قـــد كـــانوا صُـــقورا

رب واحشـــرنا بجمـــع هـــم ضـــياهُ ... ثـــم ضـــاعفْ للمَيـــامين الأجـــورا

وانصـــرِ اللهـــمَّ حـــزبَ الحـــق دومـــاً ... لـــم يخِـــبْ مَـــن ذا دعـــا الله النّصِـــيرا

الحذر الحذر من الغرور

(يرجع سبب كتابة هذه القصيدة إلى قبيل عام 1985م ، عندما استمعت إلي الأستاذ القطان في شريطه (سكرات الموت). وكان من استشهاده بالشعر أبيات من الشعر الذي نقشه الحريري في مقاماته العظيمة بعنوان (أيا من يدعي الفهم). وإلقاء القطان يأخذ بالقلوب إلي عالم آخر. فتأثرت ونقشت كما نقش الحريري. وتذكرتُ أحد الصالحين هو إبراهيم بن أدهم عندما كان يمشي في واد بالبصرة ، فاجتمع الناس إليه. فقالوا: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ وإن الله يقول: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)! فقال: يا أهل البصرة قد ماتت قلوبكم بعشرة أشياء فكيف يستجاب لكم؟ (1) عرفتمُ الله عز وجل ولم تؤدوا حقه. (2) وقرأتم القرآن ولم تعلموا به. (3) وادعيتم حب الرسول وتركتم سُنته. (4) وادعيتم عداوة الشيطان وأطعمتوه. (5) وادعيتم دخول الجنة ولم تعلموا لها. (6) وادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها أنفسكم. (7) قلتم: الموت حق ، ولم تستعدوا له. (8) اشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم. (9) دفنتم الأموات ، ولم تعتبروا. (10) أكلتم نعمة الله ولم تشكروه عليها. ألا ما أصدقك يا ابن الأدهم وما أحكمك وما أرشدك! لكأنك تخاطب الكثيرين من وراء الحجب من أهل زماننا هذا. إن الاعتزاز بالدنيا ليس دأب أهل التقوى أبداً ، بل بل هو ديدن المفتونين من أهل الدنيا الذين يحبونها. ولكن يغيب عن الكثيرين منهم أنهم لا بد راحلون ومفارقون. يَغيبُ عن المغترين بالدنيا أنهم يوماً سيموتون ، ولو أنهم عادوا إلي أصل حياتهم لعلموا أنهم من وإلي الأرض ، وأن حياتهم هذه إلي زوال وفناء: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخري). ولقد ألف كثير من الشعراء عدداً من القصائد في ذم الدنيا وعبيدها ، ويعتقد الناس أن التأليف أي تأليف ، إنما يراد به السبق إلي أمر جديد ، أو تصحيح خطأ ، أو شرح مستغلق ، أو إتمام ناقص ، أو جمع مبعثر متفرق ، أو ترتيب ما هو منثور ، أو اختصار ما هو طويل ، أو شرح مختصر ، أو معارضة شئ ما أي موافقته أو معارضته بمعني رفضه والرد عليه ، وقد يكون التأليف لغير شئ من هذا كله! قد يكون لشهوة في نفس المؤلف للظهور والسمعة ، والأعمال بنية أهلها ، وأكتب في ذم المغترين بالدنيا لإظهار هوانها وهوان عبيدها. وتحت عنوان: (علامات وأسباب حسن الخاتمة وسوء الخاتمة) يقول الأستاذ خالد بن عبد الرحمن الشايع ما نصه: (حسن الخاتمة هو: أن يوفق العبد قبل موته للتقاصي عما يغضب الرب سبحانه ، والتوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة ، ومما يدل على هذا المعنى ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله). قالوا: كيف يستعمله؟ قال: (يوفقه لعمل صالح قبل موته). رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه الحاكم في المستدرك. ولحسن الخاتمة علامات ، منها ما يعرفه العبد المحتضر عند احتضاره ، ومنها ما يظهر للناس. أما العلامة التي يظهر بها للعبد حسن خاتمته فهي ما يبشر به عند موته من رضا الله تعالى واستحقاق كرامته تفضلا منه تعالى ، (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) ، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم وفي قبورهم وعند بعثهم من قبورهم. ومما يدل على هذا أيضاً ما رواه البخاري ومسلم في (صحيحيهما) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه). فقلت: يا نبي الله! أكراهية الموت ، فكلنا نكره الموت؟

فقال: (ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه). وفي معنى هذا الحديث قال الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام : ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته ، لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد ، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها ، وكراهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة.)

أيـــا مَـــن غَصـــتَ فِـــي الوَحـــلْ ... وخِلـــتَ النـــاسَ فـــي ظِـــلْ

ظننـــتَ الشـــمس كالظِـــلْ ... وأن العُمْـــر قـــد مَـــل

ومـــا فـــي الأرض مـــن وحـــلْ ... ولـــيس النـــاس فـــي طَـــل

صـــفاءُ الخَلـــق فـــي حِـــل ... ولـــيس العمـــر قـــد مَـــل

أيـــا مَـــن يشـــتهي الـــوُدْ ... وحـــبِّ القَـــومِ والسَّـــعدْ

وقلـــبٌ فـــي لظـــي الحقـــدْ ... وفـــي طياتِـــهِ الصَّـــد

إذن ، هـــل تشـــتهي الـــودْ؟ ... وصـــفو الخلـــق والســـعد؟

ولُـــبُّ القَلـــبِ فـــي حِقـــدْ ... وحـــبٌّ فـــي أســـي الصـــد

أيـــا مَـــن تـــدَّعِي العِلـــمْ ... إلـــي كـــم فـــي صَـــدي الـــوَهمْ؟

تَلـــوكُ النـــورَ بالضـــيمْ ... عـــدمتَ الكيـــفَ والكَـــم

وتـــأتي تـــدَّعِي العِلـــمْ ... إلـــي كـــم فـــي صَـــدي الـــوَهمْ

جفـــاك النـــورُ للضـــيمْ ... فـــلا مِعيـــارَ ، أو كَـــم

أيـــا مَـــن تنشـــدُ النّصـــر ... ومـــا فـــي القلـــب مـــن صَـــبر

وترجـــو غايـــةَ البِشـــرْ ... وتحيـــا فـــي سَـــنا اليُســـر

بـــذا هـــل يُبتغـــي النصـــرْ؟ ... ويـــأتي النصـــرُ بالصـــبر؟

فَخَـــف مِـــن ضَـــمة القبـــرْ ... وحـــوِّل دَفَّـــةَ السَّـــير

كـــــــأنّ القـــــــومَ أشـــــــباحْ ويُـــــــردي الفـــــــرحَ أتـــــــراحْ

وليـــــــتَ الحقـــــــد ينـــــــزاحْ إذن فالقلـــــــب يرتـــــــاحْ

تبـــــــاري القـــــــوم بـــــــالراحْ ولـــــــونُ الغَـــــــبن قـــــــد فـــــــاح

ومَـــــــن أمســـــــي كمَـــــــن راحْ تســـــــاويَ الكـــــــلُّ فـــــــي الســـــــاح

ألا يـــــــا صَـــــــاحِبَ الحُـــــــزن أفـــــــقْ مـــــــن أخـــــــذة الجُـــــــبن

وأقـــــــدمْ مـــــــن دُجـــــــي الغَـــــــبنْ بـــــــذا لا كـــــــربَ ، لا وَهـــــــن

وحطَـــــــمْ وحشَـــــــة السِّـــــــجنْ وغيِّـــــــر نَبـــــــرَةَ اللحـــــــنْ

أفِـــــــق مِـــــــن هَجعَـــــــةِ العِهـــــــنْ وخَـــــــلِّ العُجـــــــبَ والمَـــــــنْ

أيـــــــا مـــــــن يـــــــدّعي الصـــــــدقْ وحـــــــب الخيـــــــر والرفـــــــقْ

وتحيـــــــا فـــــــي دجـــــــي الـــــــرِّقْ تعـــــــاني وطـــــــأة الربـــــــقْ

وســـــــعيٌ بـــــــات للـــــــرزقْ رديـــــــف الـــــــنحس والمَحـــــــقْ

ألا لا تخـــــــدع الخلـــــــقْ فلـــــــيس الأثـــــــل كـــــــالنبقْ

ألا يـــــــا زائـــــــغ الطـــــــرفْ كفـــــــي مـــــــا كـــــــان مـــــــن خســـــــفْ

وحطـــــــمْ مِشـــــــجبَ العُـــــــرفْ ودعْ مـــــــا كـــــــان مـــــــن عـــــــزفْ

رمـــــــاك الفـــــــن مـــــــن جـــــــرفْ بـــــــلا رفـــــــق ولا عطـــــــفْ

حســـــــير الـــــــنفس والكـــــــفْ كســـــــير القلـــــــب والحـــــــرفْ

أيـــــــا مَـــــــن يشـــــــتهي الكـــــــربْ وظلـــــــم الخلـــــــق والحَـــــــربْ

وأنـــــــتَ التائـــــــهُ العَطـــــــبْ أتهجـــــــو النّـــــــاس والـــــــدَّرب؟

وتســـــعي فـــــي دُجـــــي الحـــــربْ؟ فجنـــــــبْ نفســـــــكَ العَيـــــــب

ودع ترنيمـــــــــــــة النّـــــــــــدبْ وخفِّـــــــفْ نبـــــــرةَ السَّـــــــب!

أيـــــــا مَـــــــن غـــــره الجَـــــاهْ لكُـــــم فـــــي الـــــدرب أشْـــــبَاهْ!

مَمَـــــــــاتٌ بَـــــــات مَحيَـــــــاه وفينـــــــا خـــــــابَ مَســـــــعاه

أتحيـــــــا مثلمـــــــا الشـــــــاة وهزلُـــــــكَ مـــــــا مُـــــــؤاده؟

أفـــــــقْ يـــــــا كـــــــل أواه فـــــــإن الأمـــــــرَ لله

أيـــــا مـــــن عشـــــتَ للـــــنّفسْ شـــــريتَ الـــــذل بـــــالفِلسْ

كـــــأن القلـــــبَ قـــــي رَمـــــس كـــــذاك الـــــروحُ فـــــي رِجـــــس

بـــــلا وعـــــي ولا حـــــس ولا تخمـــــين ، أو حَـــــدس

وترجـــــو ظلّـــــة الأنـــــس ألا هـــــذا هـــــو اللـــــبس

أيـــــا مـــــن تشـــــتهي الـــــذاتْ وتهفـــــو للحماقـــــاتْ

ألا هـــــل تعبـــــد الـــــلاتْ وتحيـــــا للجهـــــالات؟

فـــــدعْ عنـــــك الســـــفالاتْ مَعينـــــكَ فـــــي الـــــدنا مـــــات

ألا تأســـــي لمـــــا فـــــاتْ؟ أتبكيـــــك البـــــذاءات؟

أيـــــا مَـــــن فـــــي الـــــوري ضـــــاعْ ويرســـــو فـــــي أســـــي القـــــاعْ

وللأعـــــــداء سَـــــــمَّاع كفـــــي يـــــا صـــــاحِ أوجـــــاع!

تـــــرى قـــــد أتـــــرعَ الصـــــاع وأنـــــتَ اليـــــوم طمَّـــــاع

وصِـــــيتُكَ فـــــي الـــــوري ذاع بأنـــــكَ جِـــــدُّ خَـــــداع

رسالة إلي مسيلمة الكذاب

(في ديواني الأول (نهاية الطريق) ، كتبت قصيدة عنونت لها بـ (مسيلمة الكذاب). واليوم أكتب أخري ، وهي رسالة لمسيلمة ولأتباعه من بعده وإلي أن تقوم الساعة. والدجل والكذب والكفر ملل واحدة ، وإن اختلفت المسميات والشارات! ذلك أن الكذب في زماننا يأخذ صوراً متعددة وأشكالاً متنوعة. ودجاجلة العصر لا يكفون طرفة عين عن نشر باطلهم: ليلاً و نهاراً ، سراً وجهاراً. والعقيدة الحقة أمانة عند من يعتنقها فهو يدعو إليها. مهما كلفه ذلك الطريق من تكاليف وأثمان. وأقول: لن تطفئوا نور الحق أبداً. فخذوا العبرة من قدوة أساطينكم (مسليمة) ومن أسوتكم (فرعون) ومن مثلكم الأعلى (قارون) ومن سلفكم (هامان) أين ذهبوا؟ إن كل متكبر متغطرس مجترئ علي الله وشرعه ونبيه وأوليائه وكلامه لا بد من أن يدفع الثمن يوماً ما. فيهزم شر هزيمة ويكون عبرة لغيره.)

حمداً لربيَ في سرٍ وفي علنِ ... وأشكر الله مَن للحَق أرشدني

وأستعينُ بربي كلما طلعتْ ... شمسٌ ، وغرّد قَمْريٌ علي فَنَن

وأطلبُ الصفح من ربي لما اجترحتْ ... نفسي اللجوجُ مِنَ الأوزار والإحَن

وأرسل الدمع مغزاراً ، وبي ندمٌ ... مستغفراً مُبدياً لواعجَ الشجن

وأستعيذ بربي مِن شرور هويً ... أودي بنفسي ، وبالتدمير هددني

فمَن هَدَي الله مهديٌ يُجمّلهُ ... نورُ الهداية يجلو داجيَ المِحن

ومَن أضل فلا يهديه مِن أحدٍ ... إن المليك لَذو فضل وذو مِنَن

وبعدُ أرسل للكذاب في وضَح ... هذي الرسالة أرُدي ظلمة الدخن

إني لأعجب من غِرّ وجرأتهِ ... ومن غَرور زها في كبة الأتن

ومن حقير علتْ بالكفر نبرتُه ... ومن قَميئ بليد الفهم مُمتهَن

أملاه ربي إلي أن عزّ جانبه ... وأفعِم القلبُ بالأهواء والدَّخَنِ

هـــل يصـــطفي الله كـــذاباً فيرســـله ... للنــاس كــي يشــركوا فــي الســر والعلــن؟

حاشــا الحكـيم! ويَصـلي النــار مَـن كفـروا ... مَـــن أخلصـــوا الـــدين للكـــذاب والـــوُثَن

أشـــباهُك اليـــوم يـــا كـــذاب قـــد كثـــروا ... ومَـــن يُطعْهـــم – علـــي الأيـــام - يُفتَـــتَن

يُروّجـــون ضُـــحيً أفكـــار بـــاطلهم ... وكيـــف يقبـــل فـــذ داجـــيَ العفـــن؟

لكنهـــا فِطَـــرٌ تضـــل إن فســـدتْ ... وتســـتجيب لغَـــثِّ الفكـــر والسُّـــنن

فـــلا علينـــا مـــن الضـــلال تنشـــرُهُ ... عصـــائبُ الشـــر ، أهـــلُ الكفـــر والفـــتن

لا تـــنفخِ الشـــمسَ يـــا كـــذابُ تطفئهـــا! ... فالشـــمس بازغـــة علـــي مـــدي الـــزمن

ولا تضـــلِلْ عِبـــادَ الله فـــي شُـــبَهٍ ... فلـــيس مـــا تـــدّعي بالقـــاطع الـــيَقِن

مـــا زلـــت تَهـــذي ، كـــأن النـــاس فـــي ضَـــلَلٍ ... ومـــا الكـــذوبُ علـــي الـــذكري بمـــؤتمَن

فـــالزم حـــدودك ، لا تهـــنْ شـــريعتنا ... ففـــي إهانتهـــا مَـــن يفتكـــرْ يُهَـــن

عليـــك يرجـــع مـــا تُزجيـــه مِـــن نِقـــمٍ ... مـــا كـــان فـــي الســـر أو قـــد كـــان فـــي العلـــن

كفـــي خِـــداعاً وتدليســـاً وسفســـطة! ... أم قـــد أصـــاب النّهـــي مَـــسٌّ مـــن الجُـــنُن؟

لمّـــا يكـــفَّ عـــن الســـوآى (مســـيلمةً) ... ولـــم يتـــب مـــن دجـــي التضـــليل والغَـــبَن

حتـــي أتتْـــه مـــن الجبـــار صـــاعقة ... بســـيف (وحشـــيِّ) أردتْ صـــولة البَـــدَن

فهـــل تتـــوب عـــن التـــدجيل طائفـــةٌ ... باعـــت عقيـــدتَها للكفـــر والسُّـــدُن؟

تحية للشاعر / أحمد فرح العقيلان

(ديوان (جرحُ الإباء) للشاعر / أحمد فرح العقيلان يستحق تحية شعرية لما لمسته فيه من الجمال الفني و التعبيري والأدائي. وإن كانت إلا صفقة رابحة مع الله يا دكتور عقيلان! أن تسخّر قلمك وأدبك وشعرك لله ولدينه ولشرعه ولمقدساته! نعم والله إنها الصفقة الرابحة. وهذا يذكرنا بأسلافنا الكرام إذ جادوا بأرواحهم في سبيل الله! ومثالان على ذلك: الأول أنه قد اجتمع رأي الصليبيين بقيادة امبراطور ألمانيا على غزو دمشق ، وكان يدير أمرها معين الدين أنر أحد مماليك طغتكين ، ولما حاصر الصليبيون المدينة خرج أميرها بجيشه لقتالهم ، فخرج معه الإمام يوسف الفندلاوي والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحول صاحب الحكم المأثورة ، وحين استأذنا معين الدين في الجهاد ؛ قال لهما: نحن نكفيكما. فقالا له: قد بعنا واشترى. إشارة إلى قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). ثم قاتلا حتى قتلا في مكان واحد ، فأذكى ذلك الشجاعة في نفوس المسلمين ، وهجموا على الفرنجة هجمة رجل واحد حتى اضطروهم إلى الرحيل عن دمشق. والمثال الثاني: أنه عندما فتحت مدائن كسرى على المسلمين ، وتوغل العرب في أرض العجم ، أرسل ملكهم (يزدجرد) رسولا إلى ملك الصين يستنجد به على العرب ، ومن عادة الملوك أنهم ينجد بعضهم بعضاً عند الأزمات ، ولما عاد الرسول عاد مثقلاً بالهدايا من قبل ملك الصين ، وقال ليزدجرد: لقد سألني عن القوم الذين غلبونا على بلادنا ، وقال: إنك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصفهم منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم. فقلت: سلني عما أحببت إن شئت. فقال: أيوفون بالعهد إذا عاهدوا؟ قلت: نعم. قال: وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟ قلت: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: أن نتبع دينهم ، فإن أجبنا أجرونا مجراهم ، لنا ما لهم وعلينا ما عليهم. أو الجزية ، والمنعة أو المنابذة. قال: كيف طاعتهم أمراءهم؟ قلت: أطوع قوم لمرشدهم. قال: فما يحلون وما يحرمون؟ فأخبرته: أنهم يحرمون الخبائث والفواحش والأضاليل وكل منكر وشر. فقال: أيحرمون ما يحلون أو يحلون ما يحرمون؟ قلت: لا ، فهم يؤمنون بأن شريعتهم ثابتة خالدة بكتابهم المنزل الذي يعتقدون أنه في حفظ الله له أثبت من الأرض وأبقى من السماء ، وقاعدتهم أن لا طاعة لمخلوق بمعصية الخالق. قال: فإن هؤلاء يهلكون أبداً حتى يحلوا حرامهم ، فيصبح الشر عندهم خيراً ، ويحرموا حلالهم ، فتصبح الفضيلة عندهم رذيلة. فأخبرته: إنهم يقولون: (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ). فقال: أخبرني عن مطاياهم. فقال:العقل والمشورة ، وحكمتهم الماثورة: أن من أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل. قال: ما الذي وصل إلى علمكم من معاملتهم؟ قال: يتقيدون بما أمرهم به رسلولهم ، وهو أن أحدهم لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق وإن لم يشهد عليه ، ولا يغلبه الشح عن معروف يريده. فكتب ملك الصين مع الرسول إلى يزدجرد: إنه لم يمنعني شيء أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصفهم لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف ، فسالمهم وارض منهم بالمساكنة ، ولا تهجهم ما لم يهجوك.)

مِـــن أيـــن أبتـــدئ الثنـــاء وأنظـــمُ ؟ وصـــدي القـــريض علـــي فمـــي يتـــرنّمُ

ومـــدي القـــوافي باســـط كـــفّ الهنـــا ... وأتـــي العَـــروضُ بجَرْســـه يتبســـم

(جـــرحُ الإبـــاء) نشـــيدُ كـــل مكابـــدٍ ... ومِـــن التجـــارب جيلنـــا يـــتعلم

ومِـــن الجـــراح منـــافعُ وفوائـــدٌ ... ومِـــن الـــدغاول عِبـــرةٌ تتـــنغم

أبـــتِ الـــدموعُ اليـــومَ تَســـكاباً يُـــري ... وهْـــي التـــي بـــالأمس كانـــت تســـجم

يـــا (ابـــن العقـــيلان) اســـتمع لإبائهـــا ... رغـــم الأنـــين إباؤهـــا يـــتحمحم

إن التجلـــد فـــي المصـــائب شِـــيمة ... تُعلـــي الكـــرامَ ، ونعـــم ذلـــك مَعْلَـــم!

إنـــا لوَخـــذ الكـــرب نحتمـــل اللظـــي ... ومِراســـنا بالوَقْـــد لا يتـــألم

ولنـــا إذا اشـــتعل النفيـــرُ عزيمـــة ... لا تســـتكين ، وإن أريـــق لهـــا الـــدم

(جـــرح الإبـــاء) فـــداه مـــا ملكـــتْ يـــدي ... وأراه فـــي الغَمـــرات نعـــمَ المَغـــنم!

هـــو للقـــريض عَروضُـــه ومعينُـــه ... ودَواتُـــه وكتابُـــه والمِـــرقم

فتحيـــة مُزجـــتْ بعـــاطر حُبنـــا ... للشـــاعر المِفضـــال يُنْشـــدها الفـــم

علمتَنـــا حـــب القـــريض ونقـــده ... ورددتَ شُـــبهة مَـــن يَنـــال ويَـــنقم

وهـــدمت بُنيـــان الـــذين تشـــاعروا ... لمّـــا هجـــا الشـــعرَ الأصـــمُّ الأبكـــم

وســـعي خِلافَـــكَ كـــلُّ شـــهم ماجـــدٍ ... أمســـي عـــن الفصـــحي يُـــذودُ ويُفحِـــم

من هنا وهناك

(إن كل عاقل حصيف سديد الرأي يجب عليه أن يدرك أن رضا الناس غاية مستحيلة لا تدرك. وإذن فمرجعية العاقل الموحد كتابُ الله وسنةُ رسوله وإجماع الصحابة. وليس المرجع العُرف أو التقليد الموروث أو العادة التي ألفها الناس ، بقطع النظر عن كونها توافق الشرع المطهر أو تخالف عنه. وإنني إذ أقدم لهذه القصيدة لأجعل المثل المشهور المنسوب إلي جحا (حمار جحا) في استهلال القصيدة علي رغم طوله. ولكنها الحكمة التي هي ضالة المؤمن والتي هو أولي بها وأحق ، ويتعين عليه التقاطها أني وجدها. ولست بصدد التقديم لجحا أفندي بقدر ما أنا بصدد التقديم لقصيدتي: (من هنا وهناك)! فأما (هنا) التي ذكرتُ في العنوان: أيْ عصرُ كتابة القصيدة وأما (هناك) فعصر جحا أفندي. وليكن هذا المثل الذي ينقش في نظري بمداد الذهب علي ضمائرنا وعقولنا ونحن نعيش لهذا الدين وبه ومعه: نعمل به وندعو إليه وننافح عنه. إن رضا الناس غاية لا تدرك. هذا ما أردت أن أوصله لكل إنسان ، ساعدتْني عبارتي أو عجزتْ عن ذلك ، أسعفني شعري أو عجز هو الآخر عن إسعافي ، إنني لا أكتب الشعر تكلفاً وصنعة بل إحساس أحسه ، وشعور أصوغه في قالب له مواصفات اشترطها أهله. فليسعني اليوم ما وسع الشعراء بالأمس. وليكن لي رخصةً ما كان لهم بالأمس رخصة. ولتكن فيه مواطنُ ضعف وقوة وعوان بين ذلك كما كان للشعراء بالأمس. والآن إلي جحا ومَثَله وقصته وحماره. ركب جحا ذات مرة حماره ، وترك ابنه يمشي خلفه. ثم شاهدهما جماعة من الناس فقالوا: انظروا هذا الرجل الذي خلا قلبه من الشفقة ، يركب هو ويترك ابنه يمشي. فسمع جحا ذلك فنزل عن حماره وأركب ابنه ومشي خلفه. ورآهما جماعة من الناس فقالوا: انظروا إلى هذا الغلام المجرد من الأدب يركب علي الحمار ويترك أباه الرجل الكبير يمشي. فاستاء جحا عندئذ مرة أخري ، وقال لابنه: ما العمل يا بني؟ يبدو أنه لا يجوز أبداً أن تركب أنت وأمشي أنا ، كما لا يجوز أن أركب أنا وتمشي أنت! فقال الولد: هل أنزل؟ فقال جحا لا ، بل الوضعُ الصحيح هو أن أركب أنا وأنت علي ظهر الحمار ، وتابعا السير. وشاهدهما الناس على هذه الحال فقالوا: انظروا إلي هذا الرجل القاسي يركب هو وابنه علي الحمار ، فلا يُشفقان علي ذلك الحمار المسكين. فنزل جحا وابنه ومشيا خلفه. فقال الناس: انظروا إلي المغفليْن يتعبان من السير وأمامهما هذا الحمار. عندها حمل جحا وابنه الحمار ، وسارا به فمر بجماعة فضحكوا منهما. وقالوا: انظروا إلى الرجل المجنون وابنه! إنهما يحملان الحمار بدلاً من أن يحملهما! وإذن فرض الناس غاية لا تدرك. وتسقط أمثال كثيرة منها: (كل على مزاجك ، والبس ما يشتهي الناس!) والحقيقة أن المسلم يلتزم ما أمر الله به في ملبسه وهندامه ، وفي مأكله ومشربه ، وفي كلامه وسلامه ، وفي أمره كله دون أن ينتظر رضا الناس وإعجابهم أو سخطهم ونفورهم! لماذا؟ لأن رضاهم غاية لا تدرك ، ومرضاتهم جميعاً في وقت واحد مأمل مستحيل ومطمح لا سبيل لتحقيقه!)

لَـن تُرضـيَ النـاسَ فِـيم الحُـزنُ والأسَـفُ؟ فطمـئنِ الـنفسَ لا يـذهب بِـكَ الأفـفُ

ومعظـمُ القـوم حمقـي ، لا عقـول لهـم مثـل المطايـا لهـم فـي السـاحة العَلَـف

هـوِّنْ علـي الـنفس مِـن بلـوي مقارنـةٍ ... وحكّـــم العقـــلَ إن أودي بِـــكَ الصَّـــلَف

إن اللجـــاجَ يزيـــل الحـــقَّ ، يَمحَقـــه ... فـــيمَ التـــأرجُحُ؟ أيـــنَ الهَـــديُ والحَنَـــف؟

إنّ العقـــول إذا ضـــاعت نضـــارتُها ... لقـــد يُخـــيّم فـــوق السُّـــوقَةِ الجَنَـــف

مُحكَّـــمُ الشـــرعِ لا تلقـــاهُ مُضـــطرباً ... وتـــابعُ العُـــرف والتقليـــدِ مُعتَسِـــف

مُقَلَّـــدُ النـــاسِ مســـلوبٌ إرادتـــه ... ونـــاهجُ الشـــرع يُزْكِـــي رأيَـــهُ الشَّـــرف

فـــيم اعتبـــارُك بـــالخلق الـــذين تـــري ... إن كـــان مـــن هـــدف ، مـــا ذلـــك الهـــدف؟

أو كـــان مـــن حجـــج ، قلهـــا لتُقنعنـــي ... إن الصـــدوق بمـــا يَبغِيـــه يَعتَـــرف

عاملـــتُ صـــحباً كثيـــراً ، قـــلّ مُخلصـــهم ... وقـــلَّ ناصـــحُهم ، والفَهـــمُ يختلـــف

إذ كنـــتُ أحسِـــبُهم نصـــراً بمظلمتـــي ... فخـــانني الظـــن ، والآمـــالُ تَنحَسِـــف

ســـائلْ ضـــميرَكَ ، يـــا مســـكينُ ، عـــل بـــه ... أنـــاتِ لَـــوم ، فـــإن اللـــوم ينجـــرف

واســـتفتِ قلبـــك ذا ، يفتيـــك دون هـــوىً ... ولا تســـلهم ، فهـــل تُســـتنطقُ الجِيـــفَ؟

إن البصـــيرَ لـــه عقـــل يـــدلُ بـــه ... ولـــيس قَـــطّ مـــن التغريـــر يَغتَـــرِف

والنـــاسُ تُخـــرِبُ بيـــت الغِـــر دون حَيَـــا ... والعاقـــلُ الفـــذ مَـــن بالرشـــد يلتحـــف

لا يَســـتَخِفُّ بـــه عَبـــدٌ ولا مَلِـــكٌ ... إن اللبيـــب لـــه فـــي عَيشِـــهِ سَـــلَف

لـــم يرفـــع الجهـــلُ ، كـــلا غيـــرَ مـــرتكسٍ ... وإن عـــلا فـــي الـــوري يومـــاً سينكســـف

إن الأمــورَ علــي الضــدّين مــا اجتمعــتْ ... بُحبوحــة العــيش أو عــيش بــه الشَّــظَف

شُــوري الجهــول ســرابُ المــوتِ رائــدُها ... وبعــدها الضــيق ، كــل الضــيق ، والعَجَــف

أمــارة الرشــد فــي الشــوري نزاهتهــا ... لا يُمــنح الرشــدَ فــي أرحابنــا الخَــرِف

وفاقــدُ الشــئ لا يعطيــه ، كيــف لــه؟ ... ولــيس يعــدل مَــن منهاجُــه السَّــرَف

دوام حــال مُحــال ، تلــك قاعــدة ... وينســج الفــخّ مَــن مِيزانُــه العَسَــف

وصــاحبُ الخيــر معــروفٌ بعزمَتِــه ... ويُــتقن الكيــدَ مَــن للكيــد يَحتَــرِف

فــيم التعلــل بالأعــذار جامحــة؟ ... ولــيس بــين الــوري للمُشــتَكِي نَصَــف

أيُطــرحُ الحــقُ فــي رأي ومهزلــة؟ ... أيُســمَع الــرأيُ مِــن غِــرٍّ بــه كَلَــف؟

يــا أيهــا الشــعرُ: إن العــيش مضــطربٌ ... تباعــدَ اليُســر ، حــل العُســر والضَّــفَف

نعــيش فــي غابــةٍ ، فــالغبنُ شِــرعتها ... والمســتقيمُ بهــا بــالرغم ينقَعِــف

وغالــبُ القــوم فــي هــزل وفــي عَمَــهٍ ... ومعظــمُ النــاس عــن هَــدي الســما انصــرفوا

ترهَّــلَ الصــفُّ ، والعُــدوان ملــتحمٌ ... وكــل يــوم تُــذَرِّي موتَنَــا الصُّــحُف

تمــرَّق الــدُّر ، فــوق الأرض ، منتحــراً ... ولــم يعــش بعــده فــي ذلنــا الصَّــدَف

أيشــربُ الحــر كــأس الــذل مُترَعَــة ... ويغمــر الخــبَّ - فــي أرحابنــا – الغَطَــف؟

يومــاً تعــود إلــي داري شــريعتُها ... وصــانِعُ الزيــف ، يومــاً ، ســوف يَنكَشــف

التنور

(إن التنور الذي أعني هو تنور العقوبات المريرة التي يفرضها الغرب الصليبي الحاقد على المسلمين ، متبعاً قوي الشر التي تغرس موته الوشيك القريب في الأرض. والحق أن الذي يدفع الثمن الحالي هم المسلمون وحدهم. وأما الذي سيدفع ثمن اعتدائه فهو الغرب ومن يحركه ويستنوقه. عسي الله أن يكون ذلك قريباً. أقول: لقد اصطلي المسلمون من قبل في تنور التتار ، وفي تنور المغول ، وفي تنور الفرس ، وفي تنور الروم الغاصبين ، وفي تنور الصليبيين ، وفي تنور الشيوعيين ، وفي تنور الرأسماليين ، وفي تنور الاستعماريين من شتي بقاع الأرض ، من شذاذ الآفاق ، من الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما حلوا ، من أحفاد القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، من الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء ، وقالوا: يد الله مغلولة. إن دماء أهل الإيمان لن تضيع هدراً ولن تذهب سُدي مهما طال الزمن. لأنه ما من يوم يمر إلا ودماءُ التوحيد تُراق يَمنة ويَسرة ، وما من لحظة تمر إلا وأشلاء العقيدة تتناثر في السهل والوعر ، وما ذاك إلا بسبب الحقد الصليبي المشرك المتعطش لدماء أهل التوحيد والعقيدة. ونعتب على قوم يدعون الإسلام ثم هم يشاركون الغرب في عدوانه على أهل الحق. ولا يمكن أن تطول المعركة بين الحق والباطل إلى ما لا نهاية. في مقال له عن الذي ينبغي أن يعمله الظالم ، يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (إنه ينبغي على الظالم أولاً أن يتقي الله تعالى ويحذر من الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وليس ظلمةً واحدة. الظلم ظلمات يوم القيامة ؛ بمعصية الظالم لربه ، وظلمه لأخيه ، وفتح باب الظلم للناس. الظلم ظلمات لأنه ربما يمرض المظلوم ؛ بل قد يموت كمداً وقهراً. فعلى الظالم أن يتقي الله تعالى. انظروا ماذا كان يفعل عمر رضي الله عنه الذي حمى أرضاً للمسلمين من أراضي أهل المدينة ؛ سوَّرها وحماها ، وجعلها محمية لأجل مصلحة المسلمين لرعي إبل الصدقة وإبل بيت المال وشياه بيت المال التي تُؤخذ من أصحاب بهيمة الأنعام من الزكوات ، وكذلك خيل الجهاد في سبيل الله ، وجعل هذه المحمية مصلحة لعموم المسلمين ، ومع ذلك كان يخشى رضي الله عنه ، فقد روى البخاري رحمه الله عن أسلم مولى عمر: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يُدعى هنياً على الحمى فقال: [يا هني! اضمم جناحك عن المسلمين - انتبه أيها الغلام القائم على المحمية واكفف يدك عن ظلم المسلمين - واتقِ دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة ، وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة - أي صاحب القطعة القليلة من الإبل وصاحب الغنم القليلة أدخلهما في المرعى المحمي - وإياي ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان - خصهما بالذكر لكثرة أموالهما ، والنعم الإبل ، وكانا من مياسير الصحابة ، فقال للغلام: إذا لم يتسع المرعى إلا لأحد الفريقين فأدخل أصحاب الغنم القليلة والإبل القليلة لأنهم أولى - قال عمر: فإنهما - أي: ابن عفان وابن عوف - إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخلٍ وزرع - عندهما عوض من أموالٍ أخرى - وإن رب الصريمة ورب الغنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتيني ببنيه ، فيقول: يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين ؛ أفتاركهم أنا لا أبا لك - أتظنني أتركه في تلك الحالة - فالماء والكلأ أيسر عليّ من الذهب والورق - فربما يكون هناك مصارف أولى للمجاهدين والبعيدين ونحو ذلك. قال عمر: فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق ، وايم الله إنهم ليرون أني قد ظلمتهم - بعض الناس يرون أني قد ظلمتهم بأرض المحمية - إنها لبلادهم ؛ قاتلوا عليها في الجاهلية ، وأسلموا عليها في الإسلام ، والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل

عليه في سبيل الله - فهو يحتاج إلى أرض المحمية لخيل الجهاد - ما حميت عليهم من بلادهم شبراً] رواه البخاري. فليتق الظالم ربه وليضع نصب عينيه دعوة المظلوم ؛ فإن النبي عليه السلام أوصى معاذاً فقال: (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) رواه البخاري.).هـ.

ضـــاقت الـــنّفسُ ، وآذتنـــي الخُطَـــوبُ وكـــذا الأنفـــاسُ ضـــاقتْ ، والقلـــوبُ

فـــارتِ الأوضـــاعُ ، والبلـــوي استشـــاطتْ أفلتـــتْ مِـــن بـــين أيـــدينا الـــدروب

ورتعنـــا فـــي حضـــيض الأرض ردحـــاً غرنـــا بـــالله شـــيطانٌ كَـــذوب

صـــرف الكـــل عـــن الحـــق طـــويلاً ثـــم كانـــت بيننـــا تلـــك الحـــروب

ليـــت شـــعري ، فـــار (تنـــورُ) الرزايـــا فعَـــلا فـــي القـــوم شـــجبٌ ولهيـــب

وإذا بالـــــدمع مـــــدراراً يُعـــــاني وإذا فـــي الـــروح ذُعـــرٌ ونحيـــب

ونشـــيجُ القلـــب فـــي الأحشـــاء يكـــوي وإذا الإحســـاس مكلـــومٌ كئيـــب

فـــي (ســـراييفو) لنـــا جـــرحٌ مُـــدَمَّيً ثـــم فـــي (الشيشـــان) جـــرح لا يغيـــب

يـــا جِبـــالاً خُضـــبتْ بالـــدم دهـــراً وســـهولاً بالعـــذابات تَطِيـــبُ

يـــا زهـــوراً حُرِّقَـــتْ حتـــي اســـتجارت يـــا حيـــاة كـــم تحـــدتها الخطـــوب!

هـــل ســـمعتم بُفتـــاة فـــي صـــباها عِرضـــها يهتكُـــه اليـــومَ الصـــليب؟

وجنـــينٍ يُطعـــن الآن جهـــاراً دون ذنـــب ، أيـــن مِـــن هـــذا الـــذنوب؟

وحُبـــالى فـــي دجـــي القهـــر حيـــارى أزهـــنّ الـــذلُ والغـــدرُ الرعيـــب

وعجـــــوز عينُهـــــا تُفقـــــأ غـــــدراً ... ليـــت شـــعري أيـــن مـــن هـــذي الرقيـــب؟

ومُسِـــــنٌّ ضِرسُـــــه يُخْلَـــــعُ ظلمـــــاً؟ ... ثـــم يُرمـــي فـــي المجاهيـــل يَجُـــوب؟

وشـــباب فـــي أديـــم الأرض مـــاتوا؟ ... وتَـــري فـــي تـــوه هـــذا الشـــعوب

وبُيـــوت كقضـــيض فـــي قفـــار؟ ... وضـــحايا دمعُنـــا فـــيهم يـــذوب

لـــو رأي ذاك رضـــيع يـــا فـــؤادي ... لاســـتوي كهـــلاً ، وأرداهُ المَشـــيب

إنـــه المـــوتُ علـــي النـــاس حُســـامٌ ... قاصـــلُ النّصـــل مبيـــرٌ لا يخيـــب

يحصـــد الكـــل ، ولا يُبقـــي جنينـــاً ... كيـــف مِـــن هـــذا القضـــا يومـــاً هـــروب؟

وإذا بـــالقوم غرقـــي فـــي دمـــاءٍ ... وإذا للصَّـــربِ إطبـــاقٌ مَهِيـــب

لكـــنِ الـــدهر طويـــلٌ ، يـــا خزايـــا ... شمسُـــكم هـــذي ســـيطويها الغـــروب

ثـــم لـــن تشـــرق فـــي الـــدنيا ثـــوانٍ ... إنمـــا الظـــالم بـــالظلم يَخِيـــب

ولكُـــم فـــي (بـــدرنا) كـــل اعتبـــار ... ولنـــا فـــي الغُـــنْم قـــد كـــان النصـــيب

واســـألوا الطـــاغوتَ مَـــن كـــان أميـــراً ... إن يومـــاً مثـــلَ هـــذا لعصـــيب

ذَبِّـــحَ الكُفـــار تـــذبيح نعَـــاج ... نـــدبوا الحـــظ ، ولـــم تُجـــد النّـــدوب

ثـــم ذاقـــوا مِـــن كـــؤوس الـــذل حينـــاً ... وإلـــي مـــا طَلَبـــوا فليســـتجيبوا

عرَفـــوا (البُوســـنةَ) أرضـــاً وجهـــاداً ... وجواهـــا لـــيس يَرويـــه أديـــب

وكـــذا (الشيشـــانُ) فـــي البـــأس رجـــالٌ ... كـــل جيـــلٍ ســـاعةَ الحَـــربِ ضُـــروبُ

جُنـــدُ هـــذا الـــدين كُثـــرٌ كالضـــواري ... ولهـــم عنـــد الـــوغي بـــأسٌ رهيـــبُ

ولكُـــم يـــا أيهـــا الكفـــار يـــوم ... أســـودُ السِّـــحنة ، تُلقِيـــه الغُيـــوب

إنمـــا (البوســـنةَ) منـــا وإلينـــا ... وفلســـطينُ هـــي الحِصـــنُ النّجِيـــب

وكـــذا كَشـــميرُ والصـــومالُ منّـــا ... وكـــذا بورمـــا وأقصـــانا السَّـــلِيب

كـــل أرضٍ يُـــذكرُ الـــرحمنُ فيهـــا ... مِـــن قَرانـــا ، إن شـــمالٌ أو جَنُـــوب

كـــل شَـــعبٍ يُعلـــن الإســـلام شـــرعاً ... باعتقـــاد ، ثـــم فِعـــلٍ ، ذا حَبِيـــب

فَرْحُـــه فَرْحـــي وحُـــزنُ الشـــعب حزنـــي ... ذلـــك التوحيـــد ، مَرمانـــا الخَصِـــيب

ولنـــا اللهُ بـــه نلقـــي الأعـــادي ... ولنـــا العـــزة والنصـــرُ القريـــب

وبأيـــدينا يَـــذوق الكفـــرُ خِزيـــاً ... إن أرادوا العـــز حقـــاً ، فليَتوبـــوا

نحـــن نُكْـــرَهُ فـــي الـــدين ســـوانا ... باختيـــار القـــوم صـــدقاً فليُنيبـــوا

ذلـــك الحـــق ، ويَدريـــه أنـــاسٌ ... لكـــنِ الكُفـــر لـــه رأي مُريـــب

زيَّفُـــوا التـــاريخَ ، أمســـي الـــزورُ حقـــاً ... وإذا تـــزييفهم فينـــا قَشِـــيب

إنمـــا الحـــقُّ ســـيعلو بـــدماءٍ ... ربنـــا المـــولي قريـــبٌ ومجيـــب

فانصـــرِ اللهـــمَّ مَـــن بالـــدين يســـمو ... إنمـــا مِـــن عنـــدكَ النّصـــرُ الرَّطِيـــب

عندما أحب

(كتابتي الشعر عن أولادي وهم صغار مَعْلَمٌ عُرفت به. إذ تنساب القصائد عنهم عاطفة وشعوراً! وهنا أُهدي هذه الأبيات إلي أحب أولادي إليّ الآن (والصغير حتى يكبر) عمر الفاروق وهذا اسمه ، وعمره اليوم أشرف علي السنة تقريباً ، تعبيرا عن خالص حبي وعاطر دعائي. وهذا هو معني الرحمة الذي يتبادر إلي الذهن بمجرد قراءة ما رواه لنا الإمام الحاكم في مستدركه علي الصحيحين بسند صحيح أن رسول الله – صلي الله عليه وسلم - قال : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا). وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس رأي النبي – صلي الله عليه وسلم - وهو يُقَبِّل الحسن ، فأخبر أن له عشرة من الولد لم يُقَبّل أحدا منهم ، فقال له رسول الله - صلي الله عليه وسلم -: (إنه مَن لا يرحم لا يرُحم). ومن رواية الإمام مسلم أنه عندما مر جماعة من الأعراب علي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – ينكرون تقبيل الصبيان فقال لهم: (وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة)! ويروي مسلم كذلك عن أنس بن مالك أنه قال: ما رأيتُ أحداً كان أرحم بالعيال مِن رسول الله – صلي الله عليه وسلم -). ويروي الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الطهارة عن أبي ليلي قال: (كنتُ عند النبي – صلي الله عليه وسلم – وعلي صدره أو بطنه الحسن أو الحسين فبال ، فرأيتُ بوله أساريعَ أي طرائق ، فقمتُ إليه ، فقال النبي: دعوا ابني فلا تفزعوه حتى يقضي بوله ، ثم أتبعه بالماء)! ألا وإن أحاديث الرفق والرحمة بالصغار كثيرة جداً ، ولا سبيل إلي ذكرها في هذا المقام مجتمعة ، وإنما أورد ما تأثرتُ به فقط الآن. وامتاز ولدي عمر الفاروق بميزة عجيبة وغريبة هي تبسمه في وجه كل من يراه! فمن الله عليه بحب من يراه! ولما رأيت الكل يحبه ويشفق عليه ويدعو له قلت في نفسي: لا بد من تسجيل ذلك شعراً!)

أحِبُّكَ ، أنتَ حبيبُ القُلوبْ ... فأنتَ لكل القُلوب حَبيبْ

وأنتَ النّسِيم علي خاطري ... تُرفرف مِثلَ الغَمَامِ الرَّطِيب

وحيناً تغني فتمحو الأسي ... وشعري لوقع الغنا يستجيب

فَتبعَث في النفس أنغامَها ... وتمنحُ روحي الأريجَ الطَروب

وتمحو من القلب أحزانه ... وتمسحُ رانَ هَوانِ الدروبْ

أحبُّكَ أنتَ الحبيب الذي ... نزلت علنا ، فكنتَ الطبيب

تُداوي جراحاتِنا بالصَّفا ... وتكلأنا بمَعين الأديب

تُعطرنـــــا بضـــــياء الوفـــــا فيَخضَـــرُّ روضُ الحيـــاة الجَـــدِيب

تُطـــــل علينـــــا بأضـــــحوكةٍ كأنـــكَ فيمـــا تـــؤدي أريـــب

أحبُّـــكَ أنـــتَ حيـــاتي التـــي يُغنـــي صـــداها ، بـــرغم الوَجِيـــب

فأنـــتَ انفعـــالي وتســـبيحتي وعنـــد دعـــائي إليـــكَ أذوب

وأمْعِـــنُ فيـــك ، وكلـــي رجـــا بحفـــظ المليـــك حبيـــبَ القلـــوب

يَمينـــاً أري فيـــكَ أنشـــودتي وشـــوقَ الحيـــاة الظريـــفَ المَهِيـــب

وأنـــتَ حققيـــقٌ بمـــا قلتـــهُ ونفســـي بمـــا قـــد كتبـــتُ تَطِيـــب

أحبـــكَ أنـــتَ جَمـــالُ الصَّـــبا وإلماحَـــةَ الشـــمس عنـــد الغـــروب

وأنـــتَ الربيـــعُ بهـــذي الـــدنا وأنـــت الغـــلامُ الزكـــي النّجيـــب

وأنـــتَ عطـــاءُ الكـــريم لنـــا دعونـــا الإلـــه ، وكُنـــتَ النّصِـــيب

وأنـــت علـــي البـــال إطلالـــة عـــن العَـــين والقلـــب لَســـت تَغِيـــب

أحبُّـــكَ فـــاروقَ أســـرتنا وأنـــتَ الصـــغير النبيـــهُ اللبيـــب

تنـــام علـــي ســـاعدي وادعـــاً ويبســـم ثغـــرُكَ مثـــل الطّيـــوب

وتضـــحكُ كـــالكروان شـــدا وقـــد تشـــتكي ، فتطيـــلُ النحيـــب

وتعبـــث مســـتغنياً بالـــدُّمي وتنظرُهـــا نظـــرةَ المُســـتريب

أحبُّـــكَ يســـمو بقلبـــي الهـــوي ... ويَطـــرَب فـــي نـــاظريَّ اللهِيـــب

أيـــا عُمَـــرَ الخيـــر أنـــتَ الســـنا ... وأنـــتَ الشـــبابُ ، وأنـــتَ المَشِـــيبْ

شـــبابي أراهُ عليـــكَ ارتمـــي ... بمَهْـــدِ الحيـــاة العَطِيـــرِ الرَّتِيـــب

وإنّـــكَ بـــالله صِـــنو أبـــي ... تبـــارَكَ ربِّـــي القَريـــبُ المُجيـــب!

(أحبُّـــكَ) صـــوتي بهـــا صـــادحُ ... بأقصـــي الشـــمال ، وأقصـــي الجنـــوب

أري فيـــك شِـــعري وتفعيلتـــي ... فأنـــتَ مِـــن الـــروح – صـــدقاً – قريـــب

أبـــا حفصـــةٍ: أنـــتَ إشـــراقتي ... ونـــورٌ أتـــي فـــي الظـــلام العصـــيب

وصـــدقٌ تعطّـــرَ منـــه المَـــدي ... فبـــدّد غِـــشَ القطيـــعِ الكَـــذوب

أحبُّـــك حبـــاً عظـــيم الفـــدا ... ألا ، والمحبـــة هـــذي ضُـــروب

وأنـــت بمـــا قلتُـــه عـــارفٌ ... وأنـــتَ علـــي الحُـــبِّ هـــذا رقيـــب

ألســـتَ تَـــري الحـــب فـــي رفقتـــي ... وتفتقـــدُ الحـــب عنـــد المَغِيـــب

عليـــكَ سَـــلاَمِي أيَـــا مُهجتـــي ... ويـــا شـــاديَ الـــروحِ ، يـــا ذا الحَبِيـــب

ديوان شعر

(إن حياتنا أشبه ما تكون بديوان شعر. إذ الحياة بمرها وحلوها ، بأفراحها وأتراحها ، بطيبها وخبيثها ، بجدها وهزلها ، شبيهة صدقاً بديوان الشعر الذي نقشه شاعره ، واجتهد فيه ليكون في أبهى حُلة وأجمل منظر وأظرف هيئة. فإذا به يخرج وفيه كما في الحياة من القوة والوهن ، والجمال والقبح ، والفرح والترح ، والطيب والخبيث ، والغث والسمين ، والأخضر واليابس. فقصيدة بلغت مدىً من الدقة وحسن الأداء والتعبير والتقسيم والإيحاء والإبداع الفني والتركيبي ، وقصيدة أخرى هي خلو من ذلك كله ، وثالثة هي عوان بين ذلك. فالديوان برمته يشبه حياتنا التي نعيش: فأيامنا في هذه الحياة أشبه ما تكون بالقصائد التي ينتظمها ديوان شعر واحد. وكذلك الأيام ينتظمها العمر. وما أكثر الدواوين والشعراء في هذا الزمان. وأغلبها لا يستحق الانتساب إلى الشعر ، كما نجد أن أغلب أصحابها لا يستحقون الانتساب إلى الشعراء. فديوان يوحّد رب الأرض والسماء ، لأن شاعره يفعل ذات الشئ. وديوان يتعدى حدود الأدب والقيم والأخلاق ، ويتطاول على الله ، لأن صاحبه يفعل الشئ ذاته! ألا ما أشبه الحياة بديوان شعر يمتلئ بشتى المتناقضات العجيبة: بين السرور والعذاب ، ما بين قصيدة تبتسم وأخرى تضطرم ، والناس في هذا الديوان كأبيات الشعر المتراصة. وفي مقال له عن حقيقة الحياة الدنيا (ومنزلتها) يقول الأستاذ عبد الكريم الفهدي ما نصه: (فحقيقة الدنيا عند المسلم تستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهي: أن الحياة الدنيا ما هي إلا لهو ولعب ، ومتاع قليل ، ولا تساوي جناح بعوضة ، وهي أهون من تيس أسَكّ ميت. وهي دار الصراع بين الحق والباطل ، وابتلاء الأخيار بالأشرار والمؤمنين بالفجار ، وهي دار الفناء ، وأما الحياة الأخرى فهي دار البقاء والخلود ، وعند أهل الأديان عموماً أن هذه الحياة الدنيا هي فترة مؤقتة ، وسوف تنتهي لتبدأ بعد ذلك حياة أخرى. أما حقيقة الحياة الدنيا (ومنزلتها) عند غير المسلمين كالعلمانيين وغيرهم ، فتقوم على إنكار الآخرة وعدم العمل لها ، واليقين بأن الحياة الدنيا هي المجال الوحيد للمتع والملذات ، وهي عندهم كل شيء. حكي عن قوم أنهم يقولون: الدنيا هي العالم بأسره وجميع أجزائه في السماء والأرض وما فيهما ، ومن قوم أنهم يقولون: الدنيا تعاقب الفصول الأربعة ، وبقاء النماء والتناسل ، فإذا بطل هذا بطلت الدنيا ، وعن قوم أنهم قالوا: إن الدنيا ضوء النهار وظلمة الليل ، وعن قوم أنهم قالوا: إن الدنيا هذا الخلق لا غير فإذا فني فنيت الدنيا ، وعن قوم أنهم يقولون: إن الدنيا سلطان ومال وجاه ودعة ، وعن قوم: الدنيا هي ما بين السماء والأرض ، وقال قوم: الدنيا هي الزمان ، فمن قال إن الدنيا هي هذا الجنس من الخلق قال ابتداؤها عند ظهور النشوء ، ومن قال هو هذا العالم بأسره عد ما وجد قبل آدم من الدنيا وكذلك من حدها بحد فابتدأ من حيث حد ، قال الله تعالى: (لَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) ، وقال تعالى حكاية عن العبد المفرط في جنب الله: (يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) فأخبر أن الدنيا حياة والآخرة حياة ، ثم أضاف الفانية إلى الدنيا لفنائها ، وأضاف الباقية إلى الأخرى لبقائها ، وإنما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق ، والآخرة آخرة لتأخرها إلى أن تفنى الدنيا ، فكل ما هو فانٍ أو سيفنى يوماً من الخلق والأمر كائناً ما كان فهو دنيا ، وكل ما هو غير فان فهو من الآخرة ، ألا ترى أنه يقال لمن شاب وانصرم شبابه: ذهبت دنياه! ولمن ذهب ماله وسقط جاهه ذهبت دنياه! ولمن مات هلكت دنياه! فلا تسمى دنيا إلا كل ما هو فانٍ ذاهب ، ومثال

دنيا فعلى من الدنو كالصغرى والكبرى. ومن هنا قيل أن الدنيا دنية كاسمها ، وأن الدنيا دنى كثيرة! فكل إنسان له دنيا في نفسه على حدته فماله دنيا له ، وجاهه دنيا له ومكانه دنيا له ، وكل ما يناله ويُسر به مما لا يبقى دنيا له. ويدل خبر علي بن أبي طالب أن الأرض من الدنيا حيث قال للذي يسمعه يذم الدنيا مهبط وحي الله ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه ، ويدل أن السماء من الدنيا قوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ). وقال تعالى:(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ). اللعب: العمل الذي لا يجلب درهماً للمعاش ، ولا حسنة للمعاد ، واللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه مما يكسبه خيراً أو يدفع عنه ضيراً. وقال تعالى: (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ). (وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ). مَتَاعٌ: شَيْءٌ قَلِيلٌ ذَاهِبٌ زَائِلٌ. فمن هذه الآيات عرفنا بعض صفات الحياة الدنيا أنها متاع الغرور ، ولعب ، ولهو ، وهي بالنسبة للآخرة قليل. وقد ضرب الله عز وجل مثل الحياة الدنيا بقوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ).هـ. وإذن فالدنيا تشبه ديوان الشعر حسب رؤية الشاعر الذي صاغ قصائد الديوان!)

النـــورُ والحـــق والإحســـاسُ والصـــورُ والشـــوقُ والصـــحو فـــي الأشـــعار تنحـــدرُ

والزهـــرُ مبتســـمٌ فـــي نظمـــه عبـــقٌ والـــوردُ مبـــتهجٌ فـــي عطـــره عِبَـــر

والطيـــر منفعـــلٌ فـــي الجـــو منطلـــقٌ والمـــاءُ مثـــل الســـنا بـــالرِّي يفتخـــر

والخضـــرة انتعشـــتْ فـــي الـــروض زاهيـــة والظـــل فـــوق الربـــا والســـهل ينتشـــر

والفجـــرُ منـــبلجٌ فـــي العمـــر كوكبُـــهُ واليـُمن فـــوق الورى كالـــغيـــث ينـــهـــمـــر

والخيـــرُ يســـعى علـــى الأكـــوان فـــي خجـــل يغشـــى الأنـــام لـــه فـــي عيشـــهم وطـــر

والبشـــر ملتحـــف بـــالخلق فـــي وجـــل ذاب الحنـــينُ بـــه ، فمـــا لـــه أثـــر

والأنـــسُ فـــي طـــرب يختـــال مـــرتجلاً ... والليـــل طـــاب علـــى ترنيمـــه الســـهر

أمـــــا النهـــــارُ فأشـــــعارٌ معطـــــرة ... ديوانهـــــا عنبَـــــرٌ ، وشـــــعرها قمـــــرُ

إنَّ الحيـــــاة كمثـــــل الشَّـــــعر رونقُهـــــا ... يحيـــا علـــى جـــانبيَ هـــذي الـــدنا البَشَـــر

أوزانُهـــــا جمّـــــة ، لا تحتـــــوي عِلـــــلاً ... قـــد حيّـــرت أهلهـــا ومَـــن لـــه بَصـــر

فيهـــا الجَـــوى والمُنـــى ، والتيـــه مَركبُهـــا ... والصـــدقُ بـــين الـــورى يُـــزوى ويُحتَضَـــر

مَعيشـــــهة غَضَّـــــةَ ، تســـــمو براغبهـــــا ... وثـــمَّ أخـــرى علـــي الأشـــلاء تَســـتعِر

مـــــا بـــــين آكـــــل لحـــــمٍ كلـــــه شَـــــرَهٌ ... ومَـــــن مِـــــن الجـــــوع والتضـــــيق ينتحـــــر

ومَـــن يعـــيش علـــي أكبـــاد مَـــن رحلـــوا ... ويشـــرب السُّـــمعة الفُضـــلى ، ويزدجـــر

ومَـــن يُعَكِّـــر صـــفوَ القـــوم فـــي شُـــبهٍ ... ولا تـــــراه علـــــي الأنـــــات يعتكـــــر

ومَـــــن يُضَـــــلّل خَلـــــقَ الله قاطبـــــة ... ويقمـــع الحـــق ، بـــئس الظـــالم الأشـــر!

ومَـــن يُزنـــدق حـــزب الحـــق مَـــن عملـــوا ... و(القطـــبُ) أولهـــم ، والســـادة الغُـــرر

ومَـــن يُفسّـــق أهـــل الخيـــر مَـــن بـــذلوا ... أمســـى يُبَـــدَّع مَـــن غـــابوا ومَـــن حضـــروا

ومَـــن يكُفّـــر أهـــل العلـــم مَـــن جهـــروا ... ولا تـــــراه علـــــي مـــــا قـــــال يعتـــــذر

ديـــوان شـــعر إذن هـــذي الحيـــاة حـــوى ... مِـــن كـــل شـــعر شـــدا ، ومـــا بـــه سَـــعَر

قصـــــيدة تنتشـــــي عِـــــزاً وتجربـــــة ... وثَـــمَّ أخـــرى علـــي ألفاظهـــا الكَـــدر

ينـــوحُ فيهـــا الجَـــوَى ، والهـــزلُ مأتمُهـــا ... وللأماجـــد فيهـــا تُحفَـــرُ الحُفَـــر

قصـــيدةٌ يَمـــدحُ الطـــاغوتَ شـــاعرُها ... وثَـــمَّ أخـــرى بهـــا الأخـــلاقُ تنـــدحر

تضـــاءلَ الشَّـــعرُ حتـــي بـــات ناظمُـــهُ ... علـــي الفضـــيله يبكـــي دونَـــهُ الضـــجر

جنـــازةُ الشـــعر قـــد شَـــيَّعتُ صـــاحبَها ... ليـــرحمِ المَيَّـــتَ المَجنـــوزَ مُقتَـــدِر

الله أكبـــر ، مـــاتَ الشـــعرُ منتحـــراً ... فمَـــن يقـــول لنـــا هـــذا ويَنتَصِـــر؟

والســـــاحةَ امـــــتلأت بـــــالفَحش يَرجُمهـــــا ... وأسْـمَوُ الـدعر شـعراً ، بـئس مـا ذكـروا!

إنَّ المشـــاعرَ فـــي الأذواق قـــد مُسِـــخَتْ ... وأصـــبح الشـــعرُ مَلهَـــاة لهَـــا صُـــور

إذ يكتـــب الشـــعرَ مَـــن ذا لا خـــلاقَ لـــهُ ... ومـــا لـــه أفَـــقٌ يُعطـــي ، ولا نَظَـــر

يُتـــاجرُ اليـــومَ بالأشـــعار كاتبُهـــا ... ومَـــن لـــه السّـــبق لا حِـــسٌّ ولا خَبـــر

ويمـــلأ الشـــعرُ أوراقـــاً برُمّتهـــا ... ويقـــرأ القـــومُ بهتانـــاً ، ولا خَطَـــر

وتُطبَـــع اليـــوم أشـــعارٌ وديـــدنها ... مَحـــقُ الرشـــاد ، فـــلا تُبقِـــي ولا تَـــذر

تُمَـــزَّقُ الفكـــر لا وعـــيٌ ، ولا عظـــة ... وفـــرَّخ الكيـــدُ ، أضـــحى الـــذهنُ ينفجـــر

وحُطّـــمَ الفَهـــمُ ، لا فقـــهٌ ولا خِـــزة ... وطـــامنَ الحقـــدُ حتـــى ماتـــتِ النّـــذر

وسُـــرَّ بـــالعيش مـــأفونٌ ومـــرتكسٌ ... وضـــجّ بالحـــال مَـــن بـــالخير يصـــطبر

وعاجـــلَ الغِـــلُّ مَـــن يحيـــا لمكرُمَـــةٍ ... وباغـــتَ القهـــرُ مَـــن للنصـــر ينتظـــر

ديـــوانُ شـــعر بـــه مـــن كـــل مَلهبَـــةٍ ... وغابـــةَ يَشـــتهي تـــدميرَها القَـــدَر

يُـــزَيَّنُ الشـــرُّ فـــي الأرحـــاب تشـــفية ... ويُقمـــع العـــدلُ حتـــي يَســـعدَ الخفَـــر

يُزخـــرَفُ العُهـــر فـــي عَـــين وفـــي أذنٍ ... ويَكبَـــتُ القِســـطَ فـــي إحساســـنا نمِـــر

تنـــاقَضُ الشـــعر فـــي الأبيـــات منشـــأهُ ... ديـــوانُ شـــعر ، ففـــي أبياتـــه سَـــقَر

فخبَّـــئ الشـــعرَ فـــي قرطاســـه أبـــداً ... إيـــاك إيـــاك أن يَجتَـــرَّكَ الحَـــذر

أنـــتَ اللبيـــبُ ، فكـــن للجَـــوْر منتبهـــاً ... وخفـــفِ اللـــومَ ، إن اللهَ مُنتصِـــر

وحبَّـــر الشـــعر ، لا تعبـــأ بعاديـــةٍ ... إن العـــوادىَ بالأشـــعار تنفطـــر

وأحســـن القصـــد ، إن الله مطّلـــعٌ ... وأخلـــصِ النيـــةَ العصـــماءَ تزدهـــر

لحُكـــم ربـــكَ فاصـــبر ، لا تكـــن عَجـــلاً ... فـــالخيرُ يـــا صـــاحبي عُقبـــى لمَـــن صَـــبَروا

(إن الابتلاء سُنة ماضية لا تتبدل ولا تتخلف أبداً. والتقي الزكي العبقري هو الذي يَثبتُ في الفتنه والبلاء. والسعيد من ثبته الله ، وتجاوز به الابتلاء ، وخرج به من الفتنة مؤمناً موحداً لم يذعن للباطل طرفة عين. وسبحان الله تتوالى المحن والفتن والابتلاءات في وقت حاجةٍ وعوذٍ ، وضيق لا يعلم إلا الله مداه. وعندما باشر المبتلى أسبابَ السقوط الرخيص في الفتنة والبلاء ، فإن الفتنه تكون أعتى وأشق. وإن رجلاً رزقه الله ـ برحمةٍ منه وفضل ـ لسانَ الأعاجم الذي يعلو اليوم في الأرض بغير الحق ، وذلك لعلو أهله وسلطانهم فيها أيضاً بغير حق ، لرجلٌ بلاؤه أشد وأعتى. ألا وإن كل لغه تسود وتعلو بعلو من يتحدث بها ، فعندما تقاعس أهل الايمان عن إيمانهم ، وتركوا الرايه الحقة ، قام أهل الباطل وشمّروا عن سواعدهم وحملوا الراية. وإنني لأعرف رجلاً عاش ينافح عن القيم والفضائل ، ويذود عن المبادىء السامية والأخلاق الرفيعة ، وكان قد جند يراعته وعزمه وبيانه وما يملك لخدمة الحنيفية السمحة عقيدة وشريعة وأتباعاً. وشاء الله تعالى له الابتلاء والتمحيص. (أحسِبَ الناس أنْ يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ، (ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فإذا أوذي في الله جعل فتنه الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ، أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ، وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) ، (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ، (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) ، (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثلُ الذين خلوْا من قبلكم مستهم البأساءُ والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، ألا أن نصر الله قريب) ، (أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خبير بما تعملون). يقول الأستاذ أبو فيصل البدراني في محاضرته: (فقه الابتلاء ، وأقدار الله المؤلمة) ما نصه: (والإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان تسمى مراتب القدر ، وهي العلم والكتابة والمشيئة والخلق ، وأفعال العباد داخلة في عموم خلقه عز وجل ولا يُخرجها عن ذلك العموم شيء. ومفهوم هذه المراتب ما يلي: * أولاً العلم: فنؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم ، علم ما كان وما يكون وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي فلا يتجدد له علم بعد جهل ولا يلحقه نسيان بعد علم. * ثانياً الكتابة: فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة. * ثالثاً المشيئة: فنؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السموات والأرض فلا يكون شيء إلا بمشيئته ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. * رابعاً الخلق: فنؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل. وهذه المراتب الأربع شاملة لما يكون من الله تعالى نفسه ولما يكون من العباد فكل ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال أو تروك فهي معلومة لله تعالى مكتوبة عنده والله تعالى قد شاءها وخلقها ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الله تعالى جعل للعبد اختياراً وقدرة بهما يكون الفعل ونرى أنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى لأن العاصي يُقدم على المعصية باختياره من غير أن يعلم أن الله تعالى قدَرها عليه ، إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلا بعد وقوع مقدوره ونؤمن بأن الشر لا يُنسب إلى الله تعالى لكمال رحمته وحكمته فنفس قضاء الله تعالى ليس فيه شر أبداً لأنه صادر عن رحمة وحكمة وإنما يكون الشر في مقضياته ومع هذا

فإن الشر في المقضيات ليس شراً خالصاً محضاً بل هو شر في محله من وجه ، وخيرٌ من وجه ، أو شر في محله خيرٌ في محل آخر).هـ. وإذن: فإن الابتلاء سُنة ، والتمحيص ضرورة ، ليتميز الصف من النفاق. ولذا فلنستمع ماذا يقول الله تعالى: (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) ، (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جنهم أولئك هم الخاسرون) ، وخلاصة القول أن ذلك الرجل كان من ابتلاءات الله له أن يأتيه في أوج محنته وابتلائه أحد من يعتقدون أنَّ المسيحَ ابن الله ، يعرض عليه أن يعمل عنده كمترجم للأفلام السينمائية مستغلاً فيه إجادته للإنجليزية ، وأغراه ، فثبتَ الله الرجلَ فأبى واستغفر واحتسب ، رغم حاجته الماسة إلى المال ، فكتبت له أحييه وأبارك له ثباته وصبره ، هذه الأبيات التي عنوانها: بدعٌ وجواب لتكون غرّة في جبين كرامتة وإبائه ونوراً ليراعته.)

أمسكِ النّجمَةَ لن يُلوىَ ضَمِيري ... إنهُ في اليِدِ كالبَدر المنيرِ

لن أبيع اليوم توحيدي ودِيني ... لا أداجي فِي متاهاتِ المَصِيرِ

إنني في الحق لا أرضى لَجَاجاً ... ليس عندي فيه مِن شيء سَتِير

رغم أن الضَّيق حقاً كم كواني! ... فإذا بي في طريقي كالضَّرِير

لكن التوحيدُ – عندي – قبلَ رُوحي ... فهْو نوُري في دُجى الدرب العَسِير

عندكَ النّارُ تَحَرَّقْ في لظاها ... وتقلّب في لظا الجَمْر الصهِير

وكذا البحرُ لتَغرق فيه نذلاً ... مُت وحيداً قي أسى الموج الجهير

دونكَ الأرضُ تَمَرَّغ في ثَراها ... وافترشْ وحلَ الخَنا بَينَ القُبُور

لكنِ الفكرة هذي ، لا تقُلها ... إنها في القَطع كالسَّيفِ المُبير

أتظنَّ الخيرَ فيها والأماني؟ ... لا تساوي عندنا ظِلَّ نَقِير!

يا صَريعَ الوهمِ ، لستُ اليوم غِراً ... كقِناع - أنت - مشبوهٍ غَدور

أترانِي سوف أرضى بضلال؟ ... أأبيعُ الآن هديي وضَمِيري؟

أترانِـــي أشـــترِي الـــدنيا بـــديني؟ أم تُـــرى أبكـــي مـــن الفَقـــر المَرِيـــر؟

عَبَّـــيء الإغـــراءَ فـــي الصَّـــمتِ ســـريعاً والـــتمسْ غَيـــري بأشـــباه الحَمِيـــر!

وخُـــذِ الأوراقَ هـــذي بَعـــدُ عنـــي لـــيس فيهـــا غيـــرُ تَضـــليلٍ حَقِيـــر

لـــيس فيهـــا غيـــرُ دُعـــرٍ يَتَخَفّـــى لـــيس فيهـــا غيـــرُ إغـــواءِ الغَـــرور

بِـــدَعٌ أمسَـــت طعامـــاً للسُّـــكارى وجـــوابي أننـــي فـــوق القُشُـــورِ

بـــدعٌ فـــي كـــل وادٍ ، وانحـــلالٌ ودمـــارٌ ، بعـــده قـــيحُ الثّبـــور

بـــدعٌ – فـــوق البرايـــا تتهـــاوى تشـــدخُ الـــرأسَ ، لهـــا فِعـــلُ الصُّـــخُور

بِـــدَعٌ تجتـــاحُ داري وعَشِـــيري وأرانـــي – فـــي دُجاهـــا – كالأسِـــير

يَخْلِـــبُ اللـــبَّ مَـــداها وصَـــداها وتُميـــتُ العـــزمَ فـــي القلـــب الغَيـــور

تقتـــل الفِطـــرةَ ، لا تُبقـــي رزينـــاً وتَـــدُكُّ الـــوعيَ فـــي العقـــل الـــذَّكُور

بـــدعٌ ، والنـــاسُ صـــرعى فـــي رحاهـــا غـــزتِ الـــدورَ هنـــا عبـــرَ الأثَيـــر

وجـــوابي أننـــي عنهـــا بعيـــدٌ وعِقـــابُ الفَحـــشِ نِيـــرانُ الســـعير

بـــدعٌ ذي تحـــت نعلَـــيْ كـــلِّ شـــهم وهشـــيمٌ فـــي تلافيـــفِ الهَجِيـــر

بـــدعٌ ، يـــا أيهـــا الـــديوثُ تَتـــرَى تختِـــلُ الغِـــرَّ ، وتـــودي بـــالكَفور

لَســـتُ مِنهَـــا ، وهْـــيَ ليســـت بعـــدُ مِنِّـــ ـــي ، بـــدع فيهـــا جـــوابي كـــالزئِير

إننـــي بـــالعُهر ، كـــلا لســـتُ أرضـــى رغـــم أنّـــي – اليـــومَ - فـــي حـــالٍ خَطِيـــر

وإلـــى الـــرحمنِ أشـــكو مـــا ألاقـــي جَـــلَّ شـــأنُ الله مـــن ربٍّ قـــدِير!

ليتك ترى

(قال الله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً). وقال: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير). وروى ابن ماجه أن رجلاً من بني سلمة جاء إلي النبي – صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبويّ شيء أبرهما به من بعد موتهما؟ قال: نعم ، الصلاة عليهما (الدعاء لهما) والاستغفار لهما ، وإيفاء عهودهما من بعد موتهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما. وروى الترمذي في سُننه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد. وروى البخاري أ ن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (من أرضى والديه فقد أرضى الله ومن أسخط والديه فقد أسخط الله). و إذن فأنا أصدِّر بهذا الحشد من الاستشهادات القرآنية والنبوية قصيدتي (ليتك ترى) حتى لا ينساني ولدي عمر الفاروق في زحمة حياته يوماً ما. وليعلم أنني حريص على حياته معافىً. فلا يحرص على موتي يوما حرصي اليوم على حياته! ويكفي أنني أمْرض اليوم إذ يمرض وأصح إذ يصح. وأبتسم إذ يبتسم وأبكي إذ يبكي. والأمر أنني عندما حملتُ وليدي الصغير عمرَ الفاروق على ساعدي مريضاً قد أخذ منه المرضُ مأخذاً عظيماً ، وبلغ التهاب الرئتين والعياذ بالله تعالى منه مبلغاً لا وصف له ، وأصبح كالجثة التي لا حِراكَ فيها ولا حياة ، وأثر ذلك في نفسي وسيطر الشيطانُ على مشاعري وخيالي ، ونما إلى خاطري أن الوالدَ يُودعُ الحياة الدنيا إلى الرفيق الأعلى عز وجل ، فأخفيتُ مشاعري وهواجس نفسي وحديث خيالي وما ألقاه الشيطان في رُوعي مستغلاً ضعفي ، وتماسكتُ وتجلدت وتظاهرتُ أمام الجميع بالثبات (وخاصة أمه)! وكان مِن قَدَر الله سبحانه أن يفارقني الولد للعلاج ، وتحركت الرحمة والحب في سويداء قلبي ، وتناغمَ الحنينُ في شِغاف ذلك القلب المصطلي بنار الفراق دائماً ، فكتبت هذه القصيدة أناجي الوليد الصغير فيها قائلا: ليتكَ ترى ما أنا فيه فتشاركني عذابي. ولا أريد أن أتمادى في الشجون وأجاري الأحزان! وخاصة أن البعض قد وصفوا النبي – صلى الله عليه وسلم – بالحزين دائماً! وهذا محض كذب عليه – صلى الله عليه وسلم -. يقول الأستاذ أحمد السعدي في مقال له بعنوان: (الحزن في التصور الإسلامي) ما نصه: (ولقد ذكر المتصوفة أحاديثَ كثيرةً تمتدح الحزنَ وتدعونا إليه وتجعله مطلوباً شرعيًّاً ، وقد تتبَّعتُ تخريج ما وقعت عليه من الأحاديث المذكورة في كتبهم ، فما رأيت فيها حديثاً يصلح للاعتبار ، فضلاً عن أن تكون صالحة للاحتجاج ، وسأسرد سريعاً بعضَ هذه الأحاديث مع بيانِ ما قاله أهلُ الشأن فيها ، وإن كان ذلك على سبيل الإشارات السريعة ذلك كيلا يتحول المقال إلى بحث حديثيٍّ. فأولها حديث اشتهر كثيراً على ألسنة الناس ، وهو حديث هند بن أبي هالة في صفة النبي صلى الله عليه و سلَّم وأنَّه كان متواصل الأحزان ، الحديث على ما قال ابن القيم في مدارج السالكين: (حديث لا يثبت ، وفي إسناده من لا يعرف). ويعارضه الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، أنه كان – صلى الله عليه وسلم – يستعيذ بالله من الهم والحزن. على أن ذلك الحديث لو صحَّ لأمكن تأويله أنه كان يمسي ويصبح وهو مشغول بهموم دعوته ، وهموم أمته وما أكثرها! ومنها حديث أورده الغزالي في إحياء علوم الدين ، وفيه: (والحزن رفيقي) ، والحديث على ما قال العراقي فيه: "لا أصل له" وجعله السيوطي رحمه الله من الأحاديث الموضوعة ، وتابعه الشوكاني في الفوائد المجموعة. أما

حديث "إن هذا القرآن نزل بحزن" فقد رواه ابن ماجه وفيه إسماعيل ابن رافع: ضعيف متروك. وأما حديث: "إنَّ الله يحبُّ كلَّ قلبٍ حزين" فهو وإن صححه صاحب المستدرك وحسَّنه الهيثمي إلا أن أسانيده لا تقوم).هـ. وإذن فالإسلام ليس دين حزن ولا يدعو المسلمين إلى الحزن أبداً!)

لـولا مُنَازَعَـةَ الحَنـينِ لمَـا بَكَـت مُهَجـاتُ ... ولمـــا اســـتكانتْ للجَـــوَى العَبَـــراتُ

ولمَـــا اســـتبدتْ بـــالقلوب طَيوفُهـــا ... ولمـــا تعالـــتْ فـــي المَـــدى زَفَـــرات

ولمَـــا تمـــادى فـــي أســـاه مُتـــيَّمٌ ... ولمـــا تســـامتْ فـــي الـــدجى آهـــات

ولمَـــا تعـــذبَ فـــي المذلـــة عاشـــقٌ ... ولمـــا علـــتْ بـــين الـــورى صَـــرَخَات

ولمَـــا تحـــدّر مِـــن عُيـــونٍ دمعُهـــا ... ولمـــا تلظـــتْ بالصَّـــدى النّظَـــرَات

ولمَـــا تمـــرّغ فـــي الجَـــوى مُتَوَلّـــهٌ ... أبـــداً ، ولـــم تُســـمع لـــه خَفَقَـــات

إنـــي أبِيـــتُ علـــى جـــراح مَـــدامعي ... تبكـــي علـــيَّ مَشَـــاعِري النّضِـــرات

فَـــتَّ الفِـــراقُ حُشَاشَـــتِي وترائبـــي ... تَعِـــسَ الفِـــراقُ تقـــودهُ الطعنـــات

(يـــا أيُّهـــا الفـــاروقُ) بُعـــدُكَ قـــاتِلي ... ذاب الثبـــاتُ ، وخـــارتِ العَزَمَـــات

والبَـــين يـــا ولـــدي ألـــيمٌ وَقعُـــهُ ... فـــوق القلـــوب ، لـــهُ بهـــا غَمَـــزات

وأنـــام يُقلقنـــي الســـهادُ ، ولا أرى ... (عُمَـــرَ الفـــداءِ) ، فقـــد مضـــتْ بَسَـــمَات

أيـــن الرضـــيعُ ينيـــر بيتـــاً مظلمـــاً؟ ... غـــاب الســـراجُ ، فحلـــتِ الظّلمـــات

أيـــن الجَمَـــالُ لـــه ابتســـامةَ مُغـــرَمٍ؟ ... رحـــل الهـــزار ، وزالـــت النّسَـــمَات

أيـــن الحيـــاةُ؟ وأيـــن شَـــهدُ رِضـــابها؟ ... كيـــف اســـتكانت للظـــى الكلمـــات؟

أيـــن القـــريضُ معطـــراً متبســـماً؟ ... مـــات القصـــيدُ ، فمـــا بـــه نَبَضَـــات

صـــارح (أبـــا حَفـــصٍ) ، ألا هـــل عـــودة تنســـابُ فـــي أرحابهـــا البَرَكَـــات؟

أنـــت اليُنُوعـــة فـــي طـــلاوة مَهـــدها ودُمـــاكَ مِـــن أثـــر الشـــقا أَكَمَـــات

أنـــت الصِّـــبا ، والحســـنُ فيـــك طبيعـــة فارقتَنَـــا ، فاهتاجـــتِ الخَلَجَـــات

هـــلاّ أعـــدتَ إلـــى النفـــوس بَهَاءَهَـــا ونفحتَنـــا ، إنَّ الهنـــا نَفَحَـــاتُ؟

أنـــا (يـــا أميـــرَ الـــؤمنين) مُمَـــزَّقٌ أهفـــو إليـــك ، تشـــوقَني النّبَـــرات

أســـتعجلُ الأقـــدار رحمـــةَ ربِّنَـــا يَشـــفيكَ ربِّـــي ، والشِّـــفاءُ هِبَـــات

للهـــم فاشـــفِ حبيـــبَ قلبـــي إنَّـــهُ (عُمَـــرُ الســـماحةِ) ، والهَـــوَى لَفَحَـــات

(يـــا أيَّهـــا الفـــاروقُ): أنـــتَ ربيعُنـــا أنـــتَ الغمـــامُ تســـوقه القُربُـــات

لمـــا رأيتُـــكَ لا تجـــود بهمســـةٍ ســـاءلتُ ، واشـــتدتْ بـــيَ الغمـــرات

ورأيـــت رأسَـــكَ والـــدوارُ يلفهـــا ويَرجهـــا ، فـــا هتاجـــتِ الحَسَـــرات

ورأيـــت كفـــك لـــيسَ تُمسِـــكُ بعضَـــها مثـــل الكتـــاب ، ومـــا لـــه صَـــفَحَات

مـــا إن رأيتُـــك لا تحـــرك ســـاكناً حتـــى علـــت بضـــميريَ الـــدَّعَوَات

(عُمَـــرَ الوفـــاء) شـــفاكَ ربـــك عـــاجلاً ولتـــذهبِ الأوجـــاعُ والرَّعَشَـــات

لـــو أنَّ عينَـــكَ أبصـــرتني هكـــذا لرحمتنـــي ، إنَّ الوفـــا تَبِعَـــات

ربـــاهُ ، أذهـــبْ بأسَـــهُ وشـــكاتَه وارحمـــهُ مـــن مَـــرِضٍ بِـــهِ كَبَـــوات

أميرة القلب

(إن كل شاعر يبُتلى بالقاريء الحريص على مُتع دنياه أكثر مِن هَدي السماء ، وأكثر مِن تذوق الشعر ، ويبتلى بزمان لا مكان فيه للشعر الصادق النقي المصبوغ بصبغة التوحيد. بل المكان لشعر المُجون والرذيلة والسقوط والانحلال والخزعبلات. فلا أسواق أدبية كسوق عكاظ وذي المجاز ومجنة ولا مناظرات شعرية. وحتى الشعراء الذين تبوأوا المكانة المرموقة وأخذوا النصيب الأكبر من الشهرة والصيت راحوا ينظرون إلى إخوانهم من الشعراء المبتدئين نظرة الاحتقار والازدراء (إلا من رحم ربك). إن شاعراً كهذا لا يجد أمامه إلا أن يكون وحده لا محالة ولا سبيل إلى غير ذلك. فهو الذي يصوغ شعره ، وهو الذي يقدمه وهو الذي ينشره ، وهو الذي يوزعه ، وهو الذي يروج له ، وهو الذي يشتريه من نفسه! لأن القاريء أحرص على شراء طعام بطنه وغذائها منه على شراء طعام روحه وقلبه. ورحم الله زمان الجاهلية بأسواقه الأدبية التي كان الشعر فيها يُرتجل ارتجالاً ، على البديهة والسليقة معا دونما إعداد ، ويرحم الله زمان صدر الإسلام يوم كان للشعر رسالته الساميه في بث روح الفضيلة والتوحيد والقيم الأصيلة. من أجل ذلك كله فإن شاعراً يُبتلى بواقع كالذي وصفته آنفاً ، لا يجد أمامه سوى مَلكته الشعرية الكامنة في ضميره يبثها نجواه ويودعها شكواه ، ويبكي معها على الذي يلمسه ويحسه ويراه ويجده. في مقال له بعنوان: (اترك أثراً قبل الرحيل) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (إن من أعظم الأعمال أجراً ، وأكثرها مرضاة لله ، تلك التي يتعدى نفعها إلى الآخرين ، وذلك لأن نفعها وأجرها وثوابها لا يقتصر على العامل وحده ، بل يمتد إلى غيره من الناس ، حتى الحيوان ، فيكون النفع عاماً للجميع. ومن أعظم الأعمال الصالحة نفعاً ، تلك التي يأتيك أجرها وأنت في قبرك وحيداً فريداً ، ولذا يجدر بالمسلم أن يسعى جاهداً لترك أثر قبل رحيله من هذه الدنيا ينتفع به الناس من بعده ، وينتفع به هو في قبره وآخرته ، وصدق الله في قوله: (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا). وفرق شاسع بين النفع المتعدي والنفع القاصر. فالنفع المتعدي: هو العمل الذي يصل نفعه للآخرين سواءً كان هذا النفع أخروياً: كالتعليم والدعوة إلى الله تعالى ، أو دنيوياً: كقضاء الحوائج ، ونصرة المظلوم وغير ذلك. أما النفع القاصر: فهو العمل الذي يقتصر نفعه وثوابه على فاعله فقط ، كالصوم ، والاعتكاف وغيرهما. ونسأل: أيهما أفضل النفع المتعدي أم النفع القاصر؟ لقد نص فقهاء الشريعة على أن النفع المتعدي للغير أولى من النفع القاصر على النفس. ولذا قال بعضهم: إن أفضل العبادات أكثرها نفعاً ، وذلك لكثرة ما ورد في الكتاب والسنة من نصوص دالة على فضل الاشتغال بمصالح الناس ، والسعي الحثيث لنفعهم وقضاء حوائجهم ، ومن أبرزها مثلاً: عن أبي الدرداء – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليع وسلم -: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب». وقال رسول الله عليه الصلاو والسلام - لعلي بن أبي طالب: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم». وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال: «من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً». كما أن صاحب العبادة القاصرة على النفس إذا مات انقطع عمله ، أما صاحب النفع المتعدي فلا ينقطع عمله بموته. وقد بعث الله الأنبياء بالإحسان إلى الخلق ، وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم ، ولم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس ، ولهذا أنكر النبي – صلى الله عليه وسلم -: على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد

وترك مخالطة الناس. وهذا التفضيل إنما هو باعتبار الجنس ، ولا يعني ذلك أن كل عمل متعدي النفع أفضل من كل عمل قاصر ، بل الصلاة والصيام والحج عبادات قاصرة – في الأصل – ومع ذلك هي من أركان الإسلام ومبانيه العظام. ولذا قال بعض العلماء: (أفضل العبادات: العمل على مرضاة الرب في كل وقت مما هو مقتضي ذلك الوقت ووظيفته). والحقيقة أن نفع الناس من صفات الأنبياء والرسل! إن النفع المتعدي هو طريق الأنبياء والرسل ، ووظيفة من سلك سبيلهم ، واقتفى أثرهم ، فهم أنفع الناس للناس ، وهم الذين يهدون الناس إلى الله تعالى ، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، وذلك بدعوتهم إلى توحيده ، الذي لا عز ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا به).هـ.
وأنا هنا أخاطب أميرة قلبي التي هي ملكتي الشعرية محاولاً ترك أثر يدل عليّ من بعدي!)

أميـــرةَ القلـــب: أمســـى القلـــبُ مَتَّهمـــا ... تَعقّـــد الحـــالُ ، أضـــحى يشـــتكي البَكَمـــا

وعربـــد البغـــي فـــي دار لنـــا رتعـــتْ ... وزغـــرد الحَيـــفُ ، لمّـــا أركـــبَ الصَّـــنما

وكـــل ذي بدعـــةٍ فـــي القـــوم مُحتـــرَمٌ ... ولـــيس ذو سُـــنةٍ فـــي القـــوم محترمـــا

دنيـــا (أبـــي لهـــب) ســـادتْ وشـــرعتُهُ ... وقَـــوِّضَ المجـــدُ ، أضـــحتْ سُـــوحُه ظَلَمـــا

وحُـــورب الخيـــر ، فـــي سِـــر وفـــي علـــن ... وحُطـــم الهَـــدْيُ ، أمســـى خَطبُـــه عَممـــا

أميـــرةَ القلـــب: خـــانتني مُخيّلتـــي ... وســـجَّلَ الحـــزن فـــي تضـــليلها رقمـــا

رأيـــتُ أفـــذاذنا فـــي الغـــي قـــد ضـــربوا ... وخيّبـــوا الظـــن مـــذ أن أصـــبحوا أكمـــا

مـــا بـــين مستشـــعر يبكـــي عشـــيقته ... ووالـــهٍ فـــي الـــورى يســـتنطق العَـــدما

فـــي يـــوم زينـــتهم قـــد ســـطر الخُطبـــا ... يـــا ويـــح مســـتهتر قـــد عـــذب القلمـــا!

طـــوى الحقيقـــة فـــي القرطـــاس مجترئـــاً ... ودمّـــر العـــز والإقـــدام والهِممـــا

أميـــرةَ القلـــب: نـــارٌ ذِلتـــي ودمٌ ... وعـــزة الحُـــر ليســـتْ تعـــرف الســـأما

وعزمـــة المـــؤمن المِقـــدام ماضـــية ... تُضـــمد الجُـــرح والأشـــلاءَ والســـقما

وهِمـــة المســـلم المِعطـــاء ســـامقة ... تُـــداعب الأفـــقَ والجـــوزاءَ والقِممـــا

ليســـت تُصـــارع بـــين النـــاس درهمهـــا ... تعـــيش تحفـــظ بـــأس الـــدين والقيمـــا

تخـــافُ رب الـــورى ممـــا جنتـــه يـــدٌ ... وتنقُـــد الـــذل والإفـــلاس والغنمـــا

أميـــرة القلـــب: إن الشـــعر موعـــدُنا ... نَرَجَّـــعُ البيـــت تلـــو البيـــت والنغمـــا

ونقـــرأ الآيَ تلـــو الآي فـــي ثِقـــةٍ ... ليبـــرأ القلـــب ، لا نلقـــاه مُتهمـــا

نستنشـــقُ النـــورَ والإشـــراق عـــن كَثَـــب ... ونبصـــرُ الكـــون فـــي الأوهـــام مضـــطرما

نســـعى لغايتنـــا ، وغيرنـــا رتعـــوا ... فـــي التيـــه ، إذ أصـــبح الإفـــلاسُ مغتنَمـــا

أميـــرةَ القلـــب: فـــي البَلقـــان محنتُنـــا ... والأمـــر أضـــحى جليّـــا لـــيسَ منكتمـــا

يُريـــدها الغـــربُ للقطعـــان مَزبلـــةً ... مِـــن أجـــل هـــذا بهـــا قـــد عَـــدَّد النِّقَمـــا

ونحـــن فـــي نومنـــا ، بتنـــا يؤرجحُنـــا ... ذلُ الطريـــق ، ونخشـــى المـــوت والعَجَمـــا

قضـــيةَ لا تـــرى عَـــدلاً يُناقشـــها ... والظـــالمُ النـــذلُ قـــد أمســـى بهـــا حَكَمـــا

كيـــف الســـبيل ولا عـــدلٌ يناصـــرها؟ ... بـــالله قـــد أصـــبحت تستصـــرخ الأممـــا

أميـــرةَ القلـــب: صـــار الهَـــديُ مرتزَقـــاً ... وآكـــلٌ بالهُـــدى يســـتهجن الحُرُمـــا

تلقـــاه منفلتـــاً مـــن كـــل آصـــرةٍ ... وراء درهمـــه يســـعى لـــه قُـــدُما

والآي تُقـــرأ ، لكـــن للـــدراهم ، لا ... نلقـــى مُرتلهـــا للـــنص قـــد فهمـــا

يُضـــفي التبتـــل للطـــاغوت واجهـــة ... ويســـحب الأمـــر فـــي ميزانـــه لممـــا

تلقـــى الحنـــاجرَ بالتوحيـــد صـــادحة ... وهْـــي المباعـــة ، لـــيس الأمـــر منبهمـــا

أميـــرةَ القلـــب: ماتـــت كـــل أخيلتـــي ... وودّع القلـــب مـــن أعماقـــه الشـــيما

وعـــذَب الـــنفسَ لـــومٌ ، لا يفارقهـــا ... وإنّ فـــي آهتـــي يـــا فتنتـــي نـــدما

دهـــى الفـــؤادَ شـــقاءٌ لا حـــدود لـــه ... وشِـــقوةُ القلـــب فـــي الـــدنيا غـــدت قِســـما

وحـــدي أعـــذَب ، ثـــم النـــاس فـــي دعـــة ... وإن فـــي لفظتـــي ممـــا أرى ألمـــا

قـــد غَيِّـــبَ الشـــرعُ ، والأقـــوامُ راضـــية ... وإن فـــي الغيْـــب يـــا أقوامنـــا حُمَمـــا

أني ليَ الفرحة؟ (عتابية)

(امرأة طلقها زوجها بسبب الواشين طلاقاً بائناً بيونة صُغرى ، وهي بريئة علم الله. فراحتْ ترسل له ـ يوم العيد ـ رسالة عتاب ، تناشده فيها أن يردها ليبدآ معاً صفحة جديدة!)

تَمتـــعْ بعيـــدكَ ، وانـــس الجـــوى ... ولا تبـــك زوجـــاً كواهـــا النـــوى

هـــو العيـــدُ يُغـــري بأفراحـــه ... وإنّ لكـــل حُبـــور صُـــوى

ولـــوْمي لـــكَ اليـــوم يُـــردي الهنـــا ... ولـــيس يلـــوم الـــذي مـــا اكتـــوى

هنيئـــاً لـــك العيـــدُ ، يـــا صـــاحبي ... ويـــا حُـــبّ قلـــب طـــواه الهـــوى

وكنـــتُ أؤمـــلُ عَـــوْد الفتـــى ... (وإن لكـــل امـــرئ مـــا نـــوى)

وأنـــى لـــي الفـــرحُ مـــذ بعتنـــي ... لقـــد بِـــتّ يُفنـــي فـــؤادي الجـــوى

أحـــب لـــك الخيـــرَ مهمـــا جـــرى! ... وأرجـــو لـــك العـــز عـــف اللـــوا

فمـــا زلـــتُ أبقـــي علـــى حبنـــا ... بـــرغم الوشـــاة ورغـــم القُـــوى

فحاســـبْ ضـــميرك ، كـــن مُنصـــفاً ... فمِـــن دمـــع عَينَـــيَّ قلبـــي ارتـــوى

حنانيـــكَ عِيـــدي مَحـــاهُ الأســـى ... لمـــاذا تُصـــدّق مَـــن قـــد غـــوى؟

عزيـــفُ الوشـــاة دهـــى بيتنـــا ... وحُبُّـــك لـــي فـــي الســـراب انـــزوى

وإنـــي البريئـــة مـــن زيفهـــم ... ودربُ القناعـــات عنـــي انطـــوى

وعيـــدي مـــع الـــوهم قضّـــيتُه ... إلـــى أن مرضـــتُ وأيـــن الـــدوا؟

فصُـــنْ مـــاء وجهـــي لـــديك ، وكـــنْ ... أديبـــاً يُحَلـــل مـــا قـــد حـــوى

ورد الحليلـــة ، أخـــزِ العِـــدا ... ودع كـــل كلـــب علينـــا عـــوى

أراك تحقـــق مقصـــودهم ... أتجهـــلُ مـــا الجمْـــعُ فينـــا انتـــوى؟

هـــو العيـــد يـــا صـــاح فرصـــتنا ... فإنـــا أمـــام العتـــاب سَـــوا

العيد عيدكمُ (انتصارية)

(أنشدتُ على لسان يتيم مسكين ، كان أبوه في العيد المنصرم معه ، يؤنسه ويهديه ويشمله بحنان الأبوة وحنوها! ثم فاق ذلك الأب الحياة إلى الرفيق الأعلى قبل هذا العيد بأيام. وحزن عليه ابنه الذي لم يتجاوز السنوات العشر. فتصورت ماذا يقول لنا اليتيم! إذ إنه راح يقارن بين عيده الماضي وعيده الحاضر! وفرْقُ ما بين العيديْن كالفرق بين السماء والأرض! ورحتُ أتخيل حاله وتِرحاله. إن مشوار اليتم لا يزال طويلاً! أسأل الله أن يتغمد كل يتيم مسلم برحمةٍ منه وفضل!)

عيـــدانِ: عيـــدٌ مضـــى بـــالفرح مبتهجـــا ... كأنـــه الفجـــرُ شـــقّ الأفـــقَ ، وانبلجـــا

تَـــرنّمَ البشْـــرُ فـــي أفـــراد أســـرتنا ... كأنـــه النـــور مـــن ســـجن الـــدجى خرجـــا

واســـتمتع الكـــلُّ بـــالأفراح شـــادية ... تُشـــجي القلـــوب ، وتُحْيـــي بالهنـــا المُهَجـــا

والأهـــل فـــي صـــحبة الأحبـــاب قـــد ســـعدوا ... وكـــل خِـــلَّ بشـــكر الله كـــم لَهَجـــا!

يســـتقبلون قَـــدومَ العيـــد فـــي طَـــرَب ... هـــذا يُرَجِّـــع ألحانـــاً ، وذا هَزِجـــا

والـــذكرياتُ بمـــاء الحُـــب تغمـــرُهم ... ومِـــن تفضُّـــلها أضـــاءت السُّـــرُجا

والأمنيـــاتُ لهـــا صـــدىً يُـــداعبها ... ولحـــنُ خاطرهـــا بُعيـــدها امتزجـــا

ووالـــدي بيننـــا بَـــذْرٌ نتيـــه بـــه ... ونـــورُ رقتـــه بلهونـــا انـــدمجا

أجـــاب كُـــلاّ إلـــى مـــا كـــان يطلبـــه ... ولـــم يُخيِّـــب لِمـــا أمّلـــتُ فيـــه رجـــا

بـــل كـــان يحنـــو علـــى قلبـــي ، ويرحمنـــي ... ولـــم يَـــرُدَّ فتـــىً يومـــاً إليـــه لجـــا

واليـــوم عِيـــدي خـــلا مـــن كـــل بارقـــةٍ ... والقلـــبُ مـــن ألـــم الـــذكرى قـــد اختلجـــا

مَـــن ذا الـــذي يحمـــل الحلـــوى ليُفرحنـــي؟ ... ومَـــن عـــن الـــنفس ينفـــي الضـــيق والحرجـــا؟

ومَـــن يُعطَـــر ثـــوب العيـــد ألبسُـــه؟ ... ومَـــن يســـوق لروحـــي الفـــرْح والفَرَجـــا؟

العيـــدُ عيـــدكمُ ، يـــا قـــومُ فابتشـــروا ... والعيـــدُ عيـــدُ الـــذي يلقـــاه مبتهجـــا

وأســـــال الله ربـــــي أن يثبتنـــــي ... إذ لـــيس يحـــزن مَـــن ســـبيله انتهجـــا

حوار مع القلم (نهج نهج البردة)

(في غزوة الرَّجيع أمسك مشركو مكة الصحابي ذا القدر العظيم زيد بن الدثنة – رضي الله عنه – ليقتلوه بعد أن أخذوه أسيراً. فقال له أبو سفيان (الذي لم يكن قد دخل في الإسلام حينئذ): أستحلفك بالله يا زيد ، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه ، وأنت في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب محمداً في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه الشوكة وأنا جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. (روى هذا الأثر البيهقي). وروى الشيخان أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). وأخرج الطبراني أن رجلا جاء الي النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله إنك لأحب إليّ من نفسي ، وإنك لأحب إليّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنه رفعت مع النبين ، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى نزل جبريل بهذه الآية: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين ، وحسن وأولئك رفيقاً). إننا مهما كتبنا عن رسول الله ما وفيناه حقه. وقد نهانا النبي عن مدحه – صلى الله عليه وسلم – وزجرنا عن ذلك . وما رأيت المدائح النبوية على مر العصور لم تخل من الإطراء والمغالاه ، رأيت أن أسطر قصيدة أعلن فيها عن خالص حبي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فالإعلان عن الحب يختلف عن المديح الغالي والإطراء الذى يخرج بالنبي عن كونه بشراً يوحى إليه. واخترت البردة البوصيرية لأغارضها. وعزمت على نقش مقدمه تاريخية نشير عبرها إلى تاريخ البردة ومن عارضها ونسج على منوالها. إن هذه القصيدة نقشتُها على أسلوبيه قصيدة البُردة للصحابي الشاعر الكبير – كعب بن زهير – رضي الله عنه ، ولستُ أول من كان له شرف الكتابة على هذه البردة ، بل كانت هناك محاولات عدة نذكر منها ستة على سبيل المثال ، وهو الأمر الذي اتسع إليه علمنا ، وإن دل ذلك على شيء ، فإنما يدل على جمال البردة الأصلية وإبداعها وأهميتها تاريخيا وأدبيا ودعويا ، فقلد صاغ كعب بن زهير – رضي الله تعالى عنه – بردته وأنشدها أمام النبي – صلى الله عليه وسلم ، وكان أن خلع النبي بردته ، وألبسها كعباً بن زهير لتكون علامة على رضاه ويكون في أمان بعد أن أهدر دمه لأنه في جاهليته كان يناوىء دعوة الإسلام ونبي الإسلام بشعره ، وكان أن أهدر النبي – صلى الله عليه وسلم – دمه. نعم ، لقد كان شديد الهجاء للنبي وأصحابه ، فتوعده المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وأهدر دمه ، إلا أن يجيء مسلما تائبا ، فلما لم تجرْه القبائلُ عاد فهدى الله تعالى قلبه وأسلم ، وأنشد بردته وأهداه النبي بردته وظلت عنده وفي وأولاده ، حتى بيعت لمعاوية بعشرين ألف درهم ، ثم بيعت للخليفة المنصور العباسي بأربعين ألف درهم ، علي ما تذكر لنا كتبُ السير والتاريخ. يقول كعب بن زهير بن أبي سُلمى – رضي الله تعالى عنه -:

بانت سعاد ، فقلبي اليوم متبولُ متيمٌ إثرها ، لم يفد مكبولُ

وما سعادُ غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مَكحول

هيفـــاء مقبلـــة عجـــزاء مـــدبرة لا يشـــتكي قِصـــرٌ منهـــا ولا طـــول

ثم بعد ذلك كتب شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد البوصيري قصيدة على نهجها أسماها (نهج البردة) – وإن كان عليها بعض المآخذ وفيها بعض الزلات - قال في مطلعها:

أمِـــن تـــذكر جيـــران بـــذي ســـلم مزجـــت دمعـــاً جـــرى مِـــن مُقلـــة بـــدم

أم هبـــت الـــريح مِـــن تلقـــاء كاظمـــة وأومـــض البـــرقُ فـــي الظلمـــاء مـــن إِضَـــم

فمـــا لعينيـــكَ ، إن قلـــت: اكفُفـــا ، هَمَتَـــا! ومـــا لقلبـــك إن قلـــت: اســـتفقْ يَهـــم!

أيحســـب الصـــبُّ أن الحـــب منكـــتمٌ مـــا بـــين منســـجم منـــهُ ومضـــطرم؟

ثم كتب أحمد شوقي بردته الشوقية ، متأثراً فيها بالبوصيري ، والتي يقول مطلعها:

ريـــمٌ علـــى القـــاع بـــين البـــان والعلـــم أحـــلَ ســـفك دمـــي فـــي الأشـــهُر الحُـــرُمِ

رمـــى القضـــاءُ بعينـــيْ جـــؤذر أســـداً يـــا ســـاكن القـــاع ، أدركْ ســـاكنَ الأجـــم

لمـــا رمـــى حـــدثتني الـــنفسُ قائلـــة يـــا ويـــح جنبـــك بالســـهم المصـــيب رُمِـــي!

وكان أن ختمها أحمد شوقي بهذا الابتهال الرقيق اللطيف الذي يصف حال الشعوب فقال:

يـــا رب هبـــتْ شـــعوبٌ مـــن منيّتهـــا واســـتيقظتْ أمـــمٌ مـــن رقـــدة العـــدمِ

ســـعدٌ ونحـــسٌ ومُلـــكٌ أنـــت مالكـــه تُـــديلُ مِـــن نعـــم فيـــه ومِـــن نِقَـــم

رأى قضـــاؤكَ فينـــا رأي حكمتـــه أكـــرمْ بوجهـــك مـــن قـــاضٍ ومنـــتقم!

يـــا رب أحســـنتَ بـــدءَ المســـلمين بـــه فـــتمم الفضـــل ، وامـــنحْ حُســـن مختـــتم

ثم كتب الشاعر محمود سامي البارودي بردته البارودية متأثراً كذلك بالبوصيري ، فقال:

محمـــدٌ خـــاتم الرسَّـــل الـــذي خضـــعتْ لـــه البريـــة مـــن عُـــرب ومـــن عجَـــمِ

سـميرَ وحـي ، ومَجنـى حكمـةٍ ونـدىً ... سـماحة وقِـرىً عـافٍ وريٌّ ظَمـي

قـد أبلَـغَ الـوحيُ عنـه قبـل بعثتـه ... مسـامعَ الرسـل قـولاً غيـرَ منكـتم

فـذاك دعـوة (إبـراهيم) خالقـهِ ... وسـر مـا قالـه (عيسـى) مِـنَ القِـدَم

ثم كتب الشاعر الأديب علي أحمد باكثير سنة 1352هـ البردة الباكثيرية ، على نهج بردة البوصيري ، وإن كان قد غلب الجانب المشاعري والعاطفي أكثر من سابقيه ، يقول مطلعها:

يـا نجمـة الأمـل المَغْشـي بـالألمِ ... كـوني دليلـيَ فـي مُحلولـك الظلـمِ

فـي ليلـةٍ مِـن ليـالي القـر حالكـة ... صـخابة بصـدى الأريـاح والـدَّيَم

دجـيً تتـالي كـأمواج المحـيط بهـا ... عقلـي وقلبـي وطرفـي كـلٌ ذاك عمـي

ثم يقول علي أحمد باكثير – رحمة الله عليه – في الخاتمة مصلياً على النبي وآله وصحبه:

ثـم السـلام علـى طـه وعِترتـهِ ... وآلـه قرنـاء الـذكر فـي الحـرمِ

علـى البتـول ، علـى الكبـرى علـى حسـن ... علـى حُسـين ، علـى أزواجـه العُصُـم

واختـتم بمسـك تحيـات يفـوح علـى ... محمـدٍ ، خيـر مبـدوءٍ ومختـتم

مـا أومـض البـرق فـي الظلمـاء مـن إضـم ... ومـا عطـا الـريم بـين البـان والعلـم

وكتب الشاعر الكبير الأستاذ / على جاد مطر البردة المطرية في سنة 1950م وفي حفل الهجرة ، وإن كان الأستاذ مطر قد عُرف خطيباً مفوهاً وكاتباً نحريراً ، ولكنه بها شاعر ، يقول في مطلعها:

قـم حـيّ (أحمـد) خيـر الخيـر كلهـم ... زيْـن الـورى ضـارب الأمثـال فـي الكـرمِ

أدى رسـالته بـالحق كاملـة ... وأخـرج النـاس مـن شـركٍ ومِـن ظلـم

ثم يختتمها الشاعر الفذ الجهبذ بهذه الحكمة ، وما أروع حكمه رحمه الله تعالى - بقوله:

عــش ســاعة مــن حيــاة الأسْــد واحــدة ولا تعــش ألــف عــام عيشــة الغَــنَمِ

وأخيراً كتب الشاعر الشيخ أبو زيد إبراهيم سيد البردة الزيدية والتي يقول في مطلعها:

مــاذا أقــول؟ ومــا يُفضــي بــه قلمــي؟ فــإنَّ مــدحك فــوق الوصــف والكلــمِ

لكنهــا لغــة العُشــاق أرســلها إلــى الحبيــب الــذي نجــى مــن الظَلــمِ

وختم الشاعر بردته الزيدية بهذا الدعاء الجميل مصلياً على النبي وعترته ، وداعياً لأمته فقال:

يــا رب صــلِّ علــى الهــادي وعترتــه خيــر البريــة ، خيــر الخلــق كلهــمِ

يــا رب ، وانصــر علــى الأعــداء أمتنــا وحــرر القــدسَ مِــن عــادٍ ومنــتقم

يــا رب ، واجعــل بــلاد المســلمين بهــا كــل الرخــاء ، وكــل الخيــر والسَّــلَم

والأصل أنني أترك هذه البردة لتكون محاولة من بعدي لينسج الشعراء على منوالها! لأن المرء يعمل ويخلص وعلى الله القبول. وأي البردات قبلها الله من صاحبها؟ لا يعلم ذلك إلا الله. وأسأل الله قبول بردتي عنده. وفي مقالة للأستاذ محمد المنجد عنوانها: (اترك أثراً قبل الرحيل يقول في خاتمتها ما نصه: (عن أنس – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «مثل أمتي مثل المطر ، لا يُدرى أوله خير أم أخره». إن مدلولات لفظة المطر أو الغيث كما في بعض ألفاظ الحديث ، تعبر عن مكامن الخير في هذه الأمة ، فالغيث رحمة مهداة من الله تعالى إلى خلقه ، وبه يحيي الله الأرض من بعد موتها. وهكذا تكون همة أهل الخير في كل زمان ، ولسان حال أحدهم: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة). والغيث يأتي الناس في حال شدة ، وقنوط ، ويأس ، وهذه الأمة الإسلامية أمة خير وعطاء ، أمة لا تيأس ، ولا تلين ، ولا تستكين على مر التاريخ ، ولقد مرت بديار الإسلام في تاريخها الطويل أزمات وأزمات ، وحلت بها بلايا ونكبات ، وزلزلت الأرض زلزالها ، وفي كل مرة تخرج هذه الأمة من مآزق كبرى أصلب عوداً ، وأشد إيماناً ، وفي كل مرة يظن أهل الكيد والمكر أنهم قدروا عليها ، ولكن الله لهم بالمرصاد ، قال تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ). ولما سمع الصحابة رضي الله عنهم قول الله تعالى : (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ). وقوله جل وعلا: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) ، فهموا من ذلك أن المراد أن يجتهد كل واحد منهم ، حتى يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة ، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية ، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل للآخرة أكثر منه نافسه وحاول

اللحاق به ، بل مجاوزته ، فكان تنافسهم في درجات الآخرة ، واستباقهم إليها كما قال تعالى: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) ، قال النووي - رحمه الله-: قوله (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له). قال ابن القيم - رحمه الله - في معرض حديثه عن فضل العلم: (وقد ذكرنا مائتي دليل على فضل العلم وأهله في كتاب مفرد ، فيا لها من مرتبة ما أعلاها ، ومنقبة ما أجلها وأسناها ، أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله ، أو في قبره وقد صار أشلاء متمزقة وأوصالاً متفرقة وصحف حسناته متزايدة ، تملى فيها الحسنات كل وقت ، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب ، تلك والله المكارم والغنائم ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، وعليه يحسد الحاسدون ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها ويسبق السابقون إليه ، وتوفر إليها الأوقات ، وتتوجه نحوها الطلبات ، فنسأل الله الذي بيده مفاتيح كل خير أن يفتح علينا خزائن رحمته ، ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنِّه وكرمه ، وأصحاب هذه المرتبة يدعون عظماء في ملكوت السماء ، كما قال بعض السلف من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء). وعن أبي هريرة (عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته». «ونشره» هو أعم من التعليم فإنه يشمل التأليف ووقف الكتب. قال السندي - رحمه الله -: جعل نفس العمل في قوله تعالى: (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) قوله: «ومصحفاً ورثه» من التوريث أي تركه إرثاً وهذا مع ما بعده من قبيل الصدقة الجارية حقيقة أو حكماً فهذا الحديث كالتفصيل انقطع عمله إلا من ثلاث. «ورثه»: أي تركه للورثة ولو ملكاً ، وفي معناه كتب العلوم الشرعية فيكون له ثواب التسبب. «أو مسجداً بناه»: وفي معناه مدرسة العلماء ورباط الصلحاء. «أو بيتاً لابن السبيل»: أي المسافر والغريب. «أو نهراً أجراه»: أي جعله جارياً لينتفع به الخلق. قوله «في صحته وحياته»: أي أخرجها في زمان كمال حاله ، ووفور افتقاره إلى ماله وتمكنه من الانتفاع به. وفيه ترغيب إلى ذلك ليكون أفضل صدقة كما يدل عليه جوابه (لمن قال: أي الصدقة أعظم أجراً؟) فقال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح...» الحديث ، وإلا فكون الصدقة جارية لا يتوقف على ذلك. عن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه - عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: مرابط في سبيل الله ، ومن عمل عملاً أُجْرِيَ له مثل ما عمل ، ورجل تصدق بصدقة فأجرها له ما جرت ، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له»).هـ. ولا أدعي لنفسي أن الذي كتبته متأثراً بمطلع بردة البوصيري ، أنه أفضل مِنَ الذي كتبه غيري من الشعراء ، وإنْ هو إلا شرف المحاولة وعاطفة الانفعال للشعر ، نعم تأثرتُ بما كتبوا ، ولكنْ أثر فيَّ أكثر مطلع البوصيري ، وعذوبة أداء كعب بن زهير ، وحكمة الأستاذ على مطر ، وتقسيم أحمد شوقي ، وحماس البارودي ، وإيحاءات علي أحمد باكثير ، وشبابية أبي زيد إبراهيم ، فكتبتُ هذه القصيدة التي أسميتُها: حوار مع القلم ، أو نهج نهج البردة! وأكتفي بهذا في

التقديم ، وأشهد الله أني جعلتُ شعري كله من باب (علم ينتفع به) ، ولنتابع قصيدتنا نهج نهج البردة! وأعتذر اعتذاراً بليغاً عن الإطالة ، وأسأل الله أن لا تكون مملة سقيمة لا فائدة فيها!)

أمِـــن تـــذكُرِ مبعـــوثٍ ، وذي ســـلَمِ ... شـجَّ الجَـوَى مُقلتـي ، وانسـابَ نهـرُ دَمـي؟

فـــي بُـــردةٍ سُـــطِرَتْ مـــن أعصُـــر ســـلفتْ ... أو (نـهجهـــا) ، نُقشـــتْ فَوَّاحَـــةَ الـــنّغم

مبعـــوثَ خالقنـــا ، هـــذي تحيتنـــا ... حُبـــاً نقـــدمها ، بالقلـــب والقلـــم

بالحـــب ننشـــدها فـــي غيـــر مـــا ثقـــل ... لـــلآل قاطبـــة ، والصـــحب ذي السَّـــلَم

روحـــي فـــداكَ ، وأولادي ومـــا ملكـــتْ ... يـــدي ونفســـي ، ومَـــا ســـادتْ بـــه رَحِمـــي

عُـــذراً ، فقـــد كُتبـــتْ بـــالحزن أحْرفَهـــا ... بالـــدمع أنشـــودتي مكروبـــةَ الـــرَّنَم

مـــات البشـــيرُ ، فـــلا الـــدنيا تُعوّضـــنا ... والـــنفسُ داميـــة ، فـــي غايـــة الألـــم

كـــان الرســـولُ لهـــذا الكـــون كوكبَـــهُ ... وكـــان يعطـــي الضـــيا إطلالـــةَ الـــنّجُمِ

وكـــان - بـــين الـــورى - إشـــراقَهُ ألقّـــا ... وقـــد أتـــى قومَنـــا بـــالمنهج اللّقِـــم

أقـــام ديـــنَ الهُـــدى فـــيهم علـــى عَمَـــدٍ ... وشـــيّد الحـــق فـــي الـــدنيا علـــى دِعَـــم

وحقـــق العـــدلَ بـــين القـــوم أجمعهـــم ... وأغـــدق القِســـطَ مثـــل الوابـــل الـــرَّذِم

محمـــدٌ صـــفوة القيّـــوم خالقنـــا ... وجـــوهرُ الخيـــر فـــي أزواجـــه العُصُـــم

ويَعـــرف الكـــل أوصـــافاً لـــه قَرنَـــتْ ... عنـــد اليهـــود ، لـــدى الأحبـــار والـــنّهُم

دعـــا الجميـــعَ إلـــى التوحيـــد محـــتملاً ... أذى الضَّـــلال وسُـــوآي كـــلِّ مُجتَـــرِم

أنِ اعبـــدوا الله ربـــاً واحـــداً أحَـــداً ... أحيـــا البرايـــا علـــى الـــدنيا مـــن العـــدم

ونزِّهُـــوا اللهَ عـــن مِثـــل وعـــن شَـــبَهٍ ... دعـــوا الضـــلال ، وخلـــوا رِبْقَـــةَ الصِّـــنَم

جـــل المليـــكُ ، فـــلا المخلـــوقُ يشـــبهه ... وعـــز رب الـــورى الـــديانُ ذو الـــنِّعم

دعـــا الرســـولُ إلـــى الإســـلام مَـــن كفـــروا ... ورسّـــخ الحـــق فـــي الـــدنيا مـــع القِـــيَم

وحطـــم الشـــركَ ، لا (عُـــزى) ولا (هُبَـــلٍ) ولا (مَنـــــاة) ، فمـــــن يُســـــلم فيُحتَـــــرَم

ودمَّـــــر الفســـــق ، لا عُهـــرٌ ولا طَـــرقُ أتـــــى بـــــدين مَهيـــب الجـــاه مُعْـــتَلِم

وطهَّـــر البيـــتَ مـــن أصـــداء تصـــديةٍ ومِـــــن مُكـــــاءٍ جهيـــــر غيـــــرِ مُنكَـــــتِم

وأدَّبَ الكُفـــــــرَ ، فانـــــــدكتْ براثنُـــــــه وأشـــهر الســـيفَ صـــدقاً ، والـــوطيسُ حَمِـــي

وحاطـــه الصـــحبُ فـــي أجـــواء ملحمـــةٍ فقـــاد جمعهـــمُ مثـــل الســـنا الـــتَّمَم

جـيشُ الرسـول ، لـه فـي الحـرب مَجلـدةٌ أكـــرِمْ بـــه مـــن خَمِـــيس بـــالغٍ العِظَـــم!

وجاهـــد الصـــحبُ كـــلٌ حسْـــب طاقتـــه رِعـــاءُ شـــاةٍ ، وبـــاتوا ســـادةَ الأمـــم

علـــى البِطـــاح أســـودٌ فـــي إغـــارتهم ليـــوثٌ حـــرب علـــى الأعـــداء كـــالحُمَمِ

رهُبـــانُ ليـــل ، ففـــي المحـــراب أدمعُهـــم وفـــي النهـــار كمثـــل القاصـــل العَـــرِم

تعلـــم الصـــحبُ مـــن أخـــلاق أســـوتهم تقـــوى الإلـــه وطيـــبَ القـــول والشِّـــيَم

لا يســـتوي مَـــن رســـولُ الله أســـوتُهُ ومَـــن لـــه أســـوة فـــي الـــدود والحَلَـــم!

أقـــام صـــرحَ التَّقـــى المختـــارُ قـــدوتُنا وأنقـــذ النـــاسَ مِـــن مســـتنقع الإزَم

واليـــومَ غابـــتْ عـــن الأقـــوام دولتُـــهُ مـــن الوجـــود ، فحلـــتْ لعنـــةَ الـــنَّقَم

كـــذاك غابـــتْ عـــن الآفـــاق شِـــرْعتُه فاســـتفحل الشـــرُ فـــي تـــدميره العَمَـــم

وعـــاث فـــي الأرض جبـــارٌ ومجتـــريءٌ وزال مَـــن كـــان يرعـــى بَيْضَـــةَ الحُـــرَم

دمُ الحنيفـــة فـــي الأرحـــاب مُنســـكبٌ وصَـــبّ جـــامَ المنايـــا خـــائنو الـــذِّمَم

تجنـــدل الحـــقُّ فـــي الأشـــلاء منتحـــراً يبكـــي علـــى أهلـــه بالوصـــفِ والكَلِـــم

أهـــلُ الصـــليب علـــى أفـــراحهم ســـهروا وفِرقـــةَ الحـــق ماتـــت فـــي دُجـــى الظَّلَـــم

وأصـــبح الحـــق فـــي القرطـــاس مُنطرحـــاً علـــى الرفـــوف ، كمثـــل الصـــخر والأكَـــم

وجـــاهرَ القـــومُ بالتضـــليل خـــالقَهم يحيـــا الجميـــعُ علـــى الإفـــلاس فـــي نَهَـــم

فـــلا فضـــيلةَ فـــي أجـــوائهم ظهـــرتْ ... ولا عفـــافَ ســـوى التـــدجيلِ فـــي الـــنّظَم

ولا حيـــــاءَ ، ولا طَهـــــرًا يُتـــــوّجهم ... كـــلا ، وعـــيشُ البرايـــا داكـــنُ السُّـــدُم

ومَـــن يُـــذكرُ بـــالرحمن مُضـــطهَدٌ ... ومَـــن يُعربـــدُ بـــين الخلـــق كـــالعلَم

ومَـــن يقـــولُ (كفـــى) تلقـــاه منتحـــراً ... بمِشـــفر المفتـــري ، ثـــم الرقيـــبُ عَمِـــي

وغَيِّـــبَ الهَـــديُ فـــي القرطـــاس مبتئســـاً ... كـــــالبحر أطّ بـــــأمواج لـــــه بُهُـــــم

ومنتهـــى الجِـــدِّ رايـــاتٌ لـــه رُفعـــتْ ... لا يعبـــــأ اللهُ بالأشـــــكالِ والسِّـــــيَم

إن ادعـــاءَ الهُـــدىَ أمـــرٌ لـــه ثمـــنٌ ... ومَـــن أحـــب جنـــانَ الله لـــم يَـــنَمِ

تســـاقطَ العِلـــمُ فـــي الـــدينار مكتفيـــاً ... وبِيـــعَ للمشـــتهي ، كالشـــاء والـــنّعَم

قـــد اشـــتراه الهـــوى مِـــن أهلـــه ، فرضُـــوا ... وطَـــوِّع العلـــمُ ، مثـــل العبـــدِ والخـــدم

تُعِلّـــمَ العلـــمُ للـــدنيا ، فصـــار لهـــا ... مَطيـــةَ رُكبَـــتْ ، كالنعـــل فـــي القَـــدَم

ويـــحَ الـــدُّعاةِ ، ففـــي تطـــويعهم رتعـــوا ... لا تحســـبوه لكـــم شـــيئاً مِـــنَ اللّمَـــم

وتُقْـــرأ الآي فـــي فحـــوى مُناســـبةٍ ... كأنمـــا تُلِيَـــتْ فـــي جَوْقـــةِ العَجَـــم

لا يفهـــم القـــومُ إلا مـــا يُمَـــتِّعُهم ... علـــى البُطـــون تـــراهم واســـعي الكَـــرَم

عـــنِ الكتـــاب أيـــادِ القـــوم قـــد حُسِـــرتْ ... فـــلا تعلّـــمَ ، لكـــنْ عيشـــةَ الغَـــنَم

كـــم غافـــلٍ ضـــلّ عـــن هَـــدي يُزيِّنُـــهُ ... يـــرى الفلـــوسَ ، كمثـــل المَنهْـــلِ الشَّـــبِمِ!

ثـــم النســـاء ، فحـــدّثْ ثـــم لا حـــرجٌ ... تبـــرجٌ ، وســـفورٌ ، دونمـــا نـــدم

أنّـــى اتجهـــتَ تـــرى عُريـــاً يمـــوجُ هَـــوىً ... والعطـــرُ منتشـــرٌ فـــي عـــالم النّسَـــم

ذاتُ الحجـــاب (علـــى الموضـــات) حِشـــمتُها ... بـــالأمس عِفتهـــا فـــي ذِروة القِمَـــم

واليـــوم يعبـــثُ فـــي تفكيرهـــا حُمُـــرٌ ... رهـــن المســـير علـــى الأريـــاحِ والـــدِّيَم

تُطِيـــع مَـــن كفـــروا ، كأنهـــا أمَـــةٌ ... وإن بـــدا الحـــق تشـــكو وطـــأةَ الصَّـــمَم

يُزخرفـــون لهـــا هـــزلاً تتـــوق لـــه ... كـــذاك قـــد دفعـــوا بالسُّـــم فـــي الدَّسَـــم

تعـــدّد الزيـــفُ ، والتوحيـــدُ مـــا حقـــه ... يومـــاً ستســـحقه إرهاصـــة القُحَـــم

ثـــم الشـــبابُ لـــه الأكفـــانُ قـــد نُسِـــجَتْ ... يغشـــى الكبـــائرَ ، يحيـــا فـــي لَظَـــى الجُـــرُم

مَـــن كـــان ينشـــر وحْـــيَ الله مجتهـــداً ... علـــى الأنـــام ، ويُزكِـــي نفحـــةَ الـــرُحَم

اليـــوم جـــاثٍ علـــى أعتـــاب غانيـــةٍ ... يـــؤزّه العِشـــقُ للغـــاداتِ فـــي ضَـــرَمِ

حتـــى المناســـكُ ، هـــذا الجيـــلُ ضـــيَّعَها ... كأنمـــا جيلنـــا فـــي رقـــدة الـــرَجَم

فـــلا صـــلاةٌ ، ولا ذكـــرٌ ، ولا خُلُـــقٌ ... واليـــومَ صـــامَ الـــورى ، والجيـــلُ لـــم يَصُـــم

تغيَّـــرَ الحـــالُ ، أمســـى الليـــثُ ضـــفدعة ... وأمَّـــةَ الحـــق غاصـــتْ فـــي دُجـــى السَّـــأم

وعنـــدها الحـــقُ ، لكـــن لا يطيـــبُ لهـــا ... ترمـــي الـــدواء ، وتشـــكو ثقلـــة السَّـــقَمِ

أرضٌ تضِـــيعُ ، وأركـــانٌ مُضـــيعة ... والـــذل عـــمَّ ، وضـــاعتْ نخـــوة الشَّـــمَم

يـــا أمـــةَ صُـــبغتْ بالضـــنك هيبتُهـــا ... إذ أوغلـــتْ ســـيرَها فـــي كُـــدرةِ الغَمَـــم

تبختـــرَ الجَـــورُ فـــي أرجائهـــا فرحـــاً ... ليقمـــعَ العـــدلَ بالتســـفيه والـــوَغَم

وينطـــقُ الزيـــفُ فـــي الأرحـــاب دون حيـــا ... وعُصـــبةَ الحـــق قاســـت شـــدة الـــبَكَم

طـــال الرقـــادُ ، ووحـــيُ الله موقظَنـــا ... والفجـــرُ آتٍ يُجَلّـــي دلْجَـــةَ السَّـــخَم

وصـــل ربِّ علـــى المختـــارِ أســـوتِنا ... والتـــابعين مِـــنَ الأعـــرابِ والعَجَـــم

"بعض معانى الكلمات غير المطروقة فى زماننا"

الأحبار والنهم: جمع نُهام هو الراهب في الدير. الرنم: أي الترنم. الإزم: أي الأزمات. أزواجه العُصُم: الكريمات المعصومات والواحدة عصماء. دعم: دعائم. أمواجه البهم: أي الأمواج السود. الجُعلان والحَلم: جمع حلمة وهي دويبة تأكل الجلد. المنهج اللقم: أي المستقيم الذي لا اعوجاج فيه. السخم: السواد. الوغم: الحقد. الوابل الرذم: أي المطر الثجاج المنصبّ بكثرة كاثرة. الشمم: الإباء. الرجم: القبر. الرحم: جمع رحمة. العرم: الشدة. مجترم: أي مجرم. القحم: جمع قحمة وهي الأمر الشاق العسير. الشبم: البارد. الجرم: جمع جُرم. الوهَم: أي الوهْم. غمم: جمع غمام. معتلم: أي ذو معالم وإشارات.

خماسية المجد

(لا شك أن قناة المجد الفضائية تعتبر واحة ظليلة في هجير الإعلام اللافح ، وتعد معقلاً للقيم والأخلاق والمعايير السليمة النقية فى زمان جُل أهلة مجافون للقيم والمباديء. وعندما توسعتْ بقنواتها الأخري: العلمية والأطفال والإخبارية والغادة الجميلة قناة المجد للقرآن الكريم ، أصبحت بذلك السبق الإعلامي العظيم درة ثمينة في عالم الإعلام والثقافة. إنني في هذه القصيدة أعبر عن مدى حبي وإعجابي بالقناة ، وأدعو للقائمين عليها بالنجاح تلو النجاح ، وبالتوفيق تلو التوفيق ، وأن يجعل الله هذا كله في موازين أعمالهم يوم أن يَلقَوْه. وكنتُ قد جعلتها في صورة خماسيات لتمتع القاريء أكثر. وإن كنتُ قد ابتعدت عن التنويع في القافية الشعرية بهذا النمط الخماسي ، إلا أنني اليوم أوثرهُ حباً في المجد. وإنني لأدافع عن قناة المجد لأبطل الشائعات المغرضة عنها! في مقالة له بعنوان: (الإنترنت وترويج الشائعات) يقول الأستاذ عبد الكريم الكاتب ما نصه: (إن المسلم منهي عن ترويج الأخبار الدنيوية فضلا عن الدينية دون تثبت ، ومن ينظر نظرة ثاقبة في سر نهي الإسلام عن ترويج الإشاعات يجد الكثير من الأسباب ، فقد تروّج شائعة تتسبب في قتل نفس ، أو إفساد في الأرض ، أو إقامة بدعة لا أصل لها أو هدم سنة ثابتة في الشرع ، أو صرف المسلمين عن قضية من قضاياهم المصيرية. وقد يكون مصدر الإشاعة غير المسلمين وكتبت بما يوحي الحرص على الإسلام ، فينخدع بها المسلمون ليكونوا جنودا في ترويجها. وكم قرأنا في التاريخ عما يسمي بالحرب الإعلامية النفسية ، وكيف تستخدم فيها خبرات خاصة لترويج الشائعات وبث الذعر والخوف في نفوس العدو. والشائعة شائعة ، فلن تجد مصدراً موثوقاً توعز إليه يمكن بطريقة مباشرة التثبت منه ، فما أسهل أن يضع مروّج الإشاعة في نهاية الحديث: رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والترمذي بل وحتى الدارقطني! والحديث ليس إلا اختراع كتبه كاذب ، ونقله مروّج وقع ضحية لحسن نواياه. بل وقد يقوم مروّج الإشاعة بوضع أسماء وشخصيات وهمية لتأكيد صحة الأخبار التي يذكرها ، فيقتنع بها القارئ ليقوم بنشرها دون التثبت من وجود هذه الأسماء في كرتنا الأرضية. فالخبر الموثوق هو الذي يحوي مصدراً واضحاً وصريحاً يمكن الرجوع).هـ. والآن لنطالع معا قصيدتنا الموسومة بخماسية المجد!)

يـــا قنـــاة المجـــد: يـــا أزكـــى معـــينْ ... يـــا مِهـــاد العـــز والنصـــر المبـــينْ

متعـــةَ الإعـــلام والتقـــوى معـــاً ... ملتقـــى الأخـــلاق والفكـــر الرَّصـــين

مهـــبطَ الخيـــر عظيمـــاً هادفـــاً ... ينشـــر النـــور ، ويهَـــدي الحـــائرين

واحـــةَ الإبـــلاغ عـــن رب الســـما ... فـــي هجيـــر الزيـــف والحقـــد الـــدفين

مصـــدرُ الصـــدق إذا مـــا أخبـــرتْ ... ومنـــارُ العلـــم والبـــثِّ الـــرزين

لقّنـــي النـــاسَ المعـــالي والمُثَـــلْ وازرعـــي فـــي الـــدرب أشـــجارَ الأمـــلْ

أنـــت للخلـــق بـــديلٌ طيـــبٌ فـــانثري الخيـــر علـــى شـــتى السُّـــبُل

اضـــربي للبـــر أحلـــى مثـــلٍ فـــي زمـــان قـــد مضـــى فيـــه المَثـــل

لا تُبـــالي بالـــذي يهـــوى الـــدجى لا يُضـــير الصِّـــيدَ مـــا يـــأتي السَّـــفَل

أخلصِـــي لله ، وارجـــي أجـــره إن رب النـــاس يَجـــزي مَـــن عَمِـــل

يـــا قنـــاة المجـــد يـــا ذُخـــر الـــورى قـــي قطيـــع سُـــربلت فيـــه العُـــرى

ضـــاقت الـــدنيا بقـــوم عربـــدوا وبأجيـــال تعـــود القَهقـــرى

فـــاجعلي القـــرآن فـــي أســـماعهم واعظـــاً يَهـــدي الســـبيل الخيّـــرا

ثـــم يمحـــو ظلمـــات أضـــللت ثـــم يُهـــدي الخلـــقَ صُـــبحاً مُسْـــفِرا

وأمُـــري بـــالمعروف والتقـــوى معـــاً وأبيـــدي بالرشـــاد المُنكـــرا

يـــا قنـــاةَ المجـــد مـــدى المائـــدة ربمـــا آنســـت منهـــا فائـــدةْ

فانهضـــي بـــالعلم ذري نـــوره ينفـــع العلـــمُ النفـــوسَ الشـــاردة

واجعلـــى العلـــم طريقـــاً للعـــلا يرفـــع العلـــم النوايـــا الراكـــدة

عصـــرُنا يـــا (مجـــد) بـــالعلم اعتلـــى صَـــهوةَ الجهـــل ، فكـــوني شـــاهدة

ولـــذا يـــا (مجـــد) أعلـــي شـــأنه فـــي نفـــوس عـــن هُـــداهُ حائـــدة

يـــا قنـــاةَ المجـــد يـــا مـــأوى الولـــدْ مـــن جحـــيم بنُهـــى الطفـــل اســـتبدْ

أنـــت للأطفـــال حصـــن آمـــنٌ مـــن متاهـــات نـــأى عنهـــا الرَّشَـــد

إيـــه يـــا (مجـــدُ) فغـــذي طفلنـــا بيواقيـــت تُزكِّـــي مَـــن قَصـــد

لا تُبـــالى بالأباطيـــل انتشـــتْ إن ربّ النـــاس مُخـــزٍ مَـــن جَحـــد

أنـــتِ يـــا (مجـــد) غِيـــاثٌ نـــافعٌ ســـوف يبقـــى ، والـــذي يمضـــي الزَّبَـــد

أكرموا ضيفكم

(تخيلتُ العيد ضيفاً طرق الأبواب ، واستأذن بالدخول ، والقوم نيام عن صلاته ونسكه وفرحته ، فأخذ يلومهم ويذكرهم. وكأني به يستجدي كرم ضيافته منهم ، فرحتُ أطلب إكرامه! والعيد من خير الضيوف لأنه يأتي في مناسبة سعيدة وبعد عبادة عظيمة ، إما الصيام فعيد الفطر السعيد ، وإما الحج فعيد الأضحى المجيد. وإنه للعيب كل العيب أن يحل ضيف بدار قوم ثم لا يكرمونه ولا يرحبون به!)

ألا إنـــي أتيـــتُ ، فـــأكرموني ... وفـــوق رؤوســـكم فلتحملـــوني

أنـــا العيـــدُ الـــذي يهـــدي سَـــناهُ ... نفوســـاً تهتـــدي بهُـــدى الأمـــين

وأحمـــل بهجتـــي لمَـــن احتـــواني ... مُعطـــرة ببارقـــة الحنـــين

ترانيمـــي تُجمّـــل كـــل بيـــتٍ ... وفـــي الأنغـــام زهـــرُ الياســـمين

أهـــازيجي مزخرفـــة الســـجايا ... بباقـــاتٍ مـــن الشـــعر الرصـــين

يواقيـــتُ الســـعادة فـــيَّ فاضـــتْ ... علـــى الأصـــقاع بـــالنور المبـــين

أهنـــيء مســـلمي الـــدنيا بـــذكرى ... خليـــل الله فـــي البلـــد الأمـــين

لقـــد هَـــمَّ الخليـــلُ بـــذبح إبـــن ... وتـــل الإبـــن صـــدقاً للجبـــين

فنـــودي: قـــد صَـــدَقْت ، وذا فـــداءٌ ... ســـيُفدى الابـــنُ بالـــذبح السَّـــمين

ألا قومُـــوا ، فصـــلوا ، ثـــم ضـــحُوا ... وأحيـــوني بفـــرح مســـتبين

شُـــرِعْتُ لتفرحـــوا بـــين البرايـــا ... وكـــي تتفكـــروا لـــو بعـــد حـــين

ألا أرحـــامُكم أولـــى بوصـــل ... لمـــاذا الهجـــرُ؟ يـــا نـــاسُ افهمـــوني

ألا واســـتمتعوا بالعيـــد دومـــاً ... ولكـــنْ وفـــق مـــا يُمليـــه دينـــي

وإكـــرامُ الضـــيوف بمـــا أحبـــوا ... ومـــا الإكـــرام بـــالمرح المشـــين!

ألا بلّغـــتُ ، والمـــولى شـــهيدٌ ... فصـــونوا النصـــح فـــي مُقَـــلِ العيـــون

تقبل الله يا عمارة

(عندما كتب أستاذنا الجليل / عمارة محمد عمارة تحت عنوان (أسماء الله الحسنى) كُتيبه الرائع ، الذي صاغه نثراً من أقوال المفسرين ، وشعراً من قصائد الشعراء. وبقي له من الاجتهاد الشرح وإيراد التفسير اللغوي قبل الخوض في رؤى ودهاليز التفسير الاصطلاحي. ولقد حاولت جاهداً أن أكتب من الشعر ما يغطى أسماء الله – عز وجل – ولكني عجزتُ لحكمة الله يعلمها . أقول لعمارة: ربح البيعُ ، وتقبل الله منا نياتنا وإن لم نكتب ، وتقبل منك وقد كتبت. وما من أحد المدحة أحب إليه من الله ، كما أخبر النبي – عليه السلام. والحقيقة أن المدائح النبوية كثيرة للغاية في القديم والحديث! ولكن المدائح الإلهية الربانية قليلة في القديم والحديث. فاعتبرتُ سفر الأستاذ عمارة في المدائح الإلهية نثراً وشعراً سبقاً عظيماً وجهداً مشكوراً وسعياً مباركاً!)

(عمـــارةَ) الخيـــر ســـجِّل أطيـــبَ الحِكَـــمِ ... وامـــدحْ مليـــك الـــورى الجَليـــلَ ذا الـــنعمِ

واكتـــبْ بكفـــك مـــا ترجـــو مثوبتـــه ... وصُـــغ بلفـــظٍ علـــيِّ القَـــدْر مُحتـــرم

إن المليـــك يحـــب المـــدح يبذلـــه ... عبـــدٌ يعـــيش لنصـــر الحـــق والقـــيم

يُثيـــب ربـــك مَـــن أمســـى يُـــوقّره ... ويَمـــزج المـــدح بـــالترجيع والـــنّغم

يُســـبِّح الله فـــي ســـر وفـــي علـــن ... وبعـــدُ يَسْـــطَر مـــا أســـداه بـــالقلم

طَـــوْراً يســـبّح بـــالعيون خالقـــه ... بـــدمع مـــدّكر فـــي التـــو منســـجم

وتـــارة يُرســـل التعظـــيم فـــي وجـــل ... بخـــاطر فـــى الـــدياجي غيـــرِ مُنـــبهِم

يوحّـــد الله ، يرجـــو منـــه مغفـــرة ... إن المليـــك لـــذو عفـــو وذو كـــرم

جَـــلّ المليـــك ، فهـــذا الكـــون صـــنعتُه ... ومَـــن ســـواه بـــرا الأشـــياء مـــن عـــدم؟

هـــذي الســـماء علـــتْ بـــدون أعمـــدةٍ ... محبوكـــة خلقـــتْ فـــي قمـــة العِظَـــم

قـــد زينـــتْ شـــكلَها كواكـــبٌ ســـطعتْ ... وإن طغـــى الليـــلُ هبّـــت سَـــوْرةُ الـــنّجُم

والســـحْب هـــذي خلـــتْ ممـــا يُثقّلُهـــا ... وتلـــك جـــادت بســـيل الوابـــل الـــرَّذِم

والشـــمس تُرســـل للـــدنيا أشـــعتها ... لكـــي تُبـــدد مـــا فيهـــا مـــن الظَلَـــمِ

وتبعـــث الـــدفءَ غضّـــاً ممتعـــاً وســـطاً ... لا كالصـــــقيع ، ولا كلفحـــــة الحُمَـــــم

والبـــدرُ فـــي الليـــل مختـــالٌ بروعتـــه ... ولـــيس كالبـــدر فـــي وصـــفٍ ولا سِـــيَم

آيـــاتُ ربـــك فـــي الســـماء بـــارزةٌ ... لكـــن عـــديم النهـــى عـــن رصـــدهن عمـــي

كـــذاك فـــي الأرض آيـــاتٌ لهـــا ألـــقٌ ... تُعظَـــــم الله ذا الأفضـــــال والـــــنعم

هـــذي الجبـــالُ بأبعـــادٍ لهـــا شـــمختْ ... تثبّـــــتُ الأرض ، كالأوتـــــاد والـــــدِّعَم

والأبحـــرُ الشُّـــمُّ فـــي الأصـــقاع مُشـــرعة ... حَـــوَتْ مِـــن المـــاء والحيتـــان والـــبَلَم

والـــزرعُ فـــي الأرض وَســـنانٌ يُزخرفهـــا ... إمـــا نظـــرتَ مضـــى مـــا فيـــك مِـــن ســـأم

وإن طعِمـــتَ فـــلا جـــوعٌ ولا سَـــغبٌ ... صـــنع المليـــك فهـــل لـــذا الإلـــه سَـــمي؟

والنهـــرُ فـــي الأرض يـــروي مَـــن يلـــوذ بـــه ... فراتـــه طـــاب مثـــلَ المَـــوردِ الشَّـــبِم

والطيـــرُ فـــي كبـــد الســـماء صـــادحةً ... أضـــحت تـــؤوّب بالأنعـــام والـــرّنم

تبـــارك الله كـــل الخلـــق صـــنعتُه ... وخـــصّ أهـــل التقـــى بـــالنور والسَّـــلَم

فيـــا عمـــارةَ أســـماءُ المليـــك لمـــن ... يَريـــدُ مدحتـــه مـــن خيـــر مُغتـــنَم

تزيـــدُ عـــن مائـــة لمَـــن يُعـــددّها ... ومَـــنَ تناولهـــا بـــالمنهج الّلقِـــم

تقبّـــل الله مـــا أثنيـــتَ محتســـبًا ... علـــى مليـــك الـــورى – يـــا صـــاحِ - كُلَّهِـــم

نصيحة للمتوسل بالقبور

(الميت لا حول له ولا طول. فلماذا التوسل به ودعاؤه؟ ضلت أقوامٌ تتوسل بالموتى من أصحاب القبور ، زاعمين أنهم يمكن أن ينفعوهم أو يضروهم. وإنما الذي يُدعى ويلجأ إليه ويستغاث به هو الله رب العالمين. وأنا في هذه القصيدة أنصح للمتوسلين بالقبور لأنهم على خطر عظيم. ودعاء الأموات من الشرك الأكبر عند توافر الشروط وانتفاء الموانع! والحقيقة أن الميت هو الذي يحتاج إلى دعائنا له أصلاً. لأنه لا يملك لنفسه فضلاً عن أن يملك لغيره من الله شيئاً!)

لا يَملك الميِّتُ المقبورُ من ضررِ ... وليس يملك ظل النفع للبَشرِ

فيم اللجوءُ له؟ وقد غدا أثراً ... هل عاقلٌ يترك الأعيان للأثر؟

ثوى ، وجندله قبرٌ يُغربلهُ ... وصيّر الدود ذكراهُ إلى خبر

الميِّت اليومَ مُحتاجٌ لزائرهِ ... يدعو المليك له بالخير والظفر

إن التوسل بالأموات مَخبثةٌ ... ولا يقوم بها مَن كان ذا بصر

إنا نُشيِّع للقبور مَن هلكوا ... لكي نُعاين ما في الأمر من عِبَر

ونَردِمُ القبر بالتراب في جلدٍ ... وقد غفلنا عن الدروس والنّذر

والأمرُ أكبرُ من مَيْتٍ نشيّعهُ ... أو جثةٍ ألقيتْ في غائر الحُفر

زيارة القبر تُزكي الاعتبار به ... عند الشدائد أو في لَجة الغِيَر

هذا هو الشركُ ، فاحذرْ مِن عَواقبه ... فالشركُ يُحبط ما عمِلتَ ، فاذّكر

أدع المهيمن في سر ، وفي علن ... سبحان ربك من حيٍّ ومقتدر

الحي تتركه لميتٍ أكلتُ ... جثمانه الأرضُ؟ يا للمبطل الأشر!

أتترك القادر الوهاب ملتجئاً ... لعاجز ما له شئ من القُدَر؟

إني نصحتُ ، ورب الناس يأجرني! ... لن يذهب العُرف بين الله والبشر

إذا انتفعتَ بما نصحتُ يأجرُني ... أو قد رددتَ فما عليَّ مِن خطر

تحية للدكتور الصلابي

(الدكتور / على بن محمد الصلابي ، عَلَمٌ مُوحِّد معروف. (لا نزكّيه على الله) ، نبغ في التاريخ الإسلامي. فما إن طالعتُ بعض كتاباته في التاريخ ، حتى أدركت مكانة الرجل العلمية فرُحتُ أسطر له هذه التحية الشعرية عِرفاناً بجميله. وإنني لأنصح من قلبي كل من يريد أن يصل إلى الحق في مسائل التاريخ أن يطالع معي كتابات الدكتور الصلابي. ذلك أنها لا تقوم على مجرد سرد الوقائع التاريخية فحسب ، بل تحللها تحليلاً دقيقاً لتعم الفائدة. وإن كنت أنسى فلا أنسى إنصاف الدكتور الصلابي للمظلومين عبر التاريخ مثل سلاطين آل عثمان وعلى رأسهم السلطان سليمان القانوني ومحمد الفاتح – رحم الله الجميع - ، وهارون الرشيد وغيرهم الكثير. إن الصلابي بحق أعجوبة زمانه ، إذ يعيد لنا أمجاد الذهبي والجبرتي وابن خلكان والطبري – رحم الله الجميع. ومن هنا كان تحية الصلابي - شعراً - واجباً على كل شاعر مسلم مؤمن موحد!)

رصـــيدُكَ فـــي العِلـــم فـــاق الخيـــالْ ... وتحليلُـــك الفـــذ أغـــرى الجمـــالْ

تُجَلِّـــي الحقـــائقَ فـــي دقـــةٍ ... وتُـــدركُ كيـــف تصـــوغَ المقـــال

تصـــانيفَك الناشـــراتُ الهُـــدى ... تســامتْ عــن الوصــف فــي الاكتمــال

وأســـفارُك الـــذائعاتُ الصـــدى ... تَســامتْ ، فلـــيس لهـــا مِـــن مثـــال

جَمعـــتَ لهـــا كـــل مـــا نشـــتهي ... إلـــى أن سَـــمَتْ فـــي ســـماء الخيـــال

فحُسْـــنُ الطباعـــة يُغـــري النّهـــى ... ويَقشـــع فـــي التـــو أدنـــى مَـــلال

وعِلمُـــك فيهـــا دقيـــقُ الصُّـــوى ... ولـــيس يُخالطَـــه الابتـــذال

ألا إن تاريخنـــا قـــد حـــوى ... وقـــائعَ دارَ عليهـــا الجـــدال

وفيـــه الشقاشِـــقُ كـــم خطّهـــا ... بـــدون التثبُـــت بعـــضُ الرجـــال!

فغربـــلْ (علـــيّ) ، وأخـــرجْ لنـــا ... حقـــائقَ تَصـــرعُ هـــذا الوبـــال

نـــراك مُـــؤرِّخَ صـــحوتنا ... ونـــدعو المليـــكَ بكـــل ابتهـــال

بـــأن تبلُـــغَ اليـــوم فينـــا الـــذرى ... ويحفظَـــك القـــادرُ المُتعـــال

لتنصـــرَ فـــي الأرض ديـــن الهُـــدى ... وتـــدفعَ عنـــه قَـــوى الانحـــلال

رويداً أيها المرتزقة!

(الدعاة إلى الله قسمان: قسم أراد بدعوته وجه الله ، فهو يرجو من الله رحمته وثوابه. لذلك بيّن الحق ولم يخف في الله لومة لائم ، ويخاف نقمته وعذابه فبلّغ الهُدى كما هو ولم ينقص منه شيئا ، وأحب الله – عز وجل – فهانت عليه نفسه وما يملك في الله تعالى. فكما أنه يعبد الله بالحب والخوف والرجاء ، فهذا وإن أخذ على دعوته المال في الدنيا فلا يُحرَم المثوبة يوم القيامة. ولن يقال له (دعوتَ ليُقال داعية وقد قيل) ، وذلك لعموم قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (خيرُ ما أخذتم عليه أجر كتاب الله). وكلمة أجر هنا للعموم. وقسم من الدعاة هم المرتزقة الذين يريدون الدنيا وملذاتها بعوتهم. والذي يشاهدهم في الفضائيات يظنهم صحابة زهاد وهم يأكلون بـ (لا إله إلا الله)! إذ إنهم عندما يتعاملون مع الناس أعني (أصحاب دور النشر والتسجيلات والتوزيع ومن على شاكلتهم) فهم الضواري والأوابد ، حيث الجشع الذي يصل إلى الملايين. والمحاكم مترعة بقضاياهم. وكنتُ أتمزق منذ سنوات إلى أن أتت قشة فقصمتْ ظهر البعير ، كانت السبب المباشر في كتابة هذه القصيدة! أن يتقرب أحدهم إلى الله في أول عشر ذي الحجه بإغلاق تسجيلات هي رافد من روافد الإسلام. طالباً ثلاثة ملايين من الدراهم لشرائط له لم تبلغ الخمس في المواعظ والرقائق التي كفانا ابن تيمية وابن حزم والقرطبي والطبري والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داوود وابن القيم والنووي وابن عبد ربه وابن الجوزى والمودودي وصاحب الظلال الوارفة ، وغيرهم من علماء المسلمين في الغابر والحاضر ، أن نطالع أو نستمع لسواهم فيها. في جواب عن سؤال هو: (من هم العلماء؟) يقول الأستاذ عبد السلام البرجس ما نصه: (إنّ من يستحق أن يطلق عليه لفظ العالم في هذا الزمن - وأقولها بكل صراحة - قليل جداً ، ولا نبالغ إن قلنا نادر ، وذلك أنّ للعالم صفات قد لا ينطبق كثيرٌ منها على أكثر من ينتسب إلى العلم اليوم. فليس العالم من كان فصيحاً بليغاً ، بليغاً في خطبه ، بليغاً في محاضراته ، ونحو ذلك ، وليس العالم من ألف كتاباً ، أو نشر مؤلفاً ، أو حقق مخطوطة أو أخرجها ؛ لأن وزْن العالم بهذه الأمور فحسب هو المترسب وللأسف في كثير من أذهان العامة ، وبذلك انخدع العامة بالكثير من الفصحاء والكتاب غير العلماء فأصبحوا محل إعجابهم ، فتري العامّي إذا سمع المتعالم من هؤلاء يُجيش بتعالمه الكذّاب يضرب بيمينه على شماله تعجباً من علمه وطَرَبَه ، بينما العالمون يضربون بأيمانهم على شمائلهم حُزناً وأسفاً لانفتاح قبح الفتنة. فالعالم حقاً من تَوَلَّعَ بالعلم الشرعي ، وألَمَّ بمجمل أحكام الكتاب والسنة ، عارفاً بالناسخ والمنسوخ ، بالمطلق والمقيد ، بالمجمل والمفسر ، واطلع أيضاً على أقاويل السلف فيما أجمعوا عليه واختلفوا فيه ، فقد عقد ابن عبد البر رحمه الله تعالى في "جامع بيان العلم وفضله" باباً فيمن يستحق أن يسمى فقيهاً أو عالماً! ولا ريب أن تحصيلهم لهذه الأحكام الشرعية قد استغرق وقتاً طويلاً ، واستفرغ جهداً كبيراً ، وأضافوا إلى ذلك أيضاً عدم الانقطاع عن التعلم ، وقد ورد في بعض الآثار أن موسى سأل ربه أي عبادك أعلم؟ قال: الذي لا يشبع من العلم. فمن كان هذا حاله فهو العالم الذي يستحق هذا اللفظ الجليل ، إذْ هو المبلغ لشرع الله تعالى ، المُوَقِّع عنه سبحانه وتعالى ، القائم لله تعالى بالحجة على خلقه ولو قَلَّ كلامه ونَدُر ، أو عُدِم تأليفه).هـ.)

رويـــــدكَ يـــــا أيهـــــا المرتـــــزقْ ونحـــــو المهالـــــك لا تســـــتبقْ

سـيقتلك المـالُ ، يـا مُفتـرٍ ... ويومـاً بمـا تنتـوي تحتـرق

تَقَـوّتْ بـإبلاغ هـدي السـما ... ولكـن بـلا جشـع أو مَلَـق

وداعـي المليـك عفيـفُ المُنـى ... وعمـن عـلا فـي الـدنا يفتـرق

يريـد بدعوتـه جنـة ... يجـود بهـا اللهُ ربُ الفلـق

لـه أسـوة الخيـر فـي المصـطفى ... وبـالوحي بـين الـورى ينطلـق

فلـم يخـش مـن لائـم لومـة ... لـذاك قـلاهُ الأسـى والأرق

ويجعـل مـا قالـه هِبَـة ... لأن الرضـا بالقضـا يـأتلق

وإن كـان ينشـدُ مـالاً لـهُ ... فلـيس سـوى مـا يسُـد الرمـق

وداع الـدراهم فـي شـقوةٍ ... لأن الفـؤاد بهـا قـد غـرق

ويخـدعُ بـالعَبَراتِ الـورى ... ويسـعى فقيـراً بثـوب خلـق

ويصـطنع الزهـدَ كـى يشـفقوا ... وقـوْسُ التزلـف لا تنشـرق

يتـاجر فـي الـدين مسـتكلباً ... لقـاءَ الـدنانير بعـد الـورِق

ومـا هـزّهُ الـوعظ أو ردّهُ ... فأمسـى يلفـق أو يختلـق

يسـوق المعـاذير مسـتلئماً ... ويُزجـي الأضـاليل مـدّ الأفـق

ألا إننـي ناصـحٌ مخلـصٌ ... ونصـحي كمثـل الفـرات الغـدق

أفـقْ مِـنْ خـداعك ياغـافلاً ... فلـن تخـدع الـرب يـا مرتـزق

وخلـصْ نوايـاك مـن غيّهـا ... فكـم عانـت اليـوم أشـقى الرهـق!

وكـن مـن دعـاةٍ سـما شـأنهم ... بضـاعتهم ديـنهم والخلـق

ولا تـرجُ بالـدين دنيـا ، فـذا ... صـنيعُ الـذي فـي السـراب يثِـق

تصويب

(عندما يجعل شاعر صدر قصيدته إخضاع القدر للشعب تكون طامة كبرى! وطامة أكبر منها أن يردد الناس بجهل منهم: (إذا الشعب يوماً أراد الحيا ة فلا بد أن يستجيبَ القدرْ)! ومن ذا الذي يقهر القدر من البشر على أن يستجيب أو لا يستجيب؟ وقائل: (سخرية الأقدار) وقائل: (قدرٌ أحمق الخطا) وقائل: (لا حسلم بالمكتوب ، ولا حرضى أبات مغلوب!) ولكنني تأثرت أكثر بزلة الشابي أبي القاسم ، وأردت أن أصوّب له ما أراد. لأنها كارثة تحتاج إلى تقويم وتصويب. وذلك حتى يكون الشعب وإرادته والناس أجمعين خاضعين لقدر الله ومن هنا أصوب.)

(إذا الشعبُ يوماً أراد الحيا ... ة ، وآمن بالخالق المقتدرْ

وحقَ أسباب ما يشتهيـ ... ـهِ ، وسَلّم طوعاً لأمر القدر

سيُدرك في ذي الدنا المبتغي ... وبين الأنام سيقضي الوطر

ويُصبح قدوة كل الورى ... وكل الشعوب به تفتخر

ويهزم بالدين أعداءه ... وإما قلى الدينَ لا ينتصر

وكل القيود سيكسرها ... ويحيا يؤازر خير البشر

إلا إنها سُننٌ رتبتْ ... فهل من بصير بها يَعتبر؟

سيُدركها مَن تأملها ... وأرجعَ فيما حوته النظر

ولا لن يرى من فطور بها ... سينقلب البصرُ المنحسر

جرت سُنة الله في خلقهِ ... ودربُ الحياة بها مستمر

فمن جدّ في العيش نال المُنى ... ومَن لم يجدّ إذن يندثر

وليس القضاءُ لنا خاضعاً ... وهل مسلمٌ من تحدّى القدر؟

وما خطه الله يوماً لنا ... سندركه في زوايا العُمُر

وما لم يَخط فليس لنا! ... أليس لنا الآن من مزدجر؟

في موكب الحجيج

(الحج فيه نفحاتٌ لا يدركها إلا من عاشها لله وفيه ومعه. وموكب الحجيج يبعث في النفس الطمأنينة والهدوء! والحجيجُ الذين أعني هم المؤمنون الموحدون ، الذين حجُهم جزء من شعائر دينهم ، وليس الحج هو الفريضة الوحيدة التي يقيمونها من شعائر الإسلام!)

الحجـــيجُ لبّـــوا نـــدا الخـــلاق ... بارتيـــاح يُزْكـــي ســـنا الأشـــواقِ

جهـــروا بالتوحيـــد فـــي كـــل وادٍ ... أعلونهـــا – صـــدقاً – مـــن الأعمـــاق

فـــي (منـــىً) لبـــوا ، ثـــم نـــالوا فـــرادى ... واستســـاغوا شـــريعة الـــرزاق

فرشـــوا الأرض فـــي انكســـار وتقـــوى! ... واللحـــافُ مـــن عـــاطر الآفـــاق

ثـــم فـــي يـــوم النحـــر عقـــوا الأضـــاحي ... كـــي يكـــون مـــع الخليـــل التلاقـــي

ثـــم رمـــيُ الجمـــار دون مَـــلالٍ ... وطـــوافٌ بالبيـــت فـــي إشـــفاق

(موكـــبٌ) مِـــن حقـــد النفـــوس مُعـــافىً ... لـــيس فيـــهِ ســـوآى علـــى الإطـــلاق

كلهـــم يســـعى للقبـــول ، ويخشـــى ... أن يبـــوء بخيبـــة الإخفـــاق

أخلصـــوا للـــرحمن كـــل النوايـــا ... فاســـتراحوا مـــن ســـيئ الأخـــلاق

مـــا اســـتبد كـــلٌ بـــرأي نشـــاذٍ ... فنجـــوْا مـــن مثالـــب الإرهـــاق

بـــذلوا فـــي الـــرحمن كـــل نفـــيس ... لـــم يخـــافوا مـــن وطـــأة الإنفـــاق

ثـــم عـــادوا ، ومـــا علـــيهم خطايـــا ... ليســـيروا علـــى خطـــى الميثـــاق

إن حَجّـــاً لله لـــيس كحـــج ... للتبـــاهي بصـــيته الرقـــراق

فتقبـــلْ يـــارب مـــن كـــل عبـــدٍ ... جعـــل الحـــج فـــي رضـــا الخـــلاق

ثـــم أصـــلحْ نيـــاتِ مَـــن قـــد تبـــاهوْا! ... راحلـــون ، وأنـــتَ أنـــتَ البـــاقي

إن يموتـــوا يـــا رب فاصـــفحْ ، وســـامحْ ... وأجـــرْهم مـــن خـــزي يـــوم الـــتلاق

لماذا يُصِر بعضهم على السطو الفكري؟

(إن هذا العنوان لهذه القصيدة أضعه كما وجدته. وذلك في مجلة (منار الإسلام) في عددها رقم37. لمؤلفه الأستاذ الفاضل/ محمد محمد صالح عوض – حفظه الله – يتحدث فيها عن قراصنة الفكر وغاصبي الكلمة والساطين على الإرث الأدبي والموروث العلمي من جيل المفلسين والمرتزقة وما بين ناشر لقصائده بأكثر من عنوان في أكثر من مجلة مستغلاً صيته أو سمعته أو (حرف الدال الذي يسبق اسمه) أو ثقتهم فيه ، أو حلاوة الكلمة المنحولة وسباكتها ، والناس تخدع في الكثيرين من هؤلاء ولا شك ، وما بين سارق لفكرة غيره أو جزء من مقالته أو صفحات من كتابه ، وآخر ناحل ساطٍ على كتاب بأكمله فيلخص أفكاره وينسبها إلى نفسه ، ناسياً حق المؤلف أو متناسياً أننا نعيش في عصر المعلوماتية أو عصر تقنية المعلومات وتنقيحها وتنقيتها ورصدها. لقد عاد بي المقال إلى الوراء أيام كلية الآداب أيام جامعة المنصورة ، حيث درست هناك في الفترة (من 1981: 1985م) ، أيام كنت أضع القصيدة في لوحة الشرف عند مدخل الكلية ثم أقرأها في مجلات في مصر أو عربية تأتيها من خارجها تحت أسماء طلاب سرقوها. إن الكتابة أمانة ، وإن إيقاع المجلة أو الجريدة في حرج بسب ازدواجية النشر ومخالفة أخلاقيات النشر أصلاً لجريمة شنيعة يتولى كبرها أمام الله هؤلاء المرتزقة الناحلون ، الذين يسرقون أفكار وتراث غيرهم ليظهروا على حساب الآخرين من أهل العلم والأدب وصُناع الكلمة. إن الناس عندما يقرؤون هذا النقل المسروق أو تلك القصيدة المنحولة أو المنشورة في أكثر من مجلة أو دورية سيتهمون المجلة والقائمين عليها بالسطو ، ولن يتطرق إلى أذهانهم أن الناحل الحقيقي أو قل السارق الحقيقي هو صاحب المقال أو القصيدة. إنني أحيي من أعماق قلبي وأشكر من فؤادي الأستاذ/ محمد محمد صالح بن عوض وأدعو الله أن يوفقه لما يحب ويرضى ، ما نافح مجتهداً عن العلم والأدب والحق وأهله. وأطلب إليه أن يشرع في تأليف كتاب يحمل ذات العنوان يتتبع فيه الناحلين السارقين هؤلاء بكل حيدةٍ علميةٍ ، وإنني لأعلم مقدار الجهد الذي سوف يقوم به ، والأجرُ على قدر الجهد. والله الموفق. في كتاب (السرقة الشعرية عند ابن رشيق) وهو من إنجاز الدكتور محمد فتح الله مصباح ، يقول ما نصه: (من المعلوم أن منهج ابن رشيق في التأليف يعتمد على مبدأ الجمع والتصرف والانتقاء لأحسن ما قاله العلماء والنقاد في موضوع الأدب والنقد ، مع الحرص على الضبط والتحقيق والتقويم. وعليه عندما أراد تحديد أنواع السرقات عاد إلى الحاتمي في "حلية المحاضرة" ، وحاول أن يستفيد من مصطلحاته في الموضوع بوعي نقدي لا يخلو من تأمل ، يتجلى ذلك في قوله: "وقد أتى الحاتمي في "حلية المحاضرة" بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت: كالاصطراف والاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ، والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق ، وكلها قريب من قريب. وقد استعمل بعضها في مكان بعض". وبالتأمل في هذا النص نجد أن لابن رشيق موقفين تجاه مصطلحات / ألقاب الحاتمي: - * الموقف الأول سلبي يحكم على تلك المصطلحات بانتفاء المحصول والتقارب الدلالي واستعمال بعضها مكان بعض. ومعنى ذلك أن هذه المصطلحات غير دقيقة وغير قادرة على تحمل دلالات محددة ومميزة ، وبالتالي فهي لا تتوفر على الكفاية العلمية في وصف الظاهرة التي ترتبط بها. والأصل في الاصطلاح أن يستعمل "غالباً في العلم الذي تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال". - * الموقف الثاني إيجابي ، ينسخ الموقف الأول ، فيقرر ابن رشيق ذكر تلك المصطلحات على ما خيل فيما بعد. وهنا يصبح من الضروري

الوقوف عند معنى (خيل) حتى نفهم جيداً موقف ابن رشيق. جاء في لسان العرب : "خال الشيء يخال خيلاً وخيلة وخيلة وخالاً وخيلاً وخيلاناً ومخالة ومخيلة وخيلولة: ظنه ، وفي المثل من يسمع يخل أي يظن ، وخيل فيه الخير وتخيله: ظنه وتفرسه ، وخيل عليه شبه ، وفلان يمضي على المخيل أي على ما خيلت أي ما شبهت يعني على غرر من غير يقين ، وقد يأتي خلت بمعنى علمت". من خلال هذا النص يتبين أن فعل "خال" و"خيل" يأتي بمعنى ظن وشبه على غرر من غير يقين ، وقد يأتي بمعنى علم. وبناء عليه يمكن فهم كلام ابن رشيق على مستويين: - المستوى الأول: هو أنه سيذكر مصطلحات الحاتمي على سبيل الاتباع بالظن ومن غير يقين. - أما المستوى الثاني: فهو أنه سيذكر تلك المصطلحات بعد ما جعل بينه وبينها مسافة زمنية أعمل فيها النظر فصحت عنده علماً ويقيناً. ومن ثم فهو ذاكرها على سبيل اليقين والاقتناع. ونحن نرجح المستوى الثاني مادام ابن رشيق قد أورد تلك المصطلحات ، وحاول أن يتصرف فيها ويضع لها حدوداً حتى يتميز بعضها عن بعض ، ويصبح لكل مصطلح كفاية علمية في وصف جانب محدد أو حالة من حالات الظاهرة ، مراعياً في ذلك الفروقات الدقيقة بين الأنواع المتقاربة. وبعدما وضع ابن رشيق مقدماته الثلاث بين يدي قارئه ، حاول أن يقدم له تعريفاً اصطلاحياً لمفهوم السرقة. وبالطبع فنحن لا ننتظر منه بناء تحديد شخصي ، بل إيراد تعريف جاهز لأحد شيوخه أو أساتذته ، وما هذا الشيخ إلا الأستاذ عبد الكريم النهشلي ، فقال :"قال عبد الكريم: قالوا السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه ، وأبعد في أخذه ، على أن من الناس من بعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة حين لم يختلفا إلا في القافية ، فقال أحدهما: "وتحمل" وقال الآخر: "وتجلد" ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى ، ويكون الغامض بمنزلة الظاهر وهم قليل. والسرق أيضا إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به شاعر ، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال أنه أخذه من غير". وبالنظر في هذا النص نلاحظ أن فعل "السرق" لم يحدد لغوياً ، وإنما حدد مباشرة في سياقه الاصطلاحي الشعري النقدي. وفي إطار هذا التحديد أيضاً نلاحظ أن هذا الفعل انتقلت دلالته من دلالة لغوية أخلاقية إلى دلالة اصطلاحية عبر عنها النص بفعلين آخرين هما: فعلا "النقل" و"الأخذ" عند قوله: "السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد في أخذه". وهذان الفعلان يذكراننا بفعل آخر استعمله الحاتمي وهو فعل "استعار" الذي يورده في بعض السياقات بمعنى الأخذ و"الاجتذاب" دون معناه البياني . وبناء على هذا التحليل تكون السرقة نقلاً وأخذاً واستعارة واجتلاباً ، ويبقى السؤال بعدئذ: فيم يكون هذا النقل والأخذ؟ بالرجوع إلى النص ، نجد أن الفقرة الأولى منه تحصر السرقة في المعاني دون الألفاظ مع اشتراط الإبعاد في الأخذ ، لأن من شأن ذلك أن يخفي السرقة ويجعلها غامضة. وهذا هوا رأي الجمهور: بينما يوجد صنف آخر من الناس ، وهم قلة ، يضعون الغامض والظاهر على حد سواء ، ويحتاجون إلى دليل من اللفظ والمعنى لرصد هذا الأخذ. أما في الفقرة الثانية ، فتنحصر السرقة في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة الجارية في العادات والمستعملة في الأمثال والمحاورات. إلا أن مفهوم البديع هنا يبقى مبهماً إلى حدٍ ما. لكنه إبهام سرعان ما يزول إذا عدنا إلى (قراضة الذهب) ، حيث نجد ابن رشيق ، في سياق حديثه عن كثرة التأليف في السرقة ، يقول: "غير أن أهل التحصيل مجمعون من ذلك على أن السرقة إنما تقع في البديع النادر والخارج عن العادة وذلك في العبارات

التي هي الألفاظ". فنتبين حينئذ من هذا النص أن المقصود بالبديع هو النادر الخارج عن العادة في العبارات/الألفاظ. وعليه فإن السرقة عند ابن رشيق تكون في المعاني كما تكون في الألفاظ. لكن ليس في كل المعاني والألفاظ ، إذ هي أنواع ومراتب. ولا تكون السرقة فيما كان منها متداولاً ومشاعاً ، وإنما في النادر منها والخاص.).هـ. وطبعاً المعارضة والاقتباس ليسا بسرقة!)

صـــاحِ عطّـــرْ بصـــائرَ الأخيـــارِ ثـــم شـــنفْ مســـامعَ السُّـــمّارِ

وتتبـــعْ مَـــن يخـــدعون البرايـــا وعلـــى البـــاغين جُـــدْ بالثـــار

يســـحرون الألبـــابَ دون اكتـــراثٍ وكـــأن العقـــول كالأحجـــار

يَخْتِلـــون القّـــراءَ دون احتـــرام هـــل غـــدا القـــراء كالأعيـــار؟

ســـرقو أفكـــار الأبـــاة ، وظنـــوا أن جـــيلاً يحيـــا بـــلا أفكـــار

واســـتطالوا فـــي الســـطو ، لـــم يســـتفيقوا خـــاب ســـاطٍ يســـطو علـــى الأشـــعار

القـــريض يُســـطى عليـــه جهـــاراً أولســـتم تخشـــوْن وخـــزَ العـــار؟!

أولســـتم تخشـــون ربـــاً قـــديراً؟ أأمنـــتم فـــي البعـــث حـــرقَ النـــار؟

عصـــرنا يـــا أغـــرارُ عصـــرُ اكتشـــافٍ لا مكـــانَ فـــي العلـــم للأغـــرار

عصـــرُ (معلومـــاتٍ) تـــروح وتغـــدو والحواســـيبُ فـــي خُطـــا الأســـفار

يـــا (منـــارَ الإســـلام) جِـــدّي مليـــاً أتحفينـــاُ بمـــا ورا الأســـتار

(عـــوضَ) الخيـــر: ذا مقـــالٌ بـــديعٌ كُـــن علـــى مَـــن يســـطون كالبَتّـــار

لا يكـــونُ الأخيـــرَ ، كـــلا ، ولكـــنْ قطـــرةٌ نَـــدَّتْ مِـــن سَـــيلِك الجَـــرّار

فتعقـــبْ مَـــن يســـرقون ، وســـجِّلْ ثـــم أخـــرجْ ســـفراً إلـــى الأمصـــار

ولـــك الأجـــرُ مـــن مليـــكٍ كـــريم ولـــك الشـــكرُ فـــي دُعـــا الأبـــرار

ربّمـــا قـــد أرجعـــتَ حقـــاً ســـليباً أهلَـــه قـــد غـــابوا عـــن الأنظـــار

و(المنـــارُ) لـــن تُغلـــقَ البـــاب قطعـــاً فـــي (الإمـــاراتِ) لـــيس مِثْـــلُ (المنـــار)!

رسالة العيد إلى الأمة (عتابية)

(العيد هنا يرسل لأمتنا رسالة عتاب ولوم على تفريطها في جنب الله – عز وجل – ومن حق الأمة أن ترد عليه. ولكن الأمور كما نرى: أمة كان لها مجد وتاريخ وهيبة وعزة ومنعة ، واليوم هي خلو من ذلك كله! وكأن الصغار والذل قد كتب عليها! إنه ليس قدراً محتوماً عليها ، (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون). وإذن فهي السُـنن الربانية التي تسير بين دفتين: الأولى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) والثانية (ومن أعرض عن ذكري). وحسب اختيار الناس تأتي سُنة رب الناس! والأمم التي سبقت كانت هذه سيرتها والقرآن شاهد على هذا! والله تعالى لا يجامل أحداً ، ولا تنفعه طاعات أحد ، كما لا تضره معاصي أحد! والله المستعان.)

يـــا أمـــة الحـــق: أيـــن العـــزَّ والظفـــرُ؟ والمجـــدُ أيـــن؟ وأيـــن الســـعد والسَّـــمرُ؟

وأيـــن بـــأسٌ علـــى الأصـــقاع يعصـــمها؟ وأيـــن نصـــرٌ علـــى الأعـــداء مبتشـــر؟

فـــي كـــل عـــام أزور الـــدر مُحـــتملاً هـــذا المصـــيرَ ، فـــأرثِي ، ثـــم أســـتعِر

وأذرف الـــدمع فـــي ســـر وفـــي علـــن ودمـــعُ قلبـــي بـــرغم الأنـــف ينهمـــر

أبكـــي الكرمـــة ، نـــارُ الـــذل تحرقهـــا حتـــى غـــدت مـــن ســـعير القهـــر تُحتَضَـــر

يـــا أمـــة الخيـــر كـــم عاينـــتِ مـــن محـــن! فخضـــتِها فانمحـــت ، وانزاحـــتِ الغِيَـــر

إن الخطـــوب تزيـــد المـــرءَ تجربـــة وبعـــدها يركـــبُ الهيجـــا ، فينتصـــر

فلتخرجـــي مـــن ظـــلام التيـــه أمتنـــا حتـــى نـــرى التيـــه فـــوق الأرض ينتحـــر

إنـــي أعيـــذك بـــالرحمن ، فـــانطلقي كـــيلا يعوقـــك إرجـــافٌ ولا خـــور

ولتجعلـــي مـــن قـــدوم العيـــد ملحمـــة مِـــن هولهـــا زُمَـــر العـــادين تَزدجِـــر

إنـــي أنـــا العيـــدُ ، والأفـــراحُ جـــائزتي لمَـــن يفكـــر فـــي الماضـــي ، فيعتبـــر

بـــالأمس كنـــتِ منـــاراً فـــي الـــدجى ألقـــاً لـــم المنـــارُ علـــى الأيـــام ينـــدثِر؟

يـــا أمـــة النـــور لا تأسَـــيْ ولا تهنـــي واستمســـكي بالهُـــدى ليَـــذهب الخطـــر

ونصـــرُكِ اليـــومَ مـــأمولٌ ومرتقَـــبٌ إن المليـــك علـــى ذا النصـــر مقتـــدر

رسالة الأمة إلى العيد (اعتذارية)

(تخيلتُ أمتنا وقد طالعت رسالة العيد لها في القصيدة السابقة فتأثرتْ جداً. وراحتْ ترد برسالة أخرى للعيد ، لكنها رسالة اعتذارية. حيث إنها غلبتْ على أمرها في مواقف كثيرة وتنازلت في مواقف أخرى فناسب ذلك ان يكون مصيرها ذيل الأمم والشعوب والحضارات ، وناسب أن يبت في أمرها وأمر شعوبها ولا تستطيع أن تنطق ببنت شفة ولا أقل من ذلك. والأصل متضمن في قوله تعالى: (فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير). وبإمكان الأمة أن تتدارك أمرها وتتوب إلى الله تعالى وتتبع هداه وتعمل بشريعته وتحل حلاله وتحرم حرامه وتندم وتبكي رجاء أن يعيد الله لها مجدها! وتخيلتُ الأمة تعترف بالتقصير وتعاهد الله على التغيير لتشملها السنة: إن الله لا يغير ما بقوم!)

يـــا عيـــدُ إنـــي لمـــا عاينـــتَ أعتـــذرُ ... فكفكـــفِ الـــدمع ، إن الـــدمع ينحـــدرُ

يـا عيـدُ حركـتَ مـا فـي القلـب مـن شـجنٍ ... وإننـــــي للـــــذي سَـــــطَرتَ أفتقـــــر

يـا عيـدُ هيّجـتَ مـا فـي الـنفس مـن أمـل ... فنازعـــتْ همتـــي الكســـيرةَ البُشُـــر

مـــا زلـــتَ تـــذكر مـــن مـــاضٍ يُشـــرفني ... كمثـــل مـــا قـــد ذكـــرتَ الشـــمسُ والقمـــر

تلـــومني وأنـــا – يـــا عيـــدُ – باكيـــة ... علـــى الشـــموخ مضـــى ، وإن ذا قـــدر

يـــا عيـــدُ هـــذا بتقصـــير بُليـــتُ بـــهِ ... وإننـــــي للـــــذي ترجـــــوه أنتظـــــر

وأيـــن نـــاسٌ (صـــلاحُ الـــدين) قائـــدُهم ... حتـــى يعـــود العُـــلا والعـــز والظفـــر؟

أراك يـــا عيـــد جلـــداً فـــي مؤاخـــذتي ... وفـــي النصـــيحة نـــارُ الحـــرص تســـتعر

حتـــى العِتـــاب بتأنيـــب تعقبنـــي ... كـــأن أحرفـــه الأشـــواكُ والإبـــر

عهـــداً ســـأبذل جهـــداً ســـوف تلمسُـــهُ ... فـــي عامـــك القابـــل الســـعيد يزدهـــر

فكـــن شـــهيداً علـــى عهـــدي وتجربتـــي ... والله يعلـــم مـــا أنـــوي وأدخـــر

يـــا عيـــدُ أحســـنْ ظنونـــاً قـــد جهـــرتَ بهـــا ... فســـوءُ ظنـــك أمـــرٌ دونـــه الضـــرر

أنـــا الطعينـــةَ فـــي أهلـــي ، ومـــا كســـبتْ ... يـــداي حتـــي تقـــول العـــز يُحتضَـــر

وإن ربـــــك إنْ أخلصـــــتُ ينصـــــرني ... نصـــيرُ مَـــن ظلمـــوا يـــا عيـــدُ مقتـــدر

أبتاه

(تغيب عن أبيه زماناً ، وسعى الواشون فأفسدوا ذات بينهما ، والأصل أن الناس يصلحون ذات البين بدلاً من إفسادها! فإذا لم يصلحوا فكان عليهم أن يحايدوا الأب وابنه! فتخيلتُ ذلك الابن يعتذر لأبيه ويرسل دموع الاعتذار شفيعاً له على تقصيره وتفريطه في حق والده عليه ويطلب منه المسامحة والعفو والصفح. وكأني به يستثمر مناسبة الهيد ويستغلها قبل رحيلها ، وكأني به يقول لأبيه: تجاوز عني واجعله يوم جائزة لي عند ربي في الأرض والسماء! فقال يخاطبه في العيد.)

أبتـــاهُ - فـــي الأضـــحى - أزف بيـــاني ... دُرراً يُعطرهـــا بهـــيُّ معـــانِ

تختـــالُ فـــي أرج القصـــيد موائســـاً ... كالغِيـــد سِـــرن بســـاحر الألـــوان

فعســى القصــيدة أن تحــوز رضــا الــذي ... لمّـــا يحُـــزْ شـــيئاً مـــن العِرفـــان

العيـــدُ يـــا أبتـــاه بوتقـــةَ الصـــفا ... وهديـــــة الـــــرحمن للإنســـــان

فـــي الأرض يـــوم جـــوائزٍ ، وكـــذا الســـما ... أعلمـــتَ مـــا فـــى العيـــد مـــن إحســـان؟

أبتـــاهُ بـــاركَ فيـــك خـــلاقُ الـــورى ... ورزقـــتَ عنـــد الله خيـــرَ جنـــان

مـــا غيرتْنـــي غَربتـــي ، كـــلا ، ولا ... ألـــمُ النـــوى ، وقصـــيدتي بُرهـــاني

فليغفـــر الـــرحمن مـــا قارفتُـــهُ ... فـــي حـــق مـــن أعطـــى بـــدون تـــوان

أبتـــاهُ فـــي العيـــد الســـعيد تحيتـــي ... بـــالفرح أزجيهـــا وبـــالأحزان

بـــالفرح علّـــك تغفـــرنّ مســـاءتي ... فأنـــالَ فـــي الأخـــرى رضـــا الـــرحمن

أو لا ، فـــأرجع والضـــياعُ بضـــاعتي ... وأبـــوءُ عنـــد الله بالخســـران

قصّـــرتُ ، هـــذا العيـــد فرصـــتُنا معـــاً ... وانـــس الـــذي قـــد كـــان مـــن هجـــران

واللهُ يشـــهد يـــا أبـــي ببراءتـــي ... تعـــس الوشـــاةُ وجوقـــةَ الشـــيطان!

مـــازال كـــلٌّ بالوشـــاية ســـاعياً ... حتـــى نمَـــتْ مرثيـــةَ العُـــدوان

والعيـــدُ أكبـــرُ مـــن إراقـــة دمعنـــا ... هـــذا يُخـــالف شِـــرعةَ الـــدَّيان

جمال الدنيا سراب

(إن الكتاب الذي يحوي العلم النافع يعد أوفى صديق في زماننا ، وأذكر والله يشهد أنني أقرأ منذ من عشرين سنة هي ثلثا عمرى تقريبا ، وأوقفتني القراءة على أخبار عجيبه فعلاً ، كان من بينها ما ذكره صاحب كتاب (من أخلاق العلماء جـ 9): هذا الموقف بين كل من الإمام النووي العالم الشاب الذي لم يتجاوز الأربعين على رواية ، والظاهر بيبرس ، يقول المؤلف: (لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال الرعية يستنصر به على قتالهم ، فكتب إليه فقهاء الشام بذلك ، فأجازوه. فقال: هل بقى من أحد؟ فقيل له: نعم بقى الإمام محى الدين النووي. فطلبه فحضر فقال له: اكتب خطك مع الفقهاء حتى يكون الكل على هذه الفتوى. فامتنع النووى. فقال: ما سبب امتناعك ايها النووي؟ فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار وليس لك مال ، ثم مَنَّ الله عليك وجعلك ملكاً ، وسمعت أن عندك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائتي جارية لكل جارية منهن حق من الحلي ، فإذا أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليك بالبنود والصرف بدلاً من الحوائص ، وبقيت الجواري هذه بثيابهن دون الحلي أفتيك بأخذ المال من الرعية ، فغضب الظاهر بيبرس من كلامه. وقال بيبرس: أخرج من بلدي (عانياً دمشق) ، فقال النووي: السمع والطاعه وخرج بالفعل إلى نوى. فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به في العلم والقول والعمل فأعده إلى دمشق. فأصدر بيبرس مرسوما برجوعه ، فامتنع النووي وقال: لا أدخلها والظاهر فيها ، فمات بعد شهر. والمهم تذكرت في موقف النووي معايير كثيرة قد غابت عمن أخذوا مكان النووي اليوم ، تذكرت أمانة العلم والشجاعه في الحق والأدب في عرضه والعزة والتعفف عند الأذى في سبيل ذلك الحق ، ذلك أن الرزق والأجل بيد الله عز وجل وحده. وليس يشعر بما أقول إلا من عاش مثل هذا الموقف الذي عاشه النووي ذلك العملاق العظيم الذي لا أزكيه على الله – عليه من الله ربي الرحمة - ولعلي أقول هذا عن مجموعة تجارب مررت بها وعشتها الواحدة بعد الأخرى ، وأسأل الله أن يختم لنا بخير لا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه. والحقيقة التي يجب أن يعلمها الجميع - من عمل لله ومن عمل لسواه - أن جمال الدنيا سراب وزخرف سوف يمضي وكأن شيئاً لم يكن ، جمال الدنيا سراب بقيعة يحسبه كل ظمآن ماء حتى إذا أدرك مكان السراب لم يجده شيئاً. وصدق الله إذ يقول: (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)! وليت عُبّاد الدنيا من المرتزقة بالحنيفية السمحة يدركون ما أرشدتنا إليه الآيات من معان. إن جمال الدنيا سرابٌ علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله ، وتعامى عنه من تعامى. في كتاب له بعنوان: (حقيقة الدنيا) يقول الأستاذ عبد الكريم علي عبده الفهدي ما نصه: (ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أمثلة لتتبين لنا حقيقة هذه الدنيا ، المثال الأول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما الدنيا إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع"! والمعنى: «أن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة في المقدار كذلك أو ما الدنيا في قصر مدتها وفناء لذتها بالنسبة للآخرة في دوام نعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصابع إلى باقي البحر». المثال الثاني: عن عبد الله قال: "نام رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: ما لي والدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها". المثال الثالث: عن سهل بن سعد قال عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ. فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيءٍ ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ. قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لأَنَّهُ أَسَكُّ ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ". كنفته: جانبيه ، أسك: صغير الأذنين. والمعنى العام للحديث: أن الدنيا عند الله أحقر وأقل شأناً من التيس الأسك الميت الذي لا قيمة له عند الناس. وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال: أحلام النائم. فإذا ما تأملنا هذا الكون العظيم ، فكم يكون حجم الإنسان بالنسبة للأرض؟ وكم يكون حجم الأرض بالنسبة للمجموعة الشمسية؟ وكم يكون حجم المجموعة الشمسية بالنسبة للمجرة؟ وكم يكون حجم المجرة بالنسبة للمجرات الباقية؟ سنقول واثقين مطمئنين لقول الله تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). ولو قلنا فرضاً إن هذه المجرات الهائلة هي السماء الدنيا ـ السماء الأولى ـ أو فرضاً السموات السبع فكم تساوي هذه المجرات مع الأشياء التي لم تعرف إلى الآن بالنسبة للكرسي. إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبرنا عن ذلك بمثال تقريبي يبين فيه عظمة هذا الكرسي! فقد صح أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة". والكرسي هو الذي بين يدي العرش ، فالكرسي قد وسع السماوات والأرض مع عظم السماوات ومع عظم الأرض ، قال تعالى: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ). وورد في بعض الآثار أن السماوات والأرض في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس ، والترس: هو المجن الذي يلبس على الرأس وما عسى أن تغطي الدراهم السبعة ، فالدرهم قطعة من الفضة صغيرة بقدر الظفر أو نحوه ، فماذا تغطي من ذلك الترس؟ فالسماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي هذا مقدارها منه ، والكرسي صغير أيضاً بالنسبة إلى العرش ، كما ورد أن الكرسي نسبته إلى العرش كحلقه ملقاة بأرض فلاة ، والحلقة: القطعة من الحديد ملتقية الطرفين. فإذا ألقيت حلقة في فلاة فماذا تشغل من تلك الفلاة؟ فالكرسي صغير بالنسبة إلى العرش ، فهو كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، فهذا دليل على عظم هذا الكرسي ثم عظم هذا العرش. فمن هنا نعرف عظمة هذا الكون وهذه الدنيا التي نعيش فيها ومهما تصورنا عظمتها واتساعها فهي لا تساوي جناح بعوضة كما نطق بذلك الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ قال: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء").هـ. ويعقد الأستاذ محمد المنجد مقارنة بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة فيقول: (لقد ابتلانا الله بهذه الحياة الدنيا لينظر كيف نعمل ، وجعل ـ سبحانه وتعالى ـ بعدها داراً أخرى فيها عجب العجاب ، حدثنا بما أعد فيها من النعيم ، لتتحرك الأرواح إلى بلاد الأفراح ، وكل نعيمٍ في الدنيا ففي الجنة ما هو أكمل منه ولا تشابه بين النعيمين إلا في الاسم أحياناً فقط ، وأما الحقيقة فبينهما أعظم مما بين السماء والأرض من الفرق ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء". رواه ابن عساكر، وصححه الألباني. وكل ما في الدنيا من الأنهار والسرر والفرش والأكواب ، مخالف لما في الجنة مما أعده الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ففي الدنيا بناء وفي

الجنة بناء ، لكن شتان ما بين البناءين! بناء الدنيا يقضي الإنسان سحابة من عمره حتى ينجزه ، فإذا أنجزه ظل عرضة للفساد والانهيار ، والترميم والإصلاح ، يرى خللاً في تصميمه ، وخللاً في تنفيذه ، ويعاني من ضيقٍ هنا ، ومن وحشة هناك ، أما بناء الجنة ، فقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (الجنة بناؤها لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وملاطها المسك الأذفر ـ شديد الرائحة ـ ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران). رواه أحمد في مسنده والترمذي وصححه الألباني. قال الله ـعز وجل ـ : {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} ليس فيها خبث ، ولا هذه الروائح من المجاري ولا الأوساخ ، ولا آثار الانسدادات ، بيوت أهل الجنة خيام ليست من القماش ، لكنها من اللآلئ المجوفة ، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون مِيلاً للمؤمن ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضا). رواه مسلم. فهل رأيت يا عبد الله لؤلؤةٍ في الدنيا متراً في مترٍ فضلاً أن ترى هذه الستين مِيلاً؟ وأنهار الدنيا يعتريها ما يعتريها من التلوث بالنجاسات ، والأتربة والملوحة ، بل الجفاف والانحسار ، وأما أنهار الجنة فهي {مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى} ، والكوثر حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب ريحاً من المسك ، وماءه أحلى من العسل ، ولونه أشد بياضاً من الثلج ، {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}. ونساء الدنيا وما أدراك ما نساء الدنيا بالنسبة إلى نساء الجنة ، فنساء الدنيا فيهن من أنواع الاعوجاجات لا تستقيم لك على حالٍ أبداً ، وكذلك فإن ما فيها من النقص مكدّر بهذا العوج في التفكير وهذا النقص في الجمال الذي يذهب شيئاً فشيئاً ، وكذلك ما يكون فيهن من عيوبٍ ، ففي نساء الدنيا من الحيض والنفاس والبول والعذرة والعرق وسيء الرائحة أحياناً ، وأما في الجنة فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعلهن مطهرات أخلاقهن مطهرة).هـ.)

لكُـــلِّ فقـــهٍ رجـــالٌ ، ثـــم أركـــانُ ... وكـــل علـــم لـــه جيـــلٌ وبُنيـــانُ

فـــإن رأيـــت بـــأرض القـــوم مَلحمـــة ... فـــاعلم بـــأنّ لهـــا قومـــاً لهـــم شـــأن

فـــي كـــل معركـــةٍ ، لا بـــد مـــن بطـــل ... وحولـــه فـــي لقـــا الأعـــداء فُرســـان

وكـــم ســـمعنا مـــن التـــاريخ عـــن رجـــل ... لـــه مَعـــينُ الهُـــدى والـــوحي عُنـــوان!

يُعلـــم النـــاس ، يمحـــو زيـــف غفلـــتهم ... ويقمـــع الشـــر ، إنَّ الشـــر طوفـــان

وينشـــر الهَـــديَ فـــي دنيـــا يُخربهـــا ... بـــأسٌ وقهـــرٌ وأمـــوالٌ وشـــيطان

يُحـــارب الجهـــل فـــي نفـــس بـــه شـــغفتْ ... وأبحُـــر الجهـــل أنـــواعٌ وألـــوان

يُـــدرّس الفقـــه فـــي ديـــن المليـــك ، ولا ... يرضـــى بـــديلاً ، فـــإن الفقـــهَ تِبيـــان

ويَبـــذلُ المـــالَ فـــي علـــم يســـود بـــه ... فبـــذلُ مـــال الفتـــى فـــي العلـــم عِرفـــان

هــذي الحيــاة ســفينٌ فــي حقيقتهــا ... وصــاحبُ العلــم فــوق المــتن ربــان

والفــارسُ (النــوويّ) فــي مُقدمــةٍ ... تصــغي لــه عنــد قــول الحــق آذان

فالضــاد تعرفُــه ، والفقــه عــن كَثَــب ... والأرضُ تعرفــه ، والإنــس والجــان

كــم فــي الحــديث لــهُ شــرحٌ بــه زُبَــدٌ! ... وفــي العقيــدة كــم للفــذ أركــان!

أســفار علــم لــه زادتْ علــى مائــةٍ ... مِــدادُها العلــمُ ، والقِرطــاسُ إحســان

وصــاحبُ المُلــكِ لــم يكســرْ عزيمتــه ... إن العزيمــة والإيمــانَ صِــنوان

أراد أخــذَ نقــودٍ مِــن رعيتــه ... مــن غيــر حــق لــه ، والنــاسُ قــد لانــوا

يــردي التتــار بهــا ، يُعــزّ دولتــه ... ولــيس فــي الــرأس كُرسِــيٌّ وتِيجــان

فــإنَّ (بيبــرسَ) معــروفٌ بغَيرتــهِ ... مُوحّــدٌ زادُهُ هــديٌ وقُــرآن

أفتــى لــه الكــل: خــذْ مــا شــئتَ مــا لَهُــمُ ... وجاهــدِ الشــرَ كــي ينــزاحَ طُغيــان

لِمَــا يَــروْنَ علــى بيبــرسَ مِــنْ حَنَــفٍ ... فلــيس فــي قلبــه المقــرورِ صُــلْبَان

لكنمــا (النــووي) قــال: لــيس لكــم ... عنــدي دليــلٌ علــى مــا قُلْــتُ فَيْنَــان

أنفــق حَــوائِصَ مــا مُلِّكْــتَ مِــنْ عُبُــدٍ ... وبــعْ حُلــي الجــواري ، ذاكَ فُرقــان

فــإنْ كَفَــاك أيــا (بيبرسَــنا) فبِهَــا ... وإن أردت ربــاً فَأَنْــتَ سُــلطان

إن قلــتَ: هــاتوا فمــا يعصــيك مِــنْ أحــدٍ ... إن الرعيــة ـ عنــدَ الخيــر ـ عُبْــدان

فاســتعبدت سَــوْرَةُ الســلطان عزمتَــهُ ... طــارَ الصــوابُ ، وقــال السُّــوَء غَضْــبَان

فقــال (بيبــرسُ): فــاخرجْ مِــن مــدينتنا ... ضــاقتْ بــكَ اليــومَ أمصــارٌ وأوطــان!

فأومــأ (النّــوويُّ) أنَّ طــاعتَكم ... فــرْضٌ علــيّ ومَــنْ لحُكمكــم دانــوا

مــا دام فــى طاعــة الــرحمن أمــرُكُمُ ... وأنــتَ فيهــا إذن ، وتلــكَ أيمَــان

اللهُ أكبــرُ ، إنَّ العلــم ذو شــرفٍ ... وكــل محتقــر للعلــم دُهقَــان

يـــا (مُحيِـــيَ الـــدين) ذَرَّ العِـــز فـــي دمِنـــا ... فقـــد تعبـــدَنا فـــي الـــدارِ حِيتَـــان

أهـــلُ العلـــوم مضـــتْ أيـــامُ سُـــوْدَدِهم ... وعـــاث مِـــن بعـــدهم فـــي الأرض عُقْبـــان

كـــلٌّ يبيـــعُ لأهـــل الحُكْـــم مِلّتَـــهُ ... عمالـــةَ قادهـــا فـــي الـــدار ذوْبَـــان

أقلهـــم خطـــراً مَـــنْ كـــان مُرتزقـــاً ... ومَـــن يُحَـــرِّفُ وحـــيَ الله ثَعبـــان

ويَثْبُـــتُ اليـــومَ مَـــن بـــالله معتصـــمٌ ... ومَـــن تعلـــق بـــالمخلوق خَســـران

فـــاللهُ ناصـــرُ مـــن – دومـــاً – يَلـــوذُ بـــه ... ويَخـــذُلُ اللهُ مَـــن ضـــلوا ومَـــن هـــانوا

يـــا أيهـــا القـــوم ، إن اللهَ جـــامعُكم ... ليـــوم حشـــر ، وعنـــد الله مِيـــزان

مـــا لـــى أراكـــم هجـــرتم أمْـــرَ بـــارئكم؟ ... وقـــد صـــددتُم ، وهـــذا الصـــدُّ هجـــران

مـــا لـــي أرى جمعكـــم فـــي التيـــه مُنجَـــدِلاً ... ووجهـــه مِـــن بيـــان الحـــق خَزيـــان؟

يزخـــرف الزيـــف بالآيـــات مـــرتجلاً ... أبِالتحايُـــلِ وجـــهُ الحـــق يَـــزدان؟

فـــيمَ التعلـــقُ بالـــدنيا وزخرفهـــا؟ ... مـــا للبيـــب بهـــذي الـــدار عمـــران!

وإن فقـــدتُم لـــدنياكم عقيـــدتكم ... فهـــل لشَـــرخ العُـــرى يـــا قـــومِ جُبـــران؟

إنـــي أهيـــبُ بكـــم ، والله غايتُنـــا ... أن تســـتقيموا ، ثـــوى فـــي الغـــي إمعـــان

خـــافوا القيامـــة ، إن الله ســـائلَكم ... وعنـــد ربـــك جنـــاتٌ ونيـــران

ففـــي جهـــنّم مَـــن ضـــلوا ومَـــن كفـــروا ... وفـــي الجنـــان تـــرى مَـــن بـــالتقّى دانـــوا

فاجعـــل إلهـــي جنـــانَ الخُلـــد مســـكننا ... فالأنبيـــاءُ بهـــا ، والحُـــور سُـــكّان

والصـــادقون ومَـــن بـــاعوا نفوسَـــهُمُ ... والصـــالحونَ ومَـــن علـــى الهُـــدَى كـــانوا

نحـــنُ العُصَـــاةُ ، فكـــم خُنّـــا شـــريعتَنَا! ... وأنـــتَ يـــا ربَّنـــا بَـــرٌّ ورحمـــن

وصـــل ربِّ علـــى المبعـــوث أحمـــدنا ... والآلِ والصَّـــحبِ ، مـــا قـــد عـــاش إنســـان

مأتم صاحبة العصمة

(إن صاحبة العصمة التي أعني هي إحدى الغافلات المحصنات. اعتادت أن تكتحل بنور الطاعة لله ورسوله. (نحسبها ولا نزكي). حتى ابتلاها اللهُ بالزواج من مخادع مخاتل ، أظهر الانصياع لأمر الله وأضمر المعصية. ومرت الأيام وكبرت معه معاصيه وموبقاته لدرجة لا يمكن أن يتصورها عقل واع أبداً. فأعلنت صاحبة العصمة أنها لا تريده ولا تطمح إلى استمرار هذه العلاقة الخادعة التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب. واخترت هذا اللقب (صاحبة العصمة) عنواناً للقصيدة ، لأنها فعلاً قبلت التضحية بهذا التيس المستعار الذي يجتريء على معاصي الله ويجعل الله أهون الناظرين إليه. والسبب في ذلك كله هو الرزق الواسع. إنه في بعض الأحيان يكون الرزقُ الوفيرُ عقوبةً تَصْرِفُ الذي ابتُلى بها عن ربه وعن نفسه وعن غاية وجوده ، فيكون الفارق بينه وبين البهيم ضئيلاً ، إذ كيف تتصور إنساناً قد صُرف عن ربه وعن نفسه وعن غاية وجوده. ويتمنى المرء لأمثال هؤلاء لو أنهم عادوا فقراءَ بُسطاء مساكين يعيشون على الكَفاف ويتذكرون ربهم ولا ينسون أنفسهم مِن طاعة مولاهم ولا يتُوهون عن غايه وجود البشر كلهم بما في ذلك ذواتُ أنفسهم من توحيد الله وعبادته. وصاحبةُ العصمة الزوجةُ المسكينةُ على بَعلها ، أعني على الوحش الذي يلبس ثياب الإنس. فإذا في بيتها إحدى القوقازيات ، فتعجبتْ وسألتْ: وماذا تفعل هذه في بيتي؟ فأجابَ المُفتري: إنها تاجُ رأسكِ وسيدتك ، وما دمتِ أغضبتها فقدِّمى فُروضَ الولاء والذل لها ، وقبّلي منها القدمَ والرأسَ ، وتمتمي بالشفاه أنْ لا بأسْ ، ولم تكن زوجةً له تلك الغادةُ المستعارةُ إنما كَوب شاي أو فنجان قهوة يُحْتَسَى فيحدثُ به إشباعُ المزاج ، وهذا من لعنة البلاء بالمال. والمهم جرتْ سلسلة مِنَ المناورات والمحاورات أعقبتْ ما رأت صاحبةَ العصمة ، وكان هذا مأتماً لكرامتها وعزتها ، خاصة بعد أنْ وعظتْ زوجها وقالت سوف أخبر فلان وعِلاناً من قراباتها فتبجح: إذا كنتُ لا أخاف مَنْ ذرأ وبرأ ، فهل مِنْ خلْقه أخاف؟ وعندها انتحرتْ عواطفُ المرأة وصممتْ على الفِراق. لأنه لا يمكن التعايش بين الطاعة والمعصية يقول محمد المنجد في مسألة التعايش بين الطاعة والمعصية ما نصه: (قضية الازدواجية ، أن بعض الناس يعملون الحسنات ويعملون السيئات ، يعملون الواجبات ويعملون المحرمات ، يعملون ما أمر الله به ويرتكبون ما نهى الله عنه ، هل هذا مقبول في الدين عند الله؟ هل هذا الخلط صحيح؟ هل الإسلام يقبل أن يسير أتباعه على هذه السياسة في التعايش بين الحلال والحرام وفي تقبل النفوس للأمرين جميعاً؟ الجواب: كلا! يصلي زيد في المسجد ويخرج ليرتكب منكراً ، الآية تقول: {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} ، فلا مجال إذاً للتعايش في النفس المؤمنة بين الطاعة والمعصية ، والحسنة والسيئة ، وفرق بين أن يوجد الشيء وبين أن يكون مقبول شرعاً ، أن يوجد وموجود ، لكن هل هو مقبول شرعاً؟ هل يصح عند الله؟ بحسب قيام العبد بالأمر الإلهي ، تدفع عنه جيوش الشهوة ، وأنبياء الله كانوا يرفضون الازدواجية المقيتة هذه ، ووضحوها لقومهم جيداً ، حتى قال قومهم بعد التفهيم: {يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ}.صلاتك تأمرك بترك الشرك؟ صلاتك تأمرك بترك أكل المال الحرام؟ {أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} الربا والرشوة والسرقة. وبعض الناس يجعل من النتائج التي بعد المعصية دليلاً على صحة ما فعل أو عدمه ، وإذا رأى أن الأمور على طبيعتها استمر ، قال ابن القيم رحمه الله: وها هنا نكتة دقيقة ،

يغلط فيها الناس في أمر الذنب ، وهي إنهم لا يرون تأثيره في الحال- وقع في فاحشة وخاف أن يقع هذا في شيءٍ من أهل بيته لكن لم يقع ، ارتكب محرماً وخشى من حرمان الرزق لكن الرزق استمر داراً وفيراً فهو يستمر في المعصية لأنه ما حصل شيء سلبي - وقد يتأخر تأثيره فيُنسى ، ويظن العبد إنه لا يتغير عليه شيء بعد ذلك ، وسبحان الله ، ماذا أهلكت هذه النكتة من الخلق؟! وكم أزالت من نعمة؟ وكم جلبت من نقمة؟!).هـ.)

بَكَاهَـــا فـــي الـــدجى قلمـــي الكظِـــيمُ ودمـــــعُ مِـــــدادِه أسِـــــفٌ ســـــقِيمُ

وصـــوتُ نحيبِـــه فـــي القلـــب يكـــوي تُعَـــــاقِرُه المَفـــــاوزُ والسُّـــــموم

وبَـــــوْحُ نشـــــيجِه يَنْعِـــــي رؤاهُ يقـــول: كفـــاكَ ، أنـــا بـــكَ عَلـــيم

تجلّـــــدْ للحيـــــاة وغاصـــــبيها لَـــزِيمَ الحـــزن ، إلـــى مَتَـــى لَـــزِيم؟

ألســـــتَ بـــــراحمٍ ذَلَّ اعتصـــــامي عـــن الـــزلات هـــذي يـــا رحـــيم؟

ألســـتَ تجـــود بالصـــبر احتســـاباً علـــيَّ ، وأنـــتَ يـــا قلمـــي كـــريم؟

ألا هـــذي الكســـيرةُ فـــي بـــلاءٍ يُحطّمُهـــا مـــع الـــريحِ الهَـــزِيم

وتقمعُهـــا الحـــوادثُ فـــي صِـــباها ويـــدفعُها لمأتمهـــا الغـــريم

وتكويهـــا الخُطـــوبُ علـــى حَياهـــا ويُزكِـــي نارَهـــا الوغـــدُ اللئـــيم

وتســـحقُ عِرضَـــها الأحـــداث فَريـــاً ومـــا يَجِـــري لهـــا صـــدقاً عظـــيم

أقَـــضَّ الغَـــمُّ مَضـــجعَها مليّـــاً وبعـــد الغـــم عمّتْهـــا الغُمـــوم

وأبـــدلها الأســـى مجنـــوزَ حـــال مُسَـــجَّىً فـــي مرارتـــه مُلِـــيم

وكـــم هَتَـــكَ الظلـــومُ ضـــحىً ضـــياها! ومَرتـــعُ ظلمـــه حقـــاً وَخِـــيم

وكـــان يُريـــدُها أمَّـــاً ولـــوداً ولكـــن تلـــك يـــا أعمـــى عَقِـــيم

فحَـــوِّلَ فرْحَهـــا غمـــاً وهمـــاً سَـــوادٌ بعضُـــه الليـــلُ البَهِـــيم

حيـــاةٌ فـــي حضـــيض العـــيش طالـــت وتعييـــرُ البليـــد لهـــا رَزِيـــم

وفـــوق إبائهـــا يلهـــو ويغفـــو وفـــي عَبَراتِهـــا الغِـــرُّ يُقِـــيم

غلـــيظَ الطبـــع ممقـــوتٌ كريـــةٌ (عُتُـــلّ بعـــد ذلـــك زَنِـــيمُ)

لـــه شُـــبَهٌ يُرفـــرف فـــي دجاهـــا ضـــلالُ قريحـــةٍ فـــظّ قَـــدِيم

وغايَـــةُ عيشِـــه بطـــنٌ وفَـــرجٌ وكـــم فتَّـــتْ حُشاشَـــتَهُ التَّخُـــوم!

وكـــم يغشـــى المَحـــارم والـــدنايا! ومِـــن أفعالـــه شـــاب الفطـــيم

تـــراهُ يـــدّعي الأخـــلاق سَـــمتاً وطبـــعُ الافتـــرا طبـــعٌ أثـــيم

وكـــم حـــارتْ علـــومُ الـــنفس فيـــهِ! وعـــن تحليلـــه عجـــز الحكـــيم

وكـــم ركـــبَ الحـــرامَ بكـــل وعـــي! وبـــاع ضـــميره ذاك العـــديم

لـــه رَشْـــفُ المُـــدام شـــفاءُ قلـــب ويحمـــل كـــأس خمرتـــه النّـــديم

وقـــد سَـــهُلَ الحـــرامُ عليـــه حتـــى رأه الحِـــلَّ ، مـــا عـــاد يَحُـــوم

وغِيـــدُ الأرض فـــي الـــدار غَثـــاءٌ يَمـــينَ الله قـــد هـــان الحَـــرِيم

أَأَيْسَـــرُ مِـــنْ زواج المـــرء عِشْـــقٌ؟ لـــداعرةٍ لهـــا الخمـــرُ تَـــزُوم؟

وتُـــدْخِلُها لبيتـــكَ مُســـتحلاً لهـــا عطـــرُ سَـــرى منـــه شَـــمِيم

ويطـــرحُ رِمشَـــها المـــأفونَ أرضـــاً وقـــد كثَـــرتْ بعزمتِـــه الكُلُـــوم

ويُغلِـــقُ بابـــه دون حيـــاءٍ علـــى العِصـــيان ، هـــل هـــذا يَـــدُوم؟

ويَحسَـــبُ أنـــه بَلَـــغ الثّريـــا وقـــد جـــاءتْ تُحييـــه النّجـــوم

وتمنحـــه الكواكـــبُ مِـــن ضـــياها وقـــد أغـــراه مـــرآه الوَسِـــيم

وتُوصِـــلُه الشـــموسُ إلـــى مَـــداها ويَبعَـــثُ أنسَـــهُ الضـــوء الـــرخيم

وتهديـــه النخيـــل حَـــلا جَناهـــا وطلـــعُ النخـــل مَحبـــورٌ هَضِـــيم

ويجمـــع بـــين مطعـــوم لـــبطنٍ وداعـــرةٍ لهـــا حِضـــنٌ رووم

وجـــاءتْ زوجـــه ، ولهـــا انفعـــالٌ وفـــي يـــدها رمـــاحٌ وسُـــهوم

فقـــال: صـــديقة ، والعشـــقُ عـــاتٍ ... وكـــم عانـــت لمَـــرآهُ الجُسُـــوم!

مللنـــا الحِـــلّ حتـــى صـــار نـــاراً ... فألفينـــا الحَـــرامَ لـــه نَسِـــيم

فقالـــت: ســـوف أخْبِـــر أخويّـــا ... وأكشـــفُ مـــا ســـترتَ أيـــا غَشـــوم

نصـــيبي هكـــذا ، وكفـــى جـــدالٌ! ... قليـــلٌ فـــى الرجـــال المُســـتقيم

فقـــالَ: إذا فعلـــتِ فـــلا اعتبـــار ... لأنـــي الآن شـــيطانٌ رَجِـــيم

ولســـتُ أخـــاف ممـــن قـــد برانـــي ... فكيـــف أخـــاف قومـــاً أن يَلُومـــوا؟

تعـــالى الله ، يـــا زيـــرَ الخطايـــا ... وعنـــد الله للعاصـــي جَحِـــيم

سيَشـــويك الحَمـــيمُ ، ولا مَفـــازٌ ... ألـــيسَ يَروعُـــك اليـــومَ الحَمِـــيم؟

فشَـــرّدَها الكفـــورٌ ، ولـــم يَصُـــنّها ... وقـــد غشّـــت بصـــيرَتهُ الغُيـــوم

فللمعشـــوقةِ الحســـناء بَيـــتٌ ... وتُحـــرَمُ بَيتهـــا مَـــن تســـتقيم

تَمـــوتُ اليـــوم بـــين الخلـــق غيظـــاً ... وتقتُلهـــا الوقـــائعُ والهمُـــوّم

وتخنُقهـــا الـــدموعُ ، ولـــيس تبكـــي ... كـــأن محـــاجرَ العـــينِ صَـــرِيم

وتعصِـــمُ نفســـها عـــن كـــل عيـــب ... وخاطرُهـــا مِـــنَ الـــذكرى كَلِـــيم

تعرقِلِهـــا نوايـــا مَـــن يواســـي ... وناظرُهـــا لِمـــا يَجـــرى مَضِـــيم

ولـــو كانـــت علـــى قَـــبح ، عَـــذَرَنا ... ولكـــنْ بعْلهـــا هـــو الـــدميم

عزائـــي فيـــكِ صـــاحبةَ المَعَـــالي ... بـــأنّ اللهَ رحمـــنٌ رحـــيم

ســـيرحمك المليـــكُ ، فـــلا تبـــالي ... ولا تبكـــي لِمـــا فَعَـــلَ الغَشِـــيم

لـــه ربّ يُعاقبـــه قـــديرٌ ... وإنْ أملـــى ، فـــذا ربٌ حلـــيم

فـــإن أخـــذَ الظلـــومَ ، فـــلا خـــلاصٌ ... فأخـــذ العَـــدلِ جبـــارٌ ألـــيم

الأحياء أولى بالعيد

(تعودوا أن يزوروا الأموات في مقابرهم بدلاً من زيارة الأحياء في دورهم يوم العيد. والأحياء أولى بالوصل والتزاور. فهالني ما علمتُ ، وراعني ما عاينتُ! واستهجنت هذه العادة السيئة التي إن دلت على شئ فإنما تدل على سفه العقول وتدني الفهوم وانعدام الوعي. وكما أسلفت فإن الأحياء أولى بالعيد وفرحته! ولو كان عند أصحاب هذه الفرية السيئة المسيئة مسكة من عقل ، لرجعوا إلى دراسة هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – في العيد ، فإن فعلوا لعلموا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يزر الأموات يوم العيد ، بل كان يزور الأحياء!)

الحـــي أوْلـــى مِـــن ميّـــتٍ قـــد تـــوارى ... وبهـــــذا نُناصـــــح الـــــزَّوارا

إنمـــا العيـــدُ فرحـــة وابتهـــاجٌ ... فـــيم نُجـــري دموعَنـــا أنهـــارا؟

وليـــالي التشـــريق أكـــلٌ وشـــربٌ ... وحبـــورٌ يســـتلفتُ الأنظـــارا

وأضـــاحٍ تُـــراقُ منهـــا دمـــاءٌ ... نُسُـــكٌ نرجـــو بـــه الغفـــارا

وقـــريضٌ يتلـــوه شـــاعرُ صـــدق ... والجمـــاهيرُ تعشـــق الأشـــعارا

وتَهـــانٍ بالعيـــد فاحـــتْ عبيـــراً ... ثـــم غطـــتْ بـــالزائرين الـــدارا

وابتســـاماتٌ كـــم تـــروح وتغـــدو! ... وأهـــالٍ تســـتعذب الأســـفارا

وهـــدايا هانـــتْ علـــى مانحيهـــا ... والســـعيدُ عليـــه أن يختـــارا

وتـــرانيمٌ فـــي البيـــوت تســـامتْ ... عـــن غنـــاءٍ يُخـــالف المختـــارا

وزيـــارتٌ للأقـــارب تتـــرى ... تســـتجيشُ خُيورُهـــا الأبـــرارا

وتَصـــافٍ يختـــال زهـــواً وشـــوقاً ... كنجـــوم تُصـــافح الأقمـــارا

فلمـــاذا إلـــى القبـــور اتجهـــتم؟ ... واجتهـــدتُم لتكْمِلـــوا المشـــوارا

إنمـــا الحـــي بالزيـــارة أولـــى ... فاســـتفيقوا إن كنـــتمُ أخيـــارا

إن أمـــر النبـــي يـــا نـــاس شـــرعٌ! ... والمعاصـــي تســـتجلب الأخطـــارا

قـــد نصـــحتُ ، والله يعلـــمُ قصـــدي ... لـــيس ديـــنُ المليـــك ممـــا يُبـــارى

ألغاز شعرية

(ألغاز سطرتها شعراً عن أسماء لشعراء على مدى التاريخ. وكنت قصدتُ بها ملء فراغ الجلوس وإعداد مسابقة بين الضيوف الهدف منها التذكير وإلهاب الحماس وإثراء المعلومات. ريثما يتجهز استوديو المجلس بقناة المجد بمدينة دبي للإعلام لتسجيل أمسية هناك. وحول حكم الشريعة في المسابقات والألغاز يقول محمد المنجد ما نصه: (فأما السباق فإن الأصل فيه الجواز بالسنة والإجماع ، أما السنة فروى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم (سابق بين الخيل المضمرة من الحيفاء إلى ثنية الوداع وبين التي لم تضمر من ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق) ، وهذه مسافة معلومة سابق فيها النبي صلى الله عليه وسلم - أي: أذن بالسباق فيها - والمسابقة سُنة إذا كانت بقصد التأهب للقتال بإجماع العلماء. قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي ، وقد روى البخاري رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على قومٍ من أسلم ينتضلون فقال: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً). ولخبر أنس رضي الله عنه وأرضاه: (كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العضباء لا تسبق ، فجاء أعرابيٌ على قعودٍ له فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، وقالوا: سبقت العضباء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه). قال الزركشي رحمه الله: وينبغي أن تكون المسابقة والمناضلة فرض كفاية ؛ لأنهما من وسائل الجهاد ، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب ، والمسابقة في السهام آكد لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ارموا واركبوا ، ولأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا) وقال الترمذي - رحمه الله - حسنٌ صحيح ، ومعناه أن السهام تنفع في السعة الضيق ، بخلاف الفرس فإنه لا ينفع في مواضع الضيق ؛ بل قد يضر ، ولذلك يكره لمن تعلم الرمي أن يتركه كراهة شديدة ، فالمسابقة حينئذ مباحة بالشروط الشرعية. واعلموا رحمكم الله أن المسابقة تكون على جوائز وتكون على غيرها. وأما المسابقة بغير جوائز كالمسابقة على الأقدام ، وبالسفن والبغال والحمير ، والمصارعة ، ورفع الحجر ليعرف الأشد ، والمسابقة على الأقدام قد وردت بالسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة ؛ فمثل هذه المسابقات جائزة إذا كانت بغير جوائز ، وبغير عوض كما ذكر ذلك الفقهاء رحمهم الله تعالى ، أما المسابقات التي فيها إيذاءٌ للنفس ، أو التي فيها فعل محرمات أو التي فيها لبس قصيرٍ وإظهار عورة ، ودق طبولٍ ومزامير ، وإضاعة للصلوات ، فلا شك أنها حرام ، سواء كانت بعوضٍ أو بغير عوض. أما النوع الثاني من المسابقات: وهو المسابقة بعوضٍ وجوائز كغالب المسابقات اليوم ؛ فلا شك أن جمهور الفقهاء ذهبوا إلى أنه لا يجوز السباق بعوض إلا في النصل والخف والحافر ؛ لأجل حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لا سبق إلا في نصلٍ أو خفٍ أو حافر) أي: لا جائزة تجعل للسباق ولا عوض إلا في هذه الأشياء الثلاثة. قال ابن قدامة - رحمه الله -: المراد بالنصل هنا السهم ، وبالحافر الفرس ، وبالخف البعير ، فهذا المقصود به المسابقة بجوائز وعوض في كل ما يعين على الجهاد ، وذهب بعض الفقهاء رحمهم الله ، إلى إلحاق الرماح ، والرمي بالأحجار بمقلاعٍ ، والرمي بالمنجنيق ونحوه ، والتردد بالسيوف والرماح ، أن ذلك داخلٌ فيما يجوز بعوض ؛ لأنه يعين في الجهاد. وكذلك المسابقة في الرمي بالآلات الحديثة ، جائزة بعوض قياساً على ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال الفقهاء رحمهم الله: ولا تصح المسابقة بعوضٍ على كرة الصولجان ، وكان عندهم لعبة

يركب فيها بعض الناس دوابَّ ، ويقذفون بالكرة بعضهم إلى بعض ، قال العلماء: لا تصح المسابقة بعوض – بجوائز - على كرة الصولجان ، ولا على الشطرنج ، ولا على الوقوف على رجلٍ واحدة ليُنظَر من الذي يصمد أكثر ، ولا على معرفة ما في يده شفع أو وتر فإن قال: اعلم ما في يدي إذا كان خمساً أو ستاً أو سبعاً أو شفعاً أو وتراً ولك كذا فهذا لا يجوز ، وكذلك سائر أنواع اللعب كالمسابقة على الأقدام ؛ لأن هذه الأمور لا تنفع في الحرب ؛ كاللعب بكرة الصولجان والشطرنج فإنه لا يجوز جعل الجوائز فيها ؛ فضلاً عن كون بعضها محرماً عند كثيرٍ من أهل العلم. ولا تصح المسابقة بعوضٍ على الكلاب ومهارشة الديكة ومناطحة الكباش بلا خلافٍ بين أهل العلم ، وذهب بعضهم إلى جواز جعل الجوائز على مسابقات الغطس لأنه يستعان به في الحرب. فأنت ترى أنهم إنما أباحوا الجوائز على المسابقات التي فيها تدربٌ على الجهاد وإعدادٌ للعدة فيه ؛ لأن هذه الأمة أمة جهاد ، ولا يجوز لها ترك الجهاد ، ولو تركت الجهاد ذلت ؛ ولذلك حثت الشريعة على كل ما يعين على الجهاد ، وأباحت الجوائز بالمسابقات على كل ما يعين على الجهاد ، وأما غير ذلك فلا يجوز جعل الجوائز فيه على قول جمهور العلماء ، وألحق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وتلميذه ابن القيم رحمه الله جعل الجوائز على مسابقات حزب القرآن الكريم والحديث ، ونشر العلم والسنة ، والدين والشريعة الإسلامية قياساً على إباحة الجوائز في مسابقات الجهاد ؛ لأن ذلك مما يرفع شأن الدين ويقويه ، أما جعل الجوائز على مسابقاتٍ لا علاقة لها بالعلوم الشرعية ، ولا علاقة لها بالجهاد ؛ فإن جمهور العلماء أخبروا على تحريم ذلك ، وأن المال الذي يؤخذ منه حرامٌ لا يجوز جاء في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: (لا سبق إلا في نصلٍ أو خفٍ أو حافر) فهذا واضحٌ في جعل الجوائز لمسابقات الجهاد ، أما غيرها مما لا يعين على الدين ، فلا يجوز جعل الجوائز في المسابقة عليه ، وحتى المسابقات التي فيها جوائز إنما تشرع وتجوز بشروطٍ ذكرها الفقهاء ؛ منها تحديد المسافة ، وتعيين أول المسافة ، وتعيين الفرسين أو البعيرين ، وكذلك أن يكون هناك من يعيّن بدايته ونهايته ، وأن يكون فيها محللٌ لا يدفع من الجائزة شيئاً عند الجمهور. وكذلك فإن لهم شروطاً في السباق في السهام ؛ كأن يستوي عدد الرشق ، وصفة الإصابة ، ومعرفة قدر الغرض وهو الهدف الذي يرمى ، ونحو ذلك من الأمور. وكذلك فإن هذه المسابقات التي توسع فيها الناس اليوم في كثيرٍ من الأمورلا تعين على نشر الدين ؛ فإن كانت بغير عِوَض ، وكانت المسابقة مباحة كالسباق على الأقدام وغيره فلا بأس به ، أو من يرفع حجراً فلا بأس به إذا كان بغير جائزة ، أما إذا كان في أمرٍ محرم كنطاح الكباش ومهارشة الديكة ونحو ذلك ؛ فإنه حرام لا يجوز بعوضٍ ولا بغير عوض ، وعند جمهور أهل العلم أخذ الجوائز على هذه المسابقات لا يجوز لأنه مخالفٌ لحديث: (لا سبق إلا في نصلٍ أو خفٍ أو حافر). قارن الآن بين الحديث وكلام أهل العلم وبين التوسع الذي يحصل لتعلم أن القضية الآن داخلة في تغريرٍ أو خداعٍ ، أو دعاية رخيصة ، أو إكساد لسلع الآخرين ومنافسة غير شريفة ونحو ذلك).هـ.والآن لنتابع المسابقة!)

(حسان بن ثابت الأنصاري)

عـــاش قبـــل الإســـلام ســـتين عامـــاً ثـــم بعـــد الإســـلام ســـتين أخـــرى

شـــاعرُ (المختـــار الحبيـــب) ، ويكفـــي أن جبريـــــل لـــــه ألانَ الشـــــعرا

(الخنساء)

قريضُـــها بـــدموع العـــين قـــد مُزجـــا وبـــات فجـــراً علـــى القرطـــاس مُنبلِجـــا

قـــد قَـــدَّمتْ لجهـــاد الكفـــر أربعـــة مِـــن البنـــين ، فقواهـــا كثيـــرُ رَجـــا

(النابغة الجعدي)

يُكَنّـــى أبـــا ليلـــى ، ومِـــن صـــحب (أحمـــدِ) ووصـــافُ خيـــل العُـــرْب فـــي كـــل مَشـــهدِ

ولـــم يَســـقطنْ ســـنٌ لـــه فـــي مشـــيبه بـــدعوة مولانـــا النبـــي (محمـــد)

(الحُطيئة)

لـــولا الهجـــاءُ طغـــى علـــى أشـــعارهِ ومطـــاعنٌ تُشـــتمّ مـــن أخبـــارهِ

لتَغَنّـــتِ الـــدنيا بعـــذب قريضـــه هـــو تـــابعيٌ قـــد نـــأى بخَســـاره

(الإمام الشافعي)

فقيـــهٌ شـــاعرٌ عطِـــرُ الســـجايا لـــه شـــعرٌ تُـــردّده البرايـــا

و(جـــوهرةُ النفـــيس) لـــه أريـــجٌ يُنـــاغي الخيـــرَ فـــي جـــوف الحنايـــا

(مصطفى صادق الرافعي)

شـــاعرٌ قـــدٌ صـــاغ (مـــن وحـــي القلـــمْ) شـــعره المغـــوارُ يشـــدو بـــالقِيمْ

كـــم بكـــى بالشـــعر بلـــوى أمـــةٍ أشـــمتتْ فـــي كربهـــا كـــلَّ الأمـــم!

(عدنان النحوي)

وَقَـــورٌ ، وفـــي الشـــعر فـــاق الشـــبابْ وفـــي (موكـــب النـــور) فضـــلُ الخطـــابْ

يُغَـــــرِّد بالشـــــعر مســـــتفهماً وفـــــي (مهرجـــــان القصـــــيد) الجـــــواب

(عبد الرحمن العشماوي)

شـــــاعرُنا قـــــد بلـــــغ الـــــذروةْ ولنـــــا فيـــــه جميـــــلُ الأســـــوةْ

نحســـــبُه ، والحسْـــــبُ المـــــولى صـــــدقاً شـــــاعرَ هـــــذي الصـــــحوة

(أحمد علي سليمان عبد الرحيم)

شـــــاعرٌ وافـــــى زُهـــــاء الأربعـــــينْ قـــــد رجـــــا بالشـــــعر ربَّ العـــــالمينْ

و(عزيـــــزُ الـــــنفس) فـــــي ديوانـــــه باقـــــة تحـــــدو مـــــن الشـــــعر الرصـــــين

في رحاب الزاهدين

(إن للزهد في ديننا منزلة عظيمة. وإن المعيشة مع الزاهدين في عالمهم الرحيب ترقق القلوب ، وتحيى الهمم التى قد أماتها الإقبال على الدنيا وزخرفها الذي هو راحل. ألا ما أجمل الزهد عندما يكون من العلماء الربانيين الذين هم مصابيح الدجى وقناديل الظلام! وأحدهم والذي كل الفقهاء عيال عليه ، النعمان بن ثابت (أبو حنيفة) ، والذي أراهُ في القمة من الزهاد والعلماء والفقهاء. إمامٌ مظلومٌ مُفتَرىً عليه من يوم نبوغه وتصدره للعلم والدرس والفُتيا إلى يوم الناس هذا. ويعتقد كثير من الناس أنه مخالف للقرآن والسنة ، وأنه عمد إلى الرأي على حساب الوحيين القرأن والسنة. إن لأبي حنيفة مقالاتٍ عديدة وتصريحات لا تُعَدُّ في التبرؤ من الرأى إذا كان على حساب النص كتاباً أو سُنة. علم ذلك من علمه ، وجهل ذلك من جهله. كما أن لأبي حنيفه مناقبَ ومآثرَ لا حدود لها. ويطيب لنا هنا أن نبين أن الأئمة الأربعة كانوا ينصون على أن أقوالهم إن خالفت كتاب الله وسُنة رسوله – فهم منها برئاء ، براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب – عايهما سلام الله -! فهذا هو الإمام أبو حنيفة وغيره من الأئمة في حقيقة أمرهم وسيرتهم قد أخذوا بنصوص الكتاب والسنة بعد دراستها دراسة واعية ، وإن لم يفتوا بها ، وبيان ذلك أن كل الأئمة الأربعة قد نصوا على أنه إن صح حديث ما فهو مذهبهم ، وبه يأخذون ، وبه يفتون ، وإليه يهدون ، وعليه يستندون. قال الإمام أبو حنيفة: "إذا صح الحديث فهو مذهبي" ، وقال رحمه الله: "لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه" ، وفي رواية عنه: "حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي" ، وزاد في رواية أخرى: "فإننا بشر ، نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً" ، وقال رحمه الله: "إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى ، وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي". وقال الإمام مالك رحمه الله: "إنما أنا بشر أخطيء وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه" ، وقال رحمه الله: "ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم". وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "ما من أحدٍ إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعزب عنه - أي تغيب - ، فمهما قلت من قول ، أو أصَّلت من أصل ، فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قولي". وقال الإمام أحمد : "لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا" ، وقال رحمه الله: "رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي ، وهو عندي سواء ، وإنما الحجة في الآثار - أي الأدلة الشرعية ").هـ. قال الأستاذ الفاضل عبد الرحمن دهب في وصف أبي حنيفة النعمان ما نصه: (كان أبو حنيفة كثير العبادة ، لا ينام الليل إلا قليلاً ؛ حتى سموه (الوتد) لكثرة صلاته ، يبكي حتى يسمع جيرانه بكاءه فيشفقون عليه مما هو فيه من خوف ووجل من الله! وأبوه (ثابت) كان تاجرًا غنيًّا أسلم فحسن إسلامه ، قيل: إنه التقى بالإمام على بن أبي طالب - رضي الله عنه - فدعا له الإمام ولذريته بالخير والبركة ، واستجاب الله الدعاء ، ورزق الله ثابتًا بطفل أسماه النعمان وكناه (أبا حنيفة النعمان بن ثابت) وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الكوفة. نشأ أبو حنيفة في مدينة الكوفة ، فوجد الحلقات العلمية منتشرة في كل مكان ، ورأى طلاب العلم يتعلمون ويجتهدون في

الدراسة ؛ فتلقى العلم على يد شيوخ وأساتذة كبار ، منهم: فقيه الكوفة (حماد بن أبي سليمان) والإمام (جعفر الصادق) و(عطاء) و(الزهري) و(قتادة)... وغيرهم ، وكان(حماد) من أكثر شيوخه الذين يحبهم ؛ فكان أبو حنيفة يحفظ أقواله ويرددها ، وأعجب حماد هو الآخر بتلميذه (أبي حنيفة) حتى قال لمن حوله: لا يجلس في صدر الحلقة بجواري غير أبي حنيفة. وبعد موت حماد تولى ابن له اسمه إسماعيل حلقة الدرس بدلاً من أبيه ، لكنه ترك مجلس الفقه وانتقل إلى النحو لحبه له ، فجاء الناس إلى (أبي حنيفة) يطلبون منه أن يجلس إليهم ويعلمهم أمور دينهم ؛ فقبل أبو حنيفة ، وأخذ يدرس للناس حتى اشتهر فقهه بين البسطاء والأمراء ، لكنه لم ينْسَ فضل شيخه وأستاذه (حماد) بل ظل يذكره بالخير ، ويدعو له حتى قال أبو حنيفة: (ما صليتُ قط إلا ودعوتُ لشيخي (حماد) ولكل من تعلمتُ منه علمًا أو علمته). وكان أبو حنيفة يهتم بملبسه ومظهره ، ويكثر التعطر ، ويُرى وقورًا حليمًا ، فهو الذي يقول: (اللهم من ضاق بنا صدره ، فإن قلوبنا قد اتسعت له) ، ولقد سبه أحد الناس بقوله: يا مبتدع ، يا زنديق ، فردَّ عليه بقوله: غفر الله لك ، الله يعلم مني خلاف ذلك ، وأني ما عدلت به (أي ما أشركت به أحدًا) منذ عرفته ، ولا أرجو إلا عفوه ، ولا أخاف إلا عقابه. وكان أبو حنيفة كريمًا واسع الكرم ، وتاجرًا أمينًا ماهرًا ، ظل يعمل بالتجارة طوال حياته ، وكان له دكان معروف في (الكوفة) كان أبو حنيفة - رضي الله عنه - يحب العمل حتى ينفق على نفسه ، فكان يبيع الخز (وهو نسيج من الصوف). سمع أبو حنيفة رجلاً يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل ؛ فقال: والله لا يتحدث عني بما لم أفعل ؛ فكان يحيي الليل صلاة وتضرعًا ، فكان ورعًا ، ولا يحدث بالحديث الذي يحفظه ، ولا يحدث بما لا يحفظ ، وكان يتورع عن القسم خشية الهلاك ، حتى إنه جعل على نفسه إن حلف بالله صادقًا أن يتصدق بدينار. وكان واسع الصدر هادئ الطبع في حديثه مع الناس ، فلقد روي أن رجلاً قال له: اتق الله ، فانتفض ، وطأطأ رأسه ، وأطرق.. وقال له: يا أخي جزاك الله خيرًا ، ما أحوج الناس في كل وقت إلى من يذكرهم الله تعالى. ومات سنة 150هـ ، وصلى عليه خمسون ألف رجل ، ودفن في بغداد ، ويقال إنه مات في نفس الليلة التي ولد فيها الإمام الشافعي. وأبو حنيفة هو مؤسس المذهب الحنفي أحد المذاهب الفقهية الأربعة ، وقد انتشر مذهبه في العراق والهند وبلاد المشرق ، يقول عنه الشافعي: (الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة) وقال عنه النضر بن شميل: كان الناس نيامًا في الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة ، وقيل: لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح علمه عليهم ، وقال عنه ابن المبارك: (ما رأيت في الفقه مثل أبي حنيفة)! وقال عنه يزيد بن هارون: (ما رأيت أحدًا أحلم من أبي حنيفة).هـ. إن أبا حنيفة مدرسة في الفقه غير مسبوقة ومدرسة في الرأى منقطعة النظير. وهو أيضا مدرسه في الزهد غير مسبوقة. وتعجبني أخباره ، والتي منها هذه اللمحة الخاطفه التي يرويها صاحب وفيات الأعيان ج4/5. بسنده ، والتي تصور لنا زُهْدَ أبي حنيفه النعمان ، ذلك الجهبذ العملاق العبقري ، كما تصور لنا بُعدَ نظره وفراره من موقف السؤال والمؤاخذة على موقفٍ كان بيده الفرار منه! ونعود بالتاريخ إلى الوراء ، عندما أراد أبو جعفر المنصور أن يُولي أبا حنيفة القضاء فأبى أبو حنيفة. فحلف عليه الخليفه ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل. فقال الربيع بن يونس الذي هو حاجب الخليفة: ألا ترى أميرَ المؤمنين يحلف؟ فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدرُ مني على كفارة أيماني ، وأبى أن يُلَبي أمرَ أبي جعفر المنصور. قال الربيع: وإني رأيتُ المنصور يُنازلُ أبا حنيفة

في أمر القضاء وهو يقول له: اتق الله ولا ترعي أمانتك إلا من يخاف الله ، واللهِ ما أنا بمأمون الرضا! فكيف أكون مأمون الغضب؟ والله لو هددتني أنك تغرقني في الفرات أو ألي الحكم والقضاء لا خترتُ أن أغرق ، ولك حاشية يحتاجون مَن يُكرمهم لك ولا أصلُح لذلك. فقال الخليفة له: كذبتَ يا أبا حنيفة ، بل أنتَ تصلح ، فقال له: قد حكمتَ لي على نفسكَ ، كيف يحل لكَ أن تُولي قاضياً على أمانتك وهو كاذب؟! والحقيقه أنّ هذا الموقف من أبي حنيفة كله حكمة وخوف وزهد ، يَعجز اليراغُ عن تصوير وصفه ، ولكنني حاولتُ التَّجول في رحاب إمام الزاهدين الفقهاء وتولد مطلع قصيدة ثم اكتملت ولله الحمد!)

(أبـــو حنيفـــةَ) أَســـتاذٌ لـــهُ وَرَعُ ... هـــو الجَســـورُ ، فـــلا يخـــافُ مـــا جمعُـــوا

إرادة مـــا لهـــا فـــي النـــاس مـــن شَـــبَهٍ ... ورائـــدٌ فـــي بيـــان الشَّـــرع يُتَّبَـــع

إمـــامُ أهـــل التُقـــى ، والعلـــمُ طابَعُـــهُ ... والفِكـــرُ منهجـــه ، والعُـــدَّةُ الـــوَرَع

كـــم كـــان يَمْحُـــو الـــدجى ، والعـــزَّ مِعْولَـــهُ ... والعـــزمُ مركبُـــه ، والقلـــبُ مُنـــدَفِع!

وحـــاربَ الجهـــلَ فـــي بيـــدا وحاضـــرةٍ ... إن الجَهـــول ببـــذل العلـــم يَرْتَـــدِع

ولا تـــروجُ علـــى الأيـــام شـــائعةً ... ولـــيس يُرفـــعُ بـــين الخلـــق مبتَـــدِع

إن كـــان بيـــنهمُ عِلـــمُ وداعيـــةً ... يُبـــيِّنُ الحـــق حتـــي تـــذهبَ البِـــدَع

ومـــا ألمَّـــت بقـــوم فتنـــة عظَمـــتْ ... إلا وكـــان لهـــا مِـــن بيـــنهم شِـــيَع

ومَركـــبُ التيـــه لا تجـــري علـــى يَـــبَسٍ ... فبحرُهـــا الجهـــلُ ، والحمقـــى هـــم الشُـــرُع

هـــمُ المَصـــابيحُ ، والجهـــالُ فـــي ظُلَـــم ... شُـــمُّ الأنـــوف ، وفـــي القـــرآن قـــد رُفِعُـــوا

(أبـــو حنيفـــة) يـــأتي فـــي مُقَدِّمـــةٍ ... ومَـــن تبقـــى فهـــم لفقهـــه تَبَـــع

فِراسَـــةً مِـــن مَعـــين الحـــق مَوْقـــدُها ... وفـــي ترائبهـــا الإحســـانُ مُنطبِـــع

وكـــان فـــي عصـــره منـــارة سَـــطعتْ ... وفوقهـــا رايـــةُ التوحيـــد ترتفِـــع

ولـم يَخـفْ بـأسَ مَـن سـادوا ومَـن حكمـوا ... لأنـــه بقضـــاء الله مُقتنِـــع

مَـــوتُ الفتـــى قَـــدَرٌ قـــد خطـــه مَلِـــكٌ ... فـــيم التخـــوف؟ إن الله مُطَّلِـــع

والعمـــرُ والـــرزقُ عنـــد الله خالقنـــا ... فكيـــف يقلـــق مـــن بالـــدين يَـــدَّرِع؟

خَصُّـــوا القضـــاءَ ، فلـــم يقبـــلْ عُروضَـــهمُ ... وقـــال: لســـتُ لهـــا ، والـــرهطَ مُنْخَـــدِع

فكـــذبوه ، وقـــالوا: أنـــت فارســـهُ ... وأنـــتَ فـــي الفقـــه يـــا أســـتاذنا سَـــبُع

وأنـــت أعلـــمُ أهـــل الأرض قاطبـــة ... وأنـــت بالفقـــه والتوحيـــدِ مُشْـــتَرِع

فقـــال: حيـــث رأى أميـــرُكم كـــذبي ... فلســـتُ أصـــلح يـــا أقوامَنـــا ارتـــدعوا!

هـذا قضـائي علـى نفسـي ، فلسـتُ لهـا! ... لـــو كنـــتُ أصـــلحُ ، كيـــف اليـــوم أمتنـــع؟

أبـــا حنيفـــة يـــا نحريـــرُ ، يـــا قَمَـــرٌ ... يـــا مـــن بمثلـــكَ أمـــرُ الـــدين يَجتمِـــع

أجـــارك الله مِـــن عصـــر يمـــوجُ بنـــا ... لـــو كنـــتَ فينـــا إذن لهالـــك الفَـــزَع

يُتـــاجرُ اليـــومَ بالفُرقـــان مُرتـــزِقٌ! ... وينســـجُ الزيْـــفَ باســـم الحـــق مُنْتَفِـــع

وسُـــنّةٌ لأبـــي الزهـــراء قـــد مُحِقَـــتْ ... ودارُنـــا لـــذباب الأرض تَتَّسِـــع

وعـــزةٌ بنِعـــال الجَـــور قـــد وُطِئَـــتْ ... وألسُـــنٌ بضـــلال القـــول تَنـــدَلِع

وصـــاحبُ الحـــق مجنـــوزٌ بحُرقتِـــهِ ... وصـــاحبُ الـــزور للتصـــديقِ مُصـــطنِع

أمَّـــا الفتـــاوى فقـــد بِيعـــتْ لراغبهـــا ... فـــي ســـوق ذلـــتهم ، كأنهَـــا سِـــلَع

وقـــد تســـوّل باســـم الـــوحي مُنحـــرفٌ ... وألّـــهَ المـــالَ ، أعمـــى قلبَـــهُ الجَشَـــع

وغايـــةَ الوغـــدِ (فـــدّانٌ) بقريتِـــه ... إلـــى زوال ستَمضـــي هـــذه الضِّـــيع

علـــى حســـاب الهُـــدى يحيـــا أراذلُهـــم ... وفـــي العـــزائم هُـــم أرانـــبٌ خُنُـــع

أمـــا أســـاتذةُ العلـــم الشـــريف مضـــوْا ... ويـــرحمُ الله مَـــن لوجهـــه خَشَـــعوا

قـــومٌ أرادوا بهـــذا العلـــم خـــالقَهم ... وعنـــدما جـــاءتِ الـــدنيا ، فمـــا رتَعُـــوا

وأخلصـــوا ديـــنَهم مِـــنْ كـــل شـــائبةٍ ... وعـــن ريـــاءٍ بمـــا دانـــوا بـــه ارتـــدعُوا

وغيـــرُهم لبريـــق المـــال قـــد ســـجدوا ... وللترقـــي لـــدى أوثـــانهم ركَعُـــوا

وللحضـــيضِ بجَـــوف التيـــه قـــد هبطـــوا ... وللأوامـــــر مِـــنْ أصـــــنامهم خَضَـــعُوا

بـــاعوا الحنيفـــةَ بالـــدنيا فمـــا ربحـــوا ... ولـــيس يـــدرون مـــا أعطـــوا ومـــا دفعـــوا

وقَيَّمـــوا العلـــم بالـــدينار فـــاحترقوا ... وأفَسِـــدَ النّصـــحُ والتـــذكيرُ والجُمَـــع

يـــا ليـــت شِـــعري ، وقـــد بـــاعوا ضـــمائرهم ... كـــأنهم فـــي حضـــيض الطـــين قـــد صُـــرِعوا

وكـــم أضـــلوا الـــورى عمـــداً ليرتزقـــوا! ... قـــالوا: نعـــيشُ ، وفـــي التضـــليل قـــد وقعـــوا

يـــا ويحهـــم لَفَـــحَ التزييـــفُ عـــزمتَم ... وعربـــد الجهـــل فـــي الألبـــاب والطّمَـــع

لـــم يقنعـــوا ببســـيط العـــيش فـــي رَشَـــدٍ ... فعـــاش كـــلٌ ، وفـــي أحشـــائه جَشَـــع

إذا رأيـــتَ تَبـــارِيْهم بمـــا ادخـــروا ... تمـــوتُ حَزنـــا ، ويَكـــوي عِـــزّكَ الجَـــزَع

تـــراهمُ مِـــن رغيـــد العـــيش قـــد نهلـــوا ... لـــم يشـــكروا ، إنمـــا الأوجـــاعُ تُختَـــرع

يَشـــكون شِـــدَّةَ عـــيشٍ رغـــم مـــا حَصَـــدوا ... يَشـــكون جُوعـــاً ، وهُـــم مِـــنْ لحمنـــا شـــبعوا

بـــين الأنـــام لهـــم عِـــزٌ وواجهـــة ... وإن تشَـــفعَ رهـــطَ مِـــنْهُمُ شَـــفَعُوا

لهـــم دروبُ حيـــاةٍ ، خـــابَ ســـالكُها ... فبـئسَ مـا أحـدثوا! وبـئس مـا شَـرَعوا!

شَـابُوا علـى بـذل مـاء الوجـه ، مـا عقلـوا ... تلـــك العمالـــةَ ، مِـــنْ ألبانهـــا رَضَـــعُوا

سَـــحَابةَ هـــذه فـــي دارنـــا جَثَمَـــتْ ... يـــا ليـــتَ شِـــعرِي إذن متـــى ستنقشِـــع؟

أبَـــا حَنيفـــةَ كفكـــفْ عَبـــرةً هَطَلَـــتْ ... فقومُنـــا اليـــوم كـــم عـــانوا! وكـــم دمعـــوا!

واســـعدْ بأنـــك لـــم تـــدركْ مُصـــيبتَنا ... ولـــم تَعِـــش لتـــرى مـــا قومُنـــا ابتَـــدَعوا

لـــكَ السَّـــلامُ ، ونـــارُ القلـــب مُوقـــدةٌ ... حُزنـــاً عليـــكَ أيـــا ذا الفَضْـــلِ يَـــا وَرِع

وصَـــلَّ ربِّ علـــى المُختـــارِ أســـوتِنا ... ويَـــرحَمُ اللهُ مَـــن لهَديِـــهِ اتَّبَعُـــوا

أنى لمثلك الشجاعة؟

(إلى شخصيتي الخرافية (جحا) والتى طالما تمنيت وجودها بيننا في العصر الذي نعيش! ولسان حالي يقول: أتعرف يا جحا لماذا؟ والجواب: لأنه في هذا العصر لا يصلح لمثله شخص مثلما تصلح أنت. فيه من المتناقضات والغرائب والعجائب التي تحطم الأعصاب وتدمر القيم وتجني على النفس الإنسانية التي فطرها الخالق الفطرة السوية ، وجعلها على المحجة البيضاء. والله – عز وجل - لم يخلق هذه النفس عبثاً ولا تركها هَملاً أبداً. ومن هنا يا شخصيتي المفضلة فإنك بهذه الشخصية وصفاتها التي كثيراً ما قرأت عنها وبحثت عن الكتب التي تحتويها ، وهي في اعتقادي التي تصلح وتملك أن تتفهم معضلات العصر ومشكلاته بكل سهولة ويسر. أما بدايتي معك يا جحا فهي عندما كنت صغيراً أسمع من عامة الناس اسم جحا وبدون أن يكمل الشخص حديثه يضحك المستمع سواء أكان شخصاً واحداً أو أكثر فأستغرب ذلك ، ولكن بعد ذلك صرت مثلهم كلما ذكر أمامى اسمك ضحكت وابتسمت من قبل أن يكمل محدثي حديثه. وصارت صورتك تملأ الأجواء. فشدني بذلك موضوعك وكيانك يا جحا ، وجعلني ابحث وأتحرى عنك وعن شخصك ، فبدأت بكتيبات صغيرة من فكاهات جحا ، وصرت أجمع ما يقع تحت عيني وتطاله يدي ، وحين أعجب بنكتةٍ بدوري أحكيها لوالدي ولإخوتي وزملائي وهكذا! وبعد ذلك أردت معرفة شخصية قائل هذه الفكاهة من هو؟ فمن يكون هو صدقاً؟ من أى بلد وفي أى عصر....إلخ. وأخذت أسأل وأستقضي في الكتب والمراجع كلها. بحثت وبحثت فوجدت أن شخصية جحا دار حولها جدل كبير في الماضي والحاضر ، حتى أن النقاد العرب والغربيين لا يكادون يُجمعون على تعريف موحد لهذه الشخصية المتعددة الصفات والمواهب. ويغلب على ظن كثيرين منهم أن جحا شخصية حقيقية. وبعد ذلك يفاجئوننا بأنه لا قبيلة ولا عشيرة ولا عائلة ولا أهل ينتمي إليهم جحا. وإذا ببعض علماء الرجال والشخصيات والتراجم يقولون لنا أن جحا شخصية خرافية أسطورية غير حقيقية! والله أعلم بحقيقة جحا وقبيلته وعائلته. وهناك فريق ثالث يذهب إلى أن شخصية جحا لا هي حقيقية ولا هي خرافية ، وإنما هي شخصية رمزية في كل عصور الأدب. ومن ذلك الحين وجحا رمز في كتب الأدب بدون ريب. فكلما أراد قوم أن يصفوا شخصاً ما بالسذاجة أو بالحمق أو باللامبالاة أو الذكاء والفطنة الخارقين لم يجدوا إلا شخصية جحا ، ومن هنا فإن كل جيل أضاف إلى هذه الشخصية من المواقف والنوادر والألفاظ والحكايات ما تعجز عن إحصائه المجلدات الضخمة! ويشبه هذا من يؤلفون الكتب في النكات والألغاز على البدوي - والصعيدى – والحمصى - والبتاني... إلخ ، فيجعلون من جحا شماعة لنكاتهم ونوادرهم وفكاهاتهم. وكل جيل يؤلف ويخترع. المهم: أعجبي في شخصيتك يا جحا أنها تستظرف في صناعة المواقف واستسهال الأمور! والتي منها ما حكي عنك عندما توليت القضاء في أحد البلاد ، فجاءك ذات يوم رجل يصيح بصوت عال: يا سيدي لقد سرقت طنبورتي ووجدتها في السوق مع فلان فخذها لي منه. فهدّأ القاضي جحا خاطره ، ونادى المُحضر وأمره أن يذهب إلى السوق ويأتي بالرجل الذي سرق الطنبورة ، ولما جاء به سأله جحا عن دعوة المدعي فأجاب: إن الطنبورة ملكي. وقد اشتريتها من بلاد بعيدة ، فسأله جحا قائلاً: هل عندك شهود؟ قال: نعم ، وأحضر في الحال شاهديْن ، فسألهما جحا عن شهادتهما؟ فقالا: نشهد أن هذه الطنبورة لهذا الرجل ، وعلامتها أنها مكسورة من أعلاها ومفاتيحها رخوة وفي أسفلها شريط وكانت كذلك طبعاً. واحتار جحا في هذه القضية حيرة عجيبة مريبة. فأراد جحا أن يحكم للمدعي

عليه فاعترضه المدعي قائلاً: أريد تزكية الشاهدين قبل الحكم في هذه القضية ، إذ إنني مرتاب لأن أحدهما بائع خمر والثانى خليع ، فتأمل الشيخ قليلاً ثم رفع رأسه قائلاً: وهل يحتاج إلى هذين الشاهدين على تزكية أعظم مما تقول؟ وأي شاهدين أحسن منهما لدعوى طنبور؟ أما عن روعته في الخروج من المواقف الحرجة بأسلوب واقعي وفكاهي في نفس الوقت! وواقعة أخرى حيث أسند إليه منصب واعظ في أحد جوامع (آق شهر) وبالمناسبة هي مدينته التي ولد فيها وعاش على حد قول من قال إنه شخصية واقعية حقيقية ، وآق شهر معناها المدينة البيضاء. فقال: أيها المؤمنون! هل تعلمون ما سأقوله لكم؟ فأجاب السامعون كلا لا نعلم؟ فقال: إذا كنتم لا تعلمون فما الفائدة من التكلم ، ثم نزل وعاد في اليوم الآخر. فألقى عليهم نفس السؤال فأجابوه هذه المرة: إننا نعلم. فقال: مادمتم تعلمون ما سأقوله فما فائدة الكلام؟ فحار الحاضرون في أمره واتفقوا فيما بينهم على أن تكون إجاباتهم في المرة القادمة متناقضة: قسْم يجيب بلا ، وقسْم يجيب بنعم. فلما أتاهم في المرة الثالثة ، وألقى عليهم السؤال نفسه ، اختلفت اصواتهم بين نعم ولا! فقال: حسناً ، ومن يعلم منكم فيعلم من لا يعلم منكم. وبهذه الطريقة يكون جحا قد خرج. أما ما أعجبني في روحه المرحة الممزوجة بالذكاء في بعض النوادر المنسوبة إليه ، فكان يأكل بأصابعه الخمسة فرآه أحدهم فأخبره قائلاً: لماذا بأصابعك الخمسة أمام الناس؟ فأجاب جحا: لأنه لم يكن لي ستة أصابع لآكل بها. وبهذا يكون جحا قد خرج من الموقف باستظراف. فأجابهم: وفي العام الماضي قالت أمي: إن أخاك أكبر منك بسنة واحدة ، وعلى هذا الحساب فنكون كلانا في هذه السنة في عمر واحد. وهذه طريقة في إفحام الخصم المستظرف غاية في الذكاء. وهكذا كانت شخصية جحا متنوعة المواقف والردود والإجابات حسب الأحوال. أما ما يعجبني في شخصيتك يا جحا فهو ظهورك في شخصية المتطفل في أحيان ، وما يظهر من بعض فكاهاتك التي تكون فيها ساذجاً سذاجة البلهاء في أحيان أخرى! ولكن لا أعلق كل هذا عليك ، فقد يكون من تأليف من يعلقون أخطاءهم على الآخرين ، أو من يريدون تحقيق شيء لم يستطيعوه فيعلفونه على شماعة شخصية جحا الساذج جداً. (إن العالم الذي يعج بالمتناقضات والرزايا والبلايا ليناسبه جداً تصور جحا للحياة فى تناقضاتها. حتى رأيت أنه من الشجاعة أنه يصلح لأغلب الأجيال المعاصرة حيث يهرب بهم بعيدا فلا يواجهون الواقع. وأنى لجيل لا يعلم من حقائق دينه ودنياه أدنى ما ينبغي تعلمه أن يواجه الواقع وتكون عنده الشجاعة الأدبية والعلمية والمشاعرية لهذا الذي أريده منها؟ ويعلن الجيل معنا أن شخصية جحا (المسلمة) هي التي يمكن لها أن تواجه العالم بحضارته المادية وتعقيدات أهله. وتقوم بحل ألغاز العالم بما لديها من دين وخلق وذكاء بل وقدرة على المواجهة والتحدي. ولا يعدو كلامي هذا عن كونه مجرد رأى من الآراء المطروحة على الساحة الإعلامية اليوم ليس إلا. تقول الأستاذة منال المغربي في مقال عنوانه: (جحا بين الحقيقة والأسطورة) ما نصه: (إن جحا الإنسان الذي أضحك الملايين بنوادره ، أصبح اليوم في ذاكرة الناس مجرد أسطورة ، إلا أن كتب التراث تبين لنا أن جحا شخصية حقيقية ، فما حقيقة ذلك؟ ومن هو جحا؟ جحا بنوادره الطريفة وأخباره العجيبة التي تناقلتها الألسن على مر العصور ، أصبح اليوم في ذاكرة الناس مجرد شخصية خرافيّة ، إلا أن المعاجم وكتب التراجم والأدب ورجال الحديث تبين لنا أن جُحا شخصية حقيقيّة لها تاريخها العريق ، وماضيها المشرق الذي غَفِل عنه الأكثرون ؛ نتيجة ما نُسِب إليه من النوادر والطرائف التي كرّسته رمزًا للحماقة والتغفيل. فمن هو جحا؟ قبل البَدء تجدر الإشارة إلى أنّ هناك

شخصيتين حملتا هذا الاسم الأوّل اختلفت المصادر بشأن اسمه ، فقد قيل: نوح أو عبد الله أو دُجين أبو الغصن بن ثابت اليربوعي البصري ، ولقبه (جُحا) أو (جُحى) ، وكنيته أبو الغصن ينتهي نسبه إلى قبيلة فزازة العربية. أوّل من ذكره الجاحظ حين أَورد في كتابه "القول في البغال" نوادر بطلها جُحا دون أن يترجم له. ولد جُحا في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري (60هـ) ، وقضى الشطر الأكبر من حياته في الكوفة ، توفي فيها في خلافة أبي جعفر المنصور عام (160هـ). قال عنه الإمام الذهبي: "أبو الغصن صاحب النوادر دُجين بنُ ثابت اليربوعيُّ البصريُّ ، رأى دُجين أنسًا ، وروى عن أسلم ، وهشام بنِ عُروة شيئًا يسيرًا... قال عبّاد بن صهيب: حدّثنا أبو الغصن جُحا - وما رأيت أعقل منه - قال كاتبه: لعلّه كان يمزح أيام الشبيبة ، فلمّا شاخ ، أقبل على شأنه ، وأخذ عنه المحدِّثون". قال الإمام البخاري: "دُجين بن ثابت أبو الغصن اليربوعي ، سمع من أسلم مولى عمر ، روى عنه مسلم وابن المبارك". أمّا الحافظ ابن حجر العسقلاني فقد فرّق بين دُجين المحدّث (البصري) ونوح الذي استقرّ في الكوفة ، وأورد حديثًا رواه حُجا فقال: "عن ابن عدي حدّثنا أبو خليفة ، حدّثنا مسلم ، حدّثنا الدجين بن ثابت الغصن ، عن أسلم مولى عمر قال: قلنا لعمر: ، ما لك لا تحدّثنا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم -؟ قال: أخشى أن أزيد أو أنقص ، وإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: "من كذب عليَّ متعمدًا ، فليتبوأ مقعده من النار". قال عنه ابن الجوزي: "رُوي عنه ما يدل على فطنة وذكاء ، إلا أنّ الغالب عليه التغفيل ، وقد قيل: إنّ بعض من كان يُعاديه وضع له حكايات ، والله أعلم ، عن مكي بن إبراهيم - هو مكي بن إبراهيم البلخي آخر من روى من الثقات عن يزيد بن أبي عبيد ، عاش نيفًا وتسعين سنة ، مات سنة 215هـ - أنّه كان يقول: رأيت جحا رجلاً كيِّسًا ظريفًا ، وهذا الذي يُقال عنه مكذوب عليه ، وكان له جيران مخنثون يُمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه". وربّما هذا ما دفع الإمام النسائي للقول عنه: "ليس بثقة ، وابن معين للقول: ليس حديثه بشيء ، والدار قطني وغيره: ليس بالقوي. ولعلّ التجريح قد جاء ممّا نُسِب إليه من نوادر وفكاهات لا تليق براوي حديث ، "وليس من المستحيل أن يكون محدّث البصرة قد وقع فريسة لكيد أهل الكوفة". وقال القطب الشعراني في كتابه (المنهج المطهر للقلب والفوائد): "عبد الله جُحا تابعي ، كما رأيته بخط الجلال السيوطي - الذي ألّف كتابًا عن جُحا ، جوابًا لسؤال ورده مستفسرًا عنه ، جَمع فيه القصص المنسوبة إليه ، سمّاه (إرشاد من نحا إلى نوادر جُحا) - ، قال: وكانت أمّه خادمة لأم أنس بن مالك ، وكان الغالب عليه صفاء السريرة" ، "فلا ينبغي لأحد أن يسْخر به إذا سَمِع ما يضاف إليه من الحكايات المضحكة ، بل يَسأل الله أن ينفعه ببركاته ، قال الجلال: وغالب ما يُذكر عنه من الحكايات المضحكة لا أصل له ، قال شيخنا: وذكره غير واحد ، ونسبوا له كرامات وعلومًا جمّة". أمّا الشخصيّة الأخرى فهي نصر الدين خُوجة المعروف بجُحا الأتراك ؛ فلقد كان معلّمًا وفقيهًا وقاضيًا. ولد في قرية صغيرة تدعى خورتوعام 605هـ ، وتلقّى علومه فيها ، ووليَ القضاء في بعض النواحي المتاخمة لها ، كما ولي الخطابة في (سيوري مصار) ، عُيّن مدرِّسًا وإمامًا في بعض المدن. كان عفيفًا زاهدًا يحْرث الأرض ويحتطب بيده ، كما كانت داره محطة للوافدين من الغرباء والفلاحين. ولا يفوتنا أنْ نؤكّد في هذا المقام أنّ نصر الدين من كبار العلماء الأحناف ، وأنّ أكثر اشتغاله كان بعلم الفقه ، وقد أحبّه تلاميذه فأقبلوا على مجالسه يستمعون إليه ، وكانوا أكثر من 300 تلميذ ، وقد غلب عليه لقب المعلّم ؛ لذلك اشتهر بين أهل تركيا بالخوجة ، كما كان واعظًا

ومرشدًا يأتي بالمواعظ في قالب النوادر والنكات الظريفة التي لم تُزعزع مكانته في قلوب الناس. ومن المعروف عنه أنّه كانت له جُرأة على الحكّام والأمراء والقضاة الذين كان يدعوهم إلى السير بمقتضى الشرع الحنيف ، ويحضّهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبفضل علمه الغزير الذي اعترف به علماء الأناضول استطاع الوقوف في وجه (تيمورلنك) والتصدي له في العديد من المواقف ، فأَنقذ بذلك العديد من الناس من بعض مظالمه. توفي عام 683هـ ، وضريح الشيخ موجود في مقْبرة آق شهر الكبرى. أمّا النوادر التي نُسبت إليه: "فيستحيل أن تصْدر...عن شخصية واحدة لتباعد البيئات التي تُروى عنها" ، وهي نتيجة ما وضعه التركْ وما وضعه غيرهم من عامّة الشعوب الشرقية الإسلامية ، وبعضه ممّا وضعه غير المسلمين من جِيران العثمانيين كالأرمن. خِتامًا نقول: إنّه من الواجب علينا إعادة الاعتبار إلى هذه الشخصية التي أُخمط حقّها طوال القرون المنصرمة عندما أُلبست أثواب الطفيلين والحمقى ، وذلك بـ: - إعادة الهويّة الإسلامية لجُحا ، من خلال التركيز على شخصية جُحا المسلم ، ورفض ما عداها من هويّات قوميّة أو وطنيّة (جُحا العربي - جُحا المصري - جحا التركي - جُحا الكردي – جحا الرومي - جُحا الفارسي) التي يحاول البعض إلصاقها به ؛ لأنّ هذا يصبّ في مصلحة أعداء الدين ، - توقير جُحا بصفته رجل دين وفقيه ومحدّث ، وإنزاله المنزلة التي تليق به لا السخرية منه ؛ لأن تصويره بشكل كاريكاتوري فيه انتقاص من شأنه كعالم ، وتغييب لدوره الإصلاحي في المجتمع من توعية الناس ، ومواجهة الطُّغاة والجبابرة. وأخيرًا.. إن الألقاب الكثيرة التي أُلصقت بشخصيّة جُحا ، منها الأحمق والمغفّل والطفيلي ، تتعارض مع تعاليم ديننا الحنيف التي تنصّ على عدم السخرية من الآخرين).هـ. والآن لنطالع قصيدتنا عن جحا:)

جحـــا ســـبيلك رغـــم البُعـــد مـــأمولُ ... ولغـــزهُ رغـــم مـــا يخفيـــه محلـــولُ

تضـــــاربتْ حولـــــك الآراءُ مُشـــــهرة ... ســـيفَ التنـــاقض يُصـــلي نارَهـــا الجيـــل

وحولـــوك إلـــى شـــماعةٍ عجـــزتْ ... عـــن حمـــل مـــا يـــدّعي العِيـــر المناكيـــل

وبـــالغوا وافتـــروا إثمـــاً يحيـــقُ بهـــم ... أواه كـــم تفـــتن المـــرءَ الأباطيـــل!

وأحـــدثوا فتنـــة فـــي الأرض موقـــدة ... كأنمـــا أرســـلتْ فيهـــا الأبابيـــل

وأصـــبح اللغـــو دربـــاً خـــاب ســـالكه ... وأول اللغـــو والفوضـــى الأقاويـــل

فـــي عـــالم جبنـــتْ ألبـــاب ســـادته ... فـــلا تفـــارق أذكاهـــا الأضـــاليل

مِـــن كـــل مـــرتكس فـــي جُـــب خيبتـــه ... كأنـــه فـــي دجـــى التضـــليل مخبـــول

مِـــن كـــل هـــزل لـــه فقـــه وفلســـفة ... وســـيفُ زور علـــى الإســـلام مســـلول

لا يعلـــن الحـــق إن حانـــت مواجهـــة ... لأنـــه بســـراب العـــيش مشـــغول

(جحـــا) تفـــردت بالبســـاطة انطلقـــتْ ... فـــي العـــالمين ، فـــنعم الطـــوْل والطـــول!

تواضـــعٌ مـــا لـــه فـــي النـــاس مـــن شـــبهٍ ... وحُســـنُ ظـــن بحـــب الخيـــر موصـــول

ونيـــة مـــن دجـــى التشـــكيك قـــد خلصـــت ... وصـــاحب النيـــة الكـــأداء مغلـــول

وخـــاطرٌ مـــن مَريـــع الترّهـــات صـــفا ... وصـــاحبُ الخـــاطر المقبـــوح مـــرذول

وحســـنُ قصـــدٍ غـــدا سَـــمتاً ومنقبـــة ... كأنـــه فـــي دروب المكـــر قنـــديل

وطيبـــة فـــي قلـــوب الـــبعض مـــا عُهـــدتْ ... ومـــا لهـــا عنـــد أهـــل الختـــل مـــدلول

وحكمـــة قـــد ســـما فـــي الـــنفس وازعهـــا ... والقـــول مبتشـــر ، واللفـــظ معســـول

أهـــل الزمـــان بمـــا صـــنعته شـــهدوا ... ومنكـــرُ الفضـــل بـــين النـــاس ضِـــليل

ونـــال منـــك الألـــى زاغـــتْ بصـــائرُهم! ... وآفـــة تُـــزدرى البصـــائرُ الحـــول

وجـــرّدوك مـــن التكـــريم أنـــت لـــه ... أهـــلٌ ، ولـــيس علـــى الجهـــال تعويـــل

(جحـــا) ظَلِمـــت ، وظلـــمُ النـــاس مخبثـــة ... وفـــي (النـــوادر) تحـــتج التفاصـــيل

والنـــاسُ تغـــرق قـــي قيعـــان تســـليةٍ ... أمـــا الضـــحية فـــي الهـــزل البهاليـــل

لا يرعـــــوون لتـــــذكير يبصـــــرهم ... لأنهـــم بـــافترا الحمقـــى مشـــاغيل

تبـــرر الغايـــة المثلـــى وســـيلتها ... لأن مـــنهجهم فـــي العـــيش مـــدخول

لا يضـــحكون كمـــا ســـنتْ شـــريعتهم ... إذ يخنـــق الشـــرعَ فـــي الأوطـــان تعطيـــل

والهـــزلُ صـــارت لـــه سُـــوحٌ وفلســـفة ... وقـــومُ ســـوءٍ لهـــم فيهـــا أفاعيـــل

أســـائل اليـــوم مَـــن ضـــلوا ومَـــن هزلـــوا ... أجـــاء بـــاللغو يـــا أقـــوام تنزيـــل؟

ألا تخـــافون مـــن عقبـــى تـــرهلكم؟ ... وهـــل يقـــود إلـــى الآمـــال ترهيـــل؟

أمـــا لكـــم عبـــرة فـــي كـــل مَـــن هزلـــوا؟ ... وهـــل مصـــير طغـــاة الأرض مغفـــول؟

تـــأملوا مـــا انتهـــى إليـــه بـــاطلكم ... وقـــدموا العـــذر إمـــا كـــان تأويـــل

(جحـــا) رأوْك لـــدنيا اليـــوم بلســـمها ... إذ الاهتمـــام بهـــا يـــا صـــاح ممـلـــول

واللامبـــالاة قـــد تـــريح محترقـــاً ... وجيلـــه مـــن دجـــى الإفـــلاس مبتـــول

مـــادام أدى الـــذي يريـــد خالقـــه ... مـــن البيـــان لـــه ، والفـــذ مســـؤول

أدى النصـــيحة ، لـــم يبخـــل بموعظـــةٍ ... والشـــهم دومـــاً علـــى العطـــاء مجبـــول

حتـــى إذا جابـــه الـــردود عاتيـــة ... والعلـــم بـــين عبيـــد المـــال مخـــذول

رد الخصـــوم ، وقـــد أبـــان حجتـــه ... ولـــم يعُـــقْ ســـيْره فـــي الـــدرب تهويـــل

ولـــم يجـــادل عـــن الضُـــلال مَـــن جحـــدوا ... وسِـــترهم فـــوق مـــا قـــالوه مســـدول

إذ إنهـــم شـــوهوا مَـــن كـــان ينصـــحهم ... وناشـــرُ العلـــم بـــين العِيـــر مقتـــول

لـــذا التجاهـــلُ للبـــاغين منفعـــة ... والإنتمـــاءُ لهـــم عـــارٌ وتجهيـــل

قـــاطعتهم عنـــدما طـــالوا حنيفتنـــا ... وكـــم يطـــال الهـــدى قـــومٌ مهازيـــل!

(جحـــا) تمـــوت إذا عاينـــت خيبتنـــا ... فـــي عـــالم عيشـــهُ ذلٌ وتقتيـــل

فـــلا شـــجاعة فـــي قلـــوب ســـادته ... فـــالجبن فـــي غـــرر التيجـــان إكليـــل

لـــو أنصـــفوا مـــا افتـــروا علـــى جحـــا كـــذباً ... لأن منهجـــه فـــي النقـــد مقبـــول

عبـــدٌ رأى الخلـــق فـــي أهـــوائهم غرقـــوا ... أمـــا المصـــير فطـــي الغيـــب مجهـــول

وفـــي المعاصـــي رأى أبصـــارهم شخصـــتْ ... كـــأنهم فـــي دنـــا الخلـــق التماثيـــل

فناصـــح الكـــل حتـــى أهـــدورا دمـــه ... وأطفئـــتْ فـــي دنـــا النـــوكى القناديـــل

لـــذاك آثـــر بُعـــداً عـــن تـــرهلهم ... إن اللبيـــب عـــن الجُهـــال معـــزول

يمـــوت قـــومٌ بمـــا نـــالوا ومـــا اكتســـبوا ... أواه كـــم تقتـــل الصِـــيدَ التهاويـــل!

حنين القلب

(إن سؤالاً يطرح نفسه في مستهل هذه القصيدة ، هذا السؤال هو: من منا لا يعرف الشيخ عبد الباسط عبد الصمد سليم داود؟ من منا لا يعرف صوته ولا يعرف قدره ، ولا يعرف تميزه بين القراء؟! قارئ ملأ ربوع الأرض قرآنا بصوته الصافي النقي العذب. صوت مميز بلا تحيز ، قوي صافٍ بلا انفعال ، مؤثر بلا افتعال ، مدرسة فريدة في القراءة تتلمذ عليها من جاؤوا بعده من القراء بلا استثناء. الشيخ عبد الباسط مفخرة قراء صعيد مصر! فهو من مواليد مدينة أرمنت محافظة قنا في أول يناير عام 1927م ، وهي ذات السنة التي ولد فيها أبي: (علي سليمان) ، فهي سنة مباركة عندي بهذا الاعتبار! وكان ترتيبه (أي الشيخ عبد الباسط) الثالث بين إخوته ، فأخوه الأكبر محمود عبد الصمد مفتش ثانوي سابق ، ويعتبر أول من تعلم بالأزهر في محافظة قنا ، يليه عبد الحميد عبد الصمد ناظر ثانوي أزهري بالمعاش ، ثم الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، ثم أخيه الأصغر عبد الله عبد الصمد. ألحقه أبوه بكُتاب البلدة مع إخوته عام 1943م ، إلا أن الطفل عبد الباسط تميز عن إخوته في حفظه للقرآن ، وحسّن تلاوته له رغم التحاقه بالكتاب في السابعة من عمره ، إلا أنه أتم حفظه قبل بلوغ العاشرة ، ولأن والده كان من علماء الدين بمحافظة قنا ، فقد عزم على الاهتمام به لما رأى فيه من حسن الأداء وجمال الصوت ليكون من أهل القرآن ، وذلك بخلاف إخوته الذين لم يكونوا مثله ، ولم يتمتعوا بموهبته ، فاكتفى بإتمامهم حفظ القرآن ، ثم وجههم إلى التعليم الأزهري! والشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد ولد بقرية المراعزة التابعة لمدينة أرمنت بمحافظة قنا بجنوب مصر ، حيث نشأ في بقعة طاهرة تهتم بالقرآن الكريم حفظاً وتجويداً ، فقد كان جده الشيخ عبد الصمد من الأتقياء والحفظة المشهود لهم بالتمكن من حفظ القرآن وتجويده بالأحكام ، وأيضاً والده الشيخ محمد عبد الصمد كان أحد المجودين المجيدين للقرآن حفظاً وتجويداً. أما الشقيقان هما محمود وعبد الحميد وكانا يحفظان القرآن بالكتاب ، فلحق بهما أخوهما الأصغر سناً عبد الباسط ، وهو في السادسة من عمره. وكان ميلاد الشيخ عبد الباسط عبد الصمد بداية تاريخ حقيقي لقريته ولمدينة أرمنت التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، التحق الطفل الموهوب عبد الباسط بكتّاب الشيخ الأمير بأرمنت ، فاستقبله شيخه أحسن ما يكون الاستقبال ، لأنه توسم فيه كل المؤهلات القرآنية التي صُقلت من خلال سماعه القرآن يتلى بالبيت ليل نهار ، بكرة وأصيلاً ، لاحظ الشيخ (الأمير) على تلميذه الموهوب أنه يتميز بجملة من المواهب والنبوغ تتمثل في سرعة استيعابه لما أخذه من القرآن وشدة انتباهه وحرصه على متابعة شيخه بشغف وحب ، ودقة التحكم في مخارج الألفاظ والوقف والابتداء وعذوبة في الصوت تشنف الآذان بالسماع والاستماع ، وأثناء عودته إلى البيت كان يرتل ما سمعه من الشيخ رفعت بصوته القوي الجميل متمتعاً بأداء طيب يستوقف كل ذي سمع. يقول الشيخ عبدالباسط في مذكراته: عندما كان سني عشر سنوات أتممت خلالها حفظ القرآن الذي كان يتدفق على لساني كالنهر الجاري وكان والدي موظفاً بوزارة المواصلات ، وكان جدي من العلماء ، فطلبت منهما أن أتعلم القراءات فأشارا عليّ أن أذهب إلى مدينة طنطا بالوجه البحري لأتلقى علوم القرآن والقراءات على يد الشيخ (محمد سليم) ، ولكن المسافة بين أرمنت (إحدى مدن جنوب مصر) وبين طنطا (إحدى مدن الوجه

البحري) كانت بعيدة جداً ، والأمر كان متعلقاً بصياغة مستقبلي ورسم معالمه ، مما جعلني أستعد للسفر ، وقبل التوجه إلى طنطا بيوم واحد علمنا بوصول الشيخ محمد سليم إلى أرمنت ليستقر بها مدرساً للقراءات بالمعهد الديني بأرمنت ، واستقبله أهل أرمنت أحسن استقبال واحتفلوا به لأنهم يعلمون قدراته وإمكاناته لأنه من أهل العلم والقرآن ، وكأن القدر ساق إلينا هذا الرجل في الوقت المناسب ، وأقام له أهل البلاد جمعية للمحافظة على القرآن الكريم بقرية أصفون المطاعنة ، فكان يُحَفِظ القرآن ويُعَلِم علومه والقراءات ، فذهبتُ إليه وراجعتُ عليه القرآن كله ثم حفظتُ الشاطبية التي هي المتن الخاص بعلم القراءات السبع. وبعد أن وصل الشيخ عبد الباسط الثانية عشرة من العمر انهالت عليه الدعوات من كل مدن وقرى محافظة قنا ، وخاصة أصفون المطاعنة بمساعدة الشيخ محمد سليم الذي زكّى الشيخ عبد الباسط في كل مكان يذهب إليه ، وشهادة الشيخ سليم كانت محل ثقة الناس جميعاً. في عام 1950م ذهب إلى القاهرة وكان هناك احتفال سنوي يحييه عمالقة القراء المشاهير ، كالشيخ عبد الفتاح الشعشاعي والشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبد العظيم زاهر والشيخ أبو العينين شعيشع وغيرهم ، من كوكبة قراء الرعيل الأول بالإذاعة. وبعد منتصف الليل والمسجد يموج بأفواج من الناس القادمين من كل مكان من أرجاء مصر كلها. استأذن أحد أقارب الشيخ عبد الباسط القائمين على الحفل أن يقدم لهم هذا الفتى الموهوب ليقرأ عشر دقائق ، فأذن له وبدأ في التلاوة وسط جموع غفيرة ، وكانت التلاوة من سورة الأحزاب ، فعم الصمت أرجاء المسجد ، واتجهت الأنظار إلى القارئ الصغير الذي تجرأ وجلس مكان كبار القراء ، ولكن ما هي إلا لحظات حتى انتقل السكون إلى ضجيج وصيحات رجت المسجد (الله أكبر) (ربنا يفتح عليك) (بارك الله فيك) ، إلى آخره من العبارات التي تصدر من القلوب مباشرة من غير مونتاج. وبدلاً من القراءة عشر دقائق امتدت إلى أكثر من ساعة ونصف ، فخيل للحاضرين أن أعمدة المسجد وجدرانه وثرياته انفعلت مع الحاضرين وكأنهم يسمعون أصوات الصخور تهتز وتسبح بحمد ربها مع كل آية تتلى بصوت شجي ملائكي يحمل النور ويهز الوجدان بهيبة ورهبة وجلال. ومع نهاية عام 1951م ، طلب الشيخ الضباع من الشيخ عبد الباسط أن يتقدم إلى الإذاعة كقارىء بها ، ولكن الشيخ عبدالباسط أراد أن يؤجل هذا الموضوع ، نظراً لارتباطه بالصعيد وأهله ولأن الإذاعة تحتاج إلى ترتيب خاص ، ولكن قدر الله وإرادته فوق كل ترتيب وإرادة ، فقد كان الشيخ الضباع قد حصل على تسجيل لتلاوة الشيخ عبد الباسط بالاحتفال إياه! والذي به خطف الأضواء من المشاهير وتملك الألباب ، وقدم هذا التسجيل للجنة الإذاعة فانبهر الجميع بالأداء القوي العالي الرفيع المحكم المتمكن ، وتم اعتماد الشيخ عبد الباسط بالإذاعة عام 1951م ، ليكون أحد النجوم اللامعة. وبعد الشهرة التي حققها الشيخ عبد الباسط في بضعة أشهر ، كان لا بد من إقامة دائمة بالقاهرة مع أسرته التي نقلها من الصعيد إلى حي السيدة زينب ، ليسعد بجوار المسجد! وتم التحاقه بالإذاعة وتقديمه كهدية للعالم والمسلمين والإسلام ، على حد قول ملايين الناس ، فبسبب إلتحاقه بالإذاعة زاد الإقبال على شراء أجهزة الراديو ، وتضاعف إنتاجها وانتشرت بمعظم البيوت للاستماع إلى صوت الشيخ عبد الباسط ، وكان الذي يمتلك راديو في منطقة أو قرية من القرى ، يقوم برفع صوت الراديو لأعلى درجة ، حتى يتمكن الجيران من سماع الشيخ عبد الباسط ، وهم بمنازلهم وخاصة كل يوم سبت ، على موجات البرنامج العام من الثامنة وحتى الثامنة والنصف مساءً ، بالإضافة إلى الحفلات الخارجية التي كانت تذاع على الهواء

مباشرة من المساجد الكبرى. هذا ، ولقد بدأ الشيخ عبد الباسط رحلته الإذاعية في رحاب القرآن الكريم منذ عام 1952م ، فانهالت عليه الدعوات من شتى بقاع الدنيا في شهر رمضان وغير شهر رمضان. كانت بعض الدعوات توجه إليه ليس للاحتفال بمناسبة معينة ، وإنما كانت الدعوة للحضور إلى الدولة التي أرسلت إليه لإقامة حفل بغير مناسبة ، وإذا سألتهم عن المناسبة التي من أجلها حضر الشيخ عبد الباسط فكان ردهم (بأن المناسبة هي وجود الشيخ عبد الباسط) ، فكان الاحتفال به ومن أجله لأنه كان يُضفي جواً من البهجة والفرحة على المكان الذي يحل به. هذا يظهر من خلال استقبال شعوب دول العالم له استقبالاً رسمياً على المستوى القيادي والحكومي والشعبي. حيث استقبله الرئيس الباكستاني في أرض المطار ، وصافحه وهو ينزل من الطائرة. وفي جاكرتا بدولة إندونيسيا قرأ القرآن الكريم بأكبر مساجدها ، فامتلأت جنبات المسجد بالحاضرين ، وامتد المجلس خارج المسجد لمسافة كيلو متر مربع ، فامتلأ الميدان المقابل للمسجد بأكثر من ربع مليون مسلم يستمعون إليه وقوفاً على الأقدام حتى مطلع الفجر. وفي جنوب أفريقيا عندما علم المسئولون بوصوله ، أرسلوا إليه فريق عمل إعلامي من رجال الصحافة والإذاعة والتليفزيون ، لإجراء لقاءات معه ومعرفة رأيه عما إذا كانت هناك تفرقة عنصرية أم لا من وجهة نظره ، فكان أذكى منهم وأسند كل شيء إلى زميله وابن بلده ورفيق رحلته القارئ الشيخ أحمد الرزيقي الذي رد عليهم بكل لباقة ، وأنهى اللقاء بوعي ودبلوماسية أضافت إلى أهل القرآن مكاسب لا حد لها ، فرضت احترامهم على الجميع. كانت أول زيارة للشيخ عبد الباسط خارج مصر بعد التحاقه بالإذاعة عام 1952م ، زار خلالها السعودية لأداء فريضة الحج ومعه والده. واعتبر السعوديون هذه الزيارة مهيأة من قبل الله ، فهي فرصة يجب أن تجنى منها الثمار ، فطلبوا منه أن يسجل عدة تسجيلات للمملكة لتذاع عبر موجات الإذاعة. لم يتردد الشيخ عبد الباسط ، وقام بتسجيل عدة تلاوات للمملكة العربية السعودية ، أشهرها التي سجلت بالحرم المكي والمسجد النبوي الشريف ، (لقب بعدها بصوت مكة). لم تكن هذه المرة الأخيرة التي زار فيها السعودية وإنما تعددت الزيارات ما بين دعوات رسمية وبعثات وزيارات لحج بيت الله الحرام. من بين الدول التي زارها الهند لإحياء احتفال ديني كبير أقامه أحد الأغنياء المسلمين هناك. فوجئ الشيخ عبد الباسط بجميع الحاضرين يخلعون الأحذية ويقفون على الأرض ، وقد حنّوا رؤوسهم إلى أسفل ينظرون محل السجود وأعينهم تفيض من الدمع ، يبكون إلى أن انتهى من التلاوة ، وعيناه تذرفان الدمع تأثراً بهذا الموقف الخاشع. لم يقتصر الشيخ عبد الباسط في سفره على الدول العربية والإسلامية فقط ، وإنما جاب العالم شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً وصولاً إلى المسلمين في أي مكان من أرض الله الواسعة. تمكن مرض السكر من الشيخ عبد الباسط ، وكان يحاول مقاومته بالحرص الشديد والالتزام بتناول الطعام والمشروبات ، ولكن تضامن الكسل الكبدي مع السكر ، فلم يستطع أن يقاوم هذين المرضين الخطيرين فأصيب بالتهاب كبدي قبل رحيله بأقل من شهر ، فدخل مستشفى الدكتور بدران بالجيزة ، إلا أن صحته تدهورت مما دفع أبناءه والأطباء إلى نصحه بالسفر إلى الخارج ليعالج في لندن ، حيث مكث بها أسبوعاً وكان بصحبته ابنه طارق ، فطلب منه أن يعود به إلى مصر وكأنه أحسّ أن نهار العمر قد ذهب ، وكأن اللقاء قد اقترب ، فما الحياة إلا ساعة ثم تنقضي ، فالقرآن أعظم كرامة أكرم الله بها عبده وأجلّ عطية أعطاها إياه فهو الذي استمال القلوب وقد شغفها طرباً وطار بها فسافرت إلى النعيم المقيم في جنات النعيم ، وقد غمر

القلوب حباً وسحبهم إلى الشجن ، فحنت إلى الخير والإيمان وكان سبباً في هداية كثير من القلوب القاسية وكم اهتدى بتلاوته كثير من الحائرين ، فبلغ الرسالة القرآنية بصوته العذب الجميل كما أمره ربه فاستجاب وأطاع. كان رحيله ويوم وداعه بمثابة صاعقة وقعت بقلوب ملايين المسلمين في كل مكان من أرجاء الدنيا وشيّعه عشرات الألاف من المحبين لصوته وأدائه وشخصه على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، وكانت جنازته وطنية ورسمية على المستويين المحلي والعالمي فحضر تشييع الجنازة جميع سفراء دول العالم نيابة عن شعوبهم وملوك ورؤساء دولهم تقديراً لدوره في مجال الدعوة بكافة أشكالها حيث كان سبباً في توطيد العلاقات بين كثير من شعوب دول العالم ليصبح يوم 30 من نوفمبر من كل عام يوم تكريم لهذا القارىء العظيم ليذكّر المسلمين بيوم الأربعاء الموافق 1988/11/30م ، الذي توقف عنه وجود الشيخ عبد الباسط عبد الصمد بين أحياء الدنيا ، ليفتح حياة خالدة مع أحياء الآخرة ، يرتل لهم القرآن الكريم كما يرتل فى الدنيا. ومن الذكريات أنه كان رحمة الله عليه يقول أنه تقاضى ثلاثة جنيهات في أول حفله قرأ فيها وكان عمره أربعة عشر عاماً ، ويعد هذا المبلغ كبيراً في ذلك الوقت الذي نال فيه شهرة واسعة رغم صغر سنه ، فكان يجوب محافظة أسوان والأقصر بدعوات خاصة من كبار العائلات حتى أواخر عام 1950م. ولقد تزوج الشيخ عبد الباسط في سن مبكرة ، وقبل اعتماده قارئاً بالإذاعة فهل استقر بالقاهرة وترك زوجته وأهله بمدينة أرمنت أم ماذا؟ كان متردداً بإقامته بالقاهرة والاستقرار بها وإقامته بالوجه القبلي فاستخار الله تعالى ، فكان له ما أراد حيث الاستقرار بالقاهرة فعاد إلى مدينة أرمنت واصطحب زوجته وبنتيه إلى القاهرة ، ونزل بهما جميعاً على لوكاندة الشرق بحي السيدة زينب أيضاً وكان ذلك عام 1952م. وبعد اعتماده بالإذاعة المصرية تم تعيينه بمسجد الإمام الشافعي حتى عام 1981م ، ثم نقل إلى مسجد الحسين ، وأحيا العديد من الحفلات القرآنية بمساجد القاهرة والسيدة زينب والسلطان أبو العلا ومسجد الإمام الشافعي رضي الله عنهم جميعاً. وعندما سافر الشيخ عبد الباسط عبد الصمد إلى باريس ، خلع عمامته وجبته وارتدى بدلة قام بشرائها من أشهر محلات باريس. نعم لقد روى هذه القصة بنفسه فقد سافر إلى فرنسا عام 1952م لإحياء ليالى رمضان بالمركز الإسلامي هناك ، وذات يوم وبعد تناوله طعام إفطاره أراد أن يخرج إلى الشارع ليتنزه بعض الوقت ، فخرج مرتدياً زيه التقليدي ، وأثناء سيره في الشارع لاحظ أن الناس ينظرون إليه ويشيرون إلى ملابسه وإلى عمامته ، فأحس أن هذا الأمر يلفت الأنظار إليه ، فذهب إلى صديق كان يقيم معه بالفندق وعرض عليه الأمر ، وطلب منه أن يصطحبه لشراء بدلة يرتديها بدلاً من العمامة والجبة ، وبالفعل قاما بشراء تلك البدله التي كان الشيخ عبد الباسط يلبسها ، كما أراد أن ينزل إلى الشارع متخلياً عن جبته وعمامته في التلك الظروف فقط. ولماذا لم يرتد البدلة في مصر؟ لقد سئل هذا السؤال فقال: أشعر أنها تقيد جسمي وحركتي! وقد تعودت على ارتداء الجلباب. وذات يوم أراد الشيخ عبد الباسط أن يتعلم اللغة الإنجليزية ، فتعاقد مع أحد معاهد اللغات ولكنه لم يحضر سوى أربعة حصص فقط. فما السبب وراء رغبته في تعلم اللغة الإنجليزية؟ ولماذا لم يستمر في تعلمها؟ بعد أن عاد من أحد أسفاره إلى أوروبا قال: أريد أن أتعلم اللغة وأذكر أنني سافرتُ كثيراً إلى الدول الأوروبية وتعرضتُ لمواقف كثيرة أشعر معها بضرورة تجاوبي مع شعوب تلك الدول ، وبالفعل التحق بأحد معاهد تعليم اللغات ودفع مبالغ يعادل قيمة أجر ثلاثين حصة مقدماً واتفق مع المسؤلين بالمعهد على أن يتم التدريس له بمفرده ، فوافقوا ولكنه لم يحضر سوى ثلاثة

أو أربعة حصص فقط ، لكثرة ارتباطة وأسفاره المتعددة داخل مصر ولفترات طويلة قد تصل إلى شهور في بعض الأحيان يغيب فيها ، فأثر ذلك على انتظامه بالدراسة ومتابعة الدارسين فانقطع استكمال هذا المشوار. ويوماً عرض عليه الملك محمد الخامس ملك المغرب أن يترك القاهرة ومصر كلها ويقيم معه بالمغرب إقامة كامله ولكنه رفض. فقد كانت تربطه بالملك محمد الخامس علاقة وصداقة قوية ، وكان يتصل به عن طريق التليفون ويحدد له موعد حضوره للقاهرة ليستمع إلى تلاوة القرآن بصوته وكانا يلتقيان بمسجد السيدة نفيسة فيصليان الفجر سوياً ، ثم يمكثان بعد الصلاة بالمسجد ، ويقرأ الشيخ عبد الباسط ما تيسر من القرآن حتى تطلع الشمس. وفي آخر زيارة للملك محمد الخامس بالقاهرة عرض على الشيخ عبد الباسط أن يترك القاهرة ، ويذهب معه إلى دولة المغرب ليستقر هناك ، وسوف يغدق عليه بالمال الكثير ، فاعتذر له الشيخ قائلاً: أعدك أن آتي إليك بالمغرب على سبيل الزيارة ، كلما سمحت لي الظروف بذلك ، لأن إقامتي بالمغرب ليست بالأمر الهين علي ، فهذه مصر بلدي وأهلها أهلي الذين نشأت بينهم ، ولا أستطيع أن أفارقهم ، وعلى الرغم من كثرة أسفاري وتغيبي عن مصر إلا أن احساسي بالعودة إليها آت لا محالة يهون عليّ مشقة السفر ووحشة الأهل وبعد المسافات! فاستقبل الملك محمد الخامس هذا الرفض المهذب ببشاشة وجه وحب عظيم وتقدير للشيخ عبد الباسط لأصالة انتمائه وعرفاناً بجميلها عليه. ولكن ما هي الشخصيات التي تأثر بها الشيخ عبد الباسط عبد الصمد؟ شخصيتان ، الأولى هي شخصية الشيخ محمد رفعت ، والذي كان يقول عنه أنه كان يمشي مسافات طويلة جداً قد تصل إلى خمس كيلو مترات ، ليستمع إلى القرآن بصوت الشيخ محمد رفعت ، من خلال جهاز الراديو الوحيد الموجود عند أحد أثرياء البلدة ، فتأثر بصوته جداً وخاصة تلك الفترة التي كان يتأهب فيها ليكون قارئاً ، ويحلم بأن ينال شهرة الشيخ محمد رفعت. أما الشخصية الثانية شخصية الشيخ مصطفى إسماعيل قارئ القصر الملكي وكان الشيخ عبد الباسط يثني على أخلاقة كثيراً ، وأنه قارئ له مدرسته وصوته المميز ولونه الخاص وكان يحب الاستماع إليه كثيراً ، وقد ربطتهما صداقة متينة! وقد كان تأثر بهما تأثر المحب لصوتيهما وأسلوبهما وليس مقلداً لهما ، فلكل منهما أسلوبه ومنهجه وأدائه الذي يختلف عن الآخر. ماذا عن الطعام الذي كان يفضله الشيخ عبد الباسط عبد الصمد؟ وكان الشيخ عبد الباسط لم ينقد أو ينتقد قط وعندما يسأل عن رأيه في صوت أي قارئ جديد يقول: صوته جيد ولا بأس به ولا يزيد على ذلك. لقد سافر إلى السعودية عام 1951م ، لأداء فريضة الحج وقام ببعض التسجيلات لإذاعة المملكة ، ثم تتابعت بعد ذلك الزيارات للمملكة ، فسجل لها المصحف المرتل برواية حفص عن عاصم ، وذلك بدعوة من وزارة الإعلام السعودية ، وقد دعته حكومة سوريا لإحياء شهر رمضان بالمسجد الأموي بدمشق والجامع الكبير بحلب وكذلك إحياء بعض الليالي الدينية بلبنان والجزائر والكويت وكل الدول العربية وكانت تلك الزيارات بعضها من قبل وزارة الأوقاف لإحياء ليالي شهر رمضان والبعض الأخر عن طريق الدعوات الشخصية. وسافر على جنوب أفريقيا مرتين ومكث فيها أكثر من شهرين قضاها مع مسلمي جنوب أفريقيا بدعوة من المركز الإسلامي في مدينة جوهانسبرج ، وقرأ القرآن في بريتوريا ودرين وليدي سميث وكابتون. كذلك قلم بزيارة باكستان أكثر من مرة وكذلك الهند وأندونسيا وبورما وماليزيا وجزر المالديف وأوغندا والسنغال ونيجيريا. وكانت أول زيارة له للولايات المتحدة الأمريكية عام 1967م بدعوة من المركز الإسلامي بواشنطن زار خلالها أربعة عشر ولاية أمريكية

قرأ فيها جميعها القرآن ثم قام بزيارتها مرة أخرى عام 1981م ، بدعوة من المركز الإسلامي بلوس أنجلوس ثم زيارة أخرى عام1987م ، وفي نفس العام عندما دعي لافتتاح أول مدرسة إسلامية لتعليم القرآن الكريم بمدينة فرجينيا بواشنطن. كما سافر إلى بعض الدول الأوربية حيث سافر إلى باريس وقرأ بالقسم الإسلامي بها وأيضاَ في أسبانيا ولندن وقام بتسجيل بعض التسجيلات للقسم العربي بالإذاعة البريطانية عام 1971م. وفي خواتيم أيامه في الدنيا ، ولأنه كان يشعر بدنو أجله طلب أن يجلس مع عائلته فأوصاهم خيراً ببعضهم البعض ، وأوصى ابنه الأكبر بأن تكون صلاة الجنازة عليه بمسجد مصطفى محمود بالمهندسين ، وأن يكون العزاء بمسجد الحامدية بسور نادي الزمالك! وقد وافته المنية عصر الأربعاء الموافق30-11-1988م ، عن عمر يناهز إحدى وستين عاماً. ما هي الأوسمة التي حصل عليها؟ وفي سوريا كرمه الرئيس صبري العسلي رئيس مجلس الوزراء السوري عام1956م ، ومنح وسام الاستحقاق. ومن لبنان قلده الرئيس سامي الصلح وساماً. وكذلك قلدته الحكومة السنغالية وساماً ، ومن ماليزيا منحه رئيس حكومة ماليزيا تنكو عبد الرحمن الوسام الذهبي في افتتاح المسجد الكبير بالعاصمة الماليزية كوالالمبور وسط احتفال كبير شهده ربع مليون ماليزي عام 1956م. ومن مصر حصل على شهادة تقدير من وزارة الاعلام المصرية بمناسبة عيدها الذهبي عام 1938م. وكان قد سافر مع الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق إلى أبو ظبي والشارقة وقطر والهند ، ومع الدكتور عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر السابق إلى باكستان وماليزيا ، ومع الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر إلى جزر المالديف ثم البحرين ثم في رحلة أخرى إلى نيجيريا ثم إلى جمهورية الصومال. ورافق الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق إلى باكستان والهند لافتتاح بعض المؤتمرات الدينية بجامعة العلوم في ديوبن ومصاحباً للدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف الحالي إلى أورانج لافتتاح مؤتمر السيرة النبوية الرابع عشر. قام بتسجيل المصحف المرتل برواية حفص عن عاصم لإذاعة جمهورية مصر العربية ، كما شارك بتسجيل المصحف المرتل برواية حفص عن عاصم أيضاً للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وكذلك للإذاعة السعودية والكويت. والمصحف المرتل رواية ورش عن نافع لإذاعة المملكة المغربية ، رحمه الله رحمة واسعة. هذا ، ويرجع حبى للشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، إلى عهد الطفولة. ولقد ذهب الشيخ الجليل وأفضى إلى ما قدم. ورحل عنا مخلفاً ذلك الصوت الشادي الحادي بآي الذكر الحكيم – يشهد ربي – تعالى – كيف كنت أتابع الشيخ في جميع الإذاعات مترقباً ومشتاقا إلى القرآن العبقري الندي الشجي بهذا الصوت الذكي اللطيف الظريف. ويشهد ربي أني كنت أسير إلى المكتبات والتسجيلات الصوتية إلى اليوم: باحثاً عن هذا الصوت وملتمساً هذا الأداء الذي هو الثروة لمن أراد الثروة والثراء والتراث الحق لمن كان يلتمس التراث. وفي رحلة للعمرة وفي طريق عودتي من مصر قاصداً إلى الإمارات في 2001م ، وفي إحدى التسجيلات بمكة كرمها الله طلبتُ قراءة القرآن برواية ورش عن نافع بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد – رحمه الله – وتوقعت الإجابة بالنفي (ككل جواب سبق في مصر أو في الأردن أو في السعودية) ، ولكن في هذه المرة أجاب البائع الكريم: (موجودة) فقلت: أهي الختمة الكاملة المرتلة؟ فأجاب: نعم. فقلت في نفسي: لعله يجهل ما أريد ، فكررت: (قراءة ورش عن نافع وليست قراءة حفص عن عاصم)! فأجاب بثقة: وهل أنا لا أعرف الفرق بينهما في تصورك؟ فأجبت: كلا حاشاك؟ وكنت أنوى أن أقول: (ربما) ولكنني استحيت منه ، فالرجل تبدو

عليه أمارات العلم والمعرفة وسيماء الصالحين العالِمين. فحملتها وكأنني حزت كنزاً عظيماً (وهي كذلك). أهدي أبياتي هذي والتي يعطرها حنين القلب وشآبيب العاطفة ، وتلفحها ترانيم الأحاسيس ويزخرفها أريج الشعور بالحب الكبير للشيخ الجليل والقارئ الحبيب صاحب الحنجرة الذهبية الشادية بآيات القرآن: عبد الباسط محمد عبد الصمد – رحمه الله – وذلك بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى وأثر فينا رحيله ويبقى صوته العذب يتلو آيات القرآن ، ويرتل كلام الله تعالى. فلقد تأثرت جداً بالشيخ / عبد الباسط ، منذ صغري – مثلي في ذلك مثل الكثيرين من محبي الشيخ – رحمه الله -. وأذكر أنني ذهبت إلى أم عبد الله زوجي وكانت خطيبة لا تزال في دار أبيها ، وقلت لها مستعبراً باكياً حزيناً: (عبد الباسط مات يا عزة!) ، وأخذت العائلة تقارن بين البكاء على قارئ القرآن الكريم ، والبكاء على مغن فاسق ماجن! وتمت كتابة هذه القصيدة يوم وفاة الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى!)

أيـــن الأريـــجُ؟ وأيـــن النبـــعُ والقمـــرُ؟ وأيـــن عطـــرٌ - علـــى الآمـــاد - ينتشـــرُ؟

وأيـــن رجْـــعُ الصـــدى فـــي القلـــب مبتســـماً؟ وأيـــن صـــوتُ الهُـــدى بـــالوحى يزدهـــر؟

أيـــن النـــدى فـــي ذرى الآفـــاق ملتحفـــاً نـــور الـــتلاوة ، يزجـــي نفحـــه الزهـــر؟

أيـــن التغنـــي بـــآي الـــذكر؟ أيـــن مضـــى؟ حزنـــي عليـــه طغـــى ، مـــا عـــدتُ أصـــطبر؟

أيـــن الشـــذى فـــوق هـــام القـــوم يبـــذرهُ شـــيخي الحبيـــبُ رطيبـــاً مثلمـــا المطـــر؟

أيـــن القـــراءاتُ فـــي ليـــل وفـــي سَـــحَر؟ اليـــوم يبكـــي عليهـــا الليـــلُ والســـحر؟

أيـــن التراتيـــلُ نشـــوى فـــي تبخترهـــا تُعطـــر النـــاس بـــالقرآن ، تفتخـــر؟

وأيـــن شـــيخ جليـــلٌ صـــادحٌ أبـــداً؟ مزمـــارُ (داود) لا فخـــر ولا بطـــر!

قـــالوا: مـــريض ، شـــفى الـــرحمن عِلتـــه إنـــي أحـــس بـــأن الليـــث يُحتضـــر

وبعـــدُ نُبئـــتُ أن البـــدر ودّعنـــا فقلـــت: أمـــر المليـــكِ ، وإن ذا قـــدر

يـــا لهـــف (أرمنـــتَ) ، باتـــت فـــي تحسّـــرها والـــدمعُ فـــوق ثـــرى البيـــداء ينتحـــر

يبكيـــكَ أهـــل التقـــى: ســـراً وفـــي علـــن والحـــزنُ يـــا شـــيخنا فـــي القلـــب يســـتعر

إنـــي ذكرتـــك ، والأيـــامُ ماضـــية تعبـــئ العُمْـــر فـــي الأجـــداث ، لا تـــذر

وحكمـــة الله أن المـــوت يرقبنـــا بعـــد الحيـــاة ليُبلـــى مَـــن لـــه بصـــر

فمنْ يعشْ في سنا التقوى نجا أبداً ... ومَن تعبد دنياهُ لهُ سَقر

وبعد موتك في قرآننا عِوضٌ ... كتابُ ربك فيه الخير والثمر

مَن كان يعمل بالقرآن محتسباً ... له الجنانُ ، فيا خسران مَن كفروا!

يا ابن الصعيد عليكَ العينُ دامعة ... والقلبُ تلهو به الأحزانُ والكدر

(مصر) الكسيرة تبكي فقد قارئها ... والمسلمون ، ودمعُ الآي ينهمر

أحدثت فينا مصاباً ليس يُذهبه ... سَعدُ السنين ، ولا الدنيا ، ولا البشر

كربٌ تمكّن مِن أرواح طائفةٍ ... دوماً تعرقلها الآلامُ والغِير

تبكي المناقبُ غاب اليومَ ناشرُها ... مِن الشهود ، وأدمى عزمَها الخوَر

تسير فوق اللظى ، والتيهُ حارقها ... والحقدُ يسحقها ، والزورُ والشرر

منصورة ، لكنِ الأحداث عاصفة ... ويحرق القلبَ أن الزيفَ منتصرا

على هُدى المصطفى تحيا شبيبتها ... جمعٌ بأمْر رسول الله مُؤتمر

على خطا سلف للمختار منهجهم ... لم يقتفوا أبداً آثار مَن فجروا

يريدها الكل تحت السيف أضحية ... لكنما مَن بغى يوماً سيندحر

ويحمل الراية العصماء مَن نصروا ... دين الملك ، فيا بُشرى الألى نصروا!

شيخي الجليلَ: ستحيا بيننا ألِقاً ... بصوتك العذب منه الفذ يذّكر

قلبي يحنّ ، وفي الأشواق هيمنة ... والروح خجلى إليك اليوم تعتذر

سبائكُ الماس أو حُورٌ مذهبة ... ناهيك عن نبرةٍ في ظلها العِبر

(قنا) ستفنى ، ويُبلي الدهرُ سادتها ... ونورُ صوتك في الأكوان مبتشر

ترتيلك اليومَ في سمع الدنا عَبقٌ ... آذاننا ظلمة ، وصوتك القمر

فرجّع الآي تلو الآي تشعِرُنا ... أن القرآن على آياته دُرر

ورتـــل (النحـــل) و(الإســـراء) فـــي وجـــل ... ورتـــل (الـــنجم) و(الـــرحمن)! بـــل آخـــر

ورتـــل (النـــور) و(الفرقـــان) و(الشـــعرا) ... فـــي كـــل واحـــدةٍ كانـــت لنـــا النـــذر

ورتـــل (الـــروم) و(الأحـــزاب) ، كـــم حَوَتـــا ... مـــن القواعـــد ، فيهـــا العـــز مـــدخر!

ورتـــل (الفـــتح) و(التكـــوير) مقتـــدياً ... بـــنهج (حفـــص) و(ورش) نِعْـــم ذا أثـــر!

ســـبعاً أجـــدت ، بتـــدريب وتجربـــةٍ ... تحـــارب الجهـــل: لا قـــوس ولا وتـــر

لكـــنْ بـــآي الهُـــدى ، تتلـــو بكـــل تقـــىً ... وتعْظِـــمُ الـــذكر فـــي ألبـــاب مَـــن ذكـــروا

وتســـكبُ الآي فـــي أســـماعنا دُرراً ... وإن ربـــك وهّـــاب ومقتـــدر

حبـــاك ربـــك صـــوتاً نابضـــاً حســـناً ... لـــه بقلبـــي شـــجىً ، وفـــي النهـــى سَـــمَر

تبـــارك الله مَـــن أعطـــاك حنجـــرة ... تعطـــر الآي ، بـــالتزيين تشـــتهر

أحـــبُ فيـــك أداءً لســـت ألمسُـــه ... فـــي الغيـــر ، صـــوتك فـــي الأرواح ينتشـــر

إلا ابـــن صـــدّيق المنشـــيّ ، إن لـــه ... صـــوتاً رقيقـــاً لـــه الألبـــاب تســـتطر

أحـــن للصـــوت إن حامـــت ســـحابته ... وأشـــحذ الســـمعَ حتـــى تـــدخل الســـور

إنـــي أِحبـــك مـــن عقـــدين قـــد مضـــيا ... وكـــم لصـــدعك بالآيـــات أزدجـــر!

نقشـــت حبـــك فـــي قلبـــي وعـــاطفتي ... وداعـــبَ الـــروحَ كـــم ترجيعُـــك العطـــر!

واليـــوم تمضـــي ويطـــوي المـــوت صـــفحتكم ... وعنـــك أســـأل ، لا حـــس و لا خبـــر

يـــا كـــربَ قلبـــي وأشـــعاري وتجربتـــي! ... إذ لـــيس يقـــوى علـــى مـــا ذقتـــه بشـــر

فسُـــنة الله مـــوت الخلـــق قاطبـــة ... رضـــيت ربـــي ، وإنـــي اليـــوم مصـــطبر

شـــيخي الحبيـــبَ ومـــن أحببـــتُ دون هـــوى ... أهـــديك عـــاطر أشـــواقي ، ولـــي وطـــر

عليـــك رحمـــة ربـــي دائمـــاً أبـــداً ... إنـــي احتســـبتك عنـــد الله يـــا (قمـــر)

وصية رقيقة لك يا غدير

(لم يرزقني ربي - تعالى – ببنية إلى الآن (عام 1997م) وذلك لحكمة ما ، ولستُ بالذي يتمنى ما فُضل به غيري علي. وتأتي هذه الوصية ترجمة حية نابضة تعبيراً عن مدى الحب الكبير لهذه الطفلة الإماراتية (غدير بنت عوض عبيد الصواية الطنيجي). وما ذاك إلا لسرعة البديهة التي تمتعت بها في هذه السن التي تسبق دخول المدرسة. ويضاف إلى ذلك الأسئلة العجيبة التي كانت تسألني إياها وأخوها (عمران) عن الكون والإنسان والحياة في شوق إلى الجواب. وأيضاً الاستفسارات المشوقة عن الخلق والجنة والنار، والجن والشياطين ، والروح والنفس...إلخ. وكنت أرجع إلى بعض المراجع لئلا أقول على الله تعالى ونبيه – صلى الله عليه وسلم - وشريعته وكتابه بغير علم. ولو كان ذلك لطفلة صغيرة لا تعي من أمر طعمتها أو شربتها شيئاً ، فضلاً عما يفوق ذلك. ولم أكن أمل أسئلة (غدير) كما لم أكن أستثقل أسئلة (عمران). واعتبرتهما ابنا وابنة لي لا يزيد. وكان للقرآن معهما طعم آخر: إذ لا تمر آية تحتوى لفظاً يحتاج إلى تفسير ، إلا وجدت المبادرة إلى السؤال عنه. وكنت وحدي أتوقع هذا منهما. ولكن تأثري البالغ كان بالابنة (وإن كان الابن لا يقل عنها كثيراً فى درجة الانفعال بالقرآن). وإني لأبتهل إلى الله تعالى أن يبارك فيهما وينفع بهما! وإنني إذ أسطر هذه القصيدة ، فإنني أجعلها على شكل وصية رقيقة في قالب رقيق في قالب شعرى لطيف ، وما أجمل الشعر عندما يحمل الوصايا الوعظية التي هي رصيد الفطرة والتجربة. إنني أعرف أن (غديراً) اليوم لا تدرك من أشعاري ما أريد. ولسوف أحرص على متابعتها وأهديها ديواني كاملاً ، فمن يدري؟ لقد تكون شاعرة يوماً ما ، وتعى الرموز التي أردتها. وما ذلك على الله بعزيز. إن لهذه القصيدة مناسبة خاصة جداً ، حيث قد عُهد إليّ أن أدرس الصبي (عمران) وأخته (غدير) ما على قلبي من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ووجدتهما على الجادة من أمر التلقي والطلب والفهم والتصور والتطبيق – فسعدت بذلك سعادة قلبية غامرة. ولقد استهوتني أسئلة البُنية أكثر ورقتها في التأثر عندما تستمع وتنصت ، فلقد كانت لديها رقة ودقة في الإنصات والتأثر قل أن تجدها في غيرها من مثيلاتها من الفتيات ، وخاصة في سنها هذا سن الرابعة ، فكنت في كل مرة أتذكر معها ذكريات عُمرى وزهرة طفولتي ، وذات يوم سألتني من أنت؟ فكتبت لها قصيدة بعنوان: (أنا يا فتاة الحي) ، واليوم وقد فارقت بعيداً إلى بلاد الهند - أعادها الله تعالى بخير وعافية - تأثرت لترك الدروس وسماعها وحرمت اتصالها وتلقيها ، وتذكرت كما كنت أتذكر في كل مرة عجلة الحياة وما تعيشة البشرية اليوم من ضياع ينتظر أبناء وبنيات هذا الجيل فرثيت لحالها ، ورحت أوصيها بهذه الوصية الرقيقة رقة مُحياها ، وأهديها إليها متحدثاً إليها عن نفسي تارة ، وعنها تارة ، وعن الواقع البائس تارة، وعن الخروج من المأزق فى خضم الجاهلية التي نعيش تارة رابعة وأخيرة ، فإلى الطفلة المحبوبة غدير بنت عوض بن عبيد الصواية الطنيجي ، أهدي هذه الوصية الرقيقة ، لتكون تذكرة وتبصرة وبشرى ، وأعرف أنها اليوم لا تعرف من معانيها عشر معشار ما أقوله فيها ، ولكن حسب المرء منها أنه سوف يأتي – إن شاء الله عز وجل - اليوم الذي تعلم وتفهم ، وأسأل الله لها ولأخيها ولرياحيني الثلاثة: عبد الله وعبد الرحمن وعمر الفاروق ، العلم النافع والقلب الخاشع والنظر الدامع واليقين القاطع ، اللهم علمهم كما علمت نبيك وآبانا آدم – عليه السلام – وفهمهم كما فهمت نبيك سليمان عليه السلام ،

ومثل هذا الدعاء لي ولأهلي ولكل مسلم ومسلمة. والكتابة بهذا الاعتبار تأخذ انطباعات البنوة والأبوة معا. وإن كانت (غدير) اليوم لا تفهم كما قلنا مما كتبته عنها ولها ومعها الكثير ولا القليل ، لكنها يوماً ستعي وتدرك وتفهم وترد الجميل ، ولو بالدعاء لمعلمها المخلص كما نفعل لمعلمينا!)

جمـــالٌ فـــي الكـــلام وفـــي الصـــفاتِ ... بربـــكِ ، أنـــتِ معجـــزة البنـــاتِ

لـــكِ الأفكـــارُ ، ذللهـــا إبـــاءٌ ... فليســـت تشـــتكي ألـــم الثبـــات

وطيفـــك فـــي ســـماء العـــز يســـمو ... ويضـــربُ فـــي دهـــاليز الحيـــاة

وجـــدتكِ تســـألين ، فقلـــت: مرحـــى ... بكـــل تســـاؤل بـــالخير آت

فلمـــا أن أجبـــتُ ، ســـألتِ أخـــرى ... فقلـــتُ: أيـــا غـــدير الشـــوق: هـــاتي

نفحتـــكِ مـــن مَعـــين الـــذكر قســـطاً ... وقـــدتكِ فـــي ســـبيل الطيبـــات

وقـــد علمْتـــكِ التقـــوى ، وقلبـــي ... تعلـــق فـــي الخلائـــق بالفتـــاة

حيـــاؤكِ فـــي جبينـــك مســـتنيفٌ ... يرفـــرف حـــول شـــمس المعجـــزات

(غـــديرٌ) ، أنـــت فـــي الـــدنيا غـــديرٌ ... ملـــئ بالســـجايا والعِظـــات

ذكـــاءٌ فـــي ربـــوع المهـــد يلهـــو ... لـــه ترنيمـــة مثـــل الحُـــداة

لـــه أدواتـــه مِـــن كـــل شـــأن ... ولـــيس يغيـــب عنـــهُ مـــن أداة

وإن نيلـــتْ ســـرائرُه تبـــاكى ... وأمعـــن فـــي تفاصـــيل الشـــكاة

وصـــدقٌ فـــي الحـــديث بغيـــر خـــوفٍ ... وهـــذا الصـــدقُ مـــن أزكـــى الصـــفات

وإحســـاسٌ يداعبـــه شـــعورٌ ... بـــأن النصـــر منزلـــة التقـــاة

وإن الحـــق بـــاق لـــيس يخبـــو! ... وإن النـــور فـــي قـــول الـــرواة

وشـــوقٌ للقـــرآن لـــدى (غـــدير) ... كـــذلك شـــوقها للمَكرُمـــات

وإن قـــرأتْ تجيـــد ، وقـــد تعـــاني ... وتشـــكو بعـــض حـــرف كالصـــفاة

تعثرُهـــا يـــذكّرني زمانـــا ... قـــرأتُ الـــذكر مُجتـــث القنـــاة

فمـــا كنـــتُ المبـــرّد أو خلـــيلاً ... ولـــيس أبـــي مِـــن القـــوم النحـــاة

تلـــوت (الشـــمسَ) شمشـــاً دون وعـــي ... فكررهـــا المعلـــمُ فـــي أنـــاة

فلمّـــا لـــم أجـــوّد ســـلّ ســـوْطاً ... وفجَّـــر دمعتـــي وتأوهـــاتي

وقـــال: الآن فـــاقرأ ، قلـــت: ســـمعاً ... وأمهلنـــي فضـــمدتُ لهـــاتي

ورتلـــتُ ، فمـــا أخطـــأتُ حرفـــاً ... حمـــدت الله رب الكائنـــات

لـــذا كانـــت (غـــديرٌ) نعـــم ذكـــرى ... لمـــن علمنـــي معنـــى حيـــاتي!

(غـــديرُ) أراكِ فـــي الأفـــلاك نجمـــاً ... يعـــاني حيـــف أســـياف الكُمـــاة

تحـــيط بـــه الزرايـــا مـــن قريـــب ... وتهزمـــه دهاقنـــة الحُمـــاة

وتقمعـــه المطـــارقُ فـــي ديـــار ... تكمـــم نـــور أفـــواه الـــدعاة

وتخـــذل ربهـــا فـــي كـــل حـــين ... وتســـعى خلـــف تضـــليل الرعـــاة

ينـــال الكـــافرون جنـــى قراهـــا ... وتعصـــف بالتقـــاة رحـــى الممـــات

(غـــديرُ) ، وأنـــتِ أعـــذبُ مـــن أنـــاجي ... وكـــم أضـــرمت فحـــوى ذكريـــاتي!

تحـــب العلـــم ، ثـــم لـــه تضـــحي ... وكـــم للعلـــم كـــم مـــن تضـــحيات!

وتعشـــق ضـــادنا ، لكـــنْ بعُســـر ... وإن الضـــاد نبـــراسُ اللغـــات

فتلفظهـــا ، ولكـــن بعثـــار ... ومنطقهـــا يـــدق الـــدائرات

تعرقلهـــا حـــروف الضـــاد نطقـــاً ... ويومـــاً ستصـــير مُسَـــلمات

فتـــاة تطلـــب العلـــم وفيـــراً ... ونـــورُ العلـــم خيـــرُ الأعطيـــات

وتنشـــد جـــذوة الأدب المُعلـــى ... بكـــل الجـــد لا بالأمنيـــات

وكـــم فـــي اســـم (الغـــدير) مـــن المعـــاني! ... وكـــم يحـــوي رطيبـــات النكـــات!

وفـــي قطراتـــه كـــم مـــن مَـــرام! ... وكـــم فـــي لفظـــه مِـــن نفحـــات!

فـــإن (الغـــين) غِيـــد تتهـــادى ... بعصـــر العمـــر أو ليـــل البيـــات

(غـــديرٌ) غـــادة بـــين الصـــبايا ... علاهـــا الحســـن بـــين النيـــرات

غِناهـــا بالجمـــال اليـــوم ســـمتٌ ... تعـــالى الله مَـــن يعطـــي الهبـــات

وإن (الـــــدال) درٌ يتغنـــــى ... يَـــزينُ الليـــلَ عبـــر الأمســـيات

دلالٌ فـــاق أوصـــاف قريضـــي ... وبـــات الشـــعر يُزكـــي نغمـــاتي

دواءُ الســـمع إنصـــات إليهـــا ... إذا قـــرأت عليـــه (العاديـــات)

وإن (اليـــاء) يُمـــنٌ وابتشـــار ... إذا جلســـت تفكـــر فـــي القســـاة

أنـــاسٌ أعرضـــوا عـــن كـــل هـــدي ... وعاشـــوا بيننـــا مثـــل الرفـــات

فـــأقطع طيفهـــا بلظـــى انفعـــالي ... كفـــاكِ الآن هـــذا يـــا فتـــاتي

وإن (الـــراء) روض لا يُبـــارى ... وسَـــلْ عنـــه أهـــازيج الشـــداة

رواقٌ ضـــم سُـــمار المعـــالي ... وكـــم عـــانوا أعاصـــير الشـــتات!

وكـــم قـــد أنشـــدوا بـــوح القـــوافي ... وكـــانوا قبـــلُ فـــي جـــوف الســـكات!

تجـــاذبني (غـــدير) ســـؤال قلـــب ... فأشـــعر بالعذوبـــة كـــالفرات

وتســـأل عـــن حيـــاتي كيـــف تمضـــي؟ ... ومـــاذا خلـــف صـــمت تـــأملاتي؟

وقالـــت: هـــل تـــراك ســـئمت عبئـــي؟ ... أآثـــرت التخلـــي عـــن حيـــاتي؟

أقالـــتْ (أم عبـــد الله) دعهـــا؟ ... أتعـــزم أن تـــرى قطـــع الصـــلات؟

أتنـــوي أن تفارقنـــا مليـــاً ... أأزعجـــكِ التهـــائي والتفـــاتي؟

فقلـــت: أيـــا بنيـــة ، أنـــت عجلـــى ... فإنـــك بـــالفؤاد إلـــى وفـــاتي

أحبـــك مثـــل (فـــاروق) فـــؤادي ... ولا أنســـاكِ يـــا عطـــر البنـــات

كـــذلك (أم عبـــد الله) قالـــت: ... حبيبتنـــا (غـــدير) الـــذكريات

لـــــذا فوصـــــيتي أن تســـــتقيمي ... فكـــــوني فـــــي فريـــــق الفضـــــليات

يمـــــين الله نعـــــم البنـــــت أنـــــتِ! ... ويومـــــــاً تـــــــدركين الخيّـــــــرات

ويومـــــاً تفهمـــــين صـــــدى قصـــــيدي ... ويومـــــاً تبصـــــرين مـــــدى وصـــــاتي

(غـــــدير) ، تـــــزودي بالـــــدين درعـــــاً ... ولا يغـــــــررك تزييـــــــفُ العتـــــــاة

يعـــــيش المـــــرء بالهـــــدي مهابـــــاً ... وتـــــرْك الهـــــدي ســـــعيٌ للمـــــوات

أخـــــاف عليـــــك مـــــن دنيـــــا البرايـــــا ... فكـــــم فـــــي عصـــــرنا مـــــن عائـــــدات!

وكـــــم بـــــين الخلائـــــق مـــــن بلايـــــا! ... وكـــــم فـــــي دارنـــــا مـــــن مغريـــــات!

لقـــــد فكـــــرتُ فـــــي الأمـــــر مليـــــاً ... وأعيـــــاني التـــــدبر فـــــي الغفـــــاة

وكـــــم أنـــــذرتُ ، والقـــــوم سُـــــكارى! ... محـــــوْا صـــــوتي ، فحطمـــــتُ دواتـــــي

وكـــــم أفصـــــحتُ عـــــن حـــــق جهيـــــر! ... وأرجعـــــتُ الســـــنين الأوليـــــات

وأعطيـــــتُ الـــــورى مـــــا غـــــاب عـــــنهم ... ولـــــم أعمـــــلْ حســـــاباً للرمـــــاة

رمَـــــوني فـــــي فـــــؤادي ، وجفـــــوْني ... ورب النـــــاس مِـــــن فـــــوق الجُفـــــاة

سينتصـــــر المليـــــكُ ، وذاك عهـــــدي ... وإنـــــي صـــــابر رغـــــم الأذاة

بكـــــى قلبـــــي وعينـــــي وضـــــميري ... وقـــــد أمســـــت دمـــــوعي مُلقيـــــات

ولـــــيس عليـــــكِ حـــــزنٌ يـــــا فتـــــاتي ... ولكنـــــي أبـــــث توجعـــــاتي

لقـــــد خـــــان الرفيـــــقُ هنـــــا عهـــــودي ... وهـــــذا لـــــم يـــــدُرْ بتوقعـــــاتي

وقـــــد أصـــــبحتُ صـــــيداً لعـــــدوي ... وذِبحـــــاً للرمـــــاح وللقنـــــاة

وعـــــين فـــــي ضـــــمير الغيـــــب صـــــارت ... تعاورهـــــا الكُمـــــاة مـــــن القـــــذاة

وكانـــــت فـــــي جبـــــين المـــــرء تاجـــــاً ... وتبصـــــر فـــــي الظـــــلام وفـــــي الغـــــداة

وكانـــــت فـــــي (البريـــــر) ضـــــحى نهـــــاراً ... وأزتهـــــا عيـــــونُ النـــــاظرات

لـــــذلك عنـــــدما الليـــــل أتاهـــــا طواهـــــا فـــــي خضـــــم الغاشـــــيات

ولازالـــــت دمـــــوعُ العـــــين خجلـــــى علـــــى الخـــــدين تشـــــكو الحادثـــــات

وناحـــــت مقلـــــة العـــــين اكتئابـــــاً ولا زالـــــت دمـــــوعي نائحـــــات

وإنـــــي قـــــد صـــــبرتُ لحكـــــم ربـــــي ولكنـــــــــــي أزرّ تحســـــــــــراتي

علـــــى التوحيـــــد كيـــــف بـــــه مســـــجىً؟ ونعـــــش الصـــــدق فـــــوق الهـــــام آت

لمـــــاذا الحـــــق فـــــي الكـــــون يعـــــاني وأصـــــحاب الهـــــدى فـــــي المعضـــــلات؟

وأهـــــل البغـــــي فـــــي خيـــــر ونعمـــــى؟ وهـــــم فـــــي الـــــدعر مـــــن أعتـــــى البنـــــاة

ويقتلنـــــي التنـــــاقض فـــــي ديـــــاري فأرتجـــــل القصـــــيدة كـــــالهواة

أخـــــاف إذا رأتهـــــا عـــــين وغـــــدٍ غلـــــيظِ الطبـــــع مـــــن أشـــــقى النعـــــاة

فـــــيطعن بالجهالـــــة شـــــعر صـــــدق حـــــوى حســـــي وإحساســـــي وذاتـــــي

وشـــــخصَ مـــــا يلاقـــــى مـــــن ضـــــوار بأطيـــــب مـــــا يـــــؤدي مـــــن سِـــــمات

(غـــــديرُ) ، ألا اعـــــذريني ، إن شـــــعري يبـــــث الآه خيـــــر المســـــلمات

وأنـــــتِ اليـــــوم روحٌ تتملـــــى عبيـــــر الـــــذكر لا تنسَـــــيْ شـــــكاتي

أراك اليـــــوم نهبـــــاً للأعـــــادي وحـــــول الـــــدار أســـــيافُ الجُنـــــاة

وكـــــم مســـــتقبل فـــــي الغيـــــب خـــــافٍ تســـــربل فـــــي قيـــــود الشـــــائعات!

عليـــــكِ أخـــــاف مـــــن كـــــل قريـــــب وأشـــــفق مـــــن صـــــنيع الصـــــاحبات

أغـــــار عليـــــك مـــــن كـــــل بعيـــــدٍ يريـــــدُ هتـــــك عِـــــرض المحســـــنات

حـــــذار يـــــا غـــــدير مـــــن اللـــــواتي يـــــبعن الـــــدين فـــــي ســـــوق الغـــــواة

مـــــــــلأن الأرض تيهـــــــــاً ودلالاً وقـــــد جُـــــبن القـــــرى مســـــتعطرات

كشـــــفن وجـــــوههن بـــــلا حيـــــاءٍ وطلقـــــن الحيـــــا ، والقـــــبحُ عـــــات

وزخـــــرفن الوجـــــوه بكـــــل لـــــون ... وســـــرْن اليـــوم خلـــف الســـاقطات

(غـــدير) عليـــكِ بـــالتقوى لباســـاً ... فتقـــــــوى الله زادُ الصـــــــالحات

كـــذلك وجِّـــدي الـــرحمن ، هـــذا ... وربـــــك دربُ كـــــل المؤمنـــــات

وصـــلي الفـــرض والنفـــل ، وتـــوبي ... فكـــل الشـــر فـــي تـــرك الصـــلاة

وغطـــي الوجـــه مـــن بعـــد بلـــوغ ... فســـــترُ الوجـــــه دأبُ القانتـــــات

وبـــــرّي الأم والوالـــــد حبـــــاً ... فـــإن البـــرّ ســـمتُ الخاشـــعات

ولا تغـــررْكِ مَـــن ضـــلت وخابـــت ... وحـــادت عـــن طريـــق العابـــدات

فعقـــتْ أمهـــا ، وقلـــتْ هـــداها ... قـــد انتهجـــت صـــراط الخائبـــات

(غـــدير) عليـــك بـــالقرآن هـــدياً ... وسُـــنة (أحمـــد) خيـــر الهـــداة

كتـــاب الله نـــور القلـــب صـــدقاً ... يبـــدّد زيـــفَ كـــل الموبقـــات

ويمنحـــك الرشـــاد ، فـــلا تحـــاري ... ويعطيـــك الـــدلائل واضـــحات

ويهـــديك الســـبيل إلـــى جنـــان ... بربـــك إنـــه حبـــل النجـــاة

وصـــومُ الشـــهر فـــرضٌ فاســـتجيبي ... وكـــوني فـــي عِـــداد الصـــائمات

وزادُ الـــروح حكمـــة مصـــطفانا ... تقبـــلْ رب بـــذل العـــاملات

وبـــأسُ الـــدرب صـــبرٌ مســـتطابٌ ... ألا ، فلتأتســـي بالصـــابرات

وشـــر الإبـــتلاء المُـــر حـــتمٌ ... فكـــوني خيـــر نفـــس مبـــتلاة

وخـــذلُ الصـــحب أضـــحى اليـــوم سَـــمتاً ... فـــلا تستصـــحبي المتخـــاذلات

وكـــوني الـــنجم همتـــه الثريـــا ... وخلـــي عنـــك ذعـــر المُرجفـــات

ولا تستســـلمي لليـــأس حينـــاً ... عليـــك بالأمـــاني المُشـــرقات

ومـــن خلـــف الأمـــانى عـــذبُ ســـعي ... فـــلا يكفـــي ســـرابُ الأمنيـــات

ومركبُـــــك الأمانـــــة فاحمليهـــــا ... وكـــــوني بـــــين حـــــزب الحافظـــــات

ولا تســـــــتهزئي يومـــــــاً بهـــــدي ... فـــــــإن النـــــــار للمســـــــتهزئات

ولا تســـــتكثري فـــــي الخيـــــر مـــــالاً ... جنـــــــانُ الخلـــــــد للمتصـــــــدقات

بغيـــــــر الله لا تلقـــــــي يمينـــــــاً ... وخلـــــــي هيعـــــــة المتضـــــــرحات

فـــــلا تتوســـــلي بـــــالقبر حينـــــاً ... ولـــــيس هنـــــاك ذبـــــح الأضـــــحيات

ولا تتحـــــــاكمي للعُـــــــرف يومـــــــاً ... فمـــــا هـــــذا صـــــنيعَ المســـــلمات

أعيـــذك مـــن فِخـــاخ الشـــرك هـــذي ... فـــــإن الله مخـــــزي المُشـــــركات

أحـــــذركِ الضـــــلالة كـــــل قصـــــدي ... وأخشـــــى لوثـــــة المســـــتنقعات

ألا ، لا تقربـــــــــي أي ابتـــــــداع ... فـــــإن الشـــــر صِـــــنوُ المحـــــدثات

وذرّي النصـــــح فـــــي الخلـــــق مِـــــراراً ... وإن كـــــره البرايـــــا الناصـــــحات

وقـــــومي الليـــــل ، إن الليـــــل غـــــنمٌ ... وكُفـــــي عـــــن سُـــــبات النائمـــــات

مُـــري بـــالخير ، وانهـــي عـــن فســـادٍ ... ولا ألقـــــاكِ فـــــي المُتـــــرهلات

ولا ترضـــــي ســـــوى الصـــــالح بعـــــلاً ... وكفـــــي عـــــن هـــــوى المتهـــــورات

ولا ألقـــــاك فـــــي ســـــوق الأيـــــامى ... فعُـــــدتنا مـــــن المتزوجـــــات

(غـــدير الخيـــر) ، والحـــج جهـــادٌ ... فحُجّـــي البيـــت مـــن قبـــل الممـــات

وقـــري فـــي ظـــلال البيـــت ، هـــذا ... نـــــداءُ مليكنـــــا للمؤمنـــــات

ولا ترجـــي مـــن الحمقـــاء رُشـــداً ... لأن الحمـــــــق داءُ الغـــــافلات

قـــد اســـتغنتْ عـــن الـــدين بـــدنيا ... رأت خيـــــراً ســـــبيلَ المُفلســـــات

قـــد اتخـــذت مـــن التضـــليل هـــدياً ... لـــذا لفظـــت يواقيـــت الهـــداة

ولـــم تعبـــأ بنصـــح أو رشـــاد ... فجاءتهـــا المنايـــا مُشـــرعات

ذري الحمقـــــاء هـــــذي واقمعيهـــــا بآيـــــات (الضـــــحى) و(المُرسَـــــلات)

دعيهـــــا يـــــا غـــــدير ، ولا تبـــــالي فـــــدونك غيرهـــــا فـــــي المُقْـــــبلات

وكـــــــوني لبنيـــــــك خيـــــــر أم ومفخـــــــرة لعـــــــز الأمهـــــــات

كـــــأم الشـــــافعي ، وفيـــــك خيـــــرٌ تعـــــول بمغـــــزل تـــــاج الـــــدعاة

ووالـــــدة (ابـــــن حنبـــــل) نعـــــم أم! فقـــــد عاشـــــت لـــــه كالقاعـــــدات

وآثـــــــرتِ الأيامـــــــة باحتفـــــــاءٍ علـــــى زوج يضـــــاعف فـــــي الشـــــكاة

فعلمَـــــــتِ الغـــــلام ، ونشـــــأته علـــــى خيـــــر الفضـــــائل والصـــــفات

وربتـــــــه علـــــــى كـــــــل حـــــــلال فلـــــم يغـــــش الخنـــــا والحُرمـــــات

وقـــــد وافـــــى طبـــــاق الأرض علمـــــاً ونشـــــرُ العلـــــم خيـــــرُ القربـــــات

فقـــــد حفـــــظ القـــــرآن بســـــن عشـــــر ومليـــــوني حـــــديثٍ بـــــالرواة

كـــــذاك (الشـــــافعي) لـــــه نصـــــيبٌ مـــــن الفقـــــه ، ومِـــــن شـــــعر الأبـــــاة

ومالـــــــكُ هكـــــــذا ربتـــــــه أمٌ تعلـــــــم ، وتربـــــــي ، وتـــــــواتي

تجـــــوعُ ليشـــــبع الأولاد دهـــــراً وعـــــنهم تتلقـــــى النكبـــــات

غـــــدير القلـــــب لا تغـــــررْك بلهـــــا تخالـــــك فـــــي قطيـــــع الشـــــاردات

تظنـــــك فـــــي طريـــــق النـــــاس صـــــخراً يعـــــوق حضـــــارة المتقـــــدمات

فقـــــولي يـــــا (عنـــــود) ، كفـــــاك زهـــــواً دعـــــي غمـــــز العيـــــون الناعســـــات

حضـــــارتكم دمـــــارٌ وانحـــــلالٌ ســـــلي عنهـــــا قطيـــــعَ الطائشـــــات

صـــــدقتِ أيـــــا غـــــدير ، رزقـــــتِ تقـــــوى وكنـــــتِ بـــــذاك خيـــــر الـــــداعيات

إذا صـــــادفتِ مـــــن حمقـــــا هـــــراءً طعنـــــتِ الزيـــــفَ هـــــذا طعنـــــات

إذا افتخـــــرت (جـــــواهرُ) بالأغـــــاني وطـــــاب لهـــــا نبـــــاحُ المطربـــــات

وأســـــعدها رقيـــــعٌ بصـــــداهُ وأمتعهـــــا سُـــــعارُ الراقصـــــات

وأشـــجتها الفنـــون ومَـــن تـــردوا فقـــومي ، واصـــدعي بـــ (النازعـــات)

أحاديـــث البشـــير لـــديكِ كثـــرٌ فخـــل الآن صـــمت الصـــامتات

فـــلا تتجـــاهلي ، فعليـــك وزرٌ دعينـــا مـــن عزيـــف الجـــاهلات

وقـــولي الحـــق مهمـــا كـــان مُـــراً فقـــولي: الحـــق مفتـــاحُ النجـــاة

قوافـــلُ أهـــل هـــذا الحـــق تمضـــي حـــذار يـــا غـــدير مـــن الفـــوات

ألا فلتلحقـــــي بالركـــــب حـــــالاً وخلـــــي عنـــــك جـــــذب الشـــــهوات

هبينـــا مـــا اتبعنـــا واهتـــدينا ولا كانـــت لنـــا مـــن خطـــوات

ولـــم نرفـــعْ بهـــذا الهَـــدي رأســـاً ولمّـــا نلـــتمسْ مـــن بركـــات

ولـــم نعمـــلْ لمنفعـــة البرايـــا ولـــم نجهَـــدْ لرفـــع الـــدرجات

ولـــم نطـــرحْ هـــوى الأنفـــس أرضـــاً ولـــم نـــرْدِ الجـــوى والصـــرخات

ولـــم نحمـــلْ لـــواء الخيـــر حبـــاً ولـــم نحْـــم العُـــرى والعزمـــات

ولـــم نحـــزنْ لمـــن نـــال قرانـــا ولـــم نســـع لمحـــو الأزمـــات

ولـــم نأســـفْ لأصـــحاب أســـارى ولـــم نـــذرفْ ســـخيَ العَبـــرات

فمـــن يأســـى لجـــرح الحـــق؟ قـــولي! ومـــن يـــردي أباطيـــل الطغـــاة؟

ومـــن يخـــزي الأعـــادي فـــي قرانـــا؟ ومـــن يمحـــو ألاعيـــب الغـــزاة؟

ومـــن يحمـــي ثغـــور الخيـــر؟ قـــولي! ومـــن يســـعى لنيـــل الحســـنات؟

ومـــن يرثـــي لـــدحر النـــور فينـــا؟ ومـــن يبكـــي لتهويـــد الفـــلاة؟

ومـــن يســـمو بهـــذا الـــدين؟ قـــولي! ومـــن يلقـــي أريـــج الكلمـــات؟

ومـــن يهـــدي الأنـــام إلـــى المعـــالي؟ ويعلـــيهم بخيـــر الـــدعوات؟

ألا قـــولي غـــدير ، وصـــارحيني ... أيهـــزم حقنـــا بالترّهـــات؟

كثيـــراً مـــا ســـألت ، ولـــم تجيبـــي ... وقلبـــي مفعـــمٌ بالخلجـــات

متـــى انتصـــرتْ علـــى الحـــق الأحـــاجي؟ ... متـــى انتصـــرت أباطيـــل الحُـــواة؟

وإن هاجتـــك (عفـــرا) بـــازدراءٍ ... ونكـــر صـــوتها قيـــلُ الخـــواة

وأزكـــى قلبهـــا مَـــن ضـــيعوها ... وأضـــرم نارهـــا دعـــرُ العصـــاة

وأشـــقاها التســـلح بالمخـــازي ... فـــإن لـــديك أيـــاً بينـــات

(غـــدير) ، ومـــن أنـــاجي كغـــدير ... عليـــكِ بـــالفروض الواجبـــات

لقـــد أوصـــيتُ ، لـــم أبخـــل بنصـــح ... وأنـــتِ اليـــوم فـــي الغيـــد الثقـــات

صـــدقتك ، فاصـــدقيني ، يـــا فتـــاتي ... وإن الله مـــولى الصـــادقات

إليـــكِ تحيتـــي وعبيـــر قلبـــي ... أزف إليـــك أنقـــى الأمنيـــات

بـــأن نلقـــاك فـــي دنيـــا البرايـــا ... غـــديراً مـــاؤه مثـــلُ الفـــرات

وأن نلقـــاك أختـــاً لا تبـــالي ... تشـــد العـــزم عـــزم المخلصـــات

وأن نلقـــاك أمـــاً لرجـــال ... كـــرام خلـــف خيـــر الوالـــدات

وحصـــناً زادَه التوحيـــد ذخـــراً ... بـــه اعتصـــمتْ جميـــعُ المُخبتـــات

وكهفـــاً مـــن أعـــادى الله صـــلباً ... ومـــأوى العائـــدات التائبـــات

وأســـألك الـــدعاء لنـــا احتســـاباً ... بظهـــر الغيـــب ، مـــن بعـــد الصـــلاة

وصـــلى الله خالقنـــا علـــى مَـــن ... هـــدانا لإلـــه الكائنـــات

إنها تذكرة

(إنني أهمس في آذان من أعماهم الشيطان بألاعيبه فصدهم عن صراط الله المستقيم. وأقول: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)؟ فإلى كل من ذاق حلاوة الإيمان ولذة الاستسلام لله بالتوحيد ولنبيه – صلى الله عليه وسلم – بالمتابعة ولكتابه بالتطبيق. أقول: (إن هذه تذكرة). وأحاول أن أذكر بالله وشرعه وبسنته - تعالى - في إهلاك الظالمين المتجاوزين لحدوده. وأذكر بالموت وأهواله وكرباته ومحنه. وأذكر بمرور العمر سنة وراء سنة ، وأذكر بمن شيعناهم إلى قبورهم ونحن على الأثر. وأذكر بالحساب يوم القيامة والمصير إما إلى جنة وإما إلى نار. مروراً بحياة البرزخ. لعل القارئ لهذي القصيدة يتذكر أنه يوماً سوف يرحل عن هذه الحياة فيحاول صادقاً مع ربه أن يخلص عمله ويتدارك أمره قبل فوات الأوان. ولات ساعة مندم. جاء في (التبصرة) للإمام القرطبي - رحمه الله - قوله: كم من ظالم تعدى وجار ، فما راع الأهل ولا الجار ، بينما هو قد عقد الإصرار ، حلّ به الموت فحلّ من حُلته الإزار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! ما صحبه سوى الكفن ، إلى بيت البلى والعفن ، فلو رأيته وقد حلّت به الفتن ، وشين ذلك الوجه الحسن ، فلا تسأل كيف صار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! سال في اللحد صديده ، وبلى في القبر جديده ، وهجره نسيبه ووديده ، وتفرق شحمه وعبيده ، وتخلى عن الأنصار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! أين مجالسه العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذته الخالية؟ كم تسفي على قبره السافية ، ذهبت العين وأُخفيت الأثار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! تقطعت به جميع الأسباب ، وهجره القرناء والأتراب ، وربما فُتح له في اللحد باب النار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! خلي والله بما صنع ، واحتوشه الندم وما نفع ، وتمنى الخلاص وهيهات قد وقع ، وخلاّه الخليل المصافي وانقطع ، واشتغل الأهل بما كان جمع ، وتملّك أعداءه المال والدار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! نادم بلا شك ولا خفا ، باكٍ على مازلّ وهفا ، يود أن صافي اللذات ما صفى ، وعلم أنه كان يبني من جرفٍ هارٍ على شفا ، فاعتبروا يا أولي الأبصار!).هـ. وأقول: إن الذكي العبقري الكيس هو الذي يعد نفسه إعداداً دقيقاً لهذا اليوم الذي يلقى فيه ربه وخالقه ومولاه. وليعلم أنه مسئول بين يديه عن كل كبيرة وصغيرة من أمره. ومن هنا وجب عليه أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبها الله ، وأن يزن أعماله قبل أن توزن عليه. وأن يتحلل من كل مظلمة كان قد اقترفها من قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينار. وإنها لنار أبداً أو جنة أبداً فليختر لنفسه ما يشاء. نسأل الله عز وجل من فضله العظيم ، ونعوذ به من غضبه وسوء عذابه. رزقنا الله تقواه ، وأدخلنا جنته ، وزحزحنا عن ناره يوم نلقاه ، وحشرنا مع نبيه. وفي محاضرة له بعنوان: (لو تكلم الموتى) يقول الأستاذ سليمان الماجد – متحدثاً عن معالم النجاة - ما نصه: (معالم النجاة عشرة لا تزيد: * المعلم الأول: لا تُعجب بحالك الراهنة فإن الأعمال بالخواتيم قال - صلى الله عليه وسلم -: (إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم). * المعلم الثاني: زيارة القبور خير طريق لتذكر الموت وما بعده فقد صحّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة). * المعلم الثالث: إذا رأيت ميتاً فتصور أنك أنت الطريح بين يدي الإمام أو على النعش أو من يُنزل في حفرة

القبر! فحريٌ بنا حينئذٍ أن نراجع أنفسنا. *المعلم الرابع: لا تصاحب أهل اللهو والبطالة. * المعلم الخامس: تذكر أنه مع حلاوة المتعة فإنه يعقبها مرارة الندم. * المعلم السادس: لعلك قد كتبت الآن في الأموات بعد مدة يسيرة وأنت تسرح وتمرح بلا توبة ولا مراجعة. * المعلم السابع: كل متعة تعتبر هباءً عند حلول الموت فلماذا نعصي الله - عز وجل - من أجل هذه المتعة {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ}. * المعلم الثامن: السعيد من وُعظ بغيره ، قال زين الدين المعبّري: (تذكر من مضى من أقاربك وإخوانك وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ويعملون في الدنيا عملك فقصفت المنون أعناقهم وقلعت أعراقهم وقصمت أصلابهم وفجعت فيهم أحبابهم فأُفردوا في قبور موحشة وصاروا جيفاً مدهشة والأحداق سالت والألوان حالت والفصاحة زالت والرؤوس تغيرت ومالت مع فتان يُقعدهم يسألهم عما كانوا يعتقدون ثم يكشف لهم من الجنة والنار مقعدهم إلى يوم يبعثون فيرون أرضاً مبدلة وسماء مشققة وشمساً مكورة ونجوماً منكرة وملائكته منزله وأهوالاً مذعره وصحفٌ منشرة وناراً زفرة وجنة مزخرفة فعُدّ نفسك منهم ولا تغفل عن زاد معادك ولا تهمل نفسك سدىً كالبهائم ترتع ولا تدري). * المعلم التاسع: الأيام خزائن وما مضى فإنه لا يعود{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}. * المعلم العاشر: لا ذكرى بغير إنابة ولا انتفاع بغير استجابة {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}).هـ.)

العمر يمضي ، والمنية ترقبُ ... والموتُ ليس بمنذر مَن يهربُ

وسِنيّ عمرك في استباق دائم ... وملائكُ الرحمن سعيَك تكتب

وأراك تضحك ، ثم تلعب عابثاً ... حتى متى في وقت جدّك تلعب؟

أوَلم تشيّع للمقابر ميّتاً ... لترى جلال الموت كيف يؤدب؟

أوَلم تغسّل في حياتك ميتاً ... حتى تراجع ما تظن وتحسب؟

أولم تزر أجداث قوم جُندلوا ... ومضوْا ، وفي جوف المقابر غيّبوا؟

أوما سألت النفس أين شبابها؟ ... والعزم أين؟ وأين برقٌ خلب؟

أوما اعتبرت بمن مضى مسترشداً ... حتى تكف عن الهوى يا مذنب؟

أوما نظرت إلى فراعنة الدنا؟ ... هل عمّر الأقوامُ ما قد خربوا؟

أوما نظرت إلى سقيم مبتلىً ... فيردك الأمر الذي هو أصعب؟

قـــد كنـــت طفـــلاً فـــي مُحيـــاه الســـنا! لهـــوَ الطفولـــة فـــي الحيـــاة يُغلّـــب

يختـــال بـــين رفاقـــة مترنمـــاً وعلـــى لحـــون غنائـــه يتقلـــب

تحـــدوه آمـــالٌ تشـــاطره الغنـــا ولهـــا يحـــنّ - علـــى الـــدوام - ويَطـــرب

أبـــداً تداعبـــه الحقـــول فيســـتحي منهـــا ، لـــه عـــرقٌ عطيـــرٌ صـــيّب

وكـــذا تراهنـــه الـــورودُ علـــى الخُـــدا! إن الخُـــداء - لـــدى القلـــوب - محبـــب

أمـــا الحيـــاة فـــلا يُحـــس بعنفهـــا وسِـــياطها مِـــن حولـــه تتلهـــب

فطعامُـــه وشـــرابُه قـــد جُهـــزا! والفـــذ يأكـــل مـــا يريـــد ويشـــرب

ولباسُـــه وفراشُـــه وأمانـــه والأســـرة انبســـطت يتوّجهـــا الأب

نســـبٌ أصـــاب مـــن الأصـــالة جـــذرها إن الكـــريم إلـــى الأكـــارم يُنســـب

أمٌ لهـــا نســـبٌ يُـــرامُ وسُـــؤدَدٌ وأب لـــه نســـبٌ أعـــز وأنجـــب

وغـــدوتَ فـــي ريـــع الشـــباب مُغـــرداً تحنـــو علـــى أرج الشـــباب وتحـــدب

وحبـــاك ربـــك الاســـتقامة والهُـــدى والـــدينُ أغلـــى مـــا يُـــراد ويُوهـــب

وقصـــدت للعلـــم الـــذي أعطاكـــه ربٌ يعلـــم مَـــن لـــه يترقـــب

فكتبـــت حتـــى قيـــل أروع كاتـــب طـــابَ المَعـــينُ! لـــذاك طـــاب المشـــرب!

ودخلـــتَ فـــي ســـاح القـــريض منافحـــاً والصـــدقُ فـــي - آفـــاق شـــعرك - مـــذهب

ودعـــوت غيـــرك للهُـــدى مستبصـــراً وخطبـــت لمّـــا قيـــل مَـــن ذا يخطـــب؟

ودرســـت لـــم تـــكُ مســـترياً جـــاهلاً والعلـــمُ فـــي هـــذي الحيـــاة المكســـب

وإذا ســـئلت أجبـــت ترشـــد ســـائلاً والجهـــلُ بالأحكـــام بـــئس الغيهـــب!

ومضـــيت للعلمـــاء تســـتبق الخطـــا والعلـــم يرفـــع مَـــن يجـــدّ وينصـــب

وقضـــيت ردحـــاً مـــن شـــبابك عالمـــاً وبكـــل مـــن يأتيـــك كنـــت ترحـــب

واليـــوم فـــي ثـــوب الكهولـــة تزدهـــي ... مـــاذا يؤمـــل فـــي الحيـــاة الأشـــيب؟

والشـــيبُ قـــد ســـلب الصـــبا بُنيانـــه ... والشـــــيب فـــــذ لـــــوذعيٌ أدرب

لا يهـــزم الشـــيبَ العَجـــولَ ســـوى الـــردى ... وســـــهامُه أبـــــداً ريـــــاحٌ قلـــــب

يـــا صـــاح باغتـــك المشـــيبُ ، فكـــن علـــى ... حـــذر ، فلـــيس مـــن الكهولـــة مهـــرب!

فـــانس الشـــبيبة ، إذ تـــولى عهـــدُها ... ودع الـــذي فـــي شـــيبه يتشـــبب

ذهبـــت أمانيـــك العِـــذاب كئيبـــة ... والعمـــرُ أغيـــارٌ تـــرى وتقلـــب

وضـــحية الآمـــال مَـــن يُصـــغي لهـــا ... وكلامهـــا عمـــا قليـــل يـــذهب

والشـــيبُ بـــالتقوى النجـــاة بعينهـــا ... وبـــدونها عـــارٌ يـــذلُ ويُعطـــب

والله مـــا صـــان الشـــباب موحـــدٌ ... إلا وشـــمسُ مشـــيبه لا تغـــرب

وإذا أضـــاع شـــبابه متفلـــتٌ ... ســـيُذل فـــي غـــل المشـــيب ويُنكـــب

وغـــداً تمـــوت ، فلـــن تخلـــد هاهنـــا ... وتبـــاع دارُك ، والجـــواهرُ تنهـــب

وتعـــالج الســـكراتِ وحـــدك ، فانتبـــه ... وتـــرى الـــذي مـــا لـــم تكـــن تتحســـب

وتـــذوق مـــا كتـــب المليـــكُ مِـــن الفنـــا ... وجميـــعُ مـــا خولـــتَ حتمـــاً يســـلب

وعلـــى لظـــى الغمـــرات تصـــرخ عاتبـــاً ... والمـــوت لـــيس بمُغفـــل مَـــن يعتـــب

وملائـــكُ الجبـــار روحَـــك تجتنـــي! ... أمِـــروا ، فضـــمهمُ جميعـــاً مَوكـــب

أتـــراك تقـــوى أن تخـــالف أمـــرهم؟ ... أعلـــى الملائـــك يـــا مغفـــل تغضـــب؟

حتـــى إذا قبضـــوا الوديعـــة جنـــدلتْ ... أشـــلاءُ جســـمك تســـتغيث وتنـــدب

وإذا بعينـــي غافـــل قـــد غارتـــا ... وإذا الســـكون عـــن المصـــيبة يعـــرب

وإذا بقلبـــك قـــد توقـــف معلنـــاً ... بـــدء النهايـــة ، إنـــه لا يكـــذب

وإذا بـــأطرافٍ تغشـــاها الجـــوى ... واللـــونُ يفـــزع ، والثنايـــا ترعـــب

وســـتدخل القبـــر البهـــيم عليـــك مـــن ... أثـــر الـــذنوب غمـــائمٌ لا تحجـــب

وتكـــون وحـــدك فـــي التـــراب مُجنـــدلاً! ... الـــدارُ أيـــن؟ وأهلهـــا والمَركـــب؟

وتكـــون أنـــت غـــذاءَ دودٍ يُـــزدرى ... أتخالـــه مـــن أكـــل لحمـــك يتعـــب؟

ومُشـــيّعوك عليـــك يُلقـــون الثـــرى ... والبـــرزخ الأبـــدي قســـراً يُضـــرب

وســـينزل الملكـــان حتـــى يســـألا ... والأمـــرُ عـــن مجنوزنـــا لا يعـــزب

عـــن ربنـــا والـــدين ثـــم نبيـــه ... سُـــؤلٌ يخـــر لـــه الشـــجاعُ الأهيـــب

يـــا ســـعد مَـــن ربـــي يثبتـــه ، فـــلا ... ينســـى ولا يهـــذي ولا يتذبـــذب

فيقـــول: إن الله ربـــي وحـــده ... ولـــه الفـــؤادُ مســـبحٌ ومـــؤوب

والـــدين (إســـلامٌ) أقمـــتُ فروضـــه ... وحييـــتُ أنصـــر شـــرعه وأغلـــب

أمـــا نبيـــي فالحبيـــب (محمـــدٌ) ... فيقـــال: قبـــرُك فـــي الـــدياجي كوكـــب

ولســـوف تبعـــث فـــي القيامـــة أعـــزلاً ... أتـــرى يُفيـــدك فـــي القيامـــة منصـــب؟

الأمـــر أكبـــرُ مِـــن ظنونـــك حســـرة! ... أتـــراك كنـــت لمثـــل ذاك ترتـــب؟

إن القيامـــة لـــن تجامـــل مجرمـــاً ... خـــدع الـــورى بـــالله ، وهْـــو العقـــرب

أتـــرى ضـــميرك كـــان يـــدرك هولهـــا؟ ... هـــل كـــان عقلـــك راشـــداً يســـتوعب؟

أم قـــد صُـــرفت عـــن القيامـــة والهُـــدى؟ ... والغِـــر للشـــهوات دومـــاً يُجـــذب

أزهـــدت فـــي الأخـــرى لتـــنعم هـــا هنـــا؟ ... أنـــا مِـــن أمـــورك فـــي الـــورى أتعجـــب!

أترقـــعُ الـــدنيا بـــدينك لاهيـــاً ... أتعمّـــر الـــدنيا ، ودينـــك تخـــرب؟

لـــمَ كـــل هـــذا والحِمـــام يحوطنـــا ... وشِـــراكه فـــي كـــل وادٍ تنصـــب؟

شـــتت فكـــرك ، والـــدروبُ تشـــعبتْ ... والـــدربُ يعضـــل عنـــدما يتشـــعب

فـــاذكر لقـــاء مهـــيمن تـــوّتَ الهُـــدى ... والـــذكرُ ينفـــع مَـــن يـــزل ويُنكـــب

القصيدة النونية السليمانية الشاعرة! (حســان)

(أردت هذه المرة أن أسمي ولداً من أولادي على اسم شاعر مسلم عظيم نسباً وديناً وشعراً. فأخذتُ أستشيرُ أولادي ومعارفي. فوقع اختيارُ البعض على الفرزدق أو جرير أو أبي تمام أو المتنبي أو البحتري أو أبي العلا المعري. فقلت: ما من أحدٍ من هؤلاء إلا وعليه وله ، وما عليه أكثر مما له. ثم إن أغلب هذه الأسماء كُنى ، وإنما الذي أريده هو الاسم الحقيقي للشاعر ، والذي قد سماه به أبوه. ورأى البعض (الحطيئة) ، فقلتُ: منسوبٌ لأمه ، ولا يُعلم له أب ، واشترى منه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه – أعراض المسلمين حتى لا ينال من أحدٍ في شعره ، فقد عُرف بالهجاء ، فدفع له عمر نحواً من ثلاثة آلاف درهم ثمناً لأعراض المسلمين ، ولما مات عمر ، عاد الحطيئة إلى ما كان من الهجاء. فقلت: لا! وظللنا نتقلب في أسماء وكنى وألقاب الشعراء في القديم وفي الحديث ونقع في أعراضهم ونتتبع سيرهم ونستوثق من أخبارهم. حتى وقع الاختيار أخيراً على شاعر الرسول – صلى الله عليه وسلم – الصحابي الجليل القدير / حسان بن ثابت الأنصاري ، الشاعر الذي وضع حجر الأساس للشعر الإسلامي في صدر الإسلام وإلى أن تقوم الساعة. الشاعر العظيم النسب ، فهو في الذؤابة من الخزرج أماً وأباً وجدوداً ، وديناً ، فيكفيه شرف صحبة النبي - صلى الله عليه وسلم – والذود عنه ومدحه! وشعراً وهذا واضح جلي فى ديوانه ذي الشعر اللطيف العلي. وأسأل الله تعالى أن يقيم ولدي (حسان) في الأواخر مقام (حسان بن ثابت) في الأوائل وأن يلين له البيان كما ألان الحديد لنبيه العظيم داود – عليه السلام - ، وأن يفقهه في الدين ويرزقه العلم النافع والعمل به ، وأن يزلل له ألغاز الشعر ورموزه ليكون شاعراً لا يشق له غبار ، ليذود عن الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم – ، والمسلمين اليوم كما ذاد حسان بن ثابت بالأمس. وما حسان كحسان ، ولكنه الأمل في الله وشرف التسمية وعظيم الانتساب وبديع التأسي وإحياء سُنة ماتت في عالم المسلمين واسم غاب. * وحسان من ناحية اللغة مشتق من الحُسن ، وهي مادة جد عظيمة في ذاتها. فهي صيغة مبالغة من الحسن يُجريه المرء. والمادة ومشتقاتها في القرآن ممدوحة ولم تذم مرة: (حسن – محسن – الحسنى – أحسن – الإحسان – الحسنات – الحسنيين). وذكرت هذه المادة ومشتقاتها في القرآن (193 مرة) على ما ذكر صاحب المعجم المفهرس. * ولد حسان بن ثابت – رضي الله عنه – في يثرب. ورغم نشأته المدنية الحضرية كان متأثراً بالبادية والحياة البدوية. وهذا بادٍ فى شعره على ما سنبين إن شاء الله. ومعنى هذا أنه ولد قبل مولد النبي – صلى الله عليه وسلم – بقريب من ثمانين سنة. وهذا الكلام يكاد يكون محل إجماع بينهم. * كان لحسان بن ثابت كُنى: (أبو الحسان – أبو الوليد – أبو عبد الرحمن) ولكنه لم ينادى بإحداهن ، بل كان ينادى: بحسان كما سماه أبوه. أما أبوه فهو ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي ، ومعلوم أن قبيلة الخزرج هاجرت من اليمن إلى الحجاز ، وأقامت بالمدينة مع الأوس. وأما أم حسان: فهي الفريعة بنت خالد بن قيس ، وإذن فحسان في الذؤابة من أنساب العرب وأحسابهم ، ومن أشراف قومهم وعليتهم. وأمه أسلمت ، وحسن إسلامها. ويعتبر حسان نجّارياً حيث إن قبيلته لها نسب كبير ببني النجار أخوال النبي - صلى الله عليه وسلم – ولحسان بهم صلة وقرابة ، فله رحم باللخميين ملوك العراق وبآل جفنه الغساسنة ملوك الشام. * مد حسان الرحلة وشد الرحال إلى بلاط النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، كما شد رحاله إلى بلاط الغساسنة وملوك الحيرة على السواء.

وكان سيف البيان في الخزرج (قبيلته) عندما تحارب الأوس ، فكان يتولى الرد وحده على شاعري الأوس (قيس بن الخطيم وأبي قيس الأسلت). اتصل حسان بملوك الشام (الغساسنة) في عواصمهم (جلق والجولان وبصرى) ، فمدح ملوكهم وكذلك كبراءهم. ولا سيما عمرو الرابع والنعمان السادس وحجر بن النعمان وجبلة بن الأيهم. والحقيقة أنه لم يكن فارساً بسيفه بل بلسانه وشعره. لم يشهد معركة مع النبي - صلى الله عليه وسلم – لخوف قلبه ورهافة حسه ، فعوّض عن ذلك بلسانه وشعره. * تقاسم مع النابغة الذبياني وعلقمة الفحل أعطيات بني غسان وخدمه خلاف النعمان. وهذا كله أضفى على شعره القوة والجزالة ، وإذا مدح الشاعر الملوك والأمراء راق وطاب ، بخلاف سواهم من الأوباش والسفل الصعاليك. * تقول عائشة – رضي الله عنها - سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله. (يقول ذلك لحسان). * والعجيب أن حسان كان شاعراً ، وأبوه وجده وجد أبيه وابنه عبد الرحمن وحفيده عبد الله كانوا جميعاً شعراء ، وكان حسان منهم جميعاً واسطة العقد. يقول صاحب الأغاني ج4 صـ 138: (كان حسان بن ثابت وكعب بن زهير يعارض كل منهما قريشاً بمثل قولهم بالواقع والأيام والمآثر يعيّرهم بالكفر ، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة. فلما أسلموا ، وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة).هـ. ألا إن فراسة حسان وكعب كانت السبب في ذلك ، حيث إن تعيير الشعراء المشركين بالأنداد والأصنام والأوثان إضاعة للوقت والجهد وهزيمة في المناظرة الشعرية. لأن المشركين يعتزون بعبادة الأصنام والأوثان أصلاً. بينما التعيير بالأحساب والأنساب وتوبيخ السادة والأشراف والفرسان منهم بالفرار من الحرب والقتال ، يعتبر نيلاً كبيراً منهم وحرقاً لدمائهم واستفزازاً لأعصابهم. * يقول الأستاذ / محمد ابراهيم جمعة في كتابه: (حسان بن ثابت): (إن أسلوب حسان الجاهلي لا يخلو من بعض الحوشية والأخيلة البدوية ، وغلبت عليه جزالة اللفظ وكذا فخامة التعبير وشموخ المعنى والاتصال المباشر بالبيئة. هذا بالإضافة إلى أنه كان يميل إلى اللين وعذوبة اللفظ وسلامة التعبير).هـ. والحقيقة أن حسان كان على عكس مدرسة زهير بن أبي سُلمى ، إذ كان يرتجل الشعر ارتجالاً ، ويرسله إرسالاً. فلا تبقى القصيدة معه سنة ينقحها ويهذبها ويحككها. * أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم – قوله: أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان فشفى واشتفى. ومن هنا أمره النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يذهب إلى أبي بكر ليحدثه حديث القوم وأيامهم وأحسابهم وأنسابهم ، ثم يقول له: اهجهم بعدها وروح القدس معك. نعم دعا له النبي - صلى الله عليه وسلم – بقوله: (اللهم أيده بروح القدس). ومن هنا مدح حسان النبي. ومدح النبي شعر حسان بقوله: (لهو أمضى فيهم من وقع النبل عليهم)! وكان النبي – صلى الله عليه وسلم - ينصب له منبراً في مسجده حتى ينشد الشعر في الذود عنه والرد على المشركين ، وكانت له منزلة عظيمة عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فعندما يخرج للحرب وقتال الأعداء يترك حسان عند الأزواج حارساً وراعياً وقائماً بشؤونهن. أهداه النبي – صلى الله عليه وسلم – أخت زوجه (مارية بنت شمعون القبطية) واسمها (سيرين القبطية) ، وهي أم ابنه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ، وكان شاعراً مثل أبيه وتمتع حسان بالاحترام والتبجيل. فكان الخلفاء الراشدون جميعاً يجلّونه ويحترمونه ويفرضون له في العطاء ، فعاش كريماً معافىً محترماً متديناً شاعراً مجيداً. * بكى من هجائه أحد شعراء قريش

(الحارث بن عوف المري) ، بكى بدموع غزار ، وذهب للنبي – صلى الله عليه وسلم – مستجيراً طالباً منه أن يكف عنه وعن قبيلته لسان حسان بن ثابت. وشهد النابغة له بالشاعرية الفذة وكذلك بالعبقرية في الأداء والإيحاء واللفظ. وهذا شرف عظيم للحد الذي جعل النقاد في القديم والحديث يُجمعون على شاعرية حسان المجيدة وأنه أشعر أهل المدر وأشعر الصحابة ، بل وأشعر أهل الإسلام وأشعر أهل اليمن قاطبة. وديوانه العظيم برواية (ابن حبيب) خير دليل على ذلك. * وللأصمعي قولان متناقضان عن حسان: الأول: أن حسان لان شعره بعد إسلامه ، وهذه لا حق للأصمعي فيها ، بشهادة النقاد بل والمحققين. ولقد فندت هذه الفرية في كتابي: (قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري). وسألنا: كيف يؤيد شاعراً ما بروح القدس ويلين شعره؟ ربما هذا القول من الأصمعي لتشيعه ورافضيته الخبيثة. وأما الثاني: فقول الأصمعي: تنسب إليه أشياء لا تصح عنه. وهذه له فيها كبير الحق. لأنه قد ابتلى ببعض الأشعار التي لا تليق بمستواه الفني الجليل ، وإنما هي أشعار منحولة تسربت إلى ديوانه. ويؤيد هذا القول ابن سلام الجمحي: (إن حسان قد حمل عليه ما لم يحمل على أحد. الأشعار الكثيرة التي لا تنقى).هـ. ويؤيد كلامنا د. شوقي ضيف في كتابه: (تاريخ الأدب العربي في العصرالإسلامي صـ 81): (والحق أن شعر حسان الإسلامي قد كثر الوضع فيه ، وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهلة. لا لأن شعره قد لان وضعف في الإسلام كما زعم الأصمعي ، ولكن لأنه دخله الكثير من الانتحال والوضع).هـ. وصدق شوقي ضيف حفظه الله تعالى. * عاش حسان ثابت الأنصارى ستين سنة في الجاهلية ، وأيضا ستين سنة أخرى في الإسلام. فهو من الشعراء المخضرمين المعمّرين. وعاش على الشعر ، فكان يمدح الغساسنة والمناذرة ويقبل هداياهم وهباتهم وعطاءاتهم. ويعتبر مدحه لآل جفنة من ملوك غسان من الشعر ، من أكثر وأغرز شعره الجاهلي أي الذي أنشده في الجاهلية. ولذا أكرموه ولم يتنكروا قط له بعد أن أسلم رغم أنهم نصارى ، ولذا لما جاءت إليه رسلهم بالهدايا من القسطنطينية قبلها - رضي الله عنه -.* وعندما اشتد أذى المشركين وهجاؤهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه: ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: إنا لها. وضرب بلسانه الطويل أرنبة أنفه ، وقال: والله ما يسرني به مقول ما بين بصرى وصنعاء ، والله لو وضعته على صخر لفلقه ، أو على شعر لحلقه. فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين! فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم -: (اهجهم ومعك روح القدس). وعلى هذا كان حسان شاعر أهل المدن في الجاهلية وشاعر النبوة في البعثة النبوية وشاعر اليمن الأوحد. نعم كان حسان أمير الشعراء المسلمين في كل أغراض الشعر العربي اللائقة بالإسلام: (الفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والوصف)! ففي شعره ضارع ابن كلثوم في الفخر بقومه والمباهاة بنفسه. بقي حسان بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – محبباً كما أسلفنا إلى خلفائه مرضياً عنه ، وعمّر وبقي أكثر حياته ممتعاً بحواسه وجوارحه وعقله حتى وهن جسمه في أواخر أيامه وكُف بصره ، ومات في خلافة معاوية سنة 54هـ. لقد ظلم حسان ظلماً كبيراً إذ كتبت الكتب الكثيرة عن صحابة فرسان كثيرين. وأما فارس الكلمة (حسان بن ثابت) فكتب عنه عن النذر اليسير من الكتب. وكان المدخل للكتابه عنه الأدب والكلمة. ومن عناوين الكتب ندرك ذلك: (رجال حول الرسول) ، (من سير الصحابة) ، (فرسان حول الرسول). ولم يكن من بين هؤلاء

الفرسان والرجال والصحابة والأبطال (حسان) والذي هو فارس الكلمة وبطلها. وأسأل: لماذا؟ والجواب: لانشغال الرواة والمحققين والمؤلفين بالفروسية التي قوامها السيف والسنان مهملين الفروسية الأخرى فروسية الكلمة ، والتي قوامها الشعر والحكمة والبيان. إن جهاد حسان – رضي الله عنه - بالكلمة أعتى من جهاد سواه بالسيف ، وذلك بشهادة النبي – صلى الله عليه وسلم - نفسه ، إذ قال: لهو أمضى من نضح النبل عليهم. ومن هنا حلا لبعضهم أن يتهموا حسان بالجبن والخوف. وهذه فرية عظيمة. إنه من أشجع الأصحاب في جهاد الكلمة وسد فراغاً لم يستطيع سواه أن يسده ، وملأ فراغاً لم يكن يملؤه سواه. وغاية ما في الأمر أنه كان يخاف من الحرب وضرب السيوف ورمي النبال. وفي ظني أن حسان بن ثابت الأنصاري لم ينصف! ولعل دراسات مستقبلية سوف تنصفه إن شاء الله وتسله من دعايات المستشرقين وأفراخهم وسدنة الباطل المعاصرين والغابرين كما تسل الشعرة من العجين ، كما كان يسل النبي صلى الله عليه وسلم – من دعايات المشركين بالأمس. * إنني إن عقني أولادي السبعة فعندي قصائدي التي فاقت اليوم 575 قصيدة ، فهن بناتي اللائي أفاخر بهن وأجد منهن البر والإحسان. ولذا لا يجب أن أحزن على عدم وجود البنات عندي وأشكر الله ما رزقني إذ كنت أريد بُنية. وكفاني حسان. * أسرت قبيلة مزينة (حسان بن ثابت) وكان قد هجاهم فقال في هجائه لهم معرضاً بهم:

مزينـــــة لا يـــرى فيهـــا خطيـــبُ ولا فلـــج يطـــاف بـــه خصـــيبُ

أنـــاس تهلـــك الأحســـاب فـــيهم يـــرون التـــيس يعدلـــه الحبيـــب

فأتاهم الخزرج قوم حسان يقتدونه منهم ، فقالت مزينة: نفاديه بتيس. فغضب أهل حسان لذلك غضباً شديداً ، ولما رأوهم يبخسون قدره ، وقاموا فقال لهم حسان: يا إخوتي خذوا أخاكم يعني نفسه ، وادفعوا أليهم أخاهم يعني التيس الذي طلبوه فداء لحسان. * ولقد حفظ الله - تعالى – اسم (حسان) على مر العصور وكر الدهور فلا أعلم أحداً تسمى به وكان منقوص القدر. فمثلاً:

1- حسان تبّع بن أسعد بن أبي كرب الحميري ، من أعاظم تبابعة اليمن في الجاهلية. ولعله أكثرهم غارات وأظفرهم كتائب ، كما ذكر في غير ما مرجع ودائرة معارف.

2 – حسان أبو رحاب ، من أسرة عوف بن الصوامعة بمصر وهو من رجالات التعليم الأوفياء العظماء. مات 1957م.

3 – حسان ابن أبي سنان بن أبي أوفى بن عوف التنوخي (مترجم معروف) كان يكتب بالعربية والفارسية والسريانية في غاية الدقة والجمال. مات 18هـ.

4 – حسان بن كلال الحميرى من ملوك حمير الجاهليين.

5 – حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ، من حمير وهو ملك جاهلي من أقيال اليمن عرف بذي الشعبين وهو جبل نزله هو وولده وعاش فيه ودفن فيه.

6 – حسان بن عمرو بن تبع: من ملوك اليمن الحميريين.

7 – حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف ، أبو سليمان الكلبي. أمير بادية الشام مات 685م.

8 – حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر أو عبده. وزير عبد الرحمن الداخل (مؤسس الدولة الأموية في الأندلس) ، مات سنة 767م ، وكان قد عرف بتقواه وبعدالته وأمانته.
9 – حسان بن مالك بن أبي عبدة ، وزير من العلماء باللغة والأدب في الأندلس. مات 1029م.
10– حسان بن محمد بن أحمد بن هارون ، من نسل سعيد بن العاص القرشي الأموي (أبو الوليد) علامة بفقه السادة الشافعية ، وهو من حفاظ الحديث مات 960هـ.
11 – حسان بن معاوية بن ربيعة بن حرام العجوي من قحطان. وهو جد جاهلي من أجداد العرب.
12 – حسان بن مفرج بن دغفل بن جراح الطائي (أمير بادية الشام) مات 420هـ.
13 – حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني من أولاد ملوك غسان ، قائد من رجال السياسة والحرب. مات 705م.
14 – حسان بن نمير بن عجل الكلبي (أبو الندى عرقلة الأعور) ، وهو شاعر فذ مات 567هـ.
وأما اسم حسان في عالم الحديث ورجالاته ورواته فمنهم:
1 – حسان بن إبراهيم بن عبد الله الكرماني ، وهو قاضي كرمان ، روى له البخاري ومسلم والدرامي – رحمهم الله.
2 – حسان بن الأشرس (المنذر) بن عمار الكاهلي الألبي ، روى له النسائي - رحمه الله -.
3 – حسان بن حريث أبو السوار العدوي.
4 – حسان بن حسان البصري ، أبو على بن أبي عبادة وقد روى له البخاري - رحمة الله عليه.
5 – حسان بن أبي سنان البصري ، وهو أحد العباد التقاة الورعين ، روى له البخاري والترمذي.
6 – حسان بن الضمري بن عبد الله الشامي. روى له النسائي.
7 – حسان بن عبد الله بن سهل الكندي أبو علي الواسطي ، روى له البخاري - رحمة الله عليه -.
8 – حسان بن عطيه المحاربي.
9 – حسان بن كريب الحميري الرعيني أبو كريب المصري وقد روى له البخاري - رحمه الله.
1. – حسان بن نوح النصري أبو معاوية أبو أمية الشامي الحمصي ، وقد روى له النسائي.
11 – حسان بن أبي وجزة من قريش ، وقد روى له النسائي.
12 – حسان (غير منسوب) وقد روى له النسائي عن عبد الله بن مسعود (ما رأيت من ناقصات عقل ودين). حديث واحد فقط لاغير. وكتاب نهذيب الكمال في أسماء الرجال للإمام المزي حرف الحاء ، قد حوى الكثير والكثير.
هذا ، وقد اعترض واحد من أصحابنا على هذه التسمية التي عزمت عليها لولدي (حسان) قائلاً بأنه لم يكن من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذا الاسم (حسان). إلا ابن ثابت الأنصاري الشاعر. فقلت لصاحبي: عُد إلى كتاب (الإصابة) لابن حجر العسقلاني ، وكتاب (أسد الغابة) لابن الأثير وغيرهما من كتب التراجم والسير والرجال ، وسوف تعرف أنه لم يكن الصحابي الوحيد الذي تسمى بهذا الإسم. بل كان هناك من الصحابة حوالي سبعة خلاف ابن ثابت:
1 – حسان بن جابر السلمي ، والذي شهد مع النبي الطائف.
2 – حسان بن أبي حسان العبدي ، الذي قدم على النبي – صلى الله عليه وسلم – في وفد عبد القيس.

3 – حسان بن خوط الذهلي البكري ، الذي كان شريفاً وسيداً في قومه ، وكان وافد بكر بن وائل إلى النبي ، وقد عاش هذا الصحابي الجليل حتى شهد (الجمل) مع علي.
4 – حسان بن أبي سنان ، الصحابي المشهور - رضي الله عنه -.
5 – حسان بن شداد بن شهاب بن زهير بن ربيعة.
6 – حسان بن عبد الرحمن الضبعي - رضى الله عنه -.
7 – حسان بن قيس بن أبي أسود بن كلب بن عدي بن يربوع التميمي - عليه رضوان الله.
* وعود إلى حسان بن ثابت الأنصاري في نماذج من شعره: يبكي حسان على الأطلال فيقول:

أســألت رســم الــدار؟ أم لــم تســألِ بــين الجــوابي فالبُضــيع ، فحومــلِ
فــالمرج مــرج الصــفرين فجاســم فــديار ســلمى دُرّســا لــم تحلــل
دمــنٌ تعاقبهــا الريــاحُ دوارسٌ والمــدجنات مــن الســماك الأعــزل

وبعد أن خاض في عرض عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قال بعد حادث الإفك معتذراً:

حَصــانٌ رزانٌ مــا تــزن بريبــةٍ وتصــبح غرثــى مــن لحــوم الغوافــلِ
حليلــة خيــر النــاس دينــاً ومنصــباً نبــي الهُــدى والمَكرمــات الفواضــل
عقيلــة حــي مــن لــؤي بــن غالــب كــرام المســاعي مجهــداً غيــر زائــل
مهذبــة قــد طيــب الله خيمهــا وطهرهــا مــن كــل ســوءٍ وباطــل
فــإن كنــتُ قلــتُ الــذي زعمــتمُ فــلا رفعــتْ ســوطي إلــيّ أنــاملي

وقد روى أن عائشة قالت في التعليق على قوله: (وتصبح غرثى من لحوم الغوافل) ، ولكنك يا حسان ما تصبح غرثان أى جائع من لحومهن. هذا ، ومن شعره في القيم قبل إسلامه.

أصــون عِرضــي بمــالي لا أدنســهُ لا بــارك اللهُ بعــد العِــرض فــي المــالِ
أحتــال للمــال إن أودى ، فأجمعــه ولســتُ للعِــرض أن أودى بمحتــال
والفقــر يُــزري بــأقوام ذوي حســب ويُقتــدى بلئــام الأصــل أنــذال

ومن شعر حسان في الفخر:
وكنــا ملــوك النــاس قبــل محمــدٍ فلمــا أتــى الإســلامُ كــان لنــا الفضــلُ

وأكرمنـــا الله الـــذي لـــيس غيـــره إلـــهٌ بأيـــام مضـــت مـــا لهـــا شـــكل

ومن شعر حسان في المناظرة ، وذلك عندما أنشد الزبرقان بن بدر التميمي قوله:

نحـــن الكـــرام ، فـــلا حـــيٌ يُعادلنـــا منـــا الملـــوكُ ، وفينـــا يقســـم الربُـــع

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم – قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال. فأنشد حسان مناظراً:

إن الـــذوائب مـــن فهـــر وإخـــوتهم قـــد بينـــوا سُـــننا للنـــاس تتبـــعُ

يرضـــى بهـــا كـــل مـــن كانـــت ســـريرته تقـــوى الإلـــه ، وبـــالأمر الـــذين شـــرعوا

قـــومٌ إذا حـــاربوا ضـــروا عـــدوهمُ أو حـــاولوا النفـــع فـــي أشـــياعهم نفعـــوا

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس (وهذا قبل إسلامه): وأبي (يقسم هنا بأبيه) إن هذا خطيبه (أي حسان) أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم من المناظرة أسلموا وجوّزهم رسول الله (أي أعطاهم الجوائز). فأحسن جوائزهم – صلى الله عليه وسلم). ومن شعر حسان في مدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم:

وأحســـنُ منـــك لـــم تـــر قـــط عينـــي وأجمـــلُ منـــك لـــم تلـــد النســـاءُ

خلقـــتَ مُبـــرأ مـــن كـــل عيـــب كأنـــك قـــد خلقـــتَ كمـــا تشـــاء

ومن شعر حسان في الذود عن النبي – عليه السلام –: عندما هجا أبو سفيان بن الحارث نبي الله:

ألا أبلـــغ أبـــا ســـفيان عنـــي فأنـــت مجـــوفٌ نخـــب هـــواءُ

بـــأن ســـيوفنا تركتـــك عبـــداً وعبـــد الـــدار ســـادتها الإمـــاء

هجـــوت محمـــداً فأجبـــت عنـــه وعنـــد الله فـــي ذاك الجـــزاء

أتهجـــوه ، ولســـت لـــه بكـــفءٍ؟ فشـــركما لخيركمـــا الفـــداء

هجـــوت مباركـــاً بـــراً حنيفـــاً أمـــين الله ، شـــيمته الوفـــاء

فمـــن يهجـــو رســـول الله مـــنكم ويمدحـــه وينصـــره ســـواء

فـــــإن أبـــــي ووالـــــده وعِرضـــــي لعِـــــرض محمـــــدٍ مـــــنكم وقـــــاء

* ولقد أجمع النقاد والمحققون والمنصفون من المستشرقين على أن شعر حسان في جملته كان على أربعة أنحاء ، اثنان منها في الجاهلية شعره القبلي ومدحه الغساسنة. وفي الإسلام مدحه للرسول – صلى الله عليه وسلم - وهجاؤه النضالي. فأما شعره الذي كان في الجاهلية فالقبلي منه انصرف فيه حسان للذود عن قومه بالمفاخرة بهم وبمآثرهم وبمناقبهم ، وذلك بسبب روح العداء المستحكم الذي ينشب من حين لآخر بين قبيلتي الاوس والخزرج. وأما شعره الغساني في مدح البلاط الغساني ، فمدح أمراءهم وحكامهم وملوكهم ، ومنه قوله:

يســـقون مـــن ورد البـــريص علـــيهمُ بـــردى يصـــفق بـــالرحيق السلســـلِ

بـــيض الوجـــوه كريمـــة أحســـابهم شـــم الأنـــوف ، مـــن الطـــراز الأول

وأما شعر حسان في الاسلام فمنه مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – فجعل مشربيته في الذود عن الإسلام مدح النبى وآله الأطهار الأبرار. فانبثق مدحه عن عقيدة وتوحيد وحب للنبي لا عن رغبة في التكسب والارتزاق والعطايا. ويلحق بهذا الشعر رثاء النبي – صلى الله عليه – ومراثي أهل بيته. وديوان حسان ملئ بهذه المراثي. وأما هجاء حسان النضالي ، فقد هجا قريشاً وكل من يناوئ دعوة الرسول وينال منها. واتخذ اسلوب التشفي في المناوئ. حيث يفصل هذا الدعي عن الدوحة القرشية ويجعله دعيا لجأ إلى قريش كعبد ، ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعناً أشد ما يكون الطعن. ثم يصوب سهام الشعر إلى أخلاق هذا المناوئ ، فيمزقها تمزيقاً ويصفه بالبخل والجبن والفرار من لقاء خصومه وغير ذلك من مساوئ الأخلاق وعيوب الرجال ومثالبهم.

* ومن شعره في رثاء النبي – صلى الله عليه وسلم -:-

مـــا بـــال عينـــك لا تنـــام ، كأنمـــا كحلـــت مآقيهـــا بكحـــل الأرمـــدِ

جزعـــاً علـــى المهـــدي ، أصـــبح ثاويـــاً يـــا خيـــر مـــن وطـــئ الحصـــى لا تبعـــد

فضـــللتُ بعـــد وفاتـــه متلبـــداً متلـــدداً يـــا ليتنـــي لـــم أولـــد

ومن شعر حسان أيضاً في رثاء النبي - عليه الصلاة والسلام -:

كـــان الضـــياء ، وكـــان النـــور يتبعـــه بعـــد الإلـــه ، وكـــان الســـمعَ والبصـــرا

فليتنـــا يـــوم واروهُ بملحـــدهِ وغيّبـــوه ، وألقـــوا فوقـــه المـــدرا

لـــم يتـــرك الله منـــا بعـــده أحـــداً ولـــم يُعـــشْ بعـــده أنثـــى ولا ذكـــرا

ومن رثاء حسان في أبي بكر الصديق – رضى الله عنه -:-

إذا تـــذكرت شـــجواً مـــن أخـــي ثقـــةٍ فـــاذكر أخـــاك أبـــا بكـــر بمـــا فعـــلا

التـــاليَ الثـــانيَ المحمـــود شـــيمته وأول النـــاس طـــراً صـــدق الرســـلا

والثـــاني اثنـــين فـــي الغـــار المنيـــف وقـــد طـــاف العـــدوُ بـــه إذا صـــعد الجـــبلا

خيـــر البريـــة أتقاهـــا وأرأفهـــا بعـــد النبـــي ، وأوفاهـــا بمـــا حمـــلا

ومن شعر حسان في رثاء عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -:

وفجعنـــــا فيـــــروز ، لا در دره بـــأبيض يتلـــو المُحْكمـــات منيـــبِ

رؤوف علـــى الأدنـــى غلـــيظ علـــى العِـــدا أخـــى ثقـــةٍ فـــي النائبـــات نجيـــب

ومن رثائه في ذي النورين عثمان - رضى الله عنه تعالى - كذلك:

مـــن ســـره المـــوت صـــرفا لامـــزاج لـــه فليـــأتِ مأســـدة فـــي دار (عثمانـــا)

ضـــحوا بأشـــمط عنـــوانُ الســـجود لـــه يقطـــع الليـــل تســـبيحاً وقرآنـــا

لتســـمعن وشـــيكاً فـــي ديـــارهمُ الله أكبـــر ، يـــا ثـــارات عثمانـــا

ومن شعر حسان في رثاء علي - رضى الله تعالى عنه -:-

أبـــا حســـن تفـــديك نفســـي ومُهجتـــي وكـــل بطـــئ - فـــي الهُـــدى - ومســـارع

أيـــذهب مـــدحي والمحبـــين ضـــائعاً ومـــا المـــدحُ فـــي ذات الإلـــه بضـــائع

فأنـــت الـــذي أعطيـــت إذ أنـــت راكـــعٌ فـــدتك نفـــوسُ القـــوم يـــا خيـــر راكـــع

* وأكتفي إلى هذا الحد من الحديث عن شاعرنا القدير حسان بن ثابت. وأشير إلى أنه دفن بالبقيع فى المدينة المنورة ، وذلك في خلافة معاوية - رضي الله عنه – وليس الصحابي حسان مدفوناً في مصر كما طالعت في بعض الكتب. وإننا لنرجوالله أن يجعل ولدنا مثل حسان فيتبنى تراث أبيه من الشعر ، ويخلفه على هذا الشعر تنقيحاً ونشراً. وإن كنت وأمه قد رجونا بُنية بعد الأولاد الستة ، ولكنها إرادة الله ، والله غالب على أمره. وصدق الشاعر عباس محمود العقاد عندما قال مبكتاً:

صـــــغيرٌ يطلـــــب الكِبَـــــرا وشـــــيخ ودّ لـــــو صـــــغرا

وخـــــــال يشـــــــتهي عمـــــــلاً وذو عمـــــــل بـــــــه ضـــــــجرا

ورب المـــــــال فـــــــي تعـــــــب! وفـــــــي تعـــــــب مـــــــن افتقـــــــرا

وذو الأولاد مهمـــــــــــــــــــــومٌ وطـــــــالبهم قـــــــد انفطـــــــرا

ومَـــــن فقـــــد الجمـــــال شـــــكى وقـــــد يشـــــكو الـــــذي بُهـــــرا

ويشـــــــقى المـــــــرء منهزمـــــــاً ولا يرتـــــــــــــاح منتصـــــــــــرا

ويبغـــــي المجـــــد فـــــي لهـــــفٍ فـــــإنْ يظفـــــرْ بـــــه فتـــــرا

شُـــــكاة مـــــا لهـــــم حَكَـــــمٌ ســـــوى الخصـــــمين إن حضـــــرا

فهـــــل حـــــاروا مـــــع الأقـــــدا رِ؟ أم هـــــم حيّـــــروا القـــــدرا؟!

وأكتفي رغم الإطالة التي أعتذر عنها. هذا ، وإنني لأسأل الله – عز وجل – أن يكون ولدنا حسان بن أحمد علي سليمان عبد الرحيم في مكانة حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه من أهل زمانه. أو يكون مثل شاعر آخر من شعراء الصحابة يدعى حسان كذلك وهو حسان بن عبد الله الجعدي العامري ، والذي يعتبر أحد القدماء المعمّرين المخضرمين ووصاف الخيل المشهورين ، وأحد أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – الغر المحجلين. والغريب أن هذا الشاعر عُرف بالنابغة الجعدي المكنى بأبي ليلى ، وأما اسمه فكما ذكرنا حسان . نبغ في الشعر في الجاهلية ، وأدرك الإسلام وحسن إسلامه واستمع منه النبي – صلى الله عليه وسلم – من قصيدة له فى الفخر بقبيلته وعشيرته: (بلغنا السما مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو ـ فوق ذلك – مظهرا)! فقال له النبي: فأين المظهر يا أبا ليلى؟ قال: الجنة. فقال له: إن شاء الله ، ولما أتم قصيدته تلك قال له الرسول: أجدت لا يَفضض اللهُ فاك. فأتت عليه مائة سنة وقيل مائة وثمانون وما نفضت من فيه سن. وذلك ببركة دعاء رسول الله. اللهم اجعل لولدنا (حسان) من شعر الإسلام والمسلمين نصيباً. ولكني أردت أن أعْلِم ولدي لماذا أسميته (حسان) وأعرّفه بحقائق عن حسان بن ثابت.)

الحمـــــد لله العظـــــيم الشـــــانِ الخـــــالق المتكبـــــر الـــــرحمنِ

إنـــــي لأحمـــــده ، وأشـــــكر فضـــــله وأنـــــا الـــــذي قصـــــرتُ فـــــي الشـــــكران

وأزيـــــده حمـــــداً علـــــى مـــــا خصـــــني مـــــن نعمـــــة الإســـــلام والإيمـــــان

والله ربـــــي أســـــتعين بـــــه علـــــى تطبيـــــق مـــــا قـــــد كـــــان فـــــي القـــــرآن

يـــــا رب أســـــتهديك ، فـــــارزقني التقـــــى واعصـــــم فـــــؤادي مـــــن دجـــــى العصـــــيان

واغفـــر ذنوبـــاً غـــرّ صـــاحبَها الهـــوى ... حتـــى اقتفـــى عمـــداً خطـــا الشـــيطان

وأعـــوذ بـــالله العظـــيم مِـــن الخطـــا ... ومِـــن الضـــلال ومِـــن لظـــى الخســـران

مَـــن يهـــده اللهُ القـــديرُ فقـــد ســـما ... ونجـــا مِـــن الـــزلات والمَـــيَلان

وإذا أضـــل اللهُ عبـــداً لـــم يـــزلْ ... فـــي حمـــأة الآثـــام والطغيـــان

وشـــهادة أنْ لا إلـــه ســـوى الـــذي ... خلـــق الـــورى ذو الفضـــل والعرفـــان

وشـــهادة أن النبـــي محمـــداً ... هـــو رحمـــة الـــرحمن للإنســـان

صـــلى عليـــه الله مادامـــت ســـما ... ولغـــا بلفـــظ القـــول طـــرفُ لســـان

يـــا رب صـــل علـــى النبـــي وآلـــه ... والصـــحب والأتبـــاع بالإحســـان

أنـــت الـــذي أرســـلته وعصـــمته ... ونصـــرته بالســـيف والفرقـــان

يـــا رب بـــالقرآن علمْنـــي الهُـــدى ... وألـــنْ عتـــيَّ اللفـــظ والتبيـــان

وامـــنحْ قريضـــي مـــن نعيمـــك نفحـــة ... إن القـــريض عزيمتـــي وســـناني

يـــا رب زده فراســـة وبصـــيرة ... وانشـــره بـــين الأهـــل والإخـــوان

وانفـــع بـــه أهـــل التعفـــف والحجـــا ... وبـــه أجـــرْ جســـدي مـــن النيـــران

فالشـــعرُ ســـيفي فـــي المعـــامع والقنـــا ... والقصـــدُ مـــن ذودي رضـــا الـــديان

ورصـــدتُ أبنـــائي لنصـــر شـــريعتي ... يـــا رب فـــامنحهم فصـــيح بيـــان

ونـــذرتُ للشـــعر المجاهـــد خيـــرهم ... ليُعيـــد للـــدنيا صـــدى (حســـان)

أســـميته (حســـان) أعنـــي مَـــن شـــدا ... بالشـــعر ينصـــر ملـــة (العـــدنان)

أعنـــى (ابـــن ثابـــت) فـــي ســـنا أشـــعاره ... يُـــردي بســـيف الشـــعر كـــل جبـــان

ويـــذود عـــن شـــرع النبـــي وعِرضـــهِ ... ويُعبـــئ الترجيـــعَ فـــي الألحـــان

(حســـان) يـــا ولـــدي إليـــك تحيتـــي ... شـــعراً كمثـــل الـــورد والريحـــان

أهـــدي إليـــك مـــن الفـــؤاد ســـروره ... بـــك رغـــم مـــا يُشـــقيه مـــن أحـــزان

وأزف أفراحـــــي ، وأحمـــــل بهجتـــــي ... فـــي حلـــةٍ نســـجتْ مِـــن المَرجـــان

لـــك يـــا حبيـــبَ القلـــب يَطـــربُ خـــاطري ... وحبـــوره يشـــدو بعـــذب أغـــان

وأزاهـــر الأشـــواق تســـعد مهجتـــي ... تجـــري دمـــاً فـــي همتـــي وكيـــاني

لـــم يُنســـني شـــجني سُـــروريَ بـــالفتى ... والفـــرْحُ يُـــذهبُ عـــاتيَ الأشـــجان

يـــا ذاهـــلاً فـــي المهـــد يبســـم ثغـــره ... هـــلا أرحـــت ســـرائر الضـــيفان؟

آيـــاتُ جـــودك فـــي الجبـــين حديقـــة ... وقطوفهـــــــا للمُعجبـــــــين دوان

لا تـــــدخر كرمـــــاً تطمئننـــــا بـــــه ... إن العواطـــف يـــا بُنـــي حَـــوان

ومشـــاعري التاعـــتْ لمَـــا ينتابهـــا ... بـــين الســـرور وشـــدة الخفقـــان

طيـــفٌ يســـامرُني فيُســـعد عزمتـــي ... فـــــــأودّع الآلامَ بالنســـــــيان

ويمـــرُ طيـــفٌ فـــي ثنايـــاه الجـــوى ... فـــأفتش الأشـــواق عـــن سُـــلوان

فـــإذا بأهـــل الطـــب قـــد حيـــرتهم ... حينـــاً ، ومـــا لـــي بـــالعلاج يـــدان

علـــمٌ يهـــيمُ العقـــلُ فـــي أســـراره ... ويشـــيب فـــي مِحرابـــه الـــثقلان

وهنـــاك فـــي (مشـــفي الخلـــيج) رأيتنـــي ... ضـــاقت بمـــا ألقـــى ســـما (عجمـــان)

وســـهرتُ ليلـــي ، والـــدعاءُ بضـــاعتي ... بلســـان محتســـب الـــدعا حيـــران

وصـــلاة ليـــل المـــرء تمحـــو همـــه ... والـــدمع فـــي جـــوف الصـــلاة غزانـــي

وقـــد اســـتجاب الله مـــا أمّلتـــه ... والعـــينُ كحّلهـــا ســـنا (حســـان)

ودعـــوتُ ربـــي أن يكـــون لـــديننا ... ســـيفاً يُقـــاوم هجمـــة العُـــدوان

ويكـــون أشـــجع فـــارس يغشـــى الـــوغى ... فـــي جُملـــة الرئبالـــة الفرســـان

ويكـــــون أو مُقبـــــل متســـــلح ... بحـــلاوة الإخـــلاص فـــي الميـــدان

ويكـــون فـــي شـــعر اليعـــارب جهبـــذاً ... يرمـــــي العِـــدا بثواقـــب الشـــهبان

يُثـــري القـــريض ، يـــذرّ حلـــو عبيـــره ... ويتيـــــــــه بالإيحـــــــــاء والأوزان

ويُعيـــد للشـــعر الأصـــيل مكانـــه ... إذ لـــم يعُـــدْ للشـــعر أي مكـــان

ويُـــذيع آيـــاتِ الجمـــال شـــجية ... وكأنهـــا قطفـــتْ مِـــن البســـتان

ويُعـــرّف المستشـــعرين حـــدودهم ... ويفـــور مثـــلَ المِرجـــل المَـــلآن

ويصـــول يُخـــرس مَـــن تشـــاعر ماجنـــاً ... ويكـــون فـــي الجـــولات ذا صَـــوَلان

ويصـــد هجمـــة مَـــن تنكـــر للهُـــدى ... فرمـــاه مـــن أحقـــاده بهـــوان

ويجـــول بـــين النـــاس ينشـــر خيـــره ... ويُجيـــرهم مِـــن جوْقـــة الـــذؤبان

وينـــاوئ المتطـــاولين بشـــعره ... كـــي يعلمـــوا مـــا للهُـــدى مِـــن شـــان

(حســـان) يـــا ولـــدي أريـــدك شـــاعراً ... تـــردي العِـــدا كالفـــارس الطعّـــان

إنـــي نـــذرتك للقـــريض ، فكـــن لـــه ... بطـــلاً يلـــي مـــا كـــان فـــي حُســـباني

واذكـــر وصـــاة أب يريـــدك حربـــة ... فـــي صـــدر كـــل منـــافق خـــوان

فاجعـــل قـــريض العُـــرب ســـيفاً صـــارماً ... واطعـــنْ مخـــارف فرقـــة القبـــاني

وارســـم بريشـــتك الفضـــائلَ حيـــة ... واســـكبْ شـــذى الأزهـــار فـــي الـــديوان

واحمـــلْ يراعَـــك فـــي العَجـــاج مجاهـــداً ... واقمـــعْ بحقـــك كـــل ذي ســـلطان

وأعـــدْ حقوقـــاً طالمـــا قـــد أهـــدرتْ ... وأزلْ بجـــودك لوعـــة الحرمـــان

إن الحقيقـــة عنـــك مـــا خفيـــتْ ، فكـــن ... متحققـــاً مِـــن صـــولة الـــبُطلان

أأبـــا الحُســـام ابسُـــط يـــداك لبيعتـــي ... أبـــداً علـــى نســـج القـــريض الحـــاني

ذد عـــن شـــريعة (أحمـــدٍ) وتراثـــه ... وانشـــد بشـــعرك جنـــة الرضـــوان

لا تخـــش مَـــن فجـــروا ولا مَـــن نـــافقوا! ... أيخـــافُ ليـــث الغـــاب مِـــن ذُبـــان؟!

والشـــعرُ علـــمٌ ، فـــالتمسْ أدواتـــه ... كـــيلا يكـــون الشـــعرُ كالهَـــذيان

وانقـشْ بكفـك مـا تعـيش ومـا تـرى ... واخـرجْ - علـى الـدنيا - بعـذب مَعـان

مـــا أجمـــلَ الأشـــعار ترســـم واقعـــاً ... وتصـــب مـــا تحيـــاه فـــي الأذهـــان!

مـــا أعـــذب الألحـــان ، أنـــت تســـوقها ... لمُريـــدها ريّانـــة الأغصـــان!

لـــم تـــدخرْ جهـــداً يزيـــد بهائهـــا ... إلا بـــذلت بهمـــة وتفـــان

جوزيـــت خيـــراً إن حفظـــتَ وصـــيتي ... ورزقـــت تقـــوى مـــؤمن يقظـــان

وإذا هجـــرت ، فـــلا عليـــك ملامـــة ... واللهُ يـــا (حســـانُ) ذو غفـــران

وإن اســـتطعت فـــلا تحـــاولْ هجرهـــا ... إذا مـــا لهـــا فـــي الأرض مـــن أثمـــان

وأمانـــة هـــذي الوصـــية ، فارعهـــا ... ولقـــد خصصـــتُ بهـــا فتـــى الفتيـــان

ســـطرتها شـــعراً ، وأنـــت وليهـــا ... وصـــدقتُ فـــي ســـري وفـــى إعلانـــي

وأبنـــتُ عـــن قصـــدي وصـــدق مشـــاعري ... لحبيـــب قلبـــي دُرة الصـــبيان

ونظمـــتُ عقـــد قصـــيدتي متلألئـــا ... يُـــزري بكـــل زمـــرّدٍ وجُمـــان

أأبـــا الوليـــد رزقـــت تقـــوى ربنـــا ... وخصصـــت فـــي الأعمـــال بالإتقـــان

ووقـــاك ربـــك فتنـــة عصـــفتْ بنـــا ... ووقيـــت مـــا فـــي النـــاس مـــن شـــنآن

وجُعلـــت فـــي الأهلـــين مصـــدر عـــزهم ... وأعـــاذك المـــولى مـــن الشـــيطان

ورزقـــت يـــا حســـان أصـــدق زوجـــةٍ ... صـــدّيقة بـــين النســـاء حَصـــان

لتعـــيش مُرتـــاح الفـــؤاد مُنعمـــاً ... مـــع زوجـــةٍ تـــزن الأمـــور رَزان

هـــي بعـــد تقـــوى الله خيـــرُ معينـــةٍ ... والـــربِّ هـــذي زينـــة النســـوان

ويكـــون أنصـــاراً لـــدينك أهلهـــا ... إمـــا ابتليـــت بخيبـــة الخـــذلان

كـــلٌ يمـــدّ يـــد الـــولاء مضـــحّياً ... هـــم صـــفوة الأنســـاب والأقـــران

وإذا استشـــرت فهـــم أســـاطين الحِجـــا ... أكـــرمْ بمـــا مُنحـــوا مـــن الرجحـــان!

وإذا التمســـت العـــون كـــانوا نجـــدة ... صـــيدَ النفـــوس علـــى مـــدى الأزمـــان

وإذا ابتليـــت بنكبـــةٍ لـــم يخـــذلوا ... بـــل جـــابهوا بنزاهـــة الشـــجعان

وإذا ســـــألتهمُ لســـــرك مَلجـــــأ ... غزلـــوا لســـرك جُبـــة الكِتمـــان

وإذا طغـــى ريْـــبُ المَنـــون رأيـــتهم ... هرعـــوا إليـــك بنجـــدة التحنـــان

وإذا دهتـــك مـــن الأقـــارب جفـــوة ... وصـــلوك قبـــل الأهـــل والجيـــران

وإذا قصـــــدتهمُ لأرجـــــى خدمـــــةٍ ... خـــــدموك بـــــالأموال والولـــــدان

أنـــت ادخـــرتهمُ ليـــوم كريهـــةٍ ... ولـــذاك مـــا احتـــاجوا إلـــى برهـــان

بـــل جـــاء كـــلٌ حـــاملاً علـــم الوفـــا ... ومضـــحياً بـــالنفس كالقربـــان

وإذا عـــلاك بمطعـــن متخـــرصٌ ... مـــلأوا حشـــاه بـــأنتن الأنتـــان

ولعِرضـــك انتصـــروا ، وذا شـــرفٌ لهـــم ... وتحملـــوا الإيـــذاء بالأطنـــان

وترفعـــوا عـــن خـــذل شـــهم ماجـــدٍ ... هـــو للمناقـــب والفضـــائل بـــان

(حســـانُ) لا تصـــحب وضـــيعاً ســـاقطاً ... فالأسْـــد تـــأنف صـــحبة الغِربـــان

واختـــرْ صـــديقك مؤمنـــاً وموحّـــداً ... مستمســـكاً بشـــرائع القـــرآن

واحـــذر مـــوالاة الكِفـــار جمـــيعهم ... واحـــذر مـــودة مشـــركٍ نصـــراني

والـــنفسَ حاســـبْها ، ولا تتـــركْ لهـــا ... فـــي الموبقـــات الهـــوج أي عَنـــان

واغضـــبْ ، ولكـــنْ للمليـــك ودينـــهِ ... بوركـــت إن نفـــذت مـــن غضـــبان

وأربـــأ بنفســـك عـــن مخالطـــة الغثـــا ... فمخـــالط الأوبـــاش كـــالحيوان

وأنـــا أريـــدك فـــي الخلائـــط ضـــيغماً ... مترفعـــاً عـــن مَربـــدِ البعـــران

وأدمْ مراجعـــة العقيـــدة يـــا فتـــى ... واهجـــرْ - فـــديتك - عابـــدي الأوثـــان

والـــزمْ غـــذاءَ الـــروح قـــرآنَ الهُـــدى ... فهـــــو الشـــــفا للـــــروح والأبـــــدان

وادرسْ كتابـــــاتِ الثقـــــاتِ تعبـــــداً ... لاســـــيما نبراســـــنا (الحرانـــــي)

أعنـــي (ابـــنَ تيميـــة) الهُمـــام ، فإنـــه ... بـــــين الأفاضـــــل عـــــالمٌ ربـــــاني

واقـــرأ لأســـتاذ القلـــوب (فتوحـــه) ... والقصـــدُ (عبـــدُ القـــادر الجيلانـــي)

واعقـــلْ (أصـــول الفقـــه) تغـــدُ منظـــراً ... وتعـــشْ بصـــيراً فـــي تقـــىً وأمـــان

واحفـــظ حـــديث المصـــطفى وعلومـــه ... فـــي مرجـــع العلامـــة (الطحـــان)

أمـــا المتـــون ففـــي الصـــحيحين ازدهـــتْ ... والفضـــلُ حـــاز ثوابـــه (الشـــيخان)

وإذا التمســـت اليـــوم فقـــه حياتنـــا ... مثـــل الضـــياء فحبـــذا (القطبـــان)

وإذا ابتغيـــت لمَـــا ذكـــرت إضـــافة ... فعليـــك يـــا حســـانُ بالشـــيباني

وإذا أردت محـــــــدّثاً متبحـــــــراً ... فيمـــــا رواه فـــــدونك الطبرانـــــي

وإذا عمـــدت إلـــى بيـــان عويصـــةٍ ... فـــانزلْ بســـاح أميرنـــا (الصـــنعاني)

وانطـــقْ بضـــاد العـــرب إن رُمـــت العُـــلا ... فالضـــــادُ للإســـــلام كالبُنيـــــان

فـــادرسْ معـــاجم قـــد حـــوت أســـرارها ... واســـأل عـــن الفصـــحى (أبـــا حيـــان)

واســـتجوب (الجُمحـــي) عـــن شـــعرائها ... واســـتفت (عبـــد القـــاهر الجُرجـــاني)

وعليـــك بالفقـــه المبـــيّن شـــرعنا ... وادرسْ تـــراث الجهبـــذ (النعمـــان)

ثـــم (ابـــن إدريـــس) ، ومُـــرّ بمالـــك ... فهـــمُ الشـــموس لهـــذه الأكـــوان

ثـــم (ابـــن حنبـــلَ) يـــا بُنـــي فقيهنـــا ... واذكـــــره كـــــل إقامـــــةٍ وأذان

فعلـــيهمُ مـــن ربنـــا رحماتـــه ... مـــا شقشـــقتْ طيـــرٌ علـــى أفنـــان

ومـــن اقتفـــى آثـــارهم مسترشـــداً ... فعليـــه رحمـــة ربنـــا الـــرحمن

أأبـــا الحســـام اعمـــلْ لجنـــة ربنـــا ... أنعـــمْ بسُـــكنى مـــؤمن بجنـــان!

عُقبى الذين بربهم قد آمنوا ... لم تحو غيرَ أكارم السكان

بُشرى لمن فازوا بصحبة مَن نجا ... والفضلُ كل الفضل للمنان

وتذكر الموتَ الذي يغشى الورى ... ويجوسُ عالمهم بلا استئذان

وكأنني بالمرء يلبس حُلة ... فإذا به قد لف في الأكفان

وكأنني بالمرء بعد قصوره ... أمسى بقبر مظلم الأركان

قد كان يأكل ما حلا مِن زاده ... واليومَ أصبح طعمة الديدان

قد كان يهرب مِن لطيف مصابهِ ... واليومَ هل للحال مِن روغان؟

قد كان يشرب مِن لذيذ شرابهِ ... بجميع ما في الأرض مِن ألوان

واليوم لو ماء الدنا في جوفه ... واللهِ لن تلقاه بالريان

فاعمل أيا (حسان) لليوم الذي ... تجثو أمام الوزن والوزان

وتقول: هل من نجدةٍ في مأزقي ... إذ كيف تثقل كفة الميزان؟!

ولسوف تنكر يومها ما بيننا ... ولسوف تصرخ في الورى ما شاني

والعذر ملتمس ، فتلك قيامة ... والحكمُ يومَ الفصل للديان

أبا الوليد احذر شقاشِق مَن غوى ... مِن عصبة الأحبار والرهبان

واحذر رعاك الله كل محرفٍ ... دينَ المليك كرافع الصُلبان

واحذر دجاجلة تطوّع ديننا ... بالعمد باسم اليُسر للطغيان

مَن يحرقون بخور مَن سفكوا الدما ... إذ عاملوا الآنام كالقطعان

مَن يقرعون طبول من قد أجرموا ... وتقمصوا شخصية الكُهان

والزمْ رياض العلم تقطفْ شهدها ... وانشط ، فليس العلم للكسلان

واعرفْ لكل قضيةٍ برهانها ... ودليلها قبل اتباع فلان

وذر الألـــى فـــي آي ربـــك تـــاجروا ... واحـــذر مـــن التبريـــر والبهتـــان

شـــتان بـــين موحـــدٍ فقـــه الهُـــدى ... ومجـــادل بـــالزيف والـــبُطلان!

(حســـان) لا تغـــرُرْك ألويـــة الـــردى ... بطلائهـــا المتنـــاغم الفتـــان

الحـــق أنـــت ، فكـــن لحقـــك حاميـــاً ... واربـــأ بـــه عـــن وهـــدة الكفـــران

والشـــرع أغلـــى فـــي حياتـــك ، فارعـــه ... لتكـــون صـــدقاً أفضـــل الشـــبان

فـــإذا قضـــيت قضـــيت معتـــز الصـــدى ... وإذا بقيـــت بقيـــت غيـــرَ مهـــان

واحفـــظ لأهـــل الفضـــل مـــا بـــذلوا ، وكـــنْ ... مترفعـــاً عـــن حَمـــأة النكـــران

مَـــن ينكـــر المعـــروف يمقتْـــه الـــورى ... ويعـــشْ كتـــيس قِيـــدَ بالأرســـان

واقـــدر لأهـــل العلـــم غـــاليَ قـــدْرهم ... إذ علمُهـــم فـــي النـــاس لـــيس بفـــان

وأجـــرْ شـــريداً جـــاء ينشـــد نجـــدة ... وكفـــى تغرّبـــه عـــن البُلـــدان

واشـــمخْ بأنفـــك أن يُهينـــك أرذلٌ ... فإهانـــة الأوبـــاش كالطوفـــان

تجـــري الســـنونُ ، وتلـــك تلـــتهم الحشـــا ... فـــادرأ إهانتـــه بـــلا اســـتهجان

وأعـــدْ عليـــه الـــدرسَ إنْ هـــو لـــم يُفـــقْ ... إن الهـــوان يَحيـــقُ بالســـكران

إن غـــر أوبـــاشَ الـــورى منـــك الحيـــا ... فـــامكرْ بهـــم ، واحـــذرْ مِـــن النكصـــان

لـــتكنْ ردودُك كالرمـــال تســـومُهم ... غرقـــاً يفـــوقُ ضـــخامة الفيَضـــان

واجعـــلْ حـــروف اللفـــظ نـــاراً تجتنـــي ... كيـــدَ العـــدا كتـــوهُج البركـــان

لا تعـــط فـــي الـــدين الدنيّـــة ، وانطلـــقْ ... حـــراً يزيـــلُ مذلـــة العُبـــدان

واثبـــتْ ، ولا تـــكُ خائفـــاً متـــرددا ... إن التـــردد مَحضِـــنُ النقصـــان

وإذا بليـــت فكـــن صـــبوراً فـــي الـــبلا ... وعلـــى المهـــيمن جـــدّ فـــي الـــتكلان

وامـــنحْ مُليمـــاً أمنـــه وأمانـــه ... فـــالخيرُ عنـــد الله للمِعـــوان

وانصـــحْ ، ولا تـــكُ فـــي النصـــيحة وانيـــاً ... لا خيـــــر فـــــي متصـــــامتٍ مُتـــــوان

وابـــــذلْ عطـــــاءك للمَعـــــوذِ تفضـــــلاً ... فـــــي رقـــــةٍ وتعـــــاطفٍ وحنـــــان

واحلـــمْ ، ولا تجهـــلْ علـــى متهـــور ... كـــــيلا تكـــــون ضـــــحية الشـــــنآن

لا تحقـــدنّ علـــى الخلائـــق لحظـــة ... فالحقـــدُ يُشـــعل صـــولة الأضـــغان

واجعـــل حياتـــك بالرشـــاد مَنوطـــة ... وعلـــى الفضـــائل عَـــضّ بالأســـنان

واحـذرْ مواقـفَ قـد تشـينك فـي الـورى ... وتصـــيب منـــك الـــروحَ بالغثيـــان

واحـــــذرْ معاشـــــرة الأراذل ، إنهـــــم ... مثـــل الخنـــافس فـــي ثـــرى الوديـــان

إنـــــي أراهـــــم كالطحالـــــب تغتـــــذي ... أبـــــداً علـــــى الأقـــــذار والأعفـــــان

أأبـــا الحســـام ارفـــقْ بشـــعري ، وارعـــه ... فبـــــه صـــــدعتُ بحجتـــــي وبيـــــاني

وأبنـــتُ عـــن قصـــدي بـــدون تحفـــظٍ ... وخطـــوتُ فـــوق الشـــوك والســـعدان

كـــم بُحـــتُ فـــي شـــعري بعـــذب خـــواطري ... ممـــــا تخبّـــــأ فـــــي مَعـــــين جنـــــان!

ونقشـــتُ بالشـــعر الأريـــب عقيـــدتي ... فـــــي غيـــــر مـــــا لـــــفٍ ولا دوران

وســـطرتُ فـــي الـــديوان عمـــراً عشـــتهُ ... حتـــــى حـــــوى مـــــا عشـــــته ديـــــواني

وصـــــبغتُ بـــــالعزم الأثيـــــل قصـــــائدي ... وقتلـــت مـــا فـــي الـــنفس مـــن خـــوَران

وجعلـــتُ شـــعري فـــي الحيـــاة رســـالتي ... وســـموْتُ فـــي شـــعري عـــن الهيَمـــان

وجعلـــــتُ شـــــعري واحـــــة مزدانـــــة ... بجميـــع مـــا فـــي الشـــعر مِـــن تبيـــان

وبـــــذلتُ فيـــــهِ مبـــــادئي وتجـــــاربي ... وبُعـــــيض مـــــا عاينتـــــه بزمـــــاني

أودعتـــــه أســـــرار مـــــا قـــــد عشـــــتهُ ... حتـــــى يكـــــون ســـــراجَ كـــــل أوان

ورصـــــدتُ مـــــالي للقصـــــائد مَعبَـــــراً ... حتـــــى غـــــدت كســـــبائكِ العِقيـــــان

وســـهرتُ ليلـــي رغـــم زمْجـــرة الكَـــرى ... حتـــــى نحلـــــتُ ، ولامنـــــي جثمـــــاني

مازلـــتُ أنســـجُ للقـــريض عِبـــاءة ... حتـــى يعـــيشَ مُفـــاخراً بصِـــيان

قـــالوا: شـــقيت بـــه ، وســـربلك الجـــوى ... حتـــى ذبلـــت وبُـــؤت باليرقـــان

قلـــتُ: اخســـأوا ، فأنـــا لشـــعري خـــادمٌ ... وقصـــائدي الشـــماءُ خيـــرُ مَغـــان

إن جعـــتُ كـــان الشـــعر زاداً مُشـــبعاً ... أكـــرمْ بحـــادي الشـــعر مِـــن شـــبعان!

وإذا ظمئـــتُ فمـــاءُ شـــعري ســـائغ ... يـــروي غليـــل الحـــائر الظمـــآن

وإذا عـــدمتُ الـــدار فالمـــأوى لـــدى ... أبيـــاتِ شـــعري شـــاهق البنيـــان

وإذا افتقـــرتُ فـــإن أشـــعاري الغنـــى ... والشـــعرُ عـــن ســـؤل الـــورى أغنـــاني

وإذا التمســـتُ الثـــوب فالشـــعر الكِســـا ... كـــم مـــرةٍ شـــعري الحبيـــبُ كســـاني!

فوجـــدتني بالشـــعر أفخـــر دائمـــاً ... هـــو كالـــدماء تســـير فـــي شـــرياني

(حســـان) يـــا ولـــدي لـــديك قصـــائدي ... دُررٌ مِـــن اليـــاقوت والمَرجـــان

هـــذا القـــريضُ أمانـــة ووديعـــة ... ويصـــونها مَـــن كـــان ذا إيمـــان

لـــم أأتمـــنْ أحـــداً عليـــه ســـوى الـــذي ... هـــو فـــي اعتقـــادي أفضـــلُ الولـــدان

أبـــا الوليـــد رُزقـــت بـــر أب ثـــوى ... فاحفظـــه بعـــد المـــوت بالعِرفـــان

وانشـــرْ علـــى الـــدنيا قريضـــاً صـــاغه ... بمَـــرارة الإحســـاس والأجفـــان

مـــا كـــان ينســـجُه لتهجـــر ذكـــره ... إن القـــريض يمـــوتُ بـــالهجران

هـــذا الكـــلامُ إذا فقهـــت وصـــية ... تـــأوي إلـــى التنفيـــذ بالإحســـان

أنـــا لـــم أقصّـــرْ فـــي قصـــيدتك التـــي ... أبياتهـــا يـــا صـــاحبي مئتـــان

والحمـــد لله الـــذي مـــن فضـــله ... وبـــرغم مـــا كســـبتْ يـــدي أعطـــاني

واللهِ لـــولا جـــوده وعطـــاؤه ... مـــا صـــغتُ مِـــن بيـــتٍ بـــأي وِزان

أكتب الشعر حتى يسود الحق

(أعارض الشاعر الإماراتي / عبد الله حسن الهدية الشحي. وذلك في قصيدته (ضاد الخلود). وعلى ذات بحره ورويه ، محتسباً الأجر عند الله رب العالمين ، غيرة على اللغة العربية الأصيلة. ذلك أنني قد أخذتُ بخِفة دم قصيدة الشحي ذات الأسلوب السهل الممتنع).

إنـــي بضـــاد حنيفتـــي أتشـــرفُ ... وبحبهـــا فـــي كـــل حـــين أشـــغفُ

وأجُـــلُ خاطرَهـــا ، وأكـــرمُ شـــأنها ... وعلـــى لآلئهـــا الأصـــيلة أعطـــف

وعلـــى محاســـنها أغـــارُ مشـــمّراً ... عـــن همّـــةٍ فـــي النقـــد لا تتوقـــف

وأريـــدُها بـــين اللغـــات منـــارة ... أنوارُهـــا فـــي العـــالمين ترفـــرف

لا تســـتجيب لمُغـــرض مـــتعلمِن ... يُـــردِي كرامتهـــا ، ولا يتأســـف

تســـعى ، ويتبَعُهـــا الجميـــعُ عزيـــزة ... فـــي موكـــب يَهـــدي خطـــاه المُصـــحف

مازلـــتُ أعشـــقها ، وأعشـــق شِـــعرها ... والقلـــبُ مِـــن أرج الصـــبابة يَشـــغف

صـــادتْ فـــؤادي ، والجمـــالُ شِـــباكها ... فأحبهـــا ، وهـــو الـــذي يســـتعفف

فغـــدتْ عشـــيقته بغيـــر مُنـــازع ... أبـــداً ، وعشـــقُ القلـــب أمـــرٌ يعـــرف

أواهُ (يـــا ضـــاد الخلـــود) ، ترفقـــي ... بمتـــيّم أمســـى بحبـــك يهتـــف

إنـــي لأتخـــذ القـــريض وســـيلة ... لبيـــان حـــق دسّـــه مَـــن زيّفـــوا

(حتـــى يســـود الحـــق) خفـــاق اللـــوا ... ونعـــيشُ بالضـــاد الأصـــيلة نشـــرف

ســـأعيشُ أنصـــر بـــالقريض قضـــيتي ... وأذودُ عـــن لغتـــي ، ولا أتخـــوف

ســـأجرّعُ العـــادين بالفصـــحى الـــردى ... كـــيلا أرى يومـــاً جراحـــاً تنـــزف

حتـــى أرى (ضـــاد الخلـــود) مَهيبـــة ... ويـــزولُ جيـــلٌ بالثوابـــت يَعصـــف

إنا لله وإنا إليه راجعون

(أحد الذين إذا انفعلوا لم يميزوا بين التمرة والجمرة ، كان قد عاقب أحد أبنائه ، والذي لم يتجاوز السابعة من عمره ، عقوبة أودت بيديه ورجليه! وهز الخبر ضمير الأسرة العالمية فضلاً عن الأسرة الموحدة المؤمنة ، وتبدأ تفاصيله عندما جدّد الأبُ أثاث بيته ، وعاد من عمله فوجد الابن قد لعب بالسكين في الوسائد والكنب في غفلة من أمه وأهل البيت والخدم ، فلم يتمالك الأب نفسه ، فربط الابن بغترته من يديه ورجليه ، واحتبس الدم لساعات ، وجاءت الأم فهدّدها الزوج بالطلاق إن تدخلتْ ، وذهب بالولد بعد صمته الموهم للنوم إلى المستشفى ، وهناك قرر الأطباء بتر الأطراف الأربعة لضمان سلامة الابن ، ووقع الأب على إقرار العملية الجراحية وخرج الابن من غرفة العمليات بلا يدٍ أو رجل. وعاش كالأحياء الموتى ، وكانت أولى كلماته بعد العملية: أبي الحبيب ، رُدّ علي يديّ ورجليّ ، ولك عليّ أنْ لا ألعب بالسكين في الكنبات مرة أخرى! فكتبتُ هذه القصيدة لأعزي الوالد المتهور المتسرع المسرف في العقوبة ، والولد الضحية البائسة ، والوالدة المهملة الجاهلة ، والكنبات والوسائد الممزقة بالسكين. كتبتُ القصيدة للوالد المتهور أسأله: ألست تملك قلباً تعاقب به ولدك؟ ألا تملك نفسك عند الغضب لتكون الشديد بحق؟ لماذا جعلت العقوبة تفوق الجريمة ببلايين المرات؟ أتظن الله لن يسألك عن هذه الجريمة النكراء؟ لقد جعلت من ولدك بسوء خلقك مثلة الأولاد وأعجوبة الدهر ، إذ قضيت عليه حياً بحمقك وغلظتك! وكتبتُ القصيدة للأم التي كان عليها أن تضحي بتطليقة على أرجح أقوال أهل العلم ولا تبتعد عن مسرح الجريمة مؤثرة السلامة وبقاء الزوجية! أين قلب الأم؟ وأين عقل الفقيهة؟! وأخيراً كتبتُ القصيدة للكنبات والوسائد أسألها: هل يساوي قماشك والإسفنج المحشو بداخلك يدي الصبي ورجليه!)

أغـــرقْ بـــدمعكَ وجـــه الأرض مُنتحبـــا ... وارو المصـــيبة للأجيـــال محتســـبا

وامـــلأ قصـــائدنا بـــالحزن مـــا بقيـــتْ ... فـــي الأرض عاطفـــة تُـــنقح الأدبـــا

واغمـــرْ بمـــاء بمـــاء الأســـى والوجـــد عزمتنـــا ... وحبّـــر الشـــعر مُلتاعـــا ومُضـــطربا

واحمـــلْ همومـــك فـــوق الـــرأس مصـــطبراً ... واكظـــم غمومـــك ، أمســـى القلـــب منتحبـــا

واســـكبْ مُصـــابك فـــي أســـماع مـــن ظلمـــوا ... واحـــكِ البليـــة مجنـــوزاً لمَـــا كُتبـــا

روايـــة صُـــبغتْ بالـــدمع هامتهـــا ... والحـــزنُ كـــان لهـــا عُقبـــى ومُنقلبـــا

ومـــا أظـــن لهـــا فـــي الأرض مـــن شـــبهٍ ... والـــنفسُ مِـــن هولهـــا قـــد لاكـــتِ النـــدبا

مـــا كـــان ضـــرك لـــو أن قـــد رفقـــت بـــهِ؟ ... لـــو كـــان يعـــرف مـــا يـــأتي لمَـــا لعبـــا

لكنـــــه بُـــــرعمٌ تجتالـــــه حِيـــــلٌ ... ولـــيس يُـــدركُ فـــي دنيـــاه مُنســـرَبا

تـــــداعبُ الدميـــــة البكمـــــا أناملـــــه ... فينـــزوي جـــزلاً ، والـــدهْشُ قـــد هربـــا

يحبهـــا: يـــزعم الـــدنيا - بزخرفهـــا ... لـــه - عروســـاً ، إذا أمســـى بهـــا عَزَبـــا

براعـــة الطفـــل فـــي مـــرآهُ قـــد زرعـــتْ ... وفكـــرة النشـــأ قـــد تستصـــحب الســـحُبا

تصـــوّر الطفـــل دنيـــا لا حـــدود لهـــا ... إنـــي لأعجـــب مِـــن تفكيـــره عجبـــا

زهـــرُ القلـــوب ، ويـــاقوتٌ يجمّلنـــا ... وحِليـــة فاقـــت المَرجـــان والـــذهبا

وزينـــة فـــي حيـــاة المـــرء يانعـــة ... وكـــم عقـــيم رجـــا لـــو يشـــتري لقبـــا!

وضـــجة فـــي هـــدوء البيـــت صـــاخبة ... وكـــم بيـــوتٍ بكـــت أطفالهـــا النجبـــا!

قـــلادة فـــي دنـــا الـــزوجيْن ســـاطعة ... ويصـــبحان إذا مـــا فارقـــت خشـــبا

وقـــد قضـــيتَ علـــى أنـــوار جـــذوتها ... فمـــا رأيـــت لهـــا ضـــوءاً ولا لهبـــا

والحِلـم زيـنُ الفتـى ، لـو أن حلمـتَ لمَـا ... أنشـــبتَ حبلـــك فـــي أطرافهـــا غضـــبا

أطعـــت إبلـــيسَ فـــي وَسواســـه بُرَهـــاً ... فعشـــتَ دهـــراً تعـــاني الحـــزن والكُرَبـــا

وكـــان شـــبلك للشـــحناء أضـــحية ... إذ ســـلم الأمـــر للـــرحمن مرتقبـــا

وأفصـــحَ الطـــبُ عـــن فحـــوى نتيجتـــه ... فبعضُـــه فـــي البرايـــا يُشـــبه اللعَبـــا

تـــدخلتْ فـــي دجـــى البلـــوى مشـــارطه ... واستأصـــلتْ رغـــم أنـــف الوالـــد الشـــعَبا

أتتـــك أم الفتـــى ترجـــو مســـامحة ... فقلـــت: طالقـــة ، وزدتهـــا رهبـــا

فراعهـــا الأمـــرُ ، واهتاجـــت جوانحُهـــا ... وحاولـــت فكّـــه ، والخـــوفُ قـــد غلبـــا

وأبقـــتِ الزوجـــة الحمقـــا علاقـــتكم ... بزعمهـــا ، وغـــدا تـــرك الفتـــى ســـببا

أمـــا الغـــلامُ الـــذي فـــي حبلـــه ربطـــا ... فلـــم يجـــد أمـــه ، ولـــم يجـــدك أبـــا

فقســـوة القلـــب قـــد أبقتـــك قاتلـــه ... ورقـــة الحـــرص أبقـــت أمّـــه شُـــهُبا

جهـــلان: جهلـــكَ فـــي تقـــويم زلتـــه ... وجهـــلُ والـــدةٍ بالـــدين جـــد غبـــا

يمينـــــه عُلّقـــتْ بالشـــرط ، لا تســـلي ... تهديـــــده غايـــــة ، فلتتقـــــي الريبـــا

لكنـــــــه جهلهـــــا أودى بـــــدُرتِها ... حتـــى غـــدا بيتهـــا مِـــن طفلهـــا خربـــا

وتـــركُ سِـــكّينها أمـــام عـــين فتـــىً ... لـــم يـــدر منفعـــة ، أو يـــدركِ العَطبـــا

هـــذي الجريمـــة ، والزوجـــان فاعلهـــا ... أمـــا الغـــلامُ فـــنجمٌ فـــي الشـــجار خبـــا

يـــا لهـــف نفســـي وإحساســـي وأخيلتـــي ... وحـــزنَ شـــعر بكـــى ، وفـــي الأســـى نـــدبا

لمّـــا ســـمعتُ بهـــذا الظلـــم أرعبنـــي ... لـــولا اليقـــينُ بمـــن روى ومَـــن خطبـــا

وأن أســـــــتاذنا محقـــــــقٌ نهـــــمٌ ... لقلـــتُ: أقصوصـــة ، ومَـــن حكـــى كـــذبا

حكايـــــة بـــــدموع الشـــــعر أكتبهـــــا! ... روايـــــة طفقـــــتْ تســـــتوعبُ الكتبـــــا

ذي غـــــادة ثكلـــــت أغلـــــى فرائـــــدها ... مـــات الجمـــال بهـــا ، والعنفـــوانُ صـــبا

كانـــــت أقاربهـــــا عطـــــراً يُعطرهـــــا ... واليـــوم خاطبُهـــا عـــن قربهـــا رغبـــا

والكـــــل يطلبهـــــا لأنســـــه أمـــــلاً ... ولـــم تعـــد للـــذي يبغـــي المُنـــى طلبـــا

كـــان الوليـــد ربيـــع العمـــر زهرتـــه ... وكـــان للمشـــتهي إضـــحاكه طربـــا

لكنـــــــه بعـــــــدما أرداه والـــــــده ... أمســـى ركامـــاً ، فـــلا تلقـــى لـــه جلبـــا

ونـــــار حســـــرته أمســـــت تقطعـــــه ... أمســـى الغـــلام لهـــا فـــي مَهـــده حطبـــا

وكبـــة الحـــزن فـــي قلـــب الفتـــى جبـــلٌ ... وإنّ بـــــين الفتـــــى وفرحـــــه حُجُبـــــا

ولا يُعـــين علـــى مـــا فيـــه صـــاحبنا ... إلا المليـــــك الـــــذي عليـــــه ذا كتبـــــا

فارحمـــــه رب الـــــورى ممـــــا ألـــــم بـــــه ... وقـــد لطفـــتُ بـــه ، ومَـــن ســـواك حبـــا؟

وصـــبّر الأهـــل مَـــن غـــابوا ومَـــن حضـــروا ... وانفـــــعْ بقصـــــته الآبـــــاءَ والأدبـــــا

صدقتْ رؤياك يا خالد

(إنه خالد بن الوليد – رضي الله عنه – كان قد رأى في جاهليته كأنه في بلاد ضيقة مُجْدِبة. فخرج إلى بلاد خضراء واسعة. فقال في نفسه: إن هذه لرؤيا. وقصّها على أبي بكر الصديق ، فأولها قائلاً: إنها مخرجُك الذي هداك الله للإسلام. والضيق الذي كنت فيه من الشرك. فانطلق خالد برفقة عثمان بن أبي طلحة وعمرة بن العاص فبايعوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الإسلام. والقصة بتمامها في البداية والنهاية لابن كثير. وقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حَسَنَ الظن بخالد بن الوليد ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: "أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم – بالصدقة ، فقيل: منع ابن جميل ، وخالد بن الوليد ، وعباس بن عبد المطلب ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله ورسوله ، وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً ، قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله ، وأما العباس بن عبدالمطلب ، فعم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهي عليه صدقة ومثلها معها). ومع حسن تعامُل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع خالد بن الوليد ، فقد كان يؤدِّبه ويوجِّهه عند الحاجة ، ويذكِّره بفضل الصحابة الذين سبقوه في الإسلام ، فقد روى مسلم: "أنه كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء ، فسبَّه خالد ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (لا تسبوا أحدًا من أصحابي ؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه). كما روى أحمد عن خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ قال: "كان بيني وبين عمّار بن ياسر كلامٌ ، فأغلظتُ له في القول ، فانطلق عمّار يشكوني إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: فجعل يغلظ له ، ولا يزيد إلا غلظة ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساكت لا يتكلم ، فبكى عمار وقال: يا رسول ، ألا تراه؟ فرفع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأسه وقال: (من عادى عماراً عاداه الله ، ومن أبغض عمارًا أبغضه الله) ، قال خالد: فخرجتُ ، فما كان شيءٌ أحب إلي من رضا عمارٍ ، فلقيتُه فرَضِيَ". ومع هذا التوجيه والتأديب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لخالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ فقد كان يمنع من الإساءة إليه ، روى مسلم في صحيحه قال: "قتل رجل من حمير رجلاً من العدو ، فأراد سَلَبَه ، فمنعه خالد بن الوليد وكان واليًا عليهم ، فأتى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عوفُ بن مالك فأخبره ، فقال لخالد: (ما منعك أن تعطيه سلبه؟) ، قال: استكثرتُه يا رسول الله ، قال: (ادفعه إليه) ، فمر خالد بعوف فجرَّ بردائه ، ثم قال: هل أنجزتُ لك ما ذكرتُ لك من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمعه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم – فاستُغضب ، فقال: (لا تُعطِه يا خالد ، لا تعطه يا خالد ، هل أنتم تاركون لي أمرائي؟ إنما مَثَلُكم ومثَلُهم كمثَل رجلٍ استُرعي إبلاً أو غنماً فرعاها ، ثم تحيَّن سقيَها فأوردها حوضًا ، فشرعتْ فيه ، فشربتْ صفوَه ، وتركتْ كدَرَه ، فصفوُه لكم ، وكدرُه عليهم). وقد وضع البخاري في صحيحه بابًا سماه: باب مناقب خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه. كما أثنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على خالد بن الوليد فيما رواه الترمذي ، الذي وضع بابًا خاصًّا في مناقب خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ روى فيه عن أبي هريرة قال: "نزلنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم – منزلاً فجعل الناس يمرُّون فيقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من هذا يا أبا هريرة؟) ، فأقول: فلان! فيقول: (نِعْمَ عبدُ الله هذا) ، ويقول: (من هذا؟) ، فأقول: فلان ، فيقول: (بئس عبدُ الله هذا) ، حتى مرَّ خالدُ بن الوليد ، فقال: (من هذا؟) ، فقلت: هذا خالد بن الوليد ، فقال: (نعم عبد الله خالد بن الوليد ، سيف من سيوف الله). وقد روى الإمام أحمد: "أن أبا بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ عقد لخالد بن

الوليد - رضي الله عنه - على قتال أهل الردة ، وقال: إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (نِعْمَ عبدُ الله وأخو العشيرة خالدُ بن الوليد ، وسيف من سيوف الله سلَّه الله - عز وجل - على الكفار والمنافقين). وقد تحدث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمام أخيه الوليد بن الوليد - رضي الله عنه - الذي كان مسلمًا ؛ لينقل الحديثَ إلى خالد ، وكان مما نقله الوليد أن الرسول قال في عُمرة القضاء: (أين خالد؟) ، فقلت: يأتي به الله ، فقال - صلى الله عليه وسلم -: (ما مثل خالد جهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وجدَّه على العدو ، لكان خيراً له ولقدَّمناه على غيره). يقول خالد عن يوم إسلامه: "عمدتُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلقيني أخي ، فقال أسرع ؛ فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ينتظرك ، فأسرعتُ المشي فطلعتُ ، فما زال يتبسم لي - صلى الله عليه وسلم - حتى وقفتُ عليه ، وسلَّمتُ عليه بالنبوة! فردَّ عليَّ السلام بوجهٍ طلق ، فقلتُ: إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الحمد لله الذي هداك ، قد كنت أرى لك عقلاً ، رجوتُ أن لا يسلمك إلاَّ إلى خير) ، قلت: يا رسول الله ، قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً عن الحق ، فادعُ الله أن يغفر لي ، فقال - صلى الله عليه وسلم -: (الإسلامُ يجبُّ ما كان قبله) ، قلت: يا رسول الله على ذلك ، فقال: (اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك)". وفي هذا كتبت مثنياً عليه وعلى رؤياه وتأويلها الجميل!)

رؤيـــاك تُفـــرحُ ســـامعاً ، وتكـــافي ... كقصـــيدةٍ زينـــتْ بعـــذب قـــوافي

يـــا خالـــدَ الـــذكرى إليـــك تحيتـــي ... مَوْشـــية بزخـــارفِ الإتحـــاف

يـــا طيّـــبَ الأعـــراق سِـــيرتك الســـنا ... يـــا عـــاطرَ الأخـــلاق والأوصـــاف

يـــا مُشـــرقَ الأخبـــار تُبهـــرُ ســـامعاً ... وكأنهـــا زُبـــدٌ مِـــن الأصـــداف

يـــا سِـــيداً بالســـلم حـــاز كرامـــة ... قـــد توّجـــتْ بشـــرافةٍ وطِـــراف

يـــا بـــاذلاً روحـــاً وقـــد أرخصـــتها ... فـــي الله مثـــلَ الســـادة الأشـــراف

يـــا قائـــدَ الجُنـــد الألـــى علمـــتهم ... طعـــن العِـــدا فـــي الحـــرب بالأســـياف

يـــا مخلصـــاً للـــدين ديدنـــه الوفـــا ... مـــازال يُـــوفي وعـــده ، ويُـــوافي

يـــا مـــن فجعـــت الـــرومَ فـــي ســـاح الـــوغى ... وذبحـــت - عنـــد النهـــر - بـــالآلاف

يـــا مـــن رأيـــت كمـــا تقـــول أجادبـــاً ... لـــم تمتلـــئ بحـــوافر وخِفـــاف

وخلـــت مِـــن المـــاء الـــذي هـــو روحُهـــا ... فغـــدتْ بـــذلك أقحـــلَ الأكنـــاف

وقستْ مضاربُها على سُكانها ... وقستْ مرابعُها على الأضياف

أرضٌ عَزازٌ ليس ينبتُ زرعُها ... وكأنها مِن قاحلات فيافِ

حتى الفيافي قد يهيجُ نباتها ... مهما تعاني مِن عَتِيّ جفافِ

فخرجت منها كارهاً لجفافها ... فإذا بروض مُعْشِبٍ مِئنافِ

فيه الزروعُ تسرُ عينيْ ناظر ... والماءُ يسطعُ كالمعين الصافي

وله اتساعٌ ليس يبلغه المدى ... وان احتوى رقعاً من الأعطافِ

وقصصتها يا صادقاً في قوله ... تترقبُ التأويلَ في استشفافِ

وتفضّل (الصديق) بالبُشرى له ... أملٌ يلوذ بمَدمَع ذرّافِ

ولذاك أولها الهداية أقبلتْ ... كالغادة السمراء في الأفواف

تهفو إليك ، وأنت تعشقُ أنسها ... هي في التعلة كالدواء الشافي

جاءت إليك مَشُوقة ملهوفة ... مثل العروس أتت بثوب زفافِ

فتركت ما قد كنت تعبد مِن هوىً ... وسَمَوت في الآمال والأهدافِ

وكفرت بالأوثان يصنعُها الورى ... ويخصّها أعيانهم بطوافِ

وخلعت أنداداً تقادمَ عهدُها ... إذ عُظمتْ من قبلِ (عبدِ مناف)

وبرئت من أصنام قوم أشركوا ... وهجرت ما شادُوهُ مِن أحلافِ

وتبعت دين محمدٍ مترفعاً ... عن كل ما صاغوه مِن أعرافِ

ورآك جُلّ الناس بعدُ مبايعاً ... في عِزةٍ تسبي النهى وهتافِ

وعففت حتى قيل: ليس كمثله ... إذ كيف يحيا الشهم دون عَفافِ؟!

أأبا سليمانٍ بك الرؤيا ازدهتْ ... وأنا بشعري العذب كنتُ أكافي

الورقة الأخيرة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد ، فهذه آخر كليماتي في ديواني الذي كتبته بروحي ودمي والذي أسميته: الأمل الفواح. ألا وإن الأمل في الله كبير أن يجعله في ميزان حسناتنا يوم نلقاه ، وأن ينفع به كل مخلص ومخلصة آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، آمين. والأصل أن هذه المشاعر والأشعار لما كانت حبيسة في صدري كانت من الأعمال القلبية التي لا يعلمها عني أحد إلا الله عز وجل! أما وقد كتبت بالقلم وجمعها ديوان وخرجت للناس فقد أصبحت بذلك كله من الأعمال الظاهرة! ويصف الأستاذ المنجّد الأعمال الظاهرة بأنها ثمرة الإيمان فيقول في إحدي محاضراته عن أعمال القلوب: (لما فسدت القلوب تسلط الأعداء ، والدين القائم بالقلب هو الأصل ، وأن الأعمال الظاهرة هي الفروع ، وأنه إذا لم تكن أعمال فإن ذلك دليل على خلو القلب من الإيمان ، وأن الذين يقولون: إن المهم هو ما في القلب يطالبون بالإثباتات والدلائل على أن ما في قلوبهم سليم ، وذلك بالأعمال ولا بد من الأعمال. والأعمال مهمة مع تصحيح ما في القلب ؛ فكيف نصحح ما في القلب؟ كيف يجعل الإنسان المسلم قلبه سليماً؟ كيف يكون القلب عامراً بمحبة الله تعالى؟ ألم تر أن المصليَيْن تلتصق مناكبهما ببعض وأقدامهما ببعض وبينهما كما بين السماء والأرض في درجة الصلاة؟ وذلك أن أحدهما مقبلٌ بقلبه على ربه في الصلاة ، والآخر قلبه يسرح في أودية الدنيا ، فهذا له نصف وذاك أكثر وهذا أقل وآخر قد ردت صلاته. (ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها)! إن الاهتمام بإصلاح قلوبنا أمرٌ في غاية الأهمية! فإصلاح القلوب يترتب عليه صحة الأعمال ، وصحة السيرة ، وصحة التصرفات والسلوكيات ، وكثير من التناقضات إنما تحدث من مخالفة الباطن للظاهر والظاهر للباطن ، قال سفيان بن عيينة رحمه الله: إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل ، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل ، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور والظلم. وقال بعض السلف: من صفا ـ أي: صفا قلبه من الشوائب ـ صُفِّي له ، ومن كَدَّر كُدِّر عليه ، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره ، ومن صدق في ترك الشهوة ذهب الله بها من قلبه ، ولله أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركتْ له. وصاحب القلب السليم ، والبصيرة الصحيحة يكون طيباً بحيث يشم أهل الخير منه رائحة روحه على بدنه وثيابه وإن لم يضع طيباً ، والفاجر يشم صاحبُ البصيرة السليمة رائحة فجوره على بدنه وثيابه وإن وضع أطيب أطياب الأرض ، والمزكوم لا يشم لا هذا ولا هذا ، بل إن زكامه يحمله على الإنكار ، فقد يقشعر وينفر من بعض أهل الخير ، فلا يحسن التمييز بين صاحب القلب الطيب وصاحب القلب الخبيث. ولما كان سلفنا رحمهم الله أحرص ما يكونون على الخير كان اعتناؤهم بقلوبهم أشد ما يكون ، ومن اعتنائهم بقلوبهم إخفاؤهم لأعمالهم ، لما وصف عمر رضي الله عنه أبا بكر الصديق قال: [اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله] سريرته خير من علانيته ، وهذه المنزلة العالية).هـ. والحقيقة أن أشعاري هذي بُنيات أفكاري! وإنْ هي إلا أيام عمري وزبدة قريحتي أضعها بين يديك عزيزي القارئ ، فإن وجدت فيها من بر وخير فاحمد الله ، فالخير من الله! وإن وجدت من سوء وشر فاستغفر لي فالسوء والشر من نفسي والدنيا والهوى والشيطان نعوذ بالله منهم ، وأسأل الله أن يجعلني وإياك من الذين لا يُعميهم كرهُ إنسان عن حق عنده آمين. والحقيقة أنني أخلصت في هذا

الديوان وغيره من الدواوين ، وصولاً به للغاية المنشودة منه في الدنيا والآخرة. إن حاجتنا إلى الإخلاص لله عز وجل حاجةٌ مهمة جداً تدخل في أمور حياتنا كلها ، والله سبحانه وتعالى خلقنا لعبادته وأمرنا بالإخلاص في هذه العبادة فقال عز وجل: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) وقال: (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)! واستثنى الله طائفةً من البشر كلهم وهمُ الهالكون الخاسرون (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) فهؤلاء الذين أخلصوا دينهم لله هم السعداء حقاً ، الذين ينالون من ربهم الجزاء الأوفى والنعيم المقيم في جنات النعيم. وأثنى الله على المؤمنين لما كانوا يقومون بسائر أعمال القرب والطاعات ، ومنها إطعامهم للمحتاجين (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً) لا نريد أي نوع من أنواع الأجر الدنيوي ، كل ما نقوم به لوجه الله عز وجل: (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) من هو هذا الشخص؟ من هو؟ ما هي صفته؟ قال تعالى: (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى). يقول المنجّد عن الإخلاص: (ومن ثمرات الإخلاص أيضاً: ما جاء في هذا الحديث العظيم عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (كان ابن عمٍ لي ما أعلم من الناس من أهل المدينة ممن يصلي إلى القبلة أبعد بيتاً من المسجد منه ، فكان يحضر الصلوات كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت له: لو اشتريت حماراً تركبه من الرمضاء - يعني: من شدة الحر - يحميك أو يقيك من هوام الأرض - الحشرات والدواب المؤذية - قال: والله ما أحب أن بيتي يلصق بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - ما أحب أن بيتي ملاصقاً للمسجد - فما سمعت كلمةً أكره إلي منها – تعجب - أي أن أبي يقول: كرهت كلامه كيف أنه لا يريد أن يكون بيته ملاصقاً للمسجد! ولو كان بيته ملاصقاً للمسجد لكره هذا الأمر ، قال: فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك ، فقال: يا نبي الله! لكيلا يكتب أثري ورجوعي إلى أهلي وإقبالي إليه) أي: أنا لا أريد أن أصير بجانب المسجد حتى إذا أتيت من بعيد يكتب لي أجر الممشى من البيت إلى المسجد ومن المسجد إلى البيت! لأن الإنسان في قدومه لصلاة الجماعة لا يكتب أجره فقط من البيت إلى المسجد وإنما أيضاً من المسجد إلى البيت ، فالرجل يقول: أنا لا أود ولا أتمنى أن يكون بيتي ملاصقاً للمسجد ؛ لأني أريد أن آتي هكذا دائماً لكي يكتب لي الأجر جيئة وذهاباً ، فقال صلى الله عليه وسلم: (أعطاك الله ذلك كله) وفي رواية: (لك ما نويت) أو قال: (لك أجر ما نويت) وفي مسلم: (لك ما احتسبت). والإخلاص سبب الانتصار: ومن المزايا التي تحصل للمجتمع الذي فيه هؤلاء المخلصون ما يلي: عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه: أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها) بدعوتهم ، وصلاتهم ، وإخلاصهم ؛ هذه الأمة فيها أقوياء وفيها ضعفاء ، فيها أغنياء وفيها فقراء! والله عز وجل ينصر الأمة بالضعفاء فيها ، بصلاتهم ، ودعائهم ، وصدقهم ، وإخلاصهم ، لأنه في العادة أن الضعيف عنده من الإخلاص ما ليس عند القوي ؛ فإنه لا يملك كثيراً من الأسباب التي تدفع إلى عدم الإخلاص ، ولذلك لا تحتقر ضعيفاً أبداً إذا كان تقياً ، فإنه قد يكون سبب نصرة الأمة به).هـ. ومن هنا كانت مسألة الإخلاص عند الشعراء أكثر حساسية لأنهم يتحدثون إلى الناس بلغة المشاعر والأحاسيس! فإذا كان الإخلاص ديدن المسلم المؤمن الموحد بصفة عامة ، فإن ذلك الإخلاص ينبغي أن يكون مضاعفاً عند المسلم المؤمن الموحد الشاعر! والله سبحانه وتعالى خلقنا

لعبادته وأمرنا بالإخلاص في هذه العبادة فقال عز وجل: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) ، وقال: (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ). واستثنى الله طائفةً من البشر كلهم الهالكون الخاسرون! (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ). فهؤلاء الذين أخلصوا دينهم لله هم السعداء في الدنيا والآخرة حقاً ، همُ الذين ينالون من ربهم الجزاء الأوفى والنعيم المقيم في جنات النعيم. وأثنى الله على المؤمنين لما كانوا يقومون بسائر أعمال القرب والطاعات ، ومنها إطعامهم للمحتاجين. (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً). لا نريد أي نوع من أنواع الأجر الدنيوي ، كل ما نقوم به لوجه الله عز وجل: (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى). من هو هذا الشخص؟ من هو؟ ما هي صفته؟ قال تعالى: (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى). ولذلك فإن الله تعالى لا يقبل عملاً من العبد إلا إذا كان خالصاً لوجهه ، يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه سبحانه وتعالى). رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه عن الوليد بن أبي الوليد أبي عثمان المدني: أن عقبة بن مسلم حدثه: أن شُفَيّاً الأصبحي حدثه: أنه دخل المدينة فإذا هو برجلٍ قد اجتمع عليه الناس ، فقال: من هذا؟ قالوا: أبو هريرة ، قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له: أسألك بحقي ، لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقلته وعلمته ، فقال أبو هريرة: أفعل ، لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً فمكثنا قليلاً ثم أفاق ـ أخذته السكينة ـ فكاد يغشى عليه شفقةً وأسفاً وخوفاً من الله عز وجل ، فشهق هذه الشهقة ثم أفاق من هول الحديث الذي سيتكلم به ، فقال: لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو في هذا البيت ، ما معنا أحدٌ غيري وغيره ، ثم نشغ نشغةً أخرى ثم أفاق ، ومسح عن وجهه ، فقال: أفعل ، لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو في هذا البيت ما معنا أحدٌ غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً شديدة ، ثم مال خاراً على وجهه فأسندته طويلاً ، ثم أفاق ، ما هو الحديث الذي لأجله حدث لـأبي هريرة كل هذا الشأن؟ قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم ، وكل أمةٍ جاثية ، على ركبهم من هول ذلك اليوم ، فأول من يدعى به رجلٌ جمع القرآن ، ورجلٌ قتل في سبيل الله ، ورجلٌ كثير المال! فيقول الله عز وجل للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ فقال: بلى يا رب! قال: فما عملت فيما علمته ، قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله عز وجل له: كذبت ، وتقول له الملائكة: كذبت ، ويقول الله تبارك وتعالى: بل أردت أن يقال فلان قارئ ماهر بالقراءة ـ مقرئ جيد ـ وقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله عز وجل: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب! قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق ، فيقول الله له: كذبت ، وتقول الملائكة: كذبت ، ويقول الله تبارك وتعالى: بل أردت أن يقال: فلانٌ جواد كريم وقد قيل ذلك ، وأخذت أجرك في الدنيا من كلام الناس. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله ، فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أي ربي ، أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله له: كذبت ، وتقول الملائكة: كذبت ، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلانٌ جريء شجاع فقد قيل ذلك ، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبته فقال: يا أبا هريرة ! أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة! والإنسان يشفق على نفسه أن يكون واحداً من هؤلاء! لقد أرادوا بأعمالهم الدنيا والشهرة والأضواء ، ولذا لم يقبل الله هذه الأعمال منهم! وأشهد الله أن الشيطان جاءني كثيراً ليثنيني عن إرادتي بشعري وجه الله والدار الآخرة! ولكن الله تعالى أعانني عليه فمقتُّ الأضواء ، وكرهت الشهرة كما أكره العمى! ولله الفضل ومنه العون والسداد والتوفيق!

لا خير فى حشو الحديث

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد. فإن فكرة: (الأعمال الكاملة) يعمد إليها الشعراء بعد باع طويل وأمد عميق من الكتابة والتأليف والنظم والتنقيح تلي المعاناة والتجربة أو مصاحبة لها ، ولقد يعمد إليها المخلصون للشاعر ، بعد رحيله أو دار النشر والطباعة التي يتعامل معها أو التي تبنتْ شعره من البداية ، أو يعمد إلى ذلك ورثة الشاعر من الأولاد الطيبين الصالحين البارين بأبيهم الشاعر ، والذى لم تجمع كل أعماله الشعرية أو النثرية أو العلمية أو الأدبية بصفة عامة في حياته ولم تتآلف آثاره وأعماله في عمل واحد يجمع شتاتها كما أن الأقدار ربما لم تمهله ليقوم بذلك بنفسه على خير وجه ، وكذا ربما عاجلته منيته وأتاه الكأس الذي لا بد من أن يشرب منه البشر كلهم ، فلم ير أعماله كلها أو بعضها ينتظمها عقد واحد بخيط واحد في مسبحة واحدة. من أجل ذلك وخوفاً على ضياع الأعمال الأدبية والشعرية التي قمتُ بكتابتها في مشوار حياتي في شتى المناسبات والأحوال والظروف ، قمت بذلك بنفسي فنقحتُ وزدتُ وحذفتُ وقررتُ وعدّلتُ وأضفتْ ، ولا أزال على نفس الوتيرة ونفس الأسلوبية من التنقيح والاستبدال والإضافة والحذف والتزويد والإقرار ، ريثما أرى أن هذه الأعمال قد وصلتْ إلى درجة من الإبداع والجمالية في مرحلة أرضى عنها – وما هي ببالغة هذه الدرجة - لأنها سُنة الله في كل كاتب: شاعرا كان أو ناثرا ، أديبا كان أو عالما أو كاتبا ، لا يزال يرى الواحد منهم من أن أعماله مفتقرة إلى مزيد من الإبداع ومزيد من الجمالية ومزيد من الإضافة ومزيد من الحذف ومزيد من الاستبدال. وصدق العماد الأصفهاني عندما قال: (إني رأيتُ أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه ، إلا وقال في غده: لو غيّر هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، ولو قدّم هذا على ذاك لكان يُستحسن ، ولو زيد هذا لكان أليق ، وهذا من أعظم العِبر). وفكرة: (الأعمال الكاملة) تجمع أعمال الأديب كلها جنباً إلى جنب ، حتى إذا كان فيها إمتاع وفائدة استطاع الباحث والأديب الانتفاع بها وإجراء الدراسة عليها والبحث في أسلوبيتها مجتمعة. ولقد تعرض غير واحد للذي كتبته بالنقد والتمحيص ، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر والنوايا ، فكانت لهم بعض المآخذ على شعرنا ، ومنها مآخذ فنية وأخرى أسلوبية وثمة بعض المآخذ الواقعية المعرفية ، وأخرى تعبيرية. واحترتُ بين هذا السيل من المآخذ وهذه القلوب ماذا تنوى ، أهي همٌ جادة واعية ونفوس صافية؟ أم أنها أقوام وشراذم كان الدافع من نقد الواحد منهم لشعري هو الحقد والحسد؟ أم أنها نظرات كانت المرجعية لنقدها لشعري هي الأهواء والشهوات وما يكون بين خصم وخصم؟ قلت: ولا أزال أقول سوف أظل أقول ما حييت: إن لنا من الناس ظاهر أمرهم ، والله يتولى سرائرهم وخفاياهم ، نعم رب الناس تعبدنا بظاهر الناس وما كلفنا قط بأن نفتش في عُيوبهم ونطعن نواياهم ونتهم مقاصدهم من كلامهم وأفعالهم ، بل وما كلف أنبياءه بشئ من ذلك. ومن هنا رحتُ أنظر إلى الانتقادات التي وجهتْ لشعري نظرة المتجرد المحايد الذي يريد الوصول إلى الحق بكل جدية ، والذي ينشد الكمال والموضوعية في البحث والقول والفعل ، وشكرتُ كل من تصدق علي وأهدى إليّ عيوب شعري ورحتُ أعدّل من أخطائي وعيوبي وأقوّم من زللي واعوجاجي ، ذلك أنني ابتداء لا أنظر إلى شعري نظرة الكمالية والجمالية والإبداعية المطلقة ، بل أراه لازال يفتقر إلى الكثير منها. ولقد قام بنقد معظم دواويني الأستاذ الشاعر / سالم محمد سالم النوبي – (مصر – الدقهلية – أجا) - موجه اللغة

العربية بمكتب عجمان التعليمي هنا بالإمارات العربية المتحدة ـ وكم انتفعتُ بكل الذي وجهه لي من النقد ، وكم كان الناصح الأمين والمربي الفاضل ، فقلد وجهني وأرشدني ، ونصحني ، وكنت منه بمنزلة الابن من الوالد. وكان قد اعتاد على عقد الندوات في بيته بعجمان داعيا إليها الأدباء والشعراء والكتاب ، أصحاب الفن والتجربة من النحارير أصحاب الباع في لغة الضاد نثرها وشعرها وأدبها! فجزاه الله عني وعن شعري خيراً! كما نقد ديواني الأول الشاعر الكبير / الدكتور السيد سلامة السقا ، وأرسل إلي عبر رسول يعرفه ويعرفني وانتصحت بالذي قال! فجزاه الله عني خيرا. أما الرسول بيني وبين الشاعر الدكتور السقا فكان الدكتور صلاح الدين الأجاوي! وجزى الله شاعرنا الكبير / السيد سلامة السقا خيرا كثيرا على الذي بذله لي من النصح والتوجيه والإرشادات والتوعية! وأذكر جيداً أنه كان من بين المآخذ المتكررة من أكثر من واحد ما بين شاعر ودارس للغة العربية ومحب عاشق للغة الضاد وباحث للعربية أنني في معظم شعري أعمد إلى التسكين: أي أعمد إلى ما يعرف بـ: (القافية الساكنة) ، مما يدل على ضعف الملكة الشعرية واضمحلال الصياغة التركيبية ، ومما يشي بالضعف والقصور عن الأداء الصياغي والإعرابي. أقول: إنما غالى الأقوام وبالغوا ، إذ إنهم نظروا فقط إلى ديوان (نهاية الطريق) وحده ، ولم ينظروا إلى غيره من الدواوين الأخرى مثل (عزيز النفس) والذي احتوى بين طياته عددا من القصائد المُشكلة على اختلاف تراكيبها وبحورها وأوزانها وقوافيها وإيقاعاتها وأسلوبيتها وصياغة أبياتها ، ولقد كتب الشاعر الموحد / عمر بن الوردي وصيته الشعرية لولده (اللامية) ساكنة اللام وما عاب أحد عليه ذلك ولا نزال نطالع القصائد الساكنة القوافي لمختلف الشعراء عبر كل عصر ومصر ، بل نراها تملأ حتى دواوين شعر الفحول من شعراء الجاهلية والإسلام والعصر الحديث ، ولم ينكر عليهم أحد وهم الأقوام الجهابذه العباقرة: في الشعر والقوافي. أإذا كان الشئ ذاته من شويعر مثلي لا يزال يخطو أولى خطواته في الشعر ، فليس يقبل منه ، ويتهم بالضعف والركاكة والتكرار للمعاني والقوافي؟ كما أنه قد أخذ ـ فيما أخذ ـ عليّ تفكك الأبيات وافتقار شعري إلى ما يعرف في الشعر بالوحدة العضوية في القصيدة ، والحقيقة أن العيب في هذه ليس عيبي بل هو عيب القارئ الذي يجهل قواعد كتابة الشعر العربي ولم يُحط علماً بطريقة الصياغة لهذا الشعر ، ولم يكلف نفسه عنت شراء كتاب يعرفه الشعر والشعراء ، أقول: إن شعراء المدرسة الكلاسيكية (التقليدية) يعتبرون البيت الواحد قائماً مقام القصيدة ، فهو يؤدي فكرة قائمة بذاتها ، ومن هنا فإن وحدة البيت من وحدة القصيدة ، وأنا من شعراء هذه المدرسة في جُل شعري ، إن لم يكن كله. كما أخذتْ عليّ تلك النبرة الحزينة المكروبة واستعمال ألفاظ مثل: (الجوى – الحزن – الكرب – الوجد – الأسف – الحسرة – الآهة – العذاب ـ الألم ـ المرار – الهم – الغم – الضنك – التوجع) في كثير من القصائد! أقول: سبقني إلى ذلك شعراءُ كثيرون لم ينكر عليهم أحد ، والملاحظ أنني بعدما عدت للذي كتبت فما وجدت نبرة الاسترسال في العذاب ولا الاستمرار في البلاء والكرب ، كلا إنما وجدت المقدمة الحزينة الطلية الباكية على الأطلال ، بل على الإيمان وما يتصل به من قضايا ومن رجال ومن معتقدات ، فهو البكاء على هم الحنيفة السمحة ، وليس على فراق المحبوبة. ولا أكثر الحديث لأنه لا خير فى حشو حديث ليس يفيد وإنما العِبرة بالإشارة. وعموما تناولت عددا من هذه القضايا! وقمتُ بالرد عليها في مقدمات القصائد وفي مقدمة (من وحي الذكريات) فيما يزيد على مائة صفحة!

نحو شعر هادف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. وبعد. فإن الشعر الهادف العظيم المبنى والمحتوى والمعنى ، يجب أن يتصدر المجالس ويأخذ مكانه اللائق به في عالمنا! ولا يدرك ذلك إلا من كتب من أجل القيم وواجه أهل الجاهلية بخيلها ورجلها وركابها ، ويثبت على الحق وينتصر له رغم كل العقابيل والعراقيل والحواجز. إن الشاعر الذي يتصور ويعتقد صدقا أن الله سائله يوما ما عن كل الذي صاغته يمينه. ويستحضر ما أعده الله تعالى للطائعين الموحّدين وما أعده الله للعاصين المارقين من أهل الفساد المضلين: لا يُمكن أبدا له أن يكتب الشعر الذي يستحيي المرء من قراءته فضلاً عن تصوره. إن الشعر الهادف وسيلة تربوية من وسائل الذود عن الحق وأهله ، وأسلوب ناجع من أساليب التعبير عن النفس والأمة والواقع. ومن هنا برزتْ أهميته في مرحلتنا هذي الاخيرة ، ونحن نرى ونلمس هذه الهجمة الأخيرة الشرسة ضد القيم وأصحابها ، ولذا فدعوة إلى كل الشعراء الذين أرادوا بشعرهم وجه الله تعالى أن يكتبوا في سبيل رد هذه الهجمة والدفاع عن البيضة وردع الباغي المعتدي من أهل الزيغ والشبهات والضلال. ومن هنا كانت مسألة إتقان الشعر وصياغته على الوجه الأكمل والوضع الأنسب مسألة غاية في الأهمية! ومازلت أنشد لشعري الإتقان بمراجعته عشرات المرات وتنقيحه وتنقيته وتصفيته من الشوائب ، وبعرضه على أولي الخبرة من أهل العربية شعراء وأدباء ومتخصصين ، متحملا في ذلك العنت كله والمشقة كلها والبلاء كله ، ليكون في غاية الإتقان والجودة! ألا إن نشدان الجودة عند الشاعر من العبادة لله ، مادام ذلك الشاعر يجعل شعره قربى إلى الله تعالى! وإتقان الشاعر يكون مضاعفاً ، فهو يتقن عمله كله واضعاً نصب عينيه حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) ، وهذا ما عنيت به الإتقان العام! وأما الإتقان الخاص فهو خاص بالشعر ، لأن الشعر جزء من عمل الشاعر المسلم المتقرب به إلى ربه سبحانه وتعالى! وبالجملة فهو لا يتقرب لله عز وجل إلا بشئ فيه من الإتقان ما الله به عليم! وتحت عنوان (الإتقان) يقول المنجّد ما نصه: (أمر الله عباده بالإتقان والإحسان في أعمالهم ، وأحب ذلك ، فقال - عز وجل -: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. هذا الإحسان ، هو الإتقان والإحكام ، وهذه القضية وهي تجويد شيء وإحسانه وإتقانه من المطالب الشرعية العظيمة في ديننا ، ومبنى الدين على هذا فيما أمر به في كل شيء حتى ذبح البهائم ، (وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة). عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: شَهدت مَعَ أَبِي جَنَازَة شَهِدَهَا رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا غُلاَمٌ أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ ، فَانتُهي بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يمكَّن لَهَا. قَالَ: فَجَعَلَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (سَوّوا لَحْدَ هَذَا). حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّة ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِم فَقَالَ: (أَمَا إِنَّ هَذَا لاَ يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلاَ يَضُرُّهُ ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِن) وفي لفظٍ (ولكن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). أخرجه البيهقي في شعب الإيمان. قوله: (إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) أي عمل ، لأن النكرة (عملاً) في هذا السياق سياق الشرط تفيد العموم ، ولذلك فإن الله - سبحانه وتعالى - يحب من سلوك المؤمن الإتقان ، وهذا يشمل أعمال الدنيا وأعمال الآخرة ، والله تعالى كتب الإحسان على كل شيء ، كما في صحيح مسلم. يعني أوجب عليكم الإحسان في كل شيء من أعمالكم ، على بمعنى في ، والمراد بالإيجاب الندب المؤكد ، وهذا الحديث يدل على وجوب

الإحسان لكن في كل شيء بحسبه ، كما ذكر ابن رجب رحمه الله. فالمسلم مطالب بالإتقان في أعماله التعبدية والمعاشية، إحكاماً وإكمالاً ، تحسيناً وتجويداً ، وإتقاناً ، فحُق عليه أن لا يأتي بشيء من أعماله إلا صححه وأكمله وكمله ، ولذلك يقبل ويكثر ثوابه ، والإحسان والإتقان والإكمال والتجويد والتحسين ، هذا الآن مما يتنادى به البشر ، في التخطيط والتنفيذ ، وقد جاء الإسلام بذلك من قديم ، قال أحد السلف: لا يكن هَمُّ أحدكم في كثرة العمل ولكن ليكن همه في إحكامه وتحسينه. قال الشاعر: (المُلكُ أَن تَعمَلوا ما اسطَعتُمو عَمَلاً وَأَن يَبينَ عَلى الأَعمالِ إِتقانُ) وإتقان العمل يكون: بإحكام الشيء وضبطه على أحسن وجه. وإكماله وعدم تركه ناقصاً. قال - عليه الصلاة والسلام -: (مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِلَّا هَذِهِ اللَّبِنَةَ ، هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ). رواه البخاري ومسلم. وبعض الناس يعمل ولا يحسن ، وبعض الناس يبدأ ولا يكمل ، ومن هنا صدق قول الشاعر: (وَما كُلُّ هاوٍ لِلجَميلِ بِفاعِلٍ وَلا كُـلُّ فَعّـالٍ لَـهُ بِمُتَمِّـمِ)! حثت الشريعة على الإتقان ، إنها إذن أمانة ، {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ}. فإتقان العمل من الأمانة ، {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ}).هـ. قال الأستاذ علي الطنطاوي تحت عنوان (الأمانة) ما نصه: (جعل النبي للمنافق آية يعرف بها بين الناس ، ومن آياته أنه إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان. وهذه الثلاث: الصدق والوفاء والأمانة ، أركان الحياة الخلقية والاجتماعية ، وقد تضافرت الآثار على ذم الكذب وأهله ، ومدح الصدق وأهله ، وبيان خطر الأمانة ، وأنها عرضت على السماوات والأرض والجبال ، فأبيْن أن يحملنها وأشفقن منها ، وهن كن أقوى عليها ، وحملها على ضعفه الإنسان ، وأن المسلم ربما ألم ببعض الذنوب ولكنه لا يكذب أبداً كما جاء في الحديث. ثم إنك مع ذلك كله تجد المنتسبين إلى الإسلام اليوم ، من أرباب الصناعات وأهل السوق أكذبَ لهجةً ، وأخلفَ وعداً ، وأضيع لأمانة من كثير ممن ليسوا بمسلمين ، حتى صار المثل يضرب بالوعد الشرقي في خلفه وإضاعته والتأخر عنه ، وصار من يريد أن يؤكد وعداً يصف بأنه (وعد أوربي)! اللهم إن هذا لمن العجب العجاب! إن الله بيّن خطر الأمانة ، وأنزلها هذه المنزلة ، وخوَّف من حملها ؛ لأنها جماع الأخلاق ، وسلكة عقد الفضائل ، وعمادها ؛ فما من شعبة من شعب الأخلاق والخير الاجتماعي إلا إليها مردّها ، وما خصلة من خصال الشر إلا والخيانة أساسها وحقيقتها. وليست الأمانة هي أن تحفظ الوديعة التي تؤديها إلى أصحابها (فقط) ؛ فإن هذه صورة من صورها ، وشكل من أشكالها ، وإن السلطان في يد الموظف أمانة ؛ فإن وضعه في غير موضعه ، أو اتخذه وسيلة إلى جلب منفعة له أو لأسرته أو لأصحابه فقد خان أمانته! والدرجات أمانة في يد الأستاذ الممتحن يوم الامتحان ؛ فإن أعطى منها واحدة لغير مستحقها ، أو منع واحدة من يستحقها ، أو راعى في منحها شفاعة أو صداقة أو بغضاً أو موجدة فقد خان أمانته. والقدرة على الحكم أمانة في يد القاضي ؛ فإن زاغ عن الحق شعرة فقد خان. والعمل أمانة في يد الأجير المستصنع ؛ فإن قصر في تجويده أو أفسد فيه شيئاً ولو كان الفساد خفياً لا يظهر فقد خان).هـ. ونسأل الله القدير رب العرش الكريم العظيم أن يرزقنا الإخلاص في العمل والقول والفعل والنية ، وأن ينفع بنا وبأعمالنا وبأشعارنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مرة أخرى!

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الحي القيوم الذي له ما في السموات وما في الأرض. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم. وبعد ، فمرة أخرى التقينا ، وبعد صدور (نهاية الطريق ، وعزيز النفس ، والقوقعة الدامية والصعايدة وصلوا ، وسويعات الغروب) ، والآن ها قد خرج الأمل الفواح إلى القارئ الكريم في حلته القشيبة هذي ، يطيب لنا أن نقول: لقد شاء الله تعالى أن نلتقي على ساحة الشعر الهادف البناء من قبل ولا نزال على العهد ما شاء الله لنا اللقاء. ومرة أخرى سوف نلتقي إن شاء الله تعالى لنا على صفحات الشعر هناك في ديوان: الأمل الفواح وشقيقة ديوان: ترنيمة على جدار الحب. فعلى الأمل الفواح نلتقي وعلى الحب الكريم في الله الكريم نتعاهد ونتقارب ، وكل القلوب تتوق إلى الخير ولا شك ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده سبحانه وتعالى ، ونتفيأ ظلال الحنيفة السمحة بعد غياب طال وفراق ساد ، وما ذلك على الله مولانا بعزيز ، ويطيب لى وأنا أختم ديوان (الأمل الفواح) أن أقول بأنني سئلت يوماً: كيف تكتب القصيدة الشعرية؟ وكأن هذا السائل يعتقد أن هذه القصيدة الشعرية مثلها مثل الرسالة لأحد المعارف فقط ، والحقيقة أن الجواب على هذا السؤال محير للغاية. إذ تأليف القصيدة كان قد سبق بمراحل واستعدادات واحتياطات شتى. فلا تكفي الموهبة فقط ، ولا يكفي التذوق الأدبي فقط كما لا تكفي العاطفة والشعور فقط ، كما لا يكفي العاطفة والشعور فقط ، كما لا يكفي العلم والدراسة في الشعر وصياغته فقط ، كما لا يكفي الإحساس فقط. بل لا بد فعلا من هؤلاء جميعا محاطين بتوفيق الله تعالى وتسديده على العبد. وإذن فالقصيدة أيها الأقوام هي جماع التجربة ورصيد الحس والإحساس وظل منعكس من الشعور والعاطفة والوجدان ، وهي نتاج طبيعي لقالب أدبي ذي مواصفات حدّدها أهل الفن: أعني أهل الشعر ونقده. وأيما شاعر اليوم ينأى بشعره عن واقعه الذي يعيش فهو شاعر ـ منافق ، إذ الواقع المعاش هذا جزء من شعره ، والتجربة الشعورية له تنبع ابتداء من الواقع المر وتنتهى به. فهي تحلله وتشخص أمراضه ، وتصف الدواء لهذي الأمراض. والساحة اليوم تعج بالشعراء المرتزقة الذين يلوون عواطفهم وينافقون بأشعارهم ـ والعياذ بالله – وهو لون جد جديد من ألوان النفاق الشعري ، حتى ليمكن تسمية هؤلاء: (الشعراء المنافقون) ، والذين يتبعون مدرسة جديدة من الشعر هي مدرسة (النفاق الشعري) ، وإن تعجب فعجب قولهم فلقد حدثني من أثق في قوله أن مستشعرا مدعيا للشعر كان قد استغل غناه في شراء الشعر ، فراح هذا الثري ـ ثراء المال – والفقير ـ فقر الضمير ـ يشتري من الشعراء المرتزقة أشعارهم بمبالغ مالية مغرية ، ثم يجمع القصائد المشتراة تلك ويقوم بطبعها في ديوان قشيب وعليها اسمه (الشاعر الكبير فلان الفلاني) ، وكأنها من بُنيات أفكاره. إن هذا لعجب العجاب إذ لم نسمع بهذا في آبائنا الأولين. هل علمنا أن مستشعرا اشترى عواطف شاعر ما وأحاسيسه ومشاعره ووجداناته وذوقه وأفكاره؟ اللهم قد كانت هناك ولا تزال السرقات الشعرية ، كما أن هناك ولا يزال توارد الأفكار في بيت أو بيتين أو ثلاثة ، كما أن هناك المعارضات الشعرية بين الشعراء ، وهناك الاقتباس والتضمين. لكنْ اشتراء الشعر ، كلا. يمكن أن تشترى السلع والبضائع والملابس والمواد الخام والأجهزة وما شاكل ذلك. لكنْ شعر وشعور يباعان ، سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم. ومادام هذا المستشعر الثرى لا يفيق ابتداء من الخمر على حد ما علمنا فكيف به

يكتب عن نفسه بأنه شاعر محترم ويكتب في الذود عن القيم؟ وكيف به يدعي الشعر وفنه وهو الذي في رأسه ثلاثة أشياء من لغة العرب فقط (نقطة وعلامة استفهام وعلامة تعجب!) فكيف يحشر نفسه – والحال هكذا - في زمرة الشعراء ، ويحسب نفسه عليهم؟ إلى أن أتاه من قدر الله ما أخزاه وأخجله حيث لا شعور عنده ولا خجل ، إذ سارقو العواطف والمشاعر والأحاسيس لا يشعرون ، لأن الخجل انفعال غريزي من الانفعالات لا يزيد. أتاه من قدر الله ما أغرقه في جُب الحرج ، عندما جادله الذي أثق في قوله سائلا إياه: قطعْ عروضياً هذه القصيدة واختار له إحدى قصائده المسروقة من أحد دواوينه المفتراة المدعاة. وكانت المفاجأة السوداء المخزية عندما اكتشف نفسه من أنه لا يعرف شيئا اسمه الشعر ولا الشعراء ، كما أن الشعر لا يعرفه. وأمام جموع الحاضرين أعلن المستشعر لص المشاعر والعواطف والأحاسيس أنه لا يهتم كثيرا بالعَروض والنحو والصرف وقواعد الشعر. فضحكوا ، وزعم الأبله أنهم ضحكوا إعجابا به وبتعبيراته الحمقاء ، بل ضحك القوم عندما سقط الرداء عن المستشعر ، ذلك الرداء الذي لبسه طويلا ، ولم يتورعْ عن الظهور به أمام كل من هب ودب. ويزداد عجبي من الذي يبيع شعره لكي يطبع لحساب مستشعر آخر. إنه يذكرنا بالنائحة المستأجرة التي قال العرب فيها (ليست النائحة كالثكلى). إذ كيف يكتب إنسان ما بمشاعر صادقة عن موضوع بعينه ، ثم هو يتنازل عن هذا كله نظير بعض المال؟ وهل مثل هذا يعرف الصدق؟ ومهما قال: أنا في حاجة ماسة وغير ذلك. إن المشاعر الصادقة لا تباع ولا تشترى ، لأنها ليست كالطماطم أو التفاح أو اللحم. والجمهور المعتوه لا يكتشف هذا؟ إن الشاعر أيتها الجاهلية القائمة في الأرض مرآة نقية صادقة تعكس ما في الواقع من تصورات ومعايير ، من عادات وتقاليد ، من موازين ومقاييس ، من صواب وخطأ ، من باطل وحق . يرحم الله زمانا كانت الكلمة لها تأثيرها على الناس ، ولها صداها وأثرها في الخلق جميعاً.
وحتى أجيب على السؤال: كيف تكتب القصيدة؟ أقول: إن كل قصيدة قرأتها لها دور في كل قصيدة كتبتها! بمعنى أن الطريق إلى الشعر الجيد هو القراءة الواعية ، في شعر الآخرين ابتداء من شعراء الجاهلية الأولى مرورا بالشعر الإسلامي ووصولا إلى الشعر الجاهلي المعاصر والإسلامي منه. نعم نقرأ القصيدة الجاهلية الأولى للوقوف على الجزالة والقوة ، ونقرأ القصيدة الجاهلية المعاصرة للوقوف على العِلل والأمراض اللغوية والعقدية والأخلاقية المعاصرة ، ثم نبدأ مرحلة دراسة الشعر وعلمه واحترافه والوقوف على خباياه وأسراره. ونستعين الله تعالى ، وبعدُ نبدأ في الكتابة. وأيما إنسان اليوم أراد أن يكتب مكتفياً بالموهبة فقط ، فلن يفلح. وكذلك إن حاول آخر أن يكتفي بالدراسة والعلم فقط فلن يفلح. لقد كانت تأتيني فكرة القصيدة وأنا أسير في الطريق ، أو وأنا نائم ، أو وأنا آكل ، أو وأنا في حصة من الحصص أدرس الأولاد ، فأعتذر عنها إن استطعت وأكتب المطلع ، ثم تتوالى الأفكار وتأتي الأبيات تباعاً. فإذا لم أستطع شيئاً من ذلك ربما ماتت القصيدة ، وربما تذكرت فكرتها في وقت لاحق (وهذا نادر جداً!) فتداركتها وكتبت. وإذن فلا ميعاد ابتداء للقصيدة ، بل هي التي تفرض نفسها على قلمي وعلى نفسي فتنفعل بها أساريري ، وتتدفق لها عاطفتي وتنساب أحاسيسي في جنبات أبياتها. وكم مرةٍ حاولت أن أكتب على سبيل التصنع والصنعة والتكلف والاستشعار ، فخانني الشعر واستعصى عليّ ، فوجدت جوانحي مغلقة أبوابها ولم أكتب شيئاً ، وحتى إن كتبت - والحال هكذا - خرجت أبياتي رثة هزيلة عجفاء ، سرعان ما أقوم بكل فورية بتمزيقها غير آسف ، وأقوم إلى شأني ، وأترك الشعر معتذراً له عن الذي بدر مني

في جانبه من الإساءة له وللضاد وللشعراء. وإذن فليست المسألة كما يحلو لكثيرين أن يتصورها مسألة تصنع واختلاق واستشعار. بل المسألة موهبة ودراسة وعلم وفن واستعداد وتهيئة وجدانية وعاطفية ومشاعرية ، وقبل ذلك كله خلاله وبعده ، استعانة بالله عز وجل ، ودعوة أن يكون ذلك العمل الأدبي في طاعته وفي سبيل الدعوة إليه وابتغاء مرضاته! وإلا فبئس الشعر وبئس الشاعر. يقول الأستاذ محمد الخضر حسين عن الشعر: (لا يُطُوع الشعر البارع إلا لمن يردد نظره على كثير من الأشعار البليغة ، ويملأ منها حافظته ، ثم يأخذ قريحته بالتمرين على النظمِ الفينةَ بعد الفينةِ ؛ فهذان ركنان لتربية ملكة الشعر ، وترقيتها. فإذا أتيح للشاعر مع هذا جودةُ هواءِ المنازل التي يتقلب فيها ، وحسنُ مناظرها ، ووثق بأن في قومه من يقبل على الشعر ، ويقدر مراتب الشعراء! لم يلبث أن يأتي بما يسترقُّ الأسماع ، ويسحر الألباب. وشأنُ مَنْ يزاول العلوم ذات المباحث العميقة ، والقوانين الكثيرة أن لا يبلغ الذروة في صناعة القريض ؛ ذلك أن الناشئ الذي يقبل على طلب العلوم إقبالَ مَنْ يرومُ الرسوخ في فهمها ، والغوص على أسرارها لا يجد من الوقت ما يصرفه في حفظ المقدار الكافي من أشعار البلغاء ، وفي تمرين قريحته على النظم تمريناً يصعد بها إلى الذروة. وإذا صرف من وقته في الحفظ والتمرين ما فيه الكفاية وجد من قريحته المعنية بالبحث عن الحقائق العلمية ما يبطئ به عن اختراع معان خيالية بديعة. ونظر ابن خلدون في وجه قصور العلماء عن التناهي في صناعة الشعر ، وأبدى أن السبب ما يسبق إليهم من حفظ المتون العلمية ؛ فإن عبارات هذه المتون وإن كانت على وقف العربية لا يراعى فيها قانون البلاغة. وامتلاءُ الذهن من الكلام النازل عن البلاغة ، لا يخلو من أن يكون له أثر في النظم ؛ فيقصر به عن المرتبة العالية من الفصاحة ، فلو انبعثت قريحته في فضاء واسع من الخيال ، واستطاعت اختراع صور غريبة لخدشت تلك المحفوظاتُ ملكةَ فصاحته ، فيخرج الشعر وفي ألفاظه أو في نسج جُمَلِه ما يتجافى عنه الذوق ، فلا تُتَلَقَّى تلك الصور بالارتياح وإن كانت في نفسها غريبة).هـ. وإذن فالقصيدة ليست كوباً من الشاي ، أو وجبة دسمة من اللحم أو الدحاج أو السمك ، يعدها صاحبها على الموقد وفي الصحون وفي الاطباق والأكواب تعد وتوضع. إنها لو كانت كذلك لكان من اليسير كتابة مليون ديوان شعري في اليوم الواحد بالتقنية الحديثة الموجودة في زماننا هذا. بل إن شأن القصيدة أجل من ذلك بكثير جد. ويحلو الشعر عندما يعاني سبيله صاحبه: يعاني في تأليفه ، ويعاني في صياغته ، ويعاني في تنسيقه وصفه ، ويعاني في طباعته ونشره والترويج له والدعاية والتعريف به بشتى الطرق. ويعاني وهو يتكلف المشاق والمحن والعذابات الجسام وهو يرى أن أبناء جلدته وأمته الذين كتب لهم يُشخص أمراضهم ويصف دواءهم منها ، يجدهم عاكفين على اصنام التليفزيونات والأطباق العاهرة الفضائية والشبكة العنكبوتية ، يستقبلون بكل الترحيب معلبات العم سام وعهر أبناء صهيون أحفاد القردة والخنازير ، ويجدهم قد عبدوا شهوتي البطون والفروج من دون الله. وتنكروا لغاية وجودهم (إلا ليعبدون) ، وعاثوا في الأرض بكل ما تعنيه الكلمة الفساد ومارسوه بجميع أنواعي. يعانى الشاعر وهو يعرض أشعاره على دور النشر والتوزيع التي جندت كل طاقاتها ومقدراتها وإمكاناتها للترويج لبضاعة الماسون ، من المجلات والجرائد والدوريات الجاهلية التي لا علاقة لها قط بواقعنا وعاداتنا وتقاليدنا وأحوالنا وديننا - إن كنا لا نزال نزعم أننا اليوم مسلمون - يعانى الشاعر وهو يعرض على هؤلاء وأولئك أشعاره فيضربون له كفاً بكف ويقولون: لا سبيل لشعر القيم اليوم ، نحن نريد (من فوق الركبة وطالع) ،

وبئس ما قال القوم وبئس ما صنعوا. (إنما صنعوا كيد ساحر) كيد أهل الفجور من اليهود والنصارى والمنافقين من المستسلمين ، (ولا يفلح الساحر حيث أتى)! نعم: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) ، (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ، وإذن فالنصر حليف الحق ، والغلبة للقيم ، والقوامة لأهل الإيمان ، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) ، (ولينصرن الله من ينصره). والله يقول الحق - وهو - عز وجل - يهدى السبيل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ومادمنا نودع ديواننا (الأمل الفواح). فهذي بعض الخواطر مع القصائد الأخيرة فيه. فأما قصيدة (اللاشعر المتفلت) ، فإنني أعتذر للقراء الأحبة عن طول مقدمتها ، ولكن حقيقة كان ولا بد من هذه المقدمة الحاسمة للقضية المثارة على الساحة الإعلامية منذ سنين والتي هي ما يسمى زورا وبهتانا بالشعر الحر. ثم أتت القصيدة مكمّلة لما تناولناه في المقدمة هذه. وأما قصيدة (حسابى مع حاقد) فهي تصفية حسابات مع أحد الحاقدين الكائدين ، الذين كنت أحسن الظن بهم إلى حين أن بلغ السيل الزبى. فقلت: لا بد من قصيدة شافية وافية ، أضع فيها الحق في نصابه وأرد القوس إلى باريها. فكانت هذه القصيدة ترجمة لما في القلب من غصة تجاه الحاقدين. وأما قصيدة (تغير الحال أم الخال) فأهديتها لخال عجيب أمره. كان ابن أخته قد غاب عنه قرابة العقد ونصف. وبدلاً من أن يبادر هو كخال بالزيارة بعد عودة ابن أخته فإذا به لا يأتي ، فذهب ابن أخته إليه ليعتذر اعتذاراً باهتاً مضحكاً لولا أنه مبك بأنه لا يملك الوقت الذي يستقبله فيه. وعاد ابن اخته بخفي حنين. فراح يسأل ما الذي تغير أهو الحال؟ أم إنه الخال؟ وأما قصيدة (نهج نهج البردة) فأهديتها للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكنت قد كتبت بردة سابقة تأتي هذه مكملة للذي أردت من إجلال وتوقير وتعزير للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكان من قدر الله أن فاقت السابقة في الصور والإيحاءات والتراكيب والمفاهيم. وأسأل الله تعالى أن يتقبلها مني في إجلال وتوقير نبيه الكريم عليه السلام. وأما قصيدة (رسالة إلى سائق متهور) فقصة حادث سير مروري ، كنت قد شاهدتها بعيني في مدينة الشارقة بدولة الإمارات في شهر رمضان وكنت مدعواً لإفطار هناك قريباً من مكان الحادث. وكان من قدر الله أن أنصرف عن الإفطار إلى معاينة ومتابعة هذا الحادث المروّع من أحد المتهورين وكثير ما هم. عندما قام بصدم ذلك الفتى البرئ الذي غرق في دمائه في لحظة خاطفة وأما قصيدتنا (الأشقاء الأعداء) ، فهم حفنة من الإخوة المنتكسة فطرتهم. فليسوا هم من الأخوة في شئ كما أنهم ليسوا من آدم – عليه السلام – في شئ. لقد افتقد أكبرهم الاحترام والتقدير ليس هذا فقط ، بل سعوْا مجتمعين في خراب بيته وإشمات الأعداء به وتفريق شمله ، وخيب الله مسعاهم ، فعادوا من حربهم خائبين خاسرين ، ولم يخسرهم أخوهم فقط ، بل همُ الذين خسروا وخابوا. فالشاعر هنا يبين أن اللعبة قد انكشفت ، ولم يعد من السهل خداع الرجل بسهولة. وأما قصيدة (هنيئاً لك الإسلام يا لينة) فقصة حقيقية عشتها مع إحدى المسلمات حديثاً (ثبتنا الله وإياها على الحق المبين) ، راحت تستفسر عن الإسلام. فرُحتُ أرد الشبهات وأبين الحق ابتغاء وجه الله تعالى. وكنتُ سعيداً بهذه العقلية التي عسى الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين. آمين. لقد كان الشعر في هذا الديوان مستقىً من الواقع في أغلبه ، ولله الحمد ، والله نسأل أن ينفع به في مشارق الأرض ومغاربها. وأن يجزينا عليه الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين! آمين.

ترجمة الشاعر

الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم. ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي: روس وأسوان ، فى يوم 1963/10/15م. تخرج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية وآدابها - جامعة المنصورة - دفعة مايو عام 1985م. له اهتمام بالغ منقطع النظير بالأدب الجاد شعره ونثره ونقده. كانت له صفحة يومية بجريدة الوحدة الإماراتيه عنوانها: دوحة الوحدة الشعرية ، وهي صفحة تعنى بالشعر في جميع مراحله القديمة والحديثة: نقداً ومتابعة وتغطية. * ومن الدواوين الشعرية والكتب الأدبية التي صدرت له حتى الآن:

(1) نهاية الطريق: وهو ديوان شعري يقع في أربعمائة صفحة من الصفحات ذوات القطع الوسط وقصائد الديوان لها طابع اجتماعي وتجربة ذاتية وشعورية ، وتكاد ترتبط كلها بطابعنا المعاش.

(2) عزيز النفس: وهو ديوان شعري يقع في أربعمائة صفحة من الصفحات ذوات القطع الوسط وقصائد هذا الديوان لها ذات الطابع الاجتماعي في عمومها إلا أنها كتبت في مناسبة أليمة هي حادث سير مروري لسيارة كان الشاعر فيها عن يمين صديق له ، وأسفر الحادث عن إصابة الشاعر في عينه اليسرى ، فأهدى ديوانه إلى عينه ، وكتب فيه على كل بحور الشعر العربي.

* للمؤلف قيد الصف والإعداد والإخراج من الكتب والدواوين: -

1 – قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي.

2 – قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري - رضي الله تعالى عنه -.

3 – قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية (دراسة نقدية).

وهذه القراءات الأدبية السابقة لعنترة وحسان رضي الله عنه وكذا القراءة الثالثة في بعض الدواوين الشعرية: هي جميعا مجموعة من المقالات الأدبية التحليلية ، قام الشاعر بنشرها في الدوريات والمجلات والجرائد العربية عبر سنين مضت ، ثم قام بتجميعها وإعادة صفها وإخراجها وتنسيقها والنظر فيها ، إضافة إليها وكذلك حذفاً منها وتعديلا لبعض اعوجاجها ، ثم طبعها في كتب ، ولقد كان لجريدة الوحدة الإماراتية النصيب الأكبر من هذه المقالات.

4 – سويعات الغروب: وهو ديوان شعري يقع في أربعمائة صفحة من القطع الوسط ، وقصائده ذوات طابع اجتماعي وجداني نقدي ، وكلها جميعاً من الشعر العمودي الأصيل الموزون المقفى! وكان الشاعر قد زود كل قصيدة بمقدمة تفسيرية افتتاحية (على عادته) حتى تكون هذه المقدمة بمثابة المفتاح الذي يفتح لكل قارئ مغاليق الفكرة ، ويمحو عذابات الالتباس وجحيم الغموض.

5 – القوقعة الدامية : وهو ديوان شعرى يقع في أربعمائة صفحة من القطع الوسط ، وقصائده ذات طابع اجتماعي ، والقوقعة التي عناها الشاعر ، وجعلها عنوانا للديوان هي قوقعة حية تعيش بيننا زين لها الشيطان سوء عملها فرأته حسنا ، وأخذ الشاعر يناقشها ويدعوها ويبين لها ، ويُعرّض ببقة القوقعة الخاوية الدامية الأخرى.

6 – الأمل الفواح: وهي ديوان شعري تزيد صفحاته على الستمائة صفحة من القطع الوسط ، والأمل الذي عنيته هو الأمل الكبير في انتصار الحنيفية وعزتها ، وما ذلك على الله ربنا بعزيز.

7 – ترنيمة على جدار الحب: وهو ديوان شعري تزيد صفحاته على الستمائة صفحة من القطع الوسط ، وتميل قصائده في معظمها إلى الطابع الرثائي إلا ترنيمة من بينها على جدار الحب!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – الأمل الفواح

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
مـ	ـقـ	ـدمـ	ـة	9
إهـ	ـ	ـ	ـداء	11
تـ	ـنـويـ	ـه هـ	ـام	13
هـ	ـذا الـديـ	ـ	ـوان	15
مـ	ـوضـوع الـغـ	ـ	ـلاف	19
فـ	ـاتـحـة الـ	ـديـ	ـوان	21
1	أيتام في دياجير التيه	البسيط	معسولُ	25
2	مع هازل في ظلمات الجاهلية	الرمل	يأتزرْ	26
3	دمعة على مغرورة	البسيط	العلمُ	27
4	وربما حار الدليل	البسيط	السلفُ	28
5	طاحونة العواطف	الكامل	الخبالْ	32
6	أريج القرنفل	الكامل	ولا لقاءْ	34
7	لا تنبشي الماضي	الكامل	فأنا لها	36
8	المعلم الضحية	المتقارب	الشبابْ	46
9	دموع الصالحات	البسيط	الغسقُ	47
10	الأمل الفواح	المتقارب	الظلمْ	48
11	نهاية الظلم الضياع	المتدارك	معتلة	55
12	تحية للشاعر أحمد محرّم	الوافر	تبسّمْ	59

13	الجمال الرخيص	الكامل	مجرمة	60
14	بين الأمس واليوم	الكامل	المتينْ	63
15	أحاجب العرّاف	الرمل	عملكْ	84
16	دموع الأصيل	المتقارب	البليلْ	86
17	وجه أبي ذر ، وقلب أبي لهب	الكامل	بالحجرْ	88
18	لكل نبأ مستقر	الكامل	رادعةْ	101
19	ولدي عبد الله	الكامل	البطلْ	103
20	الأعمال بالخواتيم	الكامل	العرقْ	117
21	أغلال العاصفة	الكامل	المنتكسْ	119
22	رسالة شعرية إلى صاحبة الدموع	الرمل	اليقينْ	120
23	همسة	الرمل	حاضري	127
24	أفراح	الرمل	الجميلْ	129
25	ميلاد ذكرى	الكامل	للسامعينْ	131
26	نشيد: أفلا يأتي؟	المتدارك	إسلامية	133
27	حواء والبيت	الكامل	فخرها	136
28	تعيّرني بضيق العيش	الوافر	قلبي	140
29	أنتِ يا حياة	الرمل	سياجِ	143
30	يا رحمة الله	الرمل	وعطيرا	145
31	الحذر الحذر من الغرور	مخلع الرجز	قافية منوعة	147
32	رسالة إلى مسليمة الكذاب	البسيط	أرشدني	151
33	تحية للشاعر أحمد فرح العقيلان	الكامل	يترنمُ	153

34	من هنا وهناك	البسيط	الأففُ	155
35	التنور	الرمل	والقلوبُ	158
36	عندما أحب	المتقارب	حبيبْ	162
37	ديوان شعر	البسيط	ينحدرُ	165
38	بدعٌ وجواب	الرمل	المنيرِ	169
39	ليتك ترى	الكامل	العَبَراتُ	172
40	أميرة القلب	البسيط	البكَما	175
41	أنى ليَ الفرحة (عتابية)	المتقارب	النوى	178
42	العيدُ عيدكمُ (انتصارية)	البسيط	وانبلجا	179
43	حوار مع القلم (نهج نهج البردة)	البسيط	نهر دمي	180
44	خماسية المجد	الرمل	والنصر المبينْ	189
45	أكرموا ضيفكم	الوافر	فلتحملوني	191
46	تقبّل الله يا عمارة	البسيط	ذا النعمِ	192
47	نصيحة للمتوسل بالقبور	البسيط	للبشرِ	194
48	تحية للدكتور الصلابي	المتقارب	الجمالْ	195
49	رويدا أيها المرتزقة	المتقارب	لا تستبقْ	196
50	تصويب	المتقارب	بالخالق المقتدرْ	198
51	في موكب الحجيج	الخفيف	الأشواقِ	199
52	لماذا يصر بعضهم على السطو الفكري؟!	الخفيف	مسامع السمّارِ	200
53	رسالة العيد إلى الأمة (عتابية)	البسيط	والسمَرُ	203
54	رسالة الأمة إلى العيد (اعتذارية)	البسيط	ينحدرُ	204

55	أبتاه	الكامل	معاني	205
56	جمال الدنيا سراب	البسيط	وبنيانُ	206
57	مأتم صاحبة العصمة	الوافر	سقيمُ	211
58	الأحياء أولى بالعيد	الخفيف	الزوارا	215
59	ألغاز شعرية	بحور منوعة	قوافي منوعة	216
60	في رحاب الزاهدين	البسيط	ما جمعوا	219
61	أنى لمثلك الشجاعة؟	البسيط	محلولُ	224
62	حنين القلب	البسيط	ينتشرُ	230
63	وصية رقيقة لك يا غدير!	الوافر	معجزة البناتِ	239
64	إنها تذكرة	الكامل	من يهربُ	250
65	القصيدة النونية السليمانية الشاعرة (حسان)	الكامل	الرحمنِ	255
66	أكتب الشعر لكي يسود الحق	الكامل	أشغفُ	275
67	إنا لله ، وإنا إليه راجعون	البسيط	محتسبا	276
68	صدقتْ رؤياك يا خالد!	الكامل	قوافي	279
الـــــ	ـــــــــــــورقـــــــــــة الأخـــــــ	ـــــيـــــ	ـــــــــرة	282
لا خـــيـــ	ـــــــــيـــــــــر فـــــــــــي	حـــشـــو الـــ	ـــــحـــديـــث	285
نـــحـــو	شـــــعـــــــــــر هـــــــــــــ	ـــــــــــــ	ـــــــادف	287
مـــــــ	ـــــــــــــــــــــــرة أخـــــــــــ	ـــــــــــــ	ـــــــرى	289
تـــــــر	جـــــــــمـــــــــة الـــشـــــــــ	ـــــــــــا	عـــــــــر	293
فـــهـــــ	ـــــــــرس الـــقـــصـــائـــــد & مـــســـرد	مـــــوســـــ	ـــيـــقـــــي	295

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته!

تنويهٌ هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر
باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية
(إدارة الإيداع القانوني)
16004 / 2006 في يوم 6 – 8 – 2006م
بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤوون الفنية
008 ، 811

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

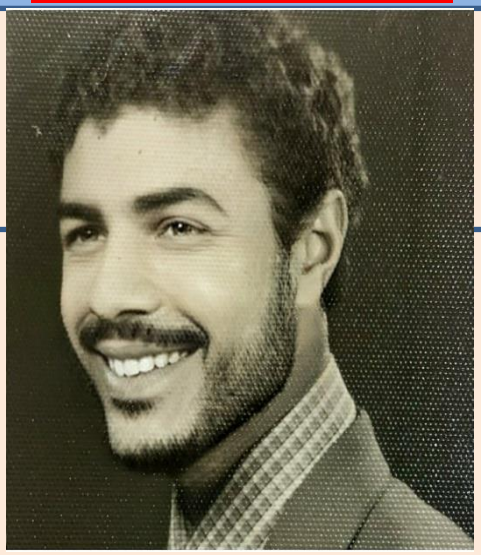

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!